

كلية الآداب



جحوتى

المؤرخ المصرى

دراسات وبحوث فى التاريخ والحضارة



يصدرها قسم التاريخ
كلية الآداب - جامعة القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

المؤرخ المصري

دراسات وبحوث فى التاريخ والحضارة

يصدرها قسم التاريخ

كلية الآداب - جامعة القاهرة

العدد الثالث والثلاثون

يوليو ٢٠٠٨م

المراسلات: ترسل البحوث والمقالات باسم السيد الأستاذ الدكتور محمد بركات البيلى رئيس التحرير على العنوان التالى: كلية الآداب – جامعة القاهرة (قسم التاريخ) بريد الأورمان – محافظة الجيزة.

All Correspondence to be directed to: Editor – in Chief: Prof. Mohammed Barakat Al- Beily, Cairo University, Faculty of Arts, Orman, Giza, A.R.E

قواعد النشر

- ترحب المؤرخ المصرى بنشر الأبحاث والدراسات الأصلية ذات المستوى الجاد بعد التحكيم، فضلاً عن مراجعات وعرض الكتب الجديدة.
- تقبل المؤرخ المصرى للنشر الأبحاث التاريخية والحضارية المكتوبة باللغتين العربية والإنجليزية على ألا يزيد عدد الصفحات عن ٣٠ صفحة مسجلة على ديسك كمبيوتر وفق برنامج (Word) مع نسخة مطبوعة على ورق حجم A4 بما فى ذلك الهوامش والجداول وقائمة المراجع، على أن تكتب الهوامش فى نهاية البحث.
- المؤرخ المصرى لا تنشر بحوثاً سبق أن نشرت أو معروضة للنشر فى مكان آخر، وتقوم رئاسة التحرير بإخطار المؤلفين بإجازة بحوثهم للنشر بعد عرضها على هيئة التحكيم.
- تحتفظ المؤرخ المصرى لنفسها بحق قبول أو رفض الأبحاث أياً كان قرار هيئة التحكيم.
- النشر فى المؤرخ المصرى متاح لأعضاء هيئة التدريس بالجامعات المصرية والعربية والأجنبية وسائر المهتمين بالدراسات التاريخية.
- الآراء الواردة بالمؤرخ المصرى تعبر عن وجهة نظر أصحابها.

شكر وتقدير

تشكر مجلة المؤرخ المصرى ورئيس تحريرها السادة الفضلاء الذين قاموا بالتحكيم العلمى لهذا العدد وهم :

أ.د. محمد فهمى عبد الباقى

أ.د. محمد مرسى الشيخ

أ.د. محمد بركات البيلى

أ.د. أحمد الشربينى السيد

أ.د. محمد عفيفى عبد الخالق

أ.د عبد العليم أبو هيكل

محتويات العدد

الموضـــوع

صفحة

بسم الله الرحمن الرحيم

افتتاحية العدد

عزيزي القارئ

تحية طيبة .... وبعد

هذا هو العدد الثالث والثلاثون من المؤرخ المصرى نقدمه بين يدى قارئ المؤرخ المصرى فى موعده الدورى كما سبق أن وعدنا، وقد "أنجز حر ما وعد".

ولقد حرصنا على أن يكون هذا العدد مثالاً لما اعتادت عليه دورية المؤرخ المصرى من شمول وتنوع وأن تجمع بين المؤرخين والدارسين المهتمين بمختلف القضايا الثقافية عامة والتاريخية خاصة ليس فقط على الصعيد المصرى بل على امتداد أرض العروبة من الخليج إلى المحيط. ولسوف يسعدنا أن يشاركنا المهتمون والدراسون من كافة أرجاء المعمورة إيماناً منا بأن المعرفة وحرية التعبير حق إنسانى أصيل.

عزيزى القارئ

يضم هذا العدد مجموعة من البحوث التخصصية الهامة التى روجعت من قبل ثلة من المحكمين المرموقين فى مجال تخصصاتهم حرصاً من المؤرخ المصرى على أن تظل عند حسن ثقة قرائها بأن تقدم لهم دراسات علمية متميزة.

واسمح لنا عزيزى القارئ أن نشكر كل من أسهم فى اصدار هذا العدد من المؤرخ المصرى ونعدك بأن نوالى اصدار الأعداد التالية فى موعدها بإذن الله .

رئيس التحرير

أ.د. محمد بركات البيلى

أسباب الوفيات في مصر خلال العصر الروماني

حسن أحمد حسن الإبياري
كلية الآداب - جامعة عين شمس

يتناول هذا البحث أسباب الوفاة المختلفة في مصر خلال العصر الروماني في ضوء الأوراق البردية،والنقوش مثل شواهد القبور والمرثيات . وقد راعى الباحث في دراسة هذا الموضوع تقسيم الأسباب المؤدية للوفاة إلي قسمين هما : أولاً الوفيات الطبيعية مثل وفاة الأجنة ، ووفاة السيدات عند الولادة والوفاة بسبب الأمراض والأوبئة . وبيان مدي أرتباط هذه الوفيات بأعمار وأجناس المتوفيين . وثانياً الوفيات غير الطبيعية التي تقع نتيجة نتيجة الحوادث ،والأعتداءات ،والقتل العمد .

أولاً - الأسباب الطبيعية

أدرك المصريون حقيقة أن الموت قدر محتوم علي جميع البشر وأنه آت لا محال مهما تعددت الأسباب، وأنه لايفرق بين كبير و صغير،وهو ما تعبر عنه بوضوح خطابات التعزية [١]، وشواهد القبور والمرثيات [٢].

كانت المهمة الرئيسة للمرأة هي أنجاب الأطفال، وكانت فترة خصوبتها طويلة ، تبدأ أحيانا ، من سن الثالثة عشرة [٣] إلي نهاية الأربعين من عمرها [٤] ، لكن التباعد في أعمار أبناء الأسرة الواحدة لم يكن نتيجة لتنظيم الأنجاب بقدر ما كان نتيجة لموت الأجنة [٥] قبل وأثناءالولادة أو بعدها مباشرةً ،وأرتفاع معدل الوفيات بين الأطفال [٦].

ويتبين القلق علي مصير النساء الحوامل والأجنة من الأسئلة المطروحة علي معابد الوحي والنبؤة في أثناء فترة الحمل مثلما تعكس الأجوبة علي هذه الأسئلة

المشاعر نفسها . ومن ذلك أن زوجاً سأل الوحي :هل ستنجح زوجتي في أن تحمل مولوداً ؟ وكانت هناك أكثر من أجابة علي هذا السؤال منها : أنها ستحمل ولكن ستكون (حياتها) في خطر أو ستحمل ولكنها ستعاني كثيراً من آلام الوضع أو ستحمل ولكن الطفل لن يوُلد (٧) :

οὐ τεκνοις ἄρτι. μὴ προσδόκα . (οὐ τεκνώσεις ἄρτι. μὴ προσδόκ α) . (٨)

وجاءت صيغة سؤال آخر : هل ستُجهض زوجتي ؟ وكانت الأجابة أنها سوف تُجهض وستكون (حياتها) في خطر :

ἐκτιτρώσκει καὶ κινδυνεύει.πρόσεχε (ἐκτιτρώσκει καὶ κινδυνεύει).(٩)

وتسأل سيدة أخري : هل سأقوم بوضع الطفل الذي أحمله ؟ وكانت ثلاثة من الأجوبة علي هذا السؤال علي النحو التالي : << الطفل الذي تحمليه لن يعيش . أو لن يُولد >> :

οὐ ζῇ τὸ γεννώμενον.ἄρτι τελευᾷ (τὸ γεννώμενον μὴ τρέφε).(١٠)

نتبين من هذه الأستفسارات والأجوبة عليها أن أشهر الحمل والولادة كانت مصدراً للترقب و القلق بسبب مخاطرها المتعددة .

ويرتبط الإجهاض في بعض الأحيان بالزواج المبكر ، ذلك أن الفتيات كن يتزوجن عادة في سن الثانية عشر أو الثالثة عشرة مما كان يشكل خطورة شديدة علي حياة الزوجة والأطفال علي حد سواء نتيجة عدم قدرة بعض الأمهات في هذا السن المبكر علي الحمل والأنجاب (١١) أوعدم اكتمال نمو الجنين أو حدوث أختناق بالحبل السري ، أو بسبب وجود بعض العيوب الخلقية عند الأم مثل ضيق الحوض ووجود ناسور مثاني مهبلي ، يؤدي إلي أختناق الجنين وحدوث نزيف دموي للأم أو نتيجة ضعف عنق الرحم (١٢).

وتبين دراسة شواهد القبور أرتفاع معدل الوفيات بين الأمهات الصغيرات، ومن الأمثلة علي ذلك ثلاث شواهد قبور من "كوم أبوبيللو"، جاء في الشاهد الأول :

<< "أثينارين" حبيبة أولادها، حبيبة زوجها ، الطيبة ماتت في الثانية عشر من عمرها>>

Ἀθηνάριν φιλότεκνος φίλανδρος ..... ἀγαθω[τ]άτη ὡς (ἐτῶν) ιβ′.[١٣]

وكُتب علي الشاهد الثاني : << "سارابوس"بنت "يانثيس" ماتت قبل أوانها ، بدون أطفال ، حبيبة زوجها ،عمرها حوالي أربعة عشرَ سنةً ، ماتت في العام السادس يوم (٨) فاؤفوي >> :

Σαραποῦς Εὐάνθου ἄωρος ἄτεκνος φιλόανδρος ..... ὡς ἐτῶν ιδ′, (ἔτους) ς′, Φαῶφι η′ .[١٤]

ونقرأ في الشاهد الثالث : << "ديونوسارين" الطيبة حبيبة أولادها عمرها (١٨) سنة >>.

Διονυσάριν χρηστὴ ἐτῶν ιη φιλότεκνος . [١٥]

وبصفة عامة كان معدل وفيات الأناث يفوق معدل وفيات الذكور خلال فتـــرة خصوبة المرأة من سن الثالثة عشر إلي سن الأربعين نتيجـــة الحمـــل والـــولادة . ويدعم هذا الرأي الأدلة المستمدة من شواهد القبور [١٦] وإقرارات الأحصاء الدوري للسكان في مصر خلال العصر الروماني [١٧].

ونستشف من بعض خطابات التعزية وفاة بعض السيدات في أثناء الـــولادة، أو بعدها مباشرةً ،ومنها الخطاب الذي أرسله "سيمبرونيوس" إلي أمه لمواســـاتها فـــي وفاة زوجة أخيه، ويحثها علي أن تتغلب علي أحزانها وأن << تحافظ علي نفـــسها من أجل أخوته والطفل >> :

ἀλλὰ ὡς τάχιστα νηψον διὰ τὰ ἀδέλφιά μου καὶ τὸ πεδίον .[١٨]

وأغلب الظن أن هذا الطفل، كان أبن السيدة المتوفية وأنه أصبح في رعاية جدتـــه بعد وفاة أمه .

وتحدثنا وثيقة بردية من عام (١٢٠-١٢١) أن سيدة تُدعي " آبيا " حملت مـــن "هيراكليديس"، وماتت في أعقاب ولادة طفلة سُميت "هيراكليا" ، سرعان ما ماتـــت هي الأخري :

ἐπὶ δ' Ηρακλείδης συνεβίωσεν ἀγράφως τῇ ......' Απίᾳ καὶ ἐν τῷ της σ υνβιώ[σ]εως χρόνει ἐνκύ[μ]ονος [αὐ]της ἐξ αὐτου [γ]ενομένης καὶ ἀ ποκυησάσης τὸ βρ[έ]φος οὐκ [...... ἐ]τ[ι] δὲ καὶ συνβάντος τελευτῆσα ι τὴν' Απίᾳν......... τὸ ἀποκυηθὲν ὑπὸ της' Απίας παιδ[ί]ον τ[ε]τ[ελε]υ τηκέν[α]ι.(١٩)

وأغلب الظن أن السيدة "آبيا" ماتت نتيجة ولادة متعثرة ، مما أدي إلي حرمان المولودة من الرضاعة الطبيعية . وفي مثل هذه الحالات كان أهل المولود اليتيم أما يستأجرون له مُرضعة أو يقومون بتغذيته من ألبان الماعز والأبقار، وفي الحالة الثانية كثيراً ما كان يُصاب الرضيع بالنزلات المعوية الحادة التي تؤدي إلي وفاته، وربما كان هذا هو سبب وفاة "هيراكليا" بعد فترة وجيزة من وفاة أمها (٢٠).

ونقرأ في خطاب شخصي مؤرخ باليوم الخامس عشر من شهر أكتوبر سنة (٦٤) للميلاد :

<< من "ثاوباس" إلي أبيها "بومبيوس" تحية . من الأفضل أن تأتي فوراً بمجرد أستلامك خطابى ،لأن أبنتك التعسة " هيرينيا " تنعم الأن بالسعادة الروحية ،ماتت في يوم (٩) فاؤفي في حادث ولادة طفل ،فقد أنجبت طفلاً في الشهر الثامن من حملها ولكنه وُلد ميتا ،وقد عاشت لمدة أربعة أيام بعد الولادة ثم ماتت >> :

τὴν ταλαίπωρον θυγατέρα σου
' Ερεννίαν τετελευτηκέναι καὶ ἤδη εὐτυ
χῆσθαι τῷ Φαῶφι τῆι ἐνάτηι ἀπ' ωμοτοκετου ἔτεκεν γὰρ ὀκτὼ' μηνῶ

ν παιδίον νεκρὸν καὶ τέσσαρας ἡμέρας ἐπέζωσε καὶ μετὰ ταῦτα τετ ελεύτηκεν .[٢١]

ومن الجدير بالملاحظة أن " ثاوباس " أرسلت هذا الخطاب إلي والدها في اليوم الثامن عشر من شهر فاوفي أي بعد حادث الولادة بثلاث عشر يوما وبعد الوفاة بتسعة أيام ،وذلك علي الأرجح بسبب انشغال الأسرة بتحنيط جثمان " هيرينيا ". وربما حدثت الولادة المبكرة للسيدة "هيرينيا" نتيجة التشنجات التي تحدث للحوامل وتؤدي لأرتفاع ضغط الدم في شهورالحمل الأخيرة وضعف الرحم وعدم قدرته علي تحمل وزن الجنين . أو نتيجة تعرضها لحادث مما أدي إلي أسقطها جنياً ميتاً قبل موعد الولادة بشهر كامل ونستبعد أن تكون الوفاة قد حدثت بسبب الأهمال في العناية بالأم أثناء حملها،وذلك لأنها كانت من أسرة ثرية تهتم بشئون أفرادها بدليل أهتمام شقيقها وزوجها بتوفير جنازة لائقة بها، وتبعا لذلك لابد أنها كانت تلقي الرعاية خلال أشهر الحمل والولادة [٢٢].

ومن ناحية أخري فأن وفاة "هيرينيا" بعد حادث الولادة بأربعة أيام كان،علي الأرجح، نتيجة أصابتها بحمي النفاس التي تصيب الحوامل وبصفة خاصة عند ولادة جنينا ميتا [٢٣].

وكانت ولادة الأطفال في الشهر الثامن من المشاكل التي عبرت عنها المصادر القديمة . ومن ذلك خطاب من القرن الثالث أرسله رجل يُدعي "زويلوس" إلي أمه "ثيودورا"، جاء فيه :

Ζωίλος Θεοδώρᾳ τῇ μητρὶ. χαίρειν . γενάμενος ἐν Θαλλοῦ σήμερον παρὰ τῷ ἀδελφῷ εὗρον πάντας ὑγιαίνοντας Τεχωσοῦς δὲ ἡ ἀδελφὴ δεινῶς ἀσθενεῖ καὶ ἐλπίζω ὅτι τέξεται σήμερον ἑπταμηνιαῖον ἐὰν οὖν ἐπ' ἀγαθῷ ἀπαλλαγῇ δηλώσω σοι τὸ συνβεβηκός .[٢٤]

وتدعم الأدلة المُستمدة من شواهد القبور ظاهرة وفاة السيدات أثناء الولادة ،ومن الأمثلة علي ذلك شاهدي قبر من "ليونتوبوليس" (تل اليهودية) يرجع تاريخ الشاهد الأول إلي عام (٢٥) قبل الميلاد ، وجاء فيه : << "دوساريين" بنت "دوساريونوس" عمرها (٢٥) سنة (ماتت) في الولادة (في) العام السادس ، اليوم التاسع من شهر هاتور >> :

Δωσάριν Δωσάριονώς ἐτῶν εἰκοσιπέντε λοχοῦς,(ἔτους) ς′ Ἀθὺρ θ.(٢٥)

والشاهد الأخر من عام (٨) قبل الميلاد ، وجاء فيه : << (في) العام الثالث والعشرين اليوم الثلاثين من شهر برمودة ، ماتت "كليوباس" زوجة "بيتوتوس" بسبب الولادة وهي في العشرين من عمرها >>

L κγ Φαρμουθι λ ἐτελεύτησεν Κλευπας γυνη Πετωτος λεχουσα ....
L κ ἐτελεύτησα .(٢٦)

وتذكر مرثية سيدة شابة من ليونتوبوليس أنها ماتت نتيجة ولادة متعثرة ، عندما كانت تضع مولودها الأول :

ὠδεῖνι δὲ μοῖρα πρωτοτόκου με τέκνον πρὸς τέλος ἦγε βίου

وكانت بعض الزوجات يتوقعن وفاتهن في سن صغير مما دفعهن لكتابة وصاياهن مبكراً . ومن الأمثلة علي ذلك الوصية التي كتبتها سيدة رومانية تُدعي "أوريليا سيرينيللا" ،كانت وفقا للقانون الروماني لاتزال قاصراً (١٢-٢٥ سنة) حيث قامت بعمل هذه الوصية من خلال وصي رومانيcurator،بالأضافة إلي وصاية زوجها (٢٧). فهل كانت تتوقع الموت في هذه المرحلة المبكرة خشية مخاطر الحمل والولادة أم لأعتلال صحتها بصفة عامة أو كان ذلك مجرد إجراء إحترازي تحسباً لمصائب الزمن؟ .

وتحتوي وثيقة بردية من عام (١٥٩) للميلاد علي وصية سيدة من "أ سينوي" تُدعي "إزيدورا" لم يمضي علي زواجها سوي فترة قصيرة ، أوصت وهي علي

فراش الموت، بأن تؤول ممتلكاتها إلي طفلها " إزيــدوروس " ، علــي أن تتــولي والدتها وزوجها والد الطفل الرضيع الأنفاق عليه ورعايته بكل ما تملك :

ὡς χρηματίζει μεσιτείας μου γεναμένης καὶ διέ ταξα τῷ υἱῷ μου Ἰσιδώρῳ πρὸ μιᾶς `1 ἡμέρας μου τοῦ θανάτου εἴ τί μοι .
τὴν τησ δὲ μητέρα μου Ἁρποκρατίαινην αρποκρατιαινησ καὶ τὸν του ἄνδρα ανδροσ μου πατέρα πατηρ τοῦ υἱοῦ μου Λουκρήτιον Διογένην φροντίζειν το<ῦ> το υἱοῦ μου καὶ χορηγεῖν χωρηγιν τῇ τροφῖτι ὑπὲρ αὐτοῦ τὰ τροφεῖα τροφ[ι]α ἐκ τῶν ἐμῶν πάντων· διέταξα δὲ ταῦτα.(٢٨)

ومن ناحية أخرى فإنه علي خلاف ما كان سائداً في المجتمع المصري القديم(٢٩)، ظهرت خلال العصرين البطلمي والروماني عادة التخلص من بعض الأطفال الرُضع بالقائهم في أكوام نفايات المدينة أوالقرية (٣٠). وكانت أحتمالات التخلص من الأطفال تزداد في الطبقات الفقيرة في حالات الطلاق أو وفاة الأب،ورغبة الأم في الزواج مرة أخري (٣١). ومن الأمثلة علي ذلك وثيقة بردية من عام (٨) قبل الميلاد، نتبين منها أن إمرأة تُدعي "ديونوساريون" تزوجت من رجل يُدعي "هيرمياس" حوالي سنة (١٠) قبل الميلاد،وأن هذا الزواج أستمر (١٨) شهراً قبل أن يموت "هيرمياس"، وأثمر عن حملها،وتبعا لذلك أستعادت دوطتها من والدة زوجها المتوفي وتعهدت بأنها :<< لن تطالبها بمصاريف الولادة ولا حضانة الطفل ، وفي مقابل ذلك تحتفظ بحقها في إلقاء الجنين في العراء وأن تقترن بزوج آخر (إذا أرادت)>>:

καὶ ἔνκυος καθέστηκεν ἡ Διονυσάριον μὴ ἐπελεύσεσθαι αὐτὴν μηδὲ περὶ λοχείων διὰ τοῦ ὑπὲρ τούτων εὐπειθῆ γεγονέναι καὶ ἐξεῖναι αὐτῇ μησ ἑαυ τῆς εατης τὸ βρέφος ἐκτίθεσθαι καὶ συναρμόζεσθαι ἄλλῳ ἀνδρί.(٣٢)

وفي وثيقة بردية من عام (١) قبل الميلاد أرسل زوج يعمل بالاسكندرية خطاب إلي زوجته في الفيوم يتوسل إليها أن تعتني بطفلهما، ثم ينصحها بالأبقــاء علــي جنينها إذا وُلد ذكراً ،والتخلص منه إذا كان بنتا :

παρακαλῶ σε επιμεληθι τῷ παιδίῳ καὶ..... πολλὰ τέκης ἐὰν ἦν ἄρσενον ἄφες ἐὰν θήλεα εἴρηκας δὲ Ἀφροδισιάδι ὅτι μή ἐπιλάθης· πῶς δύναμαί σε ἐπιλαθεῖν.(٣٣)

وتحدثنا وثيقة بردية من عام (٤٩) للميلاد، أن رجلاً مصرياً يُدعي "بسوريس" التقط من أحد أكوام نفايات مدينة أوكسيرينخوس طفلا أطلق عليه إسم هيراكلاس :
ἀνειλεν ἀπὸ κοπρίας ἀρρενικὸν σωμάτιον ὀναμα ̔ Ηρακλαν.(٣٤)
،وعهد به إلي مرضعة تدعي "سارايوس" بعقد لمدة عامين،وبعد مرور عام إدعي "بسوريس" أن المرضعة << أهملت الرضيع فأخذه منها>> :
λειμανχουμένου του σωματίου ἀπέσπασεν ὁ Πεσουρις .(٣٥)
غير أن المربية أنتهزت فرصة غياب "بسوريس" عن داره فتسللت إليه واستعادت الرضيع، فأقام "بسوريس" دعوي ضدها أمام حاكم الأقليم،فإدعت "سارايوس" في المحكمة أن الطفل الذي أخذه منها "بسوريس" ليس "هيراكلاس" ،ولكن أبنها من بطنها،وأن << الطفل اللقيط قد مات>> :
μετὰ ταυτα ετελεύτησεν τὸ σωμάτιον .(٣٦)
وإذا صدقنا قولها فإن الطفل اللقيط مات نتيجة أهمال المرضعة في رعايته وتغذيته . وهذا لا يعني أن حالات التخلص من الأطفال كانت ظاهرة عامة وأنما كانت محدودة (٣٧). ويدعم هذا الرأي الوثائق البردية التي تلقي ضوءاً ساطعاً علي تمتع غالبية الأطفال بالرعاية الأسرية (٣٨)،وخطابات التعزية التي نتبين منها أن وفاة أحد الأطفال سواء من الذكور أو الأناث علي حد سواء كان بمثابة النكبة التي تفجع جميع أفراد العائلة .(٣٩)

وتكشف لنا المصادر الأثرية والبردية والتقنيات العلمية الحديثة المستخدمة في دراسة المومياوات عن أن الامراض المُزمنة والمستوطنة (ἐπιδήμιος) كانت من الأسباب الرئيسة للوفاة في مصر خلال العصور القديمة (٤٠). فقد كان غالبية

سكان القري يعيشون علي الكفاف، ويتكدسون في منازل ضيقه، بنيت بطرق عشوائية ، ولا يحصلون علي الغذاء الكاف الذي يعطيهم الطاقة اللازمة لبذل مجهوداً جسمانياً شاقاً في فلاحة الأرض، فغزت الأمراض أجسامهم الهزيلة وساعدت علي أرتفاع نسبة الوفيات.(٤١)

وتقدم لنا بعض الوثائق البردية معلومات عامة عندما تذكر فقط أن الوفاة كانت بسبب المرض دون تحديد ماهيته . ومن الأمثلة علي ذلك وثيقة بردية من عام (١٠٢) للميلاد (٤٢) جاء فيها وفاة مواطن من أوكسيرنخوس يُدعى "باسيونوس" بعيداً عن موطنه عندما كان متواجداً في مدينة الإسكندرية . وجاء في وثيقة أخري من عام (٣١١) للميلاد ، وفاة "إيزيدوروس"، أحد مواطني أوكسيرينخوس، في مدينة الإسكندرية نتيجة أُصابته بمرض أُودى بحياته، دون الإشارة إلي طبيعة هذا المرض :

ὁ ἡμέτερος ἀνὴρ ' Ισίδωρος ' Iέρακος χιριστὴς τὴν τέχνην γενόμενὸς ἐν τῇ λαμπροτάτη ' Αλεξανδρία ὑπὸ συ .... νόσου συς τὸν βίον μετήλλαξεν . (٤٣)

وفي شاهد قبر من الإسكندرية، كتبه رجل يُدعي "سيمالوس" في القرن الثالث للميلاد ، لتخليد ذكري وفاة زوجته الشابة " ثيرميون " ، نتبين منه أنها ظلت تعاني من المرض لمدة ثلاث شهور قبل أن تموت:

(٤٤) Θέρμιν χρηστὴ, ἔνερθε ναίω, τριπτύχους μῆνας φθίσι,βιότου λιποῦσα.

ومن الجدير بالملاحظة أن الوفاة في الحالات الثلاث السابقة وقعت في مدينة الاسكندرية، التي أشاد "سترابون" بالمناخ الصحي لها عندما زارها في بداية عهد الأحتلال الروماني.(٤٥)

ومن المعروف أن مرض الملاريا كان ينتشر في الإسكندرية في بعض الفترات نتيجة وجود مستنقعات بحيرة "مريوط" بالقرب منها ولاسيما في فترة انحسار

الفيضان . كذلك يتردد صدي هذا المرض في التعاويذ الطبية التي جاءت من "الفيوم" و "أوكسيرينخوس". (٤٦)

كما كانت الحمي التيفودية πυρεκτικός من الامراض الموجودة في الصعيد والمناطق الصحراوية لاسيما في فصل الصيف (٤٧).

وخلال العصر الروماني كان السل الرئوي من الأمراض التي سببت الوفاة.(٤٨) وقد ذكر "بللينيوس" أن مناخ مصر الجاف،وهوائها النقي شجع الرومان علي أرسال المصابين بالسل من ايطاليا إلي مصر حيث كانوا يمكثون بها فترات طويلة للعلاج ، مما أدي إلي أنتشار عدوي هذا المرض بين سكان مصر (٤٩). كما أن رياح الخماسين الدافئة في بداية فصل الربيع كانت من عوامل أنتشار هذا المرض ،ولاسيما في صعيد مصر.(٥٠)

وكانت الإصابة بالسل أكثر شيوعا في الدلتا ومصر السفلي خلال فصل الشتاء بسبب شدة البرودة والرطوبة،وهو ما يتفق مع تزايد نسبة الوفيات بين الذكور في مرثيات " كوم أبوبيللو " و " ليونتوبوليس " خلال الفترة من شهر أكتوبر إلي شهر فبراير . ويدعم هذا الرأي ، شهادات الوفاة ، فمن بين سبعين شهادة وفاة تشير إلي الشهر الذي حدثت فيه الوفاة، جاء في أحدي وخمسين شهادة منها أن الوفاة وقعت فيما بين شهري "بابه" و "برمهات" (٥١) (من٢٩ سبتمبر إلي٢٥ مارس) ، بمعدل (٧٢,٨٥٧%) ،في حين تشير تسعة عشر وثيقة فقط إلي حدوث الوفاة خلال الفترة من شهر "برمودة" إلي شهر "توت" (٥٢) (من ٢٦ مارس إلي٢٨ سبتمبر) ، بمعدل (٢٧,١٤٢%).(٥٣)

وينعكس الخوف من أمراض الشتاء في الوثائق البردية،ومن الأمثلة علي ذلك خطاب شخصي من القرن الأول للميلاد يستفسر كاتبه من شخص يدعى "بومبيوس"

عن حقيقة وفاة شخص يدعى " ابيس " ، ويطلب من "بومبيوس" عدم أرسال شخص يُدعي "سيرابوس" إلي المنزل حتى ينتهي فصل الشتاء :

εὐθέως παραγείνουἐξ ὅτοὗ
Απεις ἐτελεύτησεν, οὐκ ἀφίει Σεραποῦς ἐν τῇ οἰκίᾳ *χειμάζειν* με[٥٤].

ونقرأ في نقش جنائزي عُثر عليه في جبانة تونة الجبل ، يرجع إلـي القـرن الثاني للميلاد ، يتعلق برثاء صبي ينتمي إلي أحدي الأسـر الأرسـتقراطية فـي" هيرموبوليس ماجنا "، لم يتجاوز الثانية عشر من عمره ، أنـه أُصـيب بمـرض صدري ، أغلب الظن كان السل ، جعله يسعل لفترة طويلة بدون توقف حتي مات :

μοιρα πρόμοιρον ἀπήγαγεν .... γὰρ πάντων λυσιμελὴς θάνατος. [٥٥]

وتكشف لنا المصادر حدوث حالات الوفاة الجماعية في مصر ، أغلـب الظـن نتيجة الأوبئة الفتاكة التي كانت تهاجم الـبلاد مـن آن لآخـر خـلال العـصر الروماني[٥٦] . ومن الأمثلة علي ذلك نقش من عام (٢٤) للميلاد ، يحتـوي علـي رثاء سيدة تنتمي لأحدي العائلات الأرستقراطية تُدعي " ألين الياس تينوس" توفيت وهي في سن الخامسة والثلاثين من عمرها [٥٧]،وقد عثر علي صورة وجـه هـذه السيدة ومعها صورة فتاة يتراوح عمرها ما بين الرابعة إلي الخامسة،وطفل يتراوح عمره ما بين سنتين ونصف سنة إلي ثلاث سنوات ،أغلب الظن أنهما كانا طفليهـا وماتا معها. [٥٨]

وفي خمسة شواهد قبور من القرن الأول للميلاد، يتعلق الشاهد الأول بوفاة شقيقين أحدهما يُدعي "خريسيموس"،عمره عشر سنوات ،والأخر ضاع أسمه من الوثيقة،عمره سنتان وسبع شهور [٥٩]. والشاهد الثاني لسيدة تُدعي " تيكاندي " ، في الثانية والثلاثين من عمرها ،وأبنتها الصغيرة وعمرها ثلاث سنوات [٦٠]. والشاهد الثالث يتضمن وفاة ثلاث أشخاص من أسرة واحدة ،هم الأم وكانت في الخامسة

والثلاثين من عمرها ،وأبنتها في الرابعة عشرة من عمرها ،وأبنها الذي ضاع أسمه وعمره من النقش[٦١]. وجاء في مقدمة الشاهد الرابع أن "فاليريا" ماتت مثل أخيها ومع طفلتيها "كليوباترة"،و "يوفروسيني" :

Οὐαλερία .... ἐτελεύτησεν δὲ ἀδελφὴ οὖσα Ποπλίου Οὐλερίου ɔτρ ατι[ ]ώτου εὐεργετημένη σὺν τοῖς τέκνοις μου Κλεοπάτρα καὶ Εὐφρ οσύνη . [٦٢]

وفي شاهد قبر من " ليونتوبوليس " يرجع تاريخه ، علي الأرجح ، إلي نهايـــة حكم الإمبراطور " تيبيريوس " جاء فيه : << " نــــارديون " عمـــره (٤) ســـنوات (مات) في العام الثالث والعشرون اليوم الثالث عشر من شهر بوؤنة ، " تيتوريون " ، عمره سنتان (مات) في العام الثالث والعشرون اليوم الثلاثين من شهر ابيب ، " ساباتيا " عمرها سنة واحدة (ماتت) في العام الثاني اليوم الخامس عشر من شـــهر كياك >> .

Ναρδίων ...... , ώς (ἐτῶν) δ′. (ἔτους) κγ′, Παοῖν[ι] ιγ′.Τετεύριον...... , ώς (ἐτῶν) β′. (ἔτους) κγ′, Ἐπὴπ λ′. Σαββαταῖε .... ,ώς (ἔτους) α′. (ἔτους) β′, Χυὰκ ιε ′ .[٦٣]

نتبين من الوثيقة السابقة وفاة ثلاث أطفال من أسرة واحدة في غضون عام ونصف العام . وكان الفارق الزمني بين موت الطفل الأول والثاني (٤٧) يوما بينما كان الفارق الزمني بين موت الطفل الثاني والثالث حوالي (١٧) شهر . وربما كانت هذه الوفيات نتيجة وباء أو علي الأرجح نتيجة مرض وراثي في الأسرة لأن الأطفال لم يموتوا في فترات زمنية متقاربة ،وأنما في فترات متعاقبة .

وبصفة عامة تشير شواهد القبور إلي إرتفاع معدل الوفيات في مرحلة الطفولة المبكرة ، منذ الولادة وحتي سن الخامسة [٦٤]. ربما بسبب سوء التغذية وضعف الرعاية الصحية [٦٥] ، فضلا عن أنتشار زواج المحارم بين الأخوة والأخوات مما كان يؤدي إلي ضعف مناعة سلالتهم وعجزهم عن مقاومة الأمراض والأوبئة [٦٦].

ويكفينا هنا الإشارة إلي حالتين – الأولى تتمثل في عثور العلامة " بتري " في كاهون بالفيوم ، علي كثير من الأطفال حديثي الولادة مدفونين تحت أرضيات غرف الدفن في صناديق ، يحتوي الواحد علي طفلين أو ثلاثة . والثانية إكتشاف جبانة فوق قرية دير المدينة ، مدفون فيها أكثر من مائة طفل داخل أمفورات وسلال وصناديق وتوابيت حقيقية.[٦٧]

ولم تكن الوفيات الجماعية في شواهد القبور قاصرة فقط علي الأطفال ، وأنما شملت أفراد من جميع الأعمار ،ومن الأمثلة علي ذلك شاهد قبر من " ليونتوبوليس " لسيدة وزوجها وأبنتهما ، ماتوا جميعا علي التعاقب في غضون أيام قليلة :

Αἰὼν κηρύξει νὴν φιλομήτορα καὶ φιλάδελφον. σὺν τέκνῳ τ′ ἐμῷ κεῖμαι ,ὡς θέμις ἐστίν,μέση τε μητρὸς καὶ ἀδελφοῦ.εἰμὶ κήρυγμα μέγιστον, ὧν καὶ ἡ σωφροσύνη κατὰ τὸν κόσμον λελάληται. Σερα[π]οῦς (ἐτῶν) κα′, Ἵεραξ (ἔτους) α′, μηνῶν ε′ .[٦٨]

وفي شاهدين آخرين من " هوارة " بالفيوم كان أحدهما لرجل وزوجته[٦٩] ،والأخر ، لأخوين الأول عمره (٥٠) سنة ،والثاني عمره (٥١) سنة.[٧٠]

ويتكرر في إشعارات الوفاة الإبلاغ عن وفاة أكثر من شخص في الإشعار الواحد، ومن الأمثلة علي ذلك ثلاث إشعارات من "أوكسيرينخوس"، الإشعار الأول من عام(٧٨-٧٩) للميلاد ، ويتعلق بالإبلاغ عن وفاة عبدين معا ، أحدهما يُدعي "أمارانتوس" ،و الأخر يُدعي "ديوجنيس" ἀφηλιξ ، لم يبلغا بعد سن الإلزام بدفع ضريبة الرأس ، ماتا معا في العام الحادي عشر من حكم فسبسيان.[٧١] والإشعار الثاني من عام (١١٦) للميلاد،ويتعلق بوفاة رجلين من أحدي الأسر التي توارثت مهنة النجارة بمعبد الآلهة " ثوبريس،وإيزيس،وسارابيس " بمدينة " أوكسيرينخوس" ، ماتا معا في شهر "فاعوفي" ، أحدهما يُدعي "أرثونيس" خاضع لضريبة الرأس ،

والأخر يُدعي"باؤس" والد زوجته ،وتجاوز سن الإلزام بدفع هذه الضريبة ὑπερετής.[٧٢] والإشعار الأخير من عام (١٥٠) للميلاد ويتعلق بوفاة شقيقين من قرية "تيس" ،كلاهما تعدي سن الإلزام بدفع ضريبة الرأس.[٧٣]

وإذا كانت الوثائق السابقة لا تحدد بدقة سبب وقوع الوفيات الجماعية فأن وثائق أخري تزيل هذا الغموض . ومن الأمثلة علي ذلك وثيقة بردية من القــرن الثــاني للميلاد تحتوي علي إلتماس قدمه كاهن مــن قريـــة "سوكنوبايونيـــسوس" يـــدعي "ستوتوتيس" إلي أستراتيجوس قسم "هيراكليديس" بالفيوم جاء فيه : << بعد الوفيات التي تقع في هذا الوقت ، مات في منزلي أبنتاي مع زوجيهما وزوجتي وآخــرون كثيرون ، غادرت المنزل .... وأنتقلت بعيداً عنه إلي مزرعــة " هــالموراس " بالقرب من قرية " هيراكليا " حيث أقمت هناك بصفة مؤقتة لبضعة أيام >> :

πρὸς τὸν παρόντα καιρὸν τελευτησάντων κατὰ τὴν οἰκίαν μου θυγατ ἑρων μου δύο μετὰ τῶν ἀνδρῶν αὐτῶν καὶ γυναικός μου καὶ ἄλλων πλείστων, ἀποδημήσας τὰ οἰκόπεδα παρεθέμην ...... καὶ μετῆλθον εἰς ἐποίκιον Ἁλμυρᾶς λεγόμενον περὶ κώμην Ἡράκλειαν· ἐπιμείνας ο ὖν ἐν αὐ]τῷ ἡμέρας ὀλίγας .[٧٤]

قد يبدو من ذلك تفشي وباء حصد العديد من الأرواح في قرية "سوكنوبايونيسوس" ،كان من بينهم زوجة "ستوتوتيس" ،وأبنتيه ،وزوجيهما ،وكثيرون آخرون، مما دفع الملتمس إلي مغادرة منزله والرحيل إلي مزرعته الكائنة بالقرب من قرية "هيراكليا" للأستجمام بها لفترة قصيرة حتى يتخلص من آثار الصدمة العصبية التي أصابته نتيجة الموت الجماعي لأفراد أسرته، أو علي الأرجح ، للهروب من ذلك الوباء الخطير.

وجاء في شاهد قبر من "كوم أبو بيللو" [٧٥]يرجع إلي القرن الثاني للميلاد :<< " أمون " عمره (١١) سنة ، " ثيرموثاس " عمرها (١٢) سنة ، " هيراكليديس " عمره

(١٠) سنوات، " ثايساس " عمرها (٣) سنوات . العام العشرون ، اليوم الحادي عشر من شهر هاتور . وداعاً . >>

'Αμμων ἐτῶν ιᾱ, Θερμουθᾶς ἐτῶν ιβ,' Ηρακλείδης ῑ,Θαισας ἐτῶν γ̄ . ἐτους κ' Αθὺρ ιᾱ . εὐψυχῖται . (٧٦)

ومن المحتمل إن هؤلاء الأطفال الأربعة كانوا أخوة ،وأن وفاتهم في اليوم الحادي عشر من شهر " هاتور " في العام العشرين من حكم أحد الأباطرة ، كانت نتيجة وباء أو مرض مُعدي .

ومن الجدير بالملاحظة أن شواهد القبور في" كوم أبو بيللو" ترصد وقوع أحدي وأربعون حالة وفاة ، في اليوم الحادي عشر من شهر"هاتور" الموافق اليوم الثامن من شهر نوفمبر سنة (١٧٩) للميلاد ، كان غالبيتهم من الأطفال والسيدات. ويرجح الأستاذ " والتر شيديل " أن حالات الوفاة الجماعية في هذا اليوم وقعت نتيجة أنهيار مبني كبير أو غرق مركب أو حريق في مكان ما كان مُحرماً علي الرجال البالغين دخوله، مثل حمام السيدات، ويستبعد أن تكون هذه الكارثة قد وقعت نتيجة لأنتشار وباء أو بسبب تعرض الضحايا للهجوم والعدوان، بدليل أن الرجال من أهالي الضحايا قاموا بعمل المرثيات العديدة لهؤلاء الموتي من الأطفال والنساء بأتقان شديد يدل علي تمتعهم بالصحة والراحة والهدوء . (٧٧)

وفي ثلاث شواهد ترجع علي الأرجح إلي هذا التاريخ ، جاء في الشاهد الأول وفاة ثلاث أشخاص هم << " هيراكليا " عمرها (١٤) سنة ،و " إيزاروس " عمرها (٣٥) سنة ، و " هيراكلامون " عمره (؟) >> .(٧٨) وجاء في الشاهد الثاني وفاة أربعة أشخاص هم << " هيروديس " (١٠) سنوات ،و " زويلاس " عمرها (٥٥) سنة ، و" يودايمونيس " عمرها (٤٨) سنة ،و " هيراكليا " عمرها (٢٠) سنة

>>[٧٩]. وجاء في الشاهد الثالث فتاة تُدعي " ثانيوتين " عمرها (١٤) سنة ،و أمها " بوساريس " عمرها (٤٥) سنة :[٨٠]

Θανεῦτιν ὡς (ἐτῶν) ιδ.Βυσάρης ἡ μήτηρ (ἐτῶν) με (ἔτους) κ' Ἀθὺρ ια

وقد يكون وقوع حالات الوفاة الجماعية في هذه الفترة بسبب تفشي وباء الطاعون في عصر " ماركوس أورلليوس أنطونينوس " .[٨١]

وجاء في إعلان وفاة من " الفيوم " يرجع إلي عصر الإمبراطور " ماركوس أوريليوس أنطونينوس :

Ἀσκληπιάδῃ βασιλικῷ γραμματεῖ Ἀρσινοίτου Ἡρακλείδου μερίδος
παρὰ Πτολλᾶ ... οἱ συνγενεῖς μου Διόσκορος Ἑρμᾶ τοῦ Πεθέως μητρὸς
ὕρεως καὶ Σπαρτᾶς Πο μη(τρὸς Ἀμμωνοῦτος καὶ Πτ Ἑρμᾶ τοῦ Πεθέως
μητρὸς υρ]εως οἱ λαογραφούμενοι .... ἐτελεύτησαν τῷ μηνὶ τοῦ
ἐνεστῶτος ἔτους Αὐρηλίου Ἀντωνείνου Καίσαρος τοῦ [κυρίου .[٨٢]

نتبين من النص السابق أن رجلاً يُدعي " بطوللا... " قدم إلي الكاتب الملكي بقسم هيراكليديس بمديرية أرسينوي إشعاراً بوفاة ثلاثة من أقاربه،جميعهم من الرجال البالغين الخاضعين لضريبة الرأس،وأن أثنين من الموتي كانا شقيقين . ومن الجدير بالملاحظة أن مقدم الإشعار لم يكن قريباً من الدرجة الأولي للمتوفيين،ربما لفناء أفراد العائلة الأقربين نتيجة الوباء الشهير الذي أجتاح مصر والإمبراطورية الرومانية خلال عصر الإمبراطور"ماركوس أوريليوس أنطونينوس".

وفي إشعار وفاة من عام (١٧٧-١٨٠) للميلاد ، نتبين وفاة أخوين من ناحية الأم أحدهما يدعي " ساتابوس " كان مسجلاً في قائمة دافعي ضريبة الرأس أي أنه تجاوز سن الرابعة عشر بينما وُصف الآخر بأنه قاصر أي لم يتجاوز هذه السن[٨٣]. ولانعرف هل كان موت هذين الأخوين معا قد حدث بمحض الصدفة أم أنه كان نتيجة أستمرار موجة الوباء الأنطونيني؟ .

وقد كتب أحد أساقفة الإسكندرية المعاصرين لهذا الوباء إلي أخوانه المسيحيين ينصحهم بأن الوقت غير مناسب للأحتفال بالعيد ، << لأنه لا يوجد بالمدينة منزل يخلوا من أحد الموتي . ولا يوجد في المدينة سوي الدموع والحداد بسبب العدد الهائل من القتلى والمحتضرين >>. ويشير كاتب الخطاب إلي تحمل المسيحيين لهذا الوباء الرهيب بقوة إيمان وشجاعة وتكافل فيما بينهم رغم موت العديد من رجال الدين المسيحي ، بعكس الوثنيين الذين كانوا يتخلصون من اعز أصدقائهم بمجرد أن يظهر عليهم أعراض المرض ، فكانوا يلقون بهم في الشوارع وهم يحتضرون ، وبعد موتهم كانوا يتركونهم دون دفن خوفا من أن يصابوا بالعدوي ،ورغم هذه الاحتياطات ، لم يكن من السهل عليهم الهروب من الموت.(٨٤)

وفي ضوء الرواية السابقة ، يتضح لنا أن ضعف الوعي الصحي لدي السكان في ذلك الوقت وترك الموتي في الشوارع دون دفن كان من العوامل التي ساعدت علي إنتشار المرض وأزدياد عدد الوفيات .

وجاء في خطاب شخصي من القرن الثالث أن كاتبه وإمرأة ، ربما كانت زوجته ، وأطفاله أُصيبوا جميعا بمرض ، وأن شخصاً واحداً يدعي "ميموس" الصغير، كان ، علي الأرجح ، أحد أطفاله قد مات، وأنه هو نفسه لايزال يعاني من وجود مرض بالقدم κατὰ τοῦ ποδός μου ἐρυσίπελαν ، تشبه أعراضه الوباء الأنطونيني آنف الذكر :

καὶ περὶ τῆς σωτηρίας Τυραννίδος καὶ τῆς θυγατρός σου ἡμεῖς γὰρ μετὰ τὸ σὲ ἐξελθεῖν μεθα νόσῳ μεγάλῃ, ἐγὼκαὶ τὰ τέκνα αὐτῆς, κα ἰ ὁ μικρὸς Μῖμος ἐτελεύτησεν, καὶ ἐγὼ αὐτὸς μετὰ τὴν νόσον γίνομ αι κατὰ τοῦ ποδός μου ἐρυσίπελαν .(٨٥)

ويبدو أن الأوبئة أستمرت تُصيب مصر خلال القرن الثالث للميلاد ،علي فترات متقطعة، ففي نهاية العشرينات من هذا القرن ،أنتقلت إلي مصر عدوي وباء جديــد

قادم من" أثيوبيا " ، أدي إلي خراب ودمار كبير ،وسرعان ما أنتقل هذا الوباء إلي باقي أنحاء الإمبراطورية الرومانية .(٨٦)

وينعكس صدي هذا الوباء في الوثائق البردية، ومن الأمثلة علي ذلــك شــهادة وفاة من عام (٢٢٩) للميلاد جاء فيها الإعلان عن وفاة ثلاثة أشخاص من أســرة واحدة نتيجة الوباء الذي تفشي في أحدي القري وحصد العديد من أرواح الناس:

Οἱ συγγενεις μου Αὐρήλιοι [........]οοῦτος καί ὁ τούτου ἀδελφός [..........
]κιος οἱ γ ἀπό τῆς αὐτῆς κώμης ἐτελεύτησαν ὑπὲρ ὧν ἐτελέσθη
ἁ καθήκει δημόσια μέχρι νῦν ἀξιῶ περιελειν αὐτούς ἐκ τῶν δημοσί
ων λόγων ὡς καθήκει καί ὀμνύω .(٨٧)

ومن الجدير بالملاحظة ، أن مُقدم إعلان الوفاة لم يحدد بدقة درجة قرابته مــن المتوفيين ، وهذا يعني عدم وجود قريب لهم من الدرجة الأولي علي قيد الحيــاة ، ربما بسبب تفشي الوباء بينهم .

وفي شهادة وفاة من مديرية "هيراكليوبوليس" ترجع إلي عام (٢٣٧) للميلاد ، جاء فيها إعلان "أوريليوس أبوللونيوس" عن وفاة أحد عبيده داخل أحد الحصون خلال الوباء الذي تفشي وحصد العديد من الناس :

Αὐρηλίωι Ἀπολλωνίωι βασιλι[κῶι γρ(αμματεῖ) Ἡρακλεοπολίτου
παρὰ Αὐρηλίου Ἡρακλείου ....ἀπὸ ἐπεὶ ὁ δοῦλός μου στεφαν αφ
ἐτελεύτησεν τῶι [ ] φ[.. ἐν]τὸς φρουρίου, ἀξιῶ σε περιαιρεθῆναι αὐτοῦ τὸ
ὄνομα διὰ τῶν δημοσίων βιβλίων, ὡς καθήκει .(٨٨)

وفي شهادة وفاة أخري من عام (٢٣٧) للميلاد ، يُعلن " أوريلليوس بسيريوس " من قرية " موخيننومثوس " عن وفاة قريبه " بونسيس " من القرية آنفة الذكر خلال الوباء الذي حصد الناس موتا :

ἐπει Μουχεννῴμθου. κώμης ἀπο Αὐρηλίοὐ Ψείριος παρὰ
ἐνεστῶτι γ ἔτει ἀναγρατῷ ἐτελεύτησεν Ποῦνσις μου συγγενής ὁ

ἀξιῶ Μουχεννώμθου κώμης προκειμένης τῆς ἐπι φόμενος ων βιβλίδημοσίων σοὶ παρὰ τῶν διὰ ὄνομα τὸ αὐτοῦ περιαιρεθῆναι (٨٩). ἐπερωτηθεὶς καὶ καθήκει ὡς

وفي منتصف القرن الثالث للميلاد ، يذكر "كوبريان" ،أن الوباء تفشى ،مرة أخري، في مصر خلال عام(٢٥٢/٢٥٣) للميلاد وأنتقل منها إلي جميع أنحاء الإمبراطوريةِ الرومانية ، وأدي إلي موت أعداد كبيرة من الجنود الرومان ،وتناقص الأيدي العاملة بشكل هائل ، ولاسيما في الإسكندرية التي فقدت ثلثي سكانها . وكان الناجون من الموت يصابون بمرض بالقدم أو الساق يفقدهم أطرافهم وأصابعهم . ويبدو أن هذا الوباء كان لايزال يجتاح الإمبراطورية في عام (٢٧٠) للميلاد عندما تسبب في موتَ الإمبراطورِ كلوديوس .(٩٠)

وفي خطاب شخصي من "أوكسيرينخوس" أرسله "بطوليمينوس" إلي أخته "سينثونيس" يخبرها بأن المدعو "آخيلليس" كان مريضاً جداً ويتناول بشكل مكثف علاجا للقدم ولايزال وضعه الصحي متدهور ،وربما يسوء أكثر من ذلك بكثير وتبعا لذلك لم يتمكن من محادثته،ربما في موضوع يهم "سينثونيس"، ويذكر"بطوليمينوس" بأنه هو نفسه مريضاً جداً ،و ربما يكون علي أعتاب الموت :

γνῶναί σε θέλω ὅτι Αχιλλεὺς πάνυ νοσεῖ καὶ ἐχειρίσθη ποσάκις εἰ ς τοὺς πόδας καὶ τὰ ἕως ἄρτι νοσεῖ καὶ σχεδὸν τιπροσέτι, καὶ διὰ τ οῦτο οὐκ ἐδυνήθην λαλῆσαι αὐτῷ. καὶ ἐγὼ ἠσθένησα πάνυ καὶ εἰς θάνατον . (٩١)

وفي وثيقة بردية من عام (٢٧٤) للميلاد ، تتعلق بتعين وصي قانوني علي فتي قاصر بسبب وفاة والديه نتيجة أنتشار مرض خطير في "أوكسيرينخوس" ، كانت أعراضه تُصيب المريض بأرتعاشة شديدة تؤدي إلي وفاته :

Αὐρηλίου Πεκύσιος τοῦ τε πατρὸς καὶ τῆς μητρὸς ἀπό τινος φρικώδο υς νόσου τετελευτηκότων .(٩٢)

نتبين من النص السابق أن هذا المرض كان نوعاً من أنواع الحمي ، وربما كان أمتداداً للوباء الذي بدأ في مصر منذ عام (٢٥٢) للميلاد .

وفي خطاب آخر من "أوكسيرينخوس" من نهاية القرن الثالث أو بداية القرن الرابع للميلاد نقرأ العبارة التالية :

ἀπέθανον τῷ καταστήματι . ἐὰν γάρ τις νοσησῃ τῶν παρ' ἡμῖν ὄντων ἐν τῇ κώμῃ , οὐκ ἐγείρονται .(٩٣)

نتبين من النص السابق تفشي وباءً مميتاً في أحدي قري أوكسيرينخوس، وأن كل من كان يقع فريسة لهذا المرض لا ينهض مرة أخري من فراشه ، مما يعني أنه كان مرضاً قاتلاً لم يكن له علاجا في ذلك الوقت .

وفي خطاب تعزية من القرن الثالث للميلاد كتبه طبيب يُدعي"سيرينوس" إلـــي أمه "أنطونيا" يعتذر عن عدم تمكنه وأخيه "ماركوس" من الحضور للقرية لتعزيتهـــا في وفاة الطبيب(زوجها) :

ἀκούσας ,κυρία,τὴν τελευτὴν τοῦ ἰατροῦ ἀηδῶς ἔξχον.(٩٤)

وربما كان موت هذا الطبيب كان نتيجة تفشي وباء قاتل يدل علي ذلك أولاً – العبارة التي وردت بالسطر الثالث من الخطاب عبارة :

Καὶ γὰρ καὶ ἡμεις τοῦτο διώκομεν .(٩٥)

التي تعني أن كاتب الخطاب وآخرون كانوا أيضا علي الدرب نفسه (الموت) .

وثانياً – ورد في السطرين الثالث والرابع من الخطاب العبارة التالية :

πολλὰ δὲ καὶ τὸν Μᾶρκον παρεμυθησάμεθα λυπούμενον ἦτε διὰ τὴν ἐκίνου τελευτὴν . (٩٦)

ونتبين منها وقوع حالة وفاة أخري بالأسرة أحزنت "ماركوس" كثيراً ،ربما كانت أحد أطفاله أو زوجته. وثالثاً– ورد في الخطاب تبرير الأخوين عدم قدرتهما علي زيارة أمهما في الفقرة التالية:

γινώσκουσα ὀτι ὁ ἀδελφός μου Μᾶρκος ἐν προλήμψι ἐστὶν πολλῇ τῇ περὶ τοὺς κάμνοντας καὶ τὸ ἰατρῖον. οἶδας δὲ ὀτι οὐκ ἐστιν εὔκοπον πάσχοντας καταλῖψαι οὐχ ὀλίγους καὶ ἐργαστήριν, μὴ καί τις γονγυσμὸς καθ ἡμῶν γένηται,καὶ ταῦτα ἐν τοιαύῃ ἡγεμονία .(٩٧)

ونتبين منها أنهماك "ماركوس" بعلاج عدد كبير من المرضي والجرحي ،وعدم قدرته علي مغادرة المدينة في مثل هذه الظروف الصعبة . وفي خطاب آخر أرسله "ماركوس"، في وقت سابق، إلي والديه "أنطونيا" و"كاسيانوس" يذكر أن الطريق إلي مدينة الاسكندرية كان مقطوعاً بسبب القتال الدائر هناك :

οὐ γὰρ ἰσχύει τις ἀναβῆναι προσκυνῆσαι διὰ τὴν γεναμένην μάχην τῶν ἀνωτεριτων πρὸς τοὺς στρατιώτας ἐτελεύτησαν στρατιῶται ἐκ τῶν σιγγουλαρίων χωρὶς τῶν λεγιωναρίων καὶ τῶν τους ἠβοκατόρων καὶ τῶν πεπληγότων καὶ τῶν χαλαστῶν .(٩٨)

وأغلب الظن أن هذا الخطاب يعكس أحداث الصراع الدموي الذي وقعت أحداثه بالإسكندرية خلال فترة حكم " جاللينوس " وراح ضحيته عدد كبير من سكان المدينة ، عجز الناس عن دفنهم وتم إلقاء جثثهم في الشوارع مما أدي إلي تفشي الوباء في مصر ومنها أنتقل إلي باقي أنحاء الإمبراطورية الرومانية. (٩٩)

ثانياً - الأسباب غير الطبيعية

وفي حالة الموت بسبب وقوع حادث ، كان يتم أخطار السلطات حتي يتم أنتداب طبيب عام أو مُحنط لتوقيع الكشف الطبي علي المتوفي وتحديد سبب الوفاة وكتابة تقرير بذلك.(١٠٠)

وتشير الوثائق البردية إلي بعض حالات إسقاط الأجنة قبل الولادة بسبب تعرض النساء للأعتداءات العنيفة أثناء فترة الحمل.(١٠١) ومن الأمثلة علي ذلك بلاغ تقدم به رجل يدعي "ثوؤنيس" إلي حاكم أقليم الفيوم ، في يوم(٢٨) هاتور عام

(٤٧) للميلاد ، يروي فيه تفاصيل الإعتداء الذي تعرضت له زوجته الحامل " تانوريس" علي يد راعي يُدعى " بنتيتس" أنهال عليها بدون رحمة بلكمات كثيرة في جميع أجزاء جسدها، مما أدي إلي اُجهاضها وإسقطها جنينا ميتا قبل موعد ولادتها الطبيعية، وعرض حياتها للخطر :

ἔτι δὲ καὶ ἔδωκεν τῇ γυναικὶ) Τανούρει ἀφειδέστερα πληγὰς πλήρεις (πληρους) εἰς τὰ παρατυχόντα μέρη τοῦ σώματος ἐγκύῳ ενκοιου οὔσῃ ὥστε (ωσται) παρ' αὐτῇ ἐκτέτρωται αὐτὴν τὸ τωι βρέφος νεκρὸν ὥστε αὐτὴν κατακλινῆ εἶναι καὶ κινδυνεύειν τοῦ ζῆν .(١٠٢)

وتروي لنا الوثائق الخاصة بنساج يُدعي " تريفون " بن " ديونيسيوس "،(١٠٣) عاش في "أوكسيرينخوس " في بداية القرن الأول للميلاد، أنه في خلال الفترة من يوم (٢٩) يناير إلي يوم (٢٢) مايو سنة (٣٧) للميلاد كان قد أنفصل عن زوجته الأولي " ديمتريا " بعد فترة زواج قصيرة غير مستقرة أنتهت بهجر " ديمتريا " منزل الزوجية ،(١٠٤) وتزوج " تريفون " من إمرأة أخري تُدعي " سارايوس " ،وخلال الفترة من يوم(٢٥) يونية إلي يوم(٢٤) يولية من العام نفسه قدم " تريفون " بلاغا إلي السلطات يشكو فيه من قيام زوجته الأولي وأمها " ثينامونيس "، ربما بدافع الغيرة والحقد ، بالأعتداء علي زوجته الثانية " سارايوس " التي كانت حاملاً،مما أدي إلي أجهاضها :

αἱ γυναῖκες Θεναμοῦνις καὶ ἡ αὐτῆς θυγάτηρ Δημητροῦς πρᾶγμα ἄλλως μὴ ἔχουσαι πρὸ]ς ἐμὲ μηδὲ πρὸς τὴν σύμβιόν μου Σαραεῦτα ἐπὶ λόγον ταύτης ἠνέγκαντο καὶ ὠπτήσαντο ἔνκυον οὖσαν.(١٠٥)

وفي عام (٥٠) للميلاد يبدو أن "سارايوس" كانت حاملاً وأنها تعرضت لأعتداء آخر ، ولكن هذه المرة من جانب راعي غنم مما أدي إلي أجهاضها وتعرض

حياتها للخطر للمرة الثانية، مما دفع "تريفون" إلي تقديم إلتماس إلي الأستراتيجوس [١٠٦] جاء فيه :

ἐπιβα[λόντές τ]ινές αν.ου[. ἐπὶ ἥν ἔχω σ[ὺν]ς. μ[ε]τόχοις οἰκίαν ἐ[πὶ του] πρὸς Οξυρύ[γχων] πόλει Σαρ[α]πιείο υ ἐν λαύρα ποιμενικῆι ἀπηνέγκαντο ἀπηνεκαν τὰ ... ν[..]λυ ..ετ[ ] ἀ πογ[ ]... νεου .... υπογ .... νοι[ ] [١٠٧]

ومن الوثائق الطريفة التي تشير إلي موت الأجنة، شكوي من نهاية القرن الثاني للميلاد ، نتبين منها أن رجلاً من قرية كرانيس يُدعي "يوليوس" أستخدم جنيناً ميتاً miscarried fetus في عمل تميمة سحرية لترويع جاره "جميللوس هوريون" ،والأستيلاء علي محاصيله مرتين ، مما أضطر الأخير للشكوي إلي الاسترتيجوس طالبا منه حماية ممتلكاته وربما حماية نفسه أيضا من هذا السحر الأسود.[١٠٨] وربما كانت التعويذة السحرية توضع علي المومياء لأنهم كانوا يعتقدون أن قوة السحر سوف تجبر روح الميت علي أن تؤدي ما يطلبه منها سحر الساحر . ويفسر "فرانكفورتر" قوة التأثير السحرية للجنين الميت لأرتباطها بالخوف من دم الحيض النجس . ومن ناحية أخري كان يتم دفن جثث الأطفال حديثي الولادة في جدران بعض المنازل بأعتبارها أرواح طاهرة تُستخدم في حماية المنزل وسكانه من الأرواح الشريرة . [١٠٩]

وتحتوي وثيقة بردية من عام (١٧٨م) علي بلاغ قدمه أحد مـــلاك الأراضـــي ويدعى "جايوس بابيروس ماكسيموس" إلي استراتيجوس أوكسيرينخوس ورد فيـــه: << في اليوم السادس والعشرين من الشهر الحالي...... "ريموس" الذي يقوم بري كرمي بالقرب من قرية " خوسيس " في أراضي "هيرموبوليس" ،أثناء غيابي تسلق نخلة في أرضي بغرض التلقيح ،وقد سقط ومات ،ولم يكن هناك أحـــد . واليـــوم عندما كنت في أرضي ، وجدته صريعا بجـــوار النخلـــة وقـــد نهـــشت الكـــلاب

جثث>>(١١٠) . والواقع أن أرتفاع النخيل يجعل أمكانية حدوث هـذه الوفـاة غيـر مقصودة .

ونتبين من وثيقة آخري من عام (١٨٢م) أن عبداً في الثامنة من عمره يُـدعي "ابافروديتوس" رغب في أن يطل بأنحناء من سطح أحد المنازل لكي يري راقصة الصاجات فسقط ولقي حتفه :

τοδήμου Επαφρόδειτος δοῦλος αὐτοῦ ὡς ἐτῶν 8 βουληθεὶς ἀπὸ τοῦ δ ώματος τῆς αὐτῆς οἰκίας παρακύψαι καὶ θεάσασθαι τὰς [κρο]ταλι στρίδας ἔπεσεν καὶ ἐτελε[ύ]τησεν .(١١١)

وفي وثيقة بردية من عام (٢٥٨) للميلاد تحتوي علي إلتماس قدمه مواطن من قرية " فيلادلفيا " إلي استراتيجوس قسم هيراكليديس يتضمن تقريـراً بالإصـابات الجسدية الجسيمة التي لحقت بشقيقه " أتامون " نتيجة سقوطه من فوق أحد أسـطح قرية "كامينوس" أثناء الغارة التي شنها الليبيين علي القرية (١١٢) وعدم تلقيه العلاج اللازم مما عجل بنهايته وجعله علي وشك الموت:

ἕνεκα τοῦ ἀδελφοῦ μου Ἀτάμμωνος καταγενομένων ἐν κώμῃ Καμίνου διὰ τὴν γενομένην ἡμῖν ὑπὸ τῶν Λιβύων ἐπέλευσιν τοῦ ἀδελφοῦ μου Ἀτάμμωνο ς πρό]χθες καταπεσόντος δι[....] ων ἀπὸ δώματος ἠσ[θένησε]ν ἐν τῇ αὐτῇ κώμῃ ὁ ἀθεράπευ]τος καὶ αὐτοῦ πλήξ [εις πολλὰς] ἔχοντος ἀλλὰ καὶ ἀθεραπε]ύτου γενομέ-νου ἐπι[δίδωμι τάδε τὰ βιβλί δια ἀξι[ῶν ἐν καταχωρσμῷ] γενέσθαι μὴ [μηδὲν]] ἀνθρωπινὸν αὐτῷ σ[υμβ]διευτύχει. νέσθαι μὴ μηδὲν ἀνθρωπι αὐτῷ σ[υμβ] ῆ διευτύχει .(١١٣)

وكانت حوادث السير من الأمور الشائعة في مصر الرومانيـة،وكان بعـضها يؤدي إلي إصابة أصحابها إصابات خطيرة، (١١٤) في حين كان الـبعض الأخـر يُفضي إلي الموت . ومن الأمثلة علي ذلك ما جاء في شاهد قبر صبي قُتل وهو في السادسة من عمره عندما دهسه حصان أثناء سيره في الشارع :

῾Ηλείου τόδε σῆμα τὸν ἥρπασε νηλεόθυμος Μοῖρα καὶ εἰς ᾿Αιδεω πέμψε τάχιστα δόμους ὅν ποτε κουρίζοντα κατ εὐδώμητον αγυιὰν ἵππος ἀελοπόδης μέρσε φίλοιο φάους .(١١٥)

وكانت العقارب تشكل خطراً داهماً علي حياة السكان في مصر ،علي الرغم من أن محاولاتهم أتقاء شرها (١١٦). وتشير الوثائق البردية والنقوش إلي أنها كانت في بعض الأحيان من أسباب الوفاة.(١١٧) ومن الأمثلة علي ذلك بطاقة مومياء ورد فيها: << أبوللونيوس بن يوسيبوس أمه تاميتوس توفي بلدغة عقرب في جزيرة ابوللون : <<

᾿Απολλώνιος Ευσεβοῦς μήτρὸς Τάμιτος, ἐτελεύτησεν ὑπὸ σκορπίου ἐν τῇ Νήσῳ Απολιναριάδος .(١١٨)

وقد أشار الكاتب "إيليان" إلي وجود عقارب كبيرة وسامة حول "قفط" اذا لدغت قتلت لتوها (١١٩). وجاء في شاهد قبر من الحجر الجيري بالعرابة المدفونة (أبيدوس)، محفوظ بمتحف برلين ،يرجع تاريخه علي الأرجح إلي عام (٨) للميلاد: << قبر" كليوباترا " بنت " منون وداعا . يا من أنتهت حياتك بطريقة مؤثرة وبلا تقدير . لقد أصابتك مصيبة الموت بقسوة لا تتفق مع طيبتك . فقد لدغك عقرب في محراب سيرابيس جوار التل في اليوم العاشر من شهر توت العام الثامن والثلاثين في الساعة الخامسة وحصلت الوفاة في اليوم الحادي عشر>> :

Κλεοπάτρας Μένωνος Πολυστεστάτη χαῖρε, ἀκλεῶς καὶ ἀκρίτως βιαίωι θανάτωι ἀπο λωλυια ἀναξίς τῆς χρηστότητος πληγεῖσα γὰρ ὑπὸ σκορπίου ἐν τῶι πρὸς τῶι ὀρει Θριπιείωι τηι οικάτηι τοῦ Θωὺθ τοῦ ἐτους λη' ὥρας ε' , μετήλλασε τῆι ια' .(١٢٠)

وإذا كانت لدغة العقرب أدت إلي موت كليوباترة في اليوم التالي للدغ العقرب لها فأن هذا يتفق مع رأي الكاتب "بلينيوس" الذي يقول << أن لدغة العقرب كانت

قائلة دائما للنساء،أما الرجال فلا يموتون الا اذا لدغوا في الصباح الباكر وهو الوقت الذي تبلغ شدة السم فيه أقصاها>>.(١٢١)

وجاء علي لوحة من الحجر في جبانة مسيحية في " أكوريس " من القرن الخامس أو السادس للميلاد أن أحد صائدي السباع مات من لدغة عقرب. (١٢٢)

وإذا كان سم العقرب السبب في وفاة الحالات السابقة فأنه في وثيقة أخري نري أن الشاكي " سارابيون " يقد م شكوي إلي إبيستراتيجوس الفيوم والأقاليم السبعة يتهم سيدة تُدعي "هيرميون" بقتل والده بالسم بسبب نزاع قضائي حول ملكية بعض الأراضي : (١٢٣)

Σαραπίων .... ἐπὶ Κλαυδίου .... γενομένου ἐπιστρατήγου τῷν ‘ Επ τὰ νομων τῇ μητρί μου‘ Ηρμιόν Φαρμακείας ἐνκαλῷν .(١٢٤)

وتوجد وثيقة من عام ١٣٠ للميلاد عبارة عن مرافعة محامي عن السيدة "هيرميون" آنفة الذكر نتبين منها أن والد "سارابيون" أقدم علي الأنتحار بتناول السم بسبب مروره بضائقة مالية ومطاردة الدائنين له و إدراكه لنهايته :

εἶχεν μὲν οὖν αἰτίας τοῦ καὶ αὐτὸς ἑ[αυ]τῷ προσενεγκεῖν φάρμακον ὡς καὶ ἄλλοι πολλοὶ τὸν θάνατον τοῦ ζῆν προκρίναντες , καὶ γὰρ ὑ πὸ δανειστῶν ῴλλυτο καὶ ἠπόρει .(١٢٥)

وإذا كانت الوثائق السابقة قد حددت الدافع للأنتحار فأن وثيقة أخري لا تبين الدافع إليه ، وهي عبارة عن تقرير طبي يتعلق بجثة رجل يُدعي "هيراكوس" وُجد مشنوقاً بحبل داخل منزل في مدينة أوكسيرينخوس عام ١٧٣للميلاد :

τράπην ἐπεὴμέρᾳ ἐνεστώσῃ τῇ.ἰατροῦ δημοσίου .... Διονύσὸὑ παρὰ ἀπηρτημένον νεκρὸν σῶμαἐπιδεῖν ὑπηρέτου ..... σοῦ ὑπὸ οὖν ἐπιδὼν διάθεσιν αὐτὸ περὶ κατ αλάβωμαι ἐὰν ἦν σοί Ἱέρακος εὗρον....' Επαγάθου οἰκίᾳ ἐν αὐτῷ ὑπη ρέτῃ τῷ παρόντι ἐπὶ τοῦτο .προσφωνῶ διὸ· χῳ βρόἀπηρτημένον αὐτὸ (١٢٦)

وتكشف لنا المصادر الوثائقية،[١٢٧] والأدبية [١٢٨]عن سبب آخر للوفاة يتمثل في الحبس ،و العقوبات البدنية التي كان بعض السكان يتعرضون لها علي يد رجال الحكومة الرومانية لأستخلاص الضرائب منهم . ومن الأمثلة علي ذلك وثيقة بردية من القرن الثالث للميلاد ، تحتوي علي إعلان وفاة أرسله حراس مكتب الخزانةَ في مدينة أوكسيرينخوس، إلي الاستراتيجوس، جاء فيه << أحد الملتزمين بجباية الضريبة تم القبض عليه وتسليمه لنا بواسطة رجال الشرطة بناء علي أمر من الأستراتيجوس ، في اليوم الثالث من شهر بشنس ، المدعو "أوريليوس إبينيكوس" ملتزم ضريبة (٢,٥%) المفروضة علي المنتجات الصوفية ، أُصيب بمرض ومات خلال هذا اليوم ، الموافق الثلاثين من شهر بؤنة الحالي >> .

εἶς τῶν παραδοθέντων ἡμῖν τελωνῶν ὑπὸ τῶν δες μοφυλάκων ἐξ ἐνκ
ελεύσεώς σου τοῦ στρατηγοῦ τῇ τρίτῃ τοῦ παχὼν μηνὸς, Αὐρήλιος
Επίνικος μισθωτης τεσσαρακοστῆς ἐρεῶν, νοσήσ
.ας ἔνδον ἐτελεύτησεν σήμερον ἥτις ἐστὶν τριακὰς τοῦ ὄντος μηνὸς
Παῦνι . [١٢٩]

نتبين من النص السابق أن "أوريليوس إبينيكوس" مات نتيجة أصابته بمرض خلال حبسه بالسجن ، الذي أستمر لمدة سبع وخمسين يوماً . وعلي الرغم من أن الوثيقة لا تحدد بدقة نوع المرض الذي تسبب في وفاته ، إلا أنه في أغلب الظن كان نتيجة للعقوبات البدنية التي تعرض لها علي أيدي رجال الإدارة الرومانية بسبب فشله في جباية الضرائب.[١٣٠]

وتلقي الوثائق البردية الضوء علي حوادث الأعتداء علي المواطنين الأمنين ، علي النحو الذي دن يهدد حياتهم بالخطر . وإذا كانت بعض الوثائق لا تشير إلي وفاة الأشخاص الذين تعرضوا لهذه الإعتداءات [١٣١]، فأننا نتبين من وثائق أخري وفاة بعض الضحايا في حالات مشابهة . ومن ذلك وثيقة بردية من بداية الحكم

الروماني تحتوي علي قائمة ببعض الحالات المستخرجة من السجل القضائي بأقليم "أرسينوي" ، تتناول أحدي هذه الحالات ملخص نزاع قضائي بين رجل يُدعي "بطوليمايوس" ، وبين "بيتيسوخوس" ،وزوجته "ثيرمو.." ، نستشف منه وقوع جريمة قتل في حق أحد العبيد الذي مات محروقا :

Θώθ .. ... βά' Πτολεμαιος Πτολεμαίου πρὸς Πετεσοῦχον κνηκουργὸν καὶ τὴν γυναῖκα Θερμου.( ) [?]
περὶ παραιτίας [t]ῆς κατακαύματος καὶ τελευτῆς δούλου ʽ Αρπα[?].(١٣٢)

وفي ثيقة بردية من عام (٩٦) للميلاد تحتوي علي تقرير طبي قدمه طبيب من مدينة "أوكسيرينخوس" إلي الأستراتيجوس ،ويتضمن نتيجة الكشف الطبي علي جثة آمة تُدعي "اليكساندرا " أُصيبت في شجار بجروح في يديها ونزيف في صدرها وآثار تقيؤ،وماتت محمومة نتيجة هذه الإصابات :

ὑπηρέτου ἐπιδεῖν Ἀλεξάνδραν δούλην Κλαυδίας Διονυσίας ἐπιδὼν ο ὑν ταύτην ἐπακολουθοῦντος τοῦ ὑπηρέτου εὗρον ἐπὶ τῷ μέσῳ δακτύ λῳ τραῦμα, ὃ καὶ θεραπεύω, καὶ συνδρομὴν αἵματος ἐπὶ τῷ μαστῷ καὶ ἐξεμοῦσαν καὶ πυρέτ[τουσαν . διὸ προς]φ[ωνῶ.] .(١٣٣)

ولم يكن أرتكاب جرائم القتل قاصراً فقط علي اللصوص والمجرمين وأنما أمتد ليشمل أفراد من أرقي طبقات المجتمع المصري . ففي خطاب شخصي من بداية القرن الثاني للميلاد أرسلته سيدة من "كرانيس" تدعي "تابيثيوس" إلي أخيها "تيبريانوس" تخبره بأن أبنها "ساتورنيلوس" أرتكب أثماً كبيراً عندما قتل شخصاً يُدعي "ميناس" بسبب محاولة المجني عليه خداعه في أمر ما لا تفصح عنه الوثيقة ،وترجوه أن يتولي تسوية أمر هذه الجريمة ،أغلب الظن مع أهل القتيل والسلطات. وبالرغم من أن "تابيثيوس" كانت منزعجة للغاية بسبب الفدية الكبيرة التي كان عليها دفعها لأهل القتيل ومقدارها (١٢٠٠) دراخمة إلا أنها تشير في خاتمة الخطاب إلي سعادتها البالغة لأن أبنها لايزال علي قيد الحياة :

οὐκ εὐδόκηκα αὐτὸν τὸν υἱόν μου αὐτὸν πιστεῦσαι Μηνᾷ καὶ αὐτὸν φονεύσας εἶπέ γε ἐμοὶ μὴ πονεῖν, εἶπα Σατορνείλῳ ὅτι μὴ καθεῦδον μεριμνῶν. ὡσ ἔβλαψάς με χιλίας διακοσίας δραχμάς περίψημά μου τοῦ υἱοῦ ἀπέλθωσιν ..... ἐθλίβην λυπηθείς ὑπ' αὐτοῦ αυτον ἐχάρην ὅλως ὅτι ἔζηκεν .(١٣٤)

ويبدو أن "كلوديوس تيبريانوس" (١٣٥) قد نجح بالفعل في حماية أبن أخته بـدليل سعادة "تابيثيوس" بنجاة أبنها ،من القصاص الذي كان ينتظره بأعتباره قاتلاً يستحق الموت .

وخلال القرن الرابع للميلاد أعترف عضو بارز بمجلس الشيوخ السكندري يُدعي"ديديموس" بقتل عشيقته العاهرة (١٣٦) التي أعتاد أن يتقابل معها في منزلها في "هيرموبوليس ماجنا" . وتبعاً لذلك تم إلقاء القبض عليه وايداعه في السجن علي الرغم من مكانته البارزة،وعندما طالب أعضاء مجلس الشيوخ السكندري بأطلاق سراح زميلهم رفض القاضي خشية أنفجار غضب العامة الذين ثارت مشاعرهم لهذه الجريمة النكراء،وكانوا علي أهبة الأستعداد للفتك بالقاتل (١٣٧) .

ويبدو أن ولع ديديموس الشديد بعشيقته ورغبته في أن تكون له وحده دون غيره ،هو الذي دفعه لأرتكاب هذه الجريمة بدافع الغيرة:

ἐρασθέντα πόρνης δημοσίας [..]..... ςυνεχῶς δὲ ἦςθη ὁ Διόδημος πρὸς τῆς πόρνη[ς] κατὰ τὰς [ἑ]σπερινας ὥρας. πρός τινα φιλο[ῦν]τα τὴ[ν] ἑαυ[το]ῦ φίλην ςφοδρὰν ἔρωτα. καταλαβὼ[ν α]ὑτὴν μετὰ ἄλλου μὴ [κατέχ]ων τὴ[ν ὀ]ργὴν ἐφόνευ σεν αὑτὴν ξ[ίφει .(١٣٨)

وقد أصدر القاضي حكمه بمعاقبة "ديديموس" بالأعدام بالسيف بأعتباره قاتلاً أرتكب جرما مشيناً جلب العار علي مجلس المدينة ،ولأنه أرتكب جريمة مشينة وعمل وحشي غير أنساني :

τὸ σεμονον τοῦ βο[υλευτ]ηρίου δρᾶν ἐθελήσης,κελεύω ὥσπερ καθαι ροῦντα τὴν τῆς πόλεως καὶ τοῦ βουλευτηρίου κόσμησιν ξίφει σε κατ αβληθῆναι ὡς φονέα. Θεοδώρα δὲ αὑτῆς πενίχρα ....

σύ μοι δοκεῖς ψυχὴν ἔχειν θηρίου καὶ οὐκ ἀνθρώπου .[١٣٩]

وكان ركوب النيل ولاسيما بواسطة القوارب الصغيرة بمثابة مغامرة غير مأمونة تؤدي إلي حوادث الغرق والموت . ومن الأمثلة علي ذلك خطاب شخصي من القرن الثالث للميلا جاء فيها :

μὴ ἡμᾶς καταλίψῃς τὸν μικρὸν πάκτωνα ὃν μετὰ Ἰσιδώρου ἀνέπεμψα , οὐκ ἐτόλμησεν γὰρ ἡ μικὴ ἐκι ἐμβῆναι .[١٤٠]

وجاء في مرثية شهيرة من " هيرموبوليس ماجنا " ، أن شابة تُدعي " إيزيدورا" ، غرقت في النهر في أثناء قيامها برحلة نيلية لزيارة خطيبها في مدينة أنطينوبوليس علي الضفة الشرقية للنهر.[١٤١]

ويبدو أن هذا المكان من نهر النيل كانت تكثر به الدوامات التي تؤدي إلي غرق القوارب الصغيرة ، ومن أشهر حوادث الغرق في هذا المكان حادثة " أنطينوس " غلام الإمبراطور " هادريان " .[١٤٢]

ومن الأسباب الطريفة التي تعكس معتقدات بعض السكان في مصر خلال العصر الروماني ما نجده في شاهد قبر رجل يُدعي "أثناسيوس" من "بلزيوم" مات في الثانية والعشرين من عمره . وقد أشار النقش إلي أن العين الحقوده الحاسده βασακανονια والروح الشريرة هي التي أودت به إلي هذا المصير (الموت) في خلال يومين >>.[١٤٣]

ومن ناحية أخري يحيط الغموض بأسباب وفاة البعض. ومن الأمثلة علي ذلك شاهد قبر رجل مات في بلزيوم، جاء فيه : << هنا مت قبل ساعتي وقبرني رفاقي بعيداً عن والدي، بعيداً عن وطني، أرقد بعد أن عانيت ، وقاسيت الآلام المبرحة غير المحتملة >>[١٤٤] . وربما تعني هذه العبارة أن المتوفي كان جندياً ، وأنه

تعرض لحادث أو أُصيب بمرض خطير لفترة طويلة أشعرته بدنو موتـــه فكتـــب مرثيته قبل أن يموت وطلب من زملائه أن توضع علي قبره .

وفي وثيقة أخري من بداية القرن الثالث للميلاد تحتوي علي بلاغ قدمته سيدة تدعي "نيميسللا" إلي السلطات عن إختفاء زوجها "نيميسوس" جامع الضرائب النقدية(١٤٥) . ولا ندري هل كان أختفائه بسبب تهربه من تحمل أعباء وظيفته أم بسبب تعرضه لحادث إنتقامي علي يد دافعي الضرائب الذين كانوا يكرهون هؤلاء الجباة.

وفي عام (٢١٦) للميلاد تقدمت سيدة تُدعي "أوريليا تيسايس" بأعلام إلي قائد المئة لأخلاء مسئوليتها عن أختفاء والدها وأخوها اللذين خرجا في رحلة صيد للأرانب البرية منذ اليوم الثالث من شهر كياك، ولم يعودا تاريخ كتابة هذا الإعلام في اليوم السادس والعشرين من الشهر نفسه :

Τοῦ πατρός μου,κύριε, Καλαβάλεως κυνηγοῦ τυγχάνοντος ἀποδημήσαντος σὺν τῷ ἀδελφῷ μου Νείλῳ ἔτε ἀπὸ τῆς γ τοῦ ὀντος μηνὸς πρὸς κυνηγίαν λαγοων μέχρι τούτου οὐκ ἐπανηλθαν. ὑφορωμαι οὖν μὴ ἐπαθάν τι ἀνθρώπινου .(١٤٦)

وربما كان غيابهما نتيجة تعرضهم لهجوم من جانب الوحوش البريـــة أو مـــن قطاع الطرق .

الهوامش

([1]) SB.XIV,11646,*ll.* ٩-*11*(1st-2nd cent.A.D):

θάρσι καὶ γενναίως φέρε πάντων γὰρ τοῦτ εστιν. << تشجعي ،وتحمليه بصلابة لأنه (الموت) يكون (قدر) محتوم علي الجميع >> .

P.Oxy.I,115,*ll.9-10* (2nd cent.A.D) : ὅμως οὐδὲν δύναταίτις πρὸς τὰ τοιαῦτα. << المرء لا يستطيع فعل شيء في مواجهة هذه الأمور (الموت) >> .

PSI.XII,1248,*ll.10-12*(253or Later A.D)γενναίως φέρετε.τοῦτο γὰρ καὶ τοῖς θεοῖς ἀπόκειται. << تحمل الأمر بشجاعة لأنه (الموت) من قضاء وقدر الآلهة >> .

P.Wisc.II,84,*ll.40-42*(2nd -3rd cent.A.D):

ἀλλὰ τί δυνάμεθα πρὸς ὁ [οὐδεὶ]ς δύναται. << لكن ماذا يمكن أن نفعل في مواجهة (الموت) الذي لا يمكن لأحد أن يفعل فيه شيء ؟>>

SB.XVIII,13946,*ll.14-15*(3rd -4th cent.) : οὐδεὶς γὰρ τῶ ν ἁπλῶς γεννω μένων ἀθ[άν]ατος.. << لأ نه لا يوجد مخلوق خالد لا يموت >>

P.Oxy.LV,3819,*ll.11-13*(firest half of 4th cent.A.D):

μὴ οὐν λυπεις θαι.ταυτα γὰρ ἀνθρώπινα ἐστιν.καὶ πασι γὰρ ἡμιν τουτο κει ται. << لا تحزن لأن هذا هو حال الدنيا . وفي الواقع هذا الأمر(الموت) محتوم علينا جميعاً >>

P.Princ.II,102, *ll.13-15* (4th cent.A.D):

ἀπό βληψον ὀτι οὐδεὶς ἐν ἀνθρώποις ἀθάννατος εἰ μὴ μονος ὁ θεὸς

<< تأكد أنه لايوجد أنسان من بين البشر معصوم من الموت ،الرب فقط هو الأستثناء الوحيد >> .

Chpa,J., Letters of Condolence in Greek Papyri ,*Papyrologica Florentina*,Vols.29(1998), pp53-152.

([2]) من أروع النقوش التي عبرت عن نظرة المصريين للموت لوحة من العصر البطلمي تخص سيدة تـدعي تـاي إمحتب" ورد فيها ما يلي : << أما فيما يخص الموت فان اسمه هو " تعال " إذ أن كل من يناديهم نحوه يذهبون إليـه دون تأخير تتخوف قلوبهم إذ يخشونه لا يوجد إله أو بشر يراه ،لكن الكبار في يده تماما مثل الصغار ،لا يمكن لأحد أن يتهرب من إشارته إليه >> .

cf. Schott, S.,Krieger, P., chants d'amour de l'Égypte ancienne, Paris, 1956,p.152.

([3]) P. Mey. 9(145-146 A.D).

([4]) BGU. I, 115(187A.D).

([5]) لايزال هناك خلاف محتدما بين الدوائر الطبية المتخصصة في تحديد الفرق بين وفيات الرضع والولادات الميتة والأجهاض. ويوضح القاموس الديموجرافي الدولي أن الحد الأدني لمدة الحمل يقع بين الشهر الخامس والشهر السابع .وإذا زادت مدة الحمل علي ذلك كان طرح الأم جنينها أو اخراجه منها وضعا.وقبل الشهر الخامس يسمي ذلك إجهاضا وإسقاطا . ويعرف المعجم "الوضع" بأنه اما وضع لتمام فهو اتمام وإما إخداج اذا ولدت قبل تمام شهور الحمل،والوليد في الحالة الأولى تميم وفي الثانية خديج .

عبد الله المحمد الخريجي، محمد الجوهري،علم السكان،دار المعرفة الجامعية (١٩٩٤)، ص ص ١١١- ١١٢ .

(6) SEG 20.514;.41:1649; 20.582 ;20.572; CIJudII,1527; SEG.37:1644 ;.37:1652; IAkoris.171; SEG 20.581; CIJudII,1527; SEG.1:566[2] ;.37:1647; CG.27546;.28:1476 ; 20.518; IAkoris.1;SEG.38:1689;28:1477; CIJudII, 1530e; 1530f ;1509 ;1524; CG.27630; SEG.37:1645;.37:1652 ; 20.519;20:51536;20.555; 20.552 ;.28:1495 ; 35.1613 ; 35.1626 ; 35.1670 ;IAkoris. 72 CG.57,27630; CIJudII,1517;SEG 1.577;CIJudII,1527; IAkoris.52; SEG.41:1645; 20.568; 20.563 ; 20.635 ; 35.1614; 35.1627; IAkoris. 104; SEG35.1670; 41: 1660 ;41:1662;CIJudII,1503;1539; IAkoris.53; CG. 59,27551 ; 59,27551; 28:1497;30:1751 ;35.1615; IAkoris.74 ; 81;102;SEG.1:557; IAkoris. 42;49;SEG.41:1644; 14:868 ; 20.591; 35.1635; 20.592; 20.583; 20.589; 20. 554 ; 35.1625 IAkoris. 93; 124;150; SEG 40:1581 ; 20.561; 20.590;20:5371; CG. 52,27563;52,27563;.SEG.20:513; 20:567;28:1501 ;28:150; 35:1637 IAkoris. 134 IFayoum 1:63 SEG.41:1658; 41:1658; 20.584; 20 : 53350; 28 :1515; 1534; 31: 1561; IAkoris. 59; 60;CIJudII,1467

(7) Rowlandson,J.,Women and society in Greek and Roman Egypt:A Sourcebook,Cambridge (1998),pp.283-85.

(8)P.Oxy.XXXVVIII,2833,*l.18.*

(9) P.Oxy.XLVII, 3330,*l.14.*

(10) P.Oxy.*XILVII,* 3330, *l.28.*

(11) W.Scheidel,Measuring Sex,Age and Death in the Roman Empire: Explorations in Ancient Demography,Journal of Roman Archaeology, Supplementary Series 21.Ann Arbor (1996),p.14; Bagnall,R.S.,Bruce,W.Frier,The Demography of Roman Egypt , Cambridge (1994),p.112.

(١٢) هناك مجموعة من البرديات تحدثت عن تلك الأمور التي تعرض الحمل إلي الفناء أو الزوال ،وقد دارت في حوار تخاطب أو إعلان عن الحالة المرضية إما من قبل الزوج أو الأم أو الأجداد،وبالتالي أفتقدت تلك البرديات إلي الجوانب العملية التي يمكن الأستناد إليها في تفسير تلك المشاكل.ومع بداية ظهور المسيحية في مصر ظهرت تعويذة مسيحية يرددها المحيطون بالأم أثناء وضعها << قومي من قبرك المسيح يناديك>>. هذا القول المأثور أرتبط بمعجزة السيد المسيح في أحياء " لعازر " من الموت مرة أخري.وهذا القول يشبه المرأة الحامل بالقبر الذي خرج منه" لعازر " الوليد حي إلي الدنيا . محمد عبد الفتاح السيد ، الإلهتان إيزيس وبيوبو وأوضاع الولادة والرضاعة في مصر خلال العصرين اليوناني والروماني،مجلة مركز الدراسات البردية والنقوش،ج١٧،(٢٠٠٠)،ص ص١٤٩-١٥٠، نبيل عبيد ،الطب المصري في عصر الفراعنة ،ص ١٢١ .

(13) SEG.20:628(3rd – 4th cent.A.D) .

(14)Hooper Stelae,1961,no.58;

(15)Wagner,G.,Nouvelles Inscripions Funeraires Grecques De Kom Abu Bellou ,ZPE.,114 (1996),p.119,nos.15.

(16)SB.I,33;V,7894;SEG.35.1610;SB.I,94;SEG.35:1616;IAkoris.51;SB.1.33;IAkoris.1٦9; SEG18:679;CG.94,33007;SEG.28:1519;35.1610;20:522;20.529;14:862; 28:1500;28: ١٥٢٨ ; IAkoris.77;1266;CIJudII,1504; IAkoris.1٦٢;CG.94,9393;SEG.2٠:١٧١٩;IAkoris 101;SB.1 . 84;5.788٧;SEG.1:563;SB.1.1172;CG.102,9328; I.Akoris.136;CIJudII,1502;CG.99,33011; 101,9323;28:1505;٣٠:١٧٥٥; 35:1658; IAkoris.١٢٠;10٦;CIJudII 1459; SEG.٣٧:١٦٤٤;CIJud II ,1500; SEG.28:١٥١٤; 20.512; 20.559; 35:1621; IAkoris. 61; IFayoum 1:43; SEG.1:576;

IAkoris. 62;145;SEG. 20:580;20:526;CIJudII,1516; SEG.1.576;CIJudII,25; SEG 41: 1646 ; CIJudII,1497;1453;SB.1.719;IAkoris.47; SB.1.29; IAkoris. 47;SB.1.29; SEG.٣٧:1645;CG 103,9321; SEG.20:5٧٥;20.594;١٤:٨٥٧;١٤:٨٦٥ ;٢٨:١٤٩٧ ; ٢٨:١٥١٢ ;٢٨:١٥١٢ ;SEG 35.1636; 35.1651; 35:1651;35:1668; IAkoris.125;158;SEG ٤١.١٦٦٠;٨ : ٤٧٦;٣١:١٥٦٤ ;SEG 20:555; 28:1510; 28:1510; 28:1510;CIJudII,1501;1505; SEG 8:٤٩٤;٣٧:١٦٤٤ ;١ :55٦; CG.96,9394; SEG.20:536;IAkoris.83; 86;CIJudII,1526; SB.1.1195;CIJudII,1498;1485;1492;SEG.35.16 20;IAkoris.67;82;95;135;110;CIJudII,1460 ;SB.1.721; SEG 32:1597;35.1629;Hooper,Stelae ٧٢;IAkoris.1٦١;SEG.1:575;CIJudII,1495;CIJudII,1520;SEG.14:860;28:1532;30: 1735;20: 574;20:588;30:1752;SB.I.1185;SEG.35.1618; 35:1624;Iakoris 69;92 ;111;133;155;SEG.4 1 :1650;CIJudII,1469;1473; 1515;1530b;SEG35.1619;CIJudII,1506;SEG.14:865; 28:1529;I. Akoris.152;CIJudII,1528;SEG.39:1691;26:1796;28:1511;30:1756;1764;20.631;S.B.1.1190 ;SEG 35:1622; IAkoris. 63;109;57;58; 46ter;SEG 20: 585;20:551; 35:1628;14:871;٢ 4:١٢٣ ٧;CIJudII,1478;1466;1487;1465;Milne,CG. 56,27537;56,27537;57, 9251; SEG20: 516;20 . 558;20.632; 20.593;35.1639;35.1649;I.Akoris. 79;123;CIJudII,1468; SEG.20:573;24:1213 ;I.Akoris.88;116; CG.57,27630;CG.54,27629;SEG.20:527;20.622 ; 20: 631;20: 538;28: 1526;30:1763;40:1582; IAkoris.151;CIJudII,1475;I.Akoris.1١٤;154; SEG.٢٨ : ١٥١٨.

(17)Bagnall,R.,Bruce,W.R.,op.cit.,pp.89-92.

(18)P.Wisc.II,84,col.iii,ll.36-38(2nd-3rd cent.).

(19)P.Fam.Teb.20, *ll.12,14-16,20* .

(20)Jackson,R.Doctors and Diseases in the Roman Empir ,London,1988,pp.102-103.

(21)P.Fouad.I,75,ll. (A.D.64).

(٢٢) كان والد" هيريننيا " من مواليد أوكسيرينخوس ،ويُدعي" نيللوس " بيد أنه حمل أسما رومانياً هو"بومبيوس نيجر"عندما ألتحق بالخدمة في فرقة ديوطاروس الثانية والعشرين خلال الفترة من عام (٢٠) إلي عام (٤٤) للميلاد.وبعد تسريحه من الخدمة العسكرية أتجه للأقامة وأستثمار أمواله في قرية أوكسيرينخا بالفيوم ،وقد قُدرت ممتلكاته في عام(٤٧- ٤٨) للميلاد بحوالي(٢٥٠٠) دراخمة . ومن الجدير بالملاحظة أن عام (٦٤) للميلاد الذي ماتت فيه أبنته " هيرننيا " كان هو العام الأخير الذي ظهر فيه " بومبيوس نيجر " في الوثائق .

cf.SB.XXII,10788a-c;P.Fouad 28;37;44;SB.VIII,9824;PSI.XI,1183;XIII,1318;P.Mert.II,63 ; SB.VI,9120; 9121;9122;P.Foud 75;SB.V,8247; ;P.Foud 21;SB.VIII,9668.

(23)W.scheidel,Death on The Nile,p.75.

(24)SB.XVI,12606(3rd cent.A.D).

(25)SEG.1.575(B.C. 25)

(26)Leibovitch, J., Steles Funeraires de Tell EL-Yahoudieh, ASAE., 41(1942),pp.41- 47; Cf,Edgar,C.C., A Group of inscriptions from Demerdash ,B.S.A.A., no. 15,p.33; More tomb-Stones from Tell el Yahoudieh,Annales,XXII,p.14,no.26.

(27)P.Princ.II,38(264A.D) ; Rowlandson, J., op.cit.,pp.197-98.

(28)P.Diog.II,11,*ll.6-8,19-22*(213 A.D) .

(٢٩)عبد العزيز صالح،التربية والتعليم في مصر القديمة،الدار القومية للطباعة والنشر،(١٩٦٦)، ص ص١١-١٧.

(30)Cf.P.Gnom.41;92;107;Winter,Life and Letters in The Papyri,Ann Arbor (1933),pp.56-57.

(٣١)كان القانون الروماني يعطي للأب الحق في التخلص من أطفاله وفقا لقانون vitae necisque potestas الذي ظل ساري المفعول حتي قام الإمبراطور "فالينتينيان" بألغائه في عام (٣٦٥) للميلاد . ولا يُستبعد التخلص من أبناء السفاح،والأطفال المولودين بعيوب وعاهات جسدية . وكان يترتب علي هذه العادة أما وفاة الأطفال أو إلتقاطهم وتربيتهم كعبيد.وكان بقاء هؤلاء الأطفال علي قيد الحياة يرتبط بعدة عوامل هي :١- الحالة الصحية للطفل عند ولادته .٢- أهتمام الأشخاص الذين القوا الطفل في العراء بمساعدته في البقاء علي قيد الحياة .٣- وجود بعض الأشخاص الذين يرغبون في التقاط الأطفال لأستثمارهم كعبيد .٤ – جنس الطفل ، وكانوا يهتمون بأنقاذ الأولاد أكثر من البنات وذلك لأسباب إقتصادية ،فالقدرة الأنتاجية للمرأة في العصور القديمة أدني بكثير من قدرة الرجل،كما أنها كانت مُكلفة في تربيتها.

Harris,W.,The Roman Father's power of Life and Death,Studies in Roman Law,in Memory of A.Arthur Schiller,Leiden(1986),pp.92-93 ; Child-Exposure in The Roman Empire, JRS., 84(1994),pp.11-١٥.

(32)BGU.IV 1104,*ctr.,ll.21- 25* (B.C.8).

(33)P.Oxy.IV,744.*ll.6-14.*

(34)P.Oxy.I,37,*ll.6-7.*

(35)P.Oxy.I,37,*ll.14-15.*

(36)P.Oxy.I,37,*ll.24-25.*

(٣٧)ورد في الوثائق البردية مائتين وتسع وسبعين اسما شخصياً تبدأ بالجزع (kopr) مثل: Κοπρειάς، و Κοπρεύς، و Κοπρίας، و Κοπρεάς، و Κοπρῆ، و Κοπρῆς، وΚοπρία، وΚοπριανός، و Κόπυλλος، و Κόπρις،وΚόπρων ، وهذه الأسماء تعني ضمنا أن أصحابها كانوا لقطاء . وقد حاول أحد الباحثين أن يتخذ من هذه الأسماء قرينة علي انتشار ظاهرة التخلص من الأطفال، ولكن باحثا آخر أثبت أن هذه الأسماء لا تشير بالضرورة إلي الأشخاص الذين تم إلتقاطهم من العراء بدليل أن ثمانية فقط منهم كانوا عبيداً ،في حين عدد كبير ممن حملوا هذه الأسماء كانوا من الشخصيات المرموقة في المجتمع المصري مثل كاتب القرية ،و العمدة ،و السيتولوجوس ،و الجيمنازيارخ ،و أعضاء مجلس البولي ،و أعضاء طبقة المنتسبين إلي الجيمنازيوم.

Cf. Perdrizet,P.,Copria,REA.23(1921),pp. 85 – 94; Pomeroy,S.B.,Copronyms the Exposure of Infants in Egypt,Studies in Roman Law,Leiden (1986),pp.147-57.

(٣٨)كانت أغلب الأسر تحيط الأم الحامل بنصيب من العناية والرعاية يتناسب مع إمكانيات الأسرة وظروفها الأقتصادية. وعندما كانت تضع مولودها بسلام كانت عائلتها تقدم الشكر والعرفان للآلهة علي سلامتها وطفلها. كما أعتادت العائلات الميسورة أن تقيم الحفلات التي يتخللها ولائم الطعام ابتهاجاً بأعياد ميلاد أبنائها.

P.Fay.113(100A.D);115(101A.D);P.Oxy.XXXVI,2791(2nd.cent.A.D).

[1] (39)SB.XVIII,13946 (3rd/4th cent).

(٤٠)حققت دراسة الأمراض (الباليوباثولوجيا) التي كانت تصيب الشعوب القديمة نجاحاً كبيراً من خلال دراسة أنسجة المومياوات . فمن خلال دراسة المومياوات التي تم العثور عليها في جبانة " دوش " بالواحات الخارجة التي أستخدمت منذ نهاية العصر البطلمي وحتي نهاية العصر الروماني أمكن التعرف علي بعض الأمراض التي أدت للوفاة مثل البلهارسيا أو مرض الفيلاريا وأمراض التيفود،والتهاب الزائدة الدودية، والدرن .

روجيه ليشتنبرج،فرانسواز دونان ، المومياوات المصرية من الأسطورة إلي الأشعة السينية ، ج ٢ ، ت . ماهر جويجاتي ،دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع،ط ١ (١٩٩٩) ، ص ص ١٦ ،٨٧.
(41)Lewis, N., Life in Egypt Under the Roman Rule,Oxford (1985), pp.67-69; Bagnall,R.S.,Bruce,W.Frier ,op.cit.,p.202; Scheidel , W., Death on the Nile , p.52,58.
(42)P.Oxy.XXII,2342(102 A.D).
(43)P.Oxy.LXV,4480(311 A.D).
(44)I. Metr.46,*ll. 1,11-12*(3rd cent.A.D) .
(45)Strabo, XVII,I.7.
(٤٦)كانت "الفيوم" من المناطق التي أنتشرت فيها الملاريا نتيجة وجود بحيرة موريس والأحراش والنباتات المُعمرة وبصفة خاصة منذ نهاية القرن الثاني ومنتصف القرن الثالث للميلاد عندما أهملت الحكومة الأهتمام بشبكة الري وتحولت الترع والقنوات والمصارف إلي مستنقعات مثل المستنقع الضخم الذي كان يقع في قسم ثيميستوس علي حافة الفيوم ويحيط بالكثير من القري مثل "كيركيسيس" و"بطولميس" و " ميليس اورجوس" و"تبتونيس" وأوكسيرينخا" . بالإضافة إلي وجود الأحراش المخصصة لنمو نبات البردي مثل الحرش الذي كانت الأميرة "ليفيا" تمتلكه بالقرب من قرية "ثيادلفيا" في شمال غرب الفيوم .
P.Tebt.II,275=PGM.XXXIII,*1-25*(B.C.1st – 4th A.D.); P.Oxy.XIV,1687; P.Oxy.VIII ,1150.
(47)O.Claud.II,212;213(A.D.137-45).
(٤٨)ومن خلال دراسة تسع وخمسين مومياء في جبانة "عين لباخا " (بالواحات الخارجة) تعود كلها إلي العصر الروماني تمكن العلماء من التعرف علي آثار لمرض التدرن الرئوي علي هيئة تكلس صدري .
روجيه ليشتنبرج،فرانسواز دونان ،المومياوات المصرية من الأسطورة إلي الأشعة السينية،ج٢،ت.ماهر جويجاتي ،دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع،ط١(١٩٩٩)،ص ص٨٧،١٦ .
Scheidel ,W., Death on the Nile , p. 91.
(49)Cf. Plinius;Epistulae,5.19.6; Jackson,R.op.cit.,p.40; Scheidel , ibid., p.92.
(50)W.scheidel,ibid., p.88.
(51)P.Oxy.IV,826;P.Merton.I,9;P.Ross.-Georg.II,11;SB.XII,11112;P.Oxy.II,262;P.Stras. 522;P.Oxy.XLI,2957;BGU.III,773;IV,1068;P.Lond.II,173(p.66-67);P.Med.I,35;P.Sorb. inv.2358;SB.IV,7359;P.Oxy.XII,1550;PSI.IX,1064ii;1064i;P.Phil.6;P.Stras.70;PSI.X,1141 ;P.Oxy.IX,1198;P.Mich.X,579;P.Tebt.II,300;P.Osl.III,97;BGU.XIII,2229;P.Oxy.XXXI, 2564;Stud.Pal.XX,8;BGU.XIII,2230 i; I,254;XIII,2230 i;P.Lond.II,338(p.68);P.Oxy.I,173; PSI.VI,691; P.Stras.530;P.Petaus.3;5;7;8;6;9;P.Tebt.II,301;P.Oxy.I,79;P.Mert.II,84;P.Oxy. VII,1030;BGU.XI,2021;SB.VI,9627a;P.Stras.306;P.Amst.I,31;SB.I,5137;P.Oxy.XLIII,314 1;SB.I,5176;P.Oxy.XII,1551.
(52)P.Fay.29; P.Mich.inv.795;BGU.XI,2087;P.Stras.IV,200;PSI.VIII,952;P.Iand.31;P.Mich . IX,538;P.Ryl.II,105;P.Lond.II,208a(p.67-68);P.Stras.312;BGU.I,17;P.Ryl.II,106;P.Fay.30; BGU.XIII,2231;P.Flor.III,308;P.Stras.306;P.Oxy.XLIII,3104;Stud.Pal.XX,36;SB.XII, 11176;
(53)Martin,A., P.Yale inv.443.Une piece du dossier de L.Annaeus Seneca, grand proprietaire terrien d'Egypte,Cd'Eg.,55(1980) pp.278-283;C.P.Gr.,II,29;32;P.Oxy.LII,3689.

(54)SB.VI, 9121(1st.cent.A.D).

وفي خطاب من عام (١٠٠) للميلاد تُبدي سيدة تُدعي " أبوللونوس " قلقا شديداً علي أمها وطفلة صغيرة بسبب حلول فصل الشتاء χειμόνα، علي النحو الذي يُفم منه أنه كان يشكل تهديداً خطيراً علي حياة كبار السن والأطفال .

P.Col.VIII,215,*ll.3-4,8-10* (100 A.D).

(55)Bernanand,Inscr. metr.97,*ll.27,30* (2nd.cent.A.D).

(56)Casanova ,G., Epidemie e Fame nella documentazione in Egitto,Aeg., 64 (1984)pp.175 ff.

(57)I.Fay.I 59(24A.D).

(58)Rowlandson, J., op.cit.,p.351.

(59)CG.9211.

(60)CG.27630.

(61)CG.27547.

(62)Lukaszewicz,A., Une Inscription Funeraire Grecque d' Egypte Au Musee National de Varsovie,ZPE.,77(1989),191-192.

(63)CIJud II,1527 = SB.III,7255.

(64)SEG.20: 514; 41: 1649; 20 : 582; 572; CIJudII,1527; SEG. 37 : 1644; 1652; IAkoris.171; SEG. 20 : 581; SEG.1 :566[2]; 37 : 1647; CG.27546; SEG.28 : 1476; 20 : 518; 38 : 1689; 28 : 1477; IAkoris.1: 1; CIJudII, 1530e; 1530f ; 1509; 1524; CG. 57 : 27630; SEG. 37 : 1645; 37 : 1652; 20 : 515; 20 : 519; 28 : 1533[1]; SEG. 20 : 555; 552; 28 : 1495; 35 : 1613; 1626; 1670; IAkoris.72; 10; 1; CG. 57 : 27630; CIJudII,1517 = SEG..1 : 577; SB. 1 :1263; 1265; 1427; 3 : 7255; IAkoris.52; SEG. 41: 1645; T.Mom.Louvre.100; 134; 586; 606; 665; SB. 1 : 1177; SEG. 28 : 1504; 1532; T.Mom.Louvre.615; SEG. 20 : 568; 563; 635; 35 : 1614; 1627; 1670; IAkoris.104; SEG. 41: 1660; 1662; CIJudII,1539; IAkoris.53; SEG.37 : 1645; CG. 59, 27551; T.Mom.Louvre.1209; 192; 648; 845; 913; 563; 156; 414; 444; 609; 650; SEG. 28 : 1497; 30 : 1751; 35 : 1615; IAkoris.74; 81; 102; SEG. 1 : 557; CIJudII,1479 ;Finley , A.H., Data from Kom Abou Billou on the Length of Life Graeco – Roman Egypt,CdEg.,31(1956), p.337.

(65)Scheidel,W., Roman Age : Evidence and Models , JRS., 91(2001), p.7.

(66)Scheidel,W.,Measuring Sex, Age and Death in The Roman Empire,JRA.21(1996)pp.11-51 .

(٦٧) روزاليندم ،جاك.ج . يانسن ،الطفل المصري القديم ،ت . أحمد زهير أمين ،الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٩٧)،ص ص ٢٥ ـ ٢٧ .

(68)I.Metr.57.

(69)I.Fay.I,61.

(70)I.Fay.I,55.

(71)C.Pap.Gr.II,1.15 =P.Oxy.IL,3510.

(72)C.Pap..Gr.II,1.26=P.Oxy.XII,1550(116 A.D).

(73)P.Oxy.IX,1198(150 A.D).

(74)BGU.XIII,2242 , ll. 4 -8,10 - 13 (early 2nd.cent.A.D).

(٧٥) بلدة Terenouthis القديمة ،هي "كوم أبوبيللو" حالياً بمحافظة البحيرة ،وتقع علي حافة الصحراء الغربية ، علي بعد حوالي (٤٥) ميل شمال غرب القاهرة.كان أغلب سكانها من العناصر المتأغرقة ميسوري الحال .

Finley,A.H., Data from Kom Abou Billou on the Length of Life in Greco-Roman Egypt , CdEg.,31(1956), pp. 333,335.

(76)Bingen ,J,Une Nouvelle stele de la"serie Kappa" de Terenouthis,C.d'Eg.71(1996)pp.331-4.
(77)W.Scheidel, Death on the Nile,pp.22-23.
(78)Wagner , G., Nouvelles Inscripions Funeraires De Kom Abu Bellou ,ZPE.,114,(1996),pp.115-140,no. 38.
(79)ibid ., no.39.
(80) ibid., no.103.

(81) من أشهر الأوبئة التي أصابت الإمبراطورية الرومانية الطاعون الذي ينسب للإمبراطور "ماركوس أوريليوس أنطونينوس " ،الذي أنتشر بين الجنود الرومان بعد أنتصارهم علي الفرس وسرعان ما أنتقل إلي كل صقع من أصقاع الإمبراطورية،وأهلك خلال عام(١٦٦-١٦٧م) أكثر ممن أهلكتهم الحرب . وكان "جالينوس" من بين كبار أطباء الإمبراطور الذين فشلوا في التصدي لهذا الوباء في روما . وقد ذكر "جالينوس" أنه كان من نوع الوباء الذي فتك بالجنود الأثينيين في عام (٤٣٠) قبل الميلاد وأصابهم بالعرج أوالشلل الكامل أو فقدان القدم أو الأصابع أو العين أو الذاكرة . وتبعا لذلك فأن هذا المرض علي الأرجح كان الجدري smallpox أو الجذام أو الطاعون الدملي .
cf.Gilliam,F.,The Plague under Marcus Aurelius", American Newspaper of Philology,82, 1961,p.225-251(=Romance Army Papers,Mavors II,Amsterdam,1986,p.227-254); Littman , R.J.,Littman, M.L.,"Galen and the Antonine Plague", American Newspaper of Philology ,94,1973, pp.243-255;KAMBITSIS,S., the papyrus Thmouis I, Paris,1985; Frier , B.W., Bagnall,R.S.,The Demography of Ancient Egypt, Cambridge, 1994 ; Bagnall,R.S., "P.Oxy. 4527 and the Antonine plague in Egypt : death gold flight ?", JRA 13, 2000, pp. 288-292; "The effects of plague: model and evidence ", JRA 15, 2002, p. 114 sq; Nightingale, B.,"the plague antonine (166 ap. J.-C.)", Assumptions 1999. Work of the doctoral school of History (University of Paris I Pantheon-Sorbonne), Publication of the Sorbonne, Paris, 2000, pp. 31-37; Duncan-Jones,R.B.,"The impact of the Antonine plague", Newspaper of Roman Archaeology (=JRA),1996,p.108-136;Scheidel,W.,"A model of demographic and economic changes in Novel Egypt after the Antonine plague", JRA 15, 2002, pp. 97-113; Greenberg , J., "Plagued by doubt: reconsidering HT impact of has mortality crisis in the 2nd C A.D. ", Journal of Roman Archaeology, 16, 2003, pp. 413-425; Nutton ,V., "Death on the Nile: Disease and the Demography of Roman Egypt (review)", Bulletin of the History of Medicine , 77, 3, 2003, pp. 693-695; Zelener ,Y., Romance Smallpox and the disintegration *of the economy after 165 AD (Romance Empire)*, PhD, Columbia University, 2003, 230 p; P.Oxy.LV,3816,*no.6*,p.214 ; Jackson,R.,op.cit,p.40.
(82)BGU.I, 79=C.Pap.Gr.II,1,55(175-76 A.D).
(83)P.Flor.XVI,19(177-188 A.D).
(84)Eusebius, HE 7.22.1-10,quoting a letter of Dionysius Bishop of Alexandria.
(85)P.Stras.I,73,*ll.10-15* (3rd cent.A.D).
(86)P.Oxy.LV,3816,Introd.,p.212; Casanova ,G., Epidemie e Fame nella documentazione in Egitto, Aeg., 64 (1984),p.174,no.53; Johnson,A.C.,Roman Egypt in the third Century , JJP . ,IV,(1950),p.153.
(87)SB.XVI,12712(229 AD) .
(88)C.P.Gr.II,77= SB.I,5137 (237AD) .
(89)SB.I,5136=StudPal.XX,36 (AD237).
(90)Cf.Cyprian,De Mortalitate,14;P.Oxy.LV,3816,no.6;Casanova ,G. , Aeg.,64 (1984) ,p.175.

(91)P.Oxy.LV,3816,*ll.4-10* (3rd cent.A.D) .
(92)P.Mert.I,26(274 A.D).
(93)P.Oxy.LV,3817,col.ii,*ll.11-15.*
(94)P.Ross.Georg.III, 2, *ll.2,*(3rd cent.A.D).
(95)P.Ross.Georg.III, 2, *ll.3* (3rd cent.A.D).
(96)P.Ross.Georg.III, 2,*ll.3-4* (3rd cent.A.D).
(97)P.Ross.Georg.III, 2,*ll.7-12.*
(98)P.Ross.Georg.III,1,*ll.4-7.*

(٩٩) تولي الإمبراطور " بوبليوس ليكنيوس جالينوس " الحكم في روما عام ٢٦٠ – ٢٦٨ م .وشهد عهده صراعا دموياً في الإسكندرية نتيجة لوقوف السكندريين بجانب الوالي الروماني " إيمليانوس " ضد الإمبراطور الشرعي أنتهي بأنتصار القوات الموالية للإمبراطور بقيادة "ثيودوتوس" علي الوالي المتمرد وأسره،ومعاقبة الإسكندرية بأن تُركت للجند المنتصرون لينهبوها ،ثم أجتاح الوباء المدينة بسبب تعفن الجثث التي تركت في الطرقات،ولم يتركها إلا بعد أن حصد ثلثي سكانها ،مما أدي إلي تناقص الأيدي العاملة،وهو ما يتفق مع ما جاء في خطاب "ديونيسيوس السكندري" الذي يشير إلي الفترة التي أعقبت فرض جالينوس سيطرته علي الإسكندرية في عام ٢٦١ م أو بعده بقليل<< أنقطع الأتصال بين الأحياء الكثيرة في المدينة المنكوبة ، وتلطخت الشوارع كلها بالدماء ، وتحول كل بناء متين إلي قلعة ، ولم يهدأ الهياج الا بعد أن دمر من المدينة جزء كبير بشكل لا يمكن معه تعويضه >>.
P.Oxy.XL , introd.,p.1; P.Oxy.LXII,3065 introd; Milne, J., A History of Egypt Under Roman Rule,London (1914),p.78; Chapa,J., Letters of Condlence in Greek Papyri,p.107.
(100)P.Oxy.III,476(2nd cent. A.D); P.Oxy.III,475;C.Pap.Gr.II,1.69 (2nd – 3rd cent. A.D).
محمد فهمي عبد الباقي ، التقارير الطبية والوثائق المرتبطة بها في مصر فيما بين القرنين الأول والرابع الميلاديين،مجلة مركز الدراسات البردية ، المجلد التاسع (١٩٩٣) ، ص ص ١٦٢ – ١٨١ .

(١٠١) ورد في بلاغ من القرن الرابع للميلاد قدمه رجل من مدينة أوكسيرينخوس يدعى "أوريليوس ثونيس" إلي قائدي الحراسة الليلية في المدينة :<< أمس بينما كانت زوجتي في المنزل هاجمتها إمرأة تدعي "تابيسيس" التي تعيش في منطقة بعيدة عن منزلنا ،بالأشتراك مع أمتها " فيكتوريا " العنف الشنيع المُوقع على زوجتي لم يؤدي فقط إلي تمزيق ثيابها ،ولكن الأعتداء نالها شخصيا. وتبعا لذلك أقدم هذا الألتماس حتى تأمُرا بأستدعاء القابلة رسمياً للكشف علي زوجتي وتقديم تقرير مكتوب لأثبات حالتها الصحية ". وأغلب الظن أن " تابيسيس " كانت حامل وبالتالي كان استدعاء القابلة ضروري للتأكد من سلامة كل من الأم والجنين؛ P.Oxy. LI,3620(326A.D);
Jackson,R.Doctors and Diseases in the Roman Empire,London,1988,pp.87,96-7;cf.P.Oxy. II,282(29-37 A.D);SB.X10239(=P.Oxy.II,315,37A.D);P.Tebt.II,332(47 A.D);SB.X,10245 (=P.Oxy. II, 316, 50-51 A.D);P.Wash.Univ.I,36(428 A.D);P.Wash.Univ.I,36 (428 A.D).
(102)P.Mich.V, 228, *ll.18-23* (47 A.D) .
(103)M.V.Biscottini,L' archivio di Tryphon, tessitore di Oxyrhynchos, Aeg.46 (1966), pp.6off.
(104)P.Oxy.II 282(29-37 A.D); M.V.Biscottini, Aeg.46 (1966), pp.68-69; Rowlandson,J., op.cit.,p.115.
(105)SB.X,10239,*ll.10-21* (=P.Oxy. II, 315) (37A.D) .
(106)M.V.Biscottini, Aeg.46 (1966), p.71.
(107)SB.X,10245,ll. (=P.Oxy. II, 316) (50-51A.D).
(108)cf. P.Mich.VI,423-424,*ll.12-14;16-18;20-21.*

(109)Frankfurter,D., Fetus Magic and Sorcery Fears in Roman Egypt,*GRBS* 46 (2006), 37-62.
(110)P.Oxy.inv.122,A.D.178) Sparks, I.A., A report of Accidental Death , BASP.8(1971),7ff.
(111)P.Oxy.III, 475,*ll.20-25*.

(١١٢) أغلب الظن أن المقصود بالليبيين هم قبائل "المرماريد" الواقعة في الصحراء الغربية بين مصر وقوريني،وكانت مصدر الخطر الرئيس علي الحدود المصرية الغربية منذ عصر البطالمة، وخلال خلال منتصف القرن الثالث للميلاد واصلوا أعتداتهم علي القري والمدن المصرية، حتي تمكن "تيناجينو بروبوس" والي مصر من تحقيق أنتصاراً كبيراً عليهم في سنة (٢٦٨) للميلاد. Chpa , J., Letters of Condolence in Greek Papyri ,p.107.

(113)P.Princ.II,ll.5-19(258 A.D) .

(١١٤) من أمثلة حوادث السير، تعرض رجل يُدعي " بطلميوس " لحادث خطير عندما ركله حصان في قدمه حتي كاد أن يفقدها بل وتعرضت حياته نفسها للخطر نتيجة هذا الحادث :

ἐπλήγην ὑπὸ ἵππου κ[αὶ ἐκινδύ]νευσα τὸν πόδα ἀπολ[έσαι ἢ καὶ]τὸ ζῆν.
SB.XVIII,*ll.15-17*(2nd cent.A.D).

وفي خطاب آخر من القرن الرابع للميلاد أرسله رجل يهودي أو مسيحي يُدعي "جوداس" إلي أبيه وزوجته "ماريــا" يطلب منها أن تأتي إليه بنفسها مع شقيقها إلي "بابليون" بسبب تعرضه إلي حادث سقوط من فوق حصان كان يمتطيه مما جعله طريح الفراش لا يستطيع الاستلقاء علي إحدي جانبيه بنفسه إلا بمساعدة شخصين آخــرين ولا يجــد مــن يساعده بكوب ماء. . P.Oxy. XXXXVI,3314, *ll. 6 – 11*

ἐπειδὴ εἰς νόσον περιέπεσα ἀπὸ πτώματος ἵππου. μέλλοντός μου γὰρ στραφ ῆναι εἰς ἄλλο μέρος, οὐ δύναμαι ἀφ' ἐμαυτοῦ, εἰ μὴ ἄλλοι δύο ἄνθρωποι ἀ ντιστρέψωσίν με καὶ μέχρις ποτηρίου ὕδατ[ο]ς οὐκ ἔχω τὸν ἐπιδίδοντά μοι
.

(115)P.Frisch,Die Inschriften von Parion,37-41,No.52;SEG.XV,765,*ll.3-6*.

(١١٦) ينعكس الخوف من العقارب والزواحف في بعض التعاويذ السحرية التي كان الهدف منها حماية المنازل والسكان من شرها ،ومن ذلك الوثيقة (SB. 6584) وجاء فيها :

ΧΜΓ .... διαφύλαξον τὸν οἶκον τοῦτον μετὰ τῶν ἐνοικούντων ἀπὸ παντός κακοῦ ἀπὸ βασκοσύνης πάσης ἀερίνων πνευμάτων καὶ ἀνθρωπίνου ὀφθαλμ οῦ καὶ πόνου δεινοῦ καὶ *δήγματος σκορπίου καὶ ὄφεως* ;
cf. P.Oxy. 1060.

(117)Tod ,M.N,The Scorpion in Greco-Roman Egypt, JEA.25(1939),p.55; cf.Aelian , Hist . Anium ,X,23:
μηχανὰς μυρίας ἐς τὴν ἐξ αὐτῶν φυλακὴν μηχανωμένων τῶν Αἰγυπτίν
(118)SB.I,1209.
(119)cf.Aelian , Hist.Anim., X , 23:
ὄντων σκορπίων ἐνταῦθα μεγέθει μὲν μεγίστων πληγῇ δὲ ὀξυτάτων πείρᾳ γ εμ ῆν σφαλερωτάτων(παίσαντες γὰρ ἀναιροῦσι) παραχρῆμα .
(120)Tod , M.N., JEA., 25 (1939),p.56 .

(121)Pliny-Nat.History XI,25. 86: "scorpions lenta per triduum morte interficiunt"; Tod ,M.N., JEA.25(1939),p.56 ;cf. O.Claud.II,212(A.D.137-45).
(122)Tod , M.N., JEA., 25 (1939) , p.55.

(١٢٣) خلال العصر الروماني كان أستخدام السم للقتل من الجرائم الشائعة،يشير إلي ذلك وثيقة بردية من أوكسيرينخوس تحتوي علي قائمة طويلة بأماني ومطالب بعض الذين يستشيرون العرافة جاء في رقم (٩١) منها : *هل وضع أحدهم السم لي ؟* P.Oxy.1477

(124)P.Oxy.III,486,*ll. 20 – 22* (A.D.131)
(125)P.Oxy.III,472,*ll. 5- 8*.
(126)P.Oxy.I,51(A.D.173).

(١٢٧) ومن الأمثلة علي ذلك الوثيقة (BGU.XVI,2618 B.C.7) ،وتحتوي علي خطاب شخصي يتضمن مجموعة من التعليمات الموجهة من شخص يُدعي "تروفاس" إلي أبنه "أثينودوروس" يأمره بسداد ديونه للسلطات حتي يتم تُحرِيرعبيدَهم ،وحتي يتخلص "تروفاس" نفسه من المضايقات اليومية التي كان يتعرض لها من رجلي الشرطة " سقراط " و " إيليمون " بسبب هذا الدين . ويختتم " تروفاس " خطابه بعبارة << لقد كَتبت إليك بما فيه الكفاية لكي تتدبر أمر العبيدَ،لأنهم سيَمُوتونَ في السجن>> أغلب الظن بسبب تعرضهم للتعذيب الذي كان يمكن أن يفضي للموت:
οὐδ' ἔθοας οὐδ' ου θεὶς εὐτονεῖ τὰ σώματ' ἐκπαεὶν· ἑκάστης δὲ ἡμέρας ἐνο χλοῦμαι ὑπὸ δυοῖν στατόρων Σωκρατου τε καὶ Ελήμμονος εὑρομένη και ἐν εχυρασαμενη πολλάκι σοι δὲ γεγράφηκασοὶ μελήσῃ ὑπὲρ τῶν σωμάτων· ἀ ποθανοῦνται ἐν τῇ φυλακη .

(١٢٨) يصور الكاتب اليهودي السكندري "فيلون" بعض الوسائل التي كانت السلطات الرومانية تتبعها لأنتزاع الضرائب من المصريين بقوله : << في الفترة الأخيرة عُين جابيا للضريبة في المنطقة التي نسكن فيها. وعندما هرب بعض السكان لعدم قدرتهم علي دفع الضرائب بسبب فقرهم وخوفهم من العقاب القاسي الذي سينزل بهم. أتجه هذا الجابي إلي زوجات الهاربين وأطفالهم وآبائهم وجميع أفراد عائلاتهم الآخرين ،ولم يترك وسيلة لأهانتهم الا وسلكها ليجبرهم علي الأدلاء بمكان الهاربين أو دفع الديون المستحقة عليهم،ولم يكن يتركهم لحال سبيلهم بل كان يعذبهم ويؤذي أجسادهم. بل أنه لم يتورع عن قتلهم بوسائل تفتق عنها ذهنه . فكان يربطهم من رقابهم إلي ذكائب مملوءة بالرمال ذات وزن ثقيل ويتركهم في العراء في ساحة السوق العامة نهبا للرياح والشمس المحترقة وسخرية المارة وأحساسهم القاتل بالمرارة بسبب ما يعانونه.مما يحدوهم إلي التفكير في القضاء علي أنفسهم بسيوفهم أو بالسم أو بالشنق . وهم رغم هذا كانوا يعتبرون أنفسهم أوفر حظا لأنهم يموتون دون أن يعذبوا >> .

(129)philo: on Special Laws,Book 3,Chap.XXX,159-161.
(130)P.Oxy.XLIII,3104 (= CPGr.App.III,rp.*ll.9-14*)(228 A.D.)
(131)SB.VI,9458(A.D);P.Oxy.VI,902(465A.D); Bagnal , Official and Private Violence in Roman Egypt,BASP.26(1989),pp.202,212-214.

(١٣٢) من الأمثلة علي ذلك:الوثيقة(P.Oxy.L,3561, A.D.165) ،وتحتوي علي إلتماس قدمه مواطن سكندري يدعي "ديونوسيوس" إلي استراتيجوس قسم "هيراكليديس" يشكو فيه من تعرضه لعدوان وسطو مسلح بالسيوف علي يد مجموعة من قطاع الطرق أمام أحد أبراج أمن المراقبة بالقرب من قرية "هيرانيكولوس" ، مما عرض حياته

للخطر .وتتضمن الوثيقة(P.Tebt.II,304A.D.167-168) شكوى قدمها كاهن يُدعي "باكيبكيس" من قرية تبتونيس إلي قائد العشرة ،ملخصها قيام عصابة يتزعمها رجل يُدعى "ساتورنيلوس"، في ساعة متأخرة من ليلة الثلاثين من شهر أبيب ، بالهجوم عليه وعلي أخيه بالعصي وأصابوه أصابات بالغة عرضت حياته للخطر :

τῇ 30 τοῦ Επὶφ μηνὸς ὀψίας τῆς ὥρας γενομένης ἐπῆλθέ τις Σατορνῖλος τις σὺν ἑτέρ οις πλεί-στοις οὐκ δδα ὅπως μοὶ[.]δὲ ἀλογονάηδίαν συῆψαν ἐπὶ τοσοῦτοντε ὡς ἐκ τ ούτου τῷ ζῆν κινδ - υνεύμετὰ ξύλων εἰσπηδῆσαι καὶ τὸν ὥσ ἀδελφόν μού Οννῶφριν συλλαβόντες τραυματιαῖον ἐποίησαν ειν. ὅθεν, κύριε, εὐλαβῶς ἔχων τὸν περὶ τοῦ θανάτου αὐτοῦ κιν δυνον ἐπιδίδωμι .

وتحتوي الوثيقتان (P.Abinn.51;52,A.D.346) علي إلتماسان تم تقديمهما في غضون ثلاثة أيام بواسطة سيدة تدعي "أوريليا أتاريس" من ملاك الأراضي في قرية " هيرموبوليس " ،وأبنة جندي مُسرح جاء فيهما << في الساعة العاشرة لأسباب غيرمعروفة وبطريقة اللصوص ،عندما طالبت " بأسترداد القرض الذي أقترضه مني " بوليون " مع " أبيون بن " هوريون " شرطي القرية " وكورياك " أخت بوليون،كمموا فمي في منزله وكادوا أن يقتلوني لولا أنني هَربتُ وجريت خارج المنزل مسافة >>.

وتحتوي الوثيقة(P.Kell.23,*ll.10-15*, A.D.352) ، علي شكوي قدمها " أوريليوس جينا " كومارخ قرية " كيلليس " إلي الوالي " فلافيوس فاوستينوس " نتبين منها أنه تعرض لعدوان وحشي علي يد " هربوكراتيون " وعصابته نجم عنه أن " جينا "، كما يقول،أصبح علي حافة الموت وتبعا لذلك يطالب بالقصاص من المعتدين قبل أن تزهق روحه هباء دون عقاب:

Αρποκρατίων πολλῇ τυρρανίᾳ χρώμενος ἐπὶ τῶν τόπων συμμάχους τοῦς ἑαυτοῦ παρ ἐβαλέν μοι μετὰ ῥοπάλων , οἵτινες ἐπῆλθόν μοικαὶ τὸν δημόσιον λειτουργὸν καὶ τὰ ς πλευρὰς συνέκοψαν· ἔτι πρὸς θανάτου ὢν ἐπὶ τήνδε τὴν τῶν λιβέλλων ἐπίδοσιν ἤ λθον μὴ [τι] ἀνθρώπινόν τι παθῶ πρὸ τῆς ἐκδικίας καὶ ἀνεκδίκητός μου εἶναι ὁ φόν ος.

(133)SB.XX,14085(B.C.13/12 – 31/32 A.D)

(134)P.Oslo.III,95,*ll.12-21*(96 A.D).

(135) P.Mich. VIII,473,*r,ll.14-18,26-27* (Early 2nd cent.A.D).

(١٣٦) كان كلوديوس تيبريانوس من سكان قرية كرانيس،وبعد التحاقه بالجيش الروماني أصبح يشكل مركز قوة مؤثر في حياة قريته،نتيجة ثروته ووضعه الأجتماعي الممتاز.وقد تم أكتشاف أرشيف كامل لهذا الجندي أسفل سلمَ منزل في قرية كرانيس،يحتوي علي سلسلة من الرسائل بعضها كُتب باللغةاليونانية،والبعض الآخر باللاتينية،وتؤرخ ببداية القرن الثاني للميلاد.وتمدنا هذه الرسائل بمعلومات قيمة عن الحياة اليومية،والإقتصادية بالإضافة إلي الرسائل اللاتينية القيمة التي تسلّط الضوءعلي حياة الجنود الرومان في معسكراتهم . P.Mich.VIII,467–481

(137)BGU.IV,1024,*col.vi,ll.3*-29.

(١٣٨) في واقعة مشابهة قام سكان قرية "إفروديتو" بمديرية "إفروديتوبوليس" بالهجوم علي أحد المتهمين بقتل أحد رجال الدين في أعقاب أطلاق سراحه من السجن ،وقاموا بتمزيقه أربا . P.Mich.XIII,661*l.7*(6th cent.A.D) :

κη καὶ μη[ ] ει[ ]ντος αὐτοῦ ἐπελύθη τ[ὸν] δε Ηράκλει[ον ο]ῗι ἀπὸ τῆς κώ μης ὡς συκοφαντοῦντα .

(139)Ibid., col.vi,*ll.4-7*;col.iv,ll.*18-21*.

(140)Ibid., *col.viii,ll.7-20; col.iv,ll.5-6;* cf. Bagnal,Egypt in The Late antiquity(1993),pp.196-7;Keenan , Roman Criminal Law in The Berlin Papyrus codex , Archiv 35(1989),pp.15-23.
(141)P.Oxy.XVII,2153,ll.*22-25*.
(142)Graindor ,P., Inscriptions de necropole de touna el-Ghebel (Hermoupolis),BIFAO., 32(1932), p. 98.
(143)Bell,H.I., Antinoopolis : A Hadrianic Foundation in Egypt , JRS.,30(1940),p.133.
(144)Mar.,Pelus.,461;cf.Insc.mert.,64.
(145)Mar.Pelus 386.
(146)P.Gen.17,(A.D.200).

الإستراتيجية والتكتيك العسكري البيزنطى فى عهد جستنيان

د. سهام محمد عبد العظيم
مدرس تاريخ العصور الوسطى
كلية الآداب – جامعة حلوان

تعريف الاستراتيجية والتكتيك والفرق بينهما :

استراتيجية القتال والتكتيك العسكري مصطلحان حار المؤرخون في تفسيرهما وتعريفهما والاتفاق على معنى كل منهما، لما جرى من خلط أحياناً وعدم وضوح معنى كل منهما، حتى اعتبر البعض أحدهما جزءًا من الآخر.

ونبدأ دراسة هذه القضية بالتعريف الذي قدم لـه الإمبراطور موريس Maurice (٥٨٢-٦٠٢م) [١] للإستراتيجية في كتابه الذي يحمل عنوان Strategikon بأن الاستراتيجية هى الحيل الحربية أو الخطط الحربية [٢]، وفي موضع ثان أضاف أن الاستراتيجية هي أهداف وأفكار يمكن تحقيقها بالتكتيك [٣].

وهناك تعريف آخر للإستراتيجية strateges بأنها فن تحريك القوات واختيار مواقعها قبل المعركة [٤]، وهي الخطط الحربية الموضوعة من قبل القائد أو المجلس العسكري قبل المعركة. وثمة تعريف آخر للإستراتيجية بأنها القواعد العسكرية المعقدة ذات الصلة الوثيقة بإدارة المعركة وهي أيضا قواعد وأسس التخطيط العسكري للمعارك قبل شن الحرب [٥].

هذا عن الإستراتيجية، أما التكتيك Tactica فيعرفه ستيفن رانسيمان بأنه فنون الحرب [٦] ويذهب آخرون إلى أنه فن تحريك القوات والتنسيق بينها أثناء

المعركة [٧]، مما يعني أن التكتيك هو تنفيذ الخطط وقت القتال ، يعرف الجنرال كارل فون كلاوزفيتز التكتيك بأنه استخدام القوات المسلحة في الاشتباك [٨].

كان عرض تلك التعريفات من الضرورة قبل المضي قدمًا في عرض موضوع البحث والذي يتناول المصطلحين أي الإستراتيجية والتكتيك العسكري البيزنطي في عصر الإمبراطور جستنيان **Justinian** (٥٢٧-٥٦٥م) [٩].

وعودة لكلام الإمبراطور موريس الذي يقرر أن لكل شعب من الشعوب التي تخوض الإمبراطورية حروباً ضدها تكتيك خاص ومحدد في القتال وأن الشعوب لا تقاتل بنفس الطريقة بل تختلف الطرق والتخطيط حسب طبيعة تلك الشعوب؛ لذا لابد من تقييم التكتيك الحربي لكل شعب، وأن يلم قائد الجيش بعادات الشعوب المختلفة المعادية والمحيطة بالإمبراطورية البيزنطية، حتى يتمكن من وضع خطط مناسبة لقتالهم كما يؤكد موريس على أن طبيعة القائد واضع خطط الحرب هامة جدًا، فهناك من هو أكثر جرأة واندفاعًا، وهناك آخرون يهاجمون الأعداء بتشكيل وخطط منضبطة [١٠].

ولعل هذه المقولة لموريس تجيب على التساؤل الأول في هذا البحث عما إذا كانت الإستراتيجية البيزنطية في المعارك والتكتيك ثابتة لا تتغير مع كافة الشعوب المعادية، معنى أنها تعتمد على أنماط وخطط متشابهة تمثل العقلية البيزنطية في القتال؟ أم أنهما اختلفا بالفعل حسب طبيعة الشعوب المعادية للإمبراطورية وتباين طرقها في القتال؟

وتعالج الدراسة هذه الإشكالية في ظل ثوابت يتضمنها البحث ممثلة في الفترة وشخص الإمبراطور ذاته وكذلك شخصيات القادة البيزنطيين الذين قادوا جيوش الإمبراطور في تلك الفترة والتي تكاد تكون ثابتة أيضا مع متغير أساسي وهو الشعوب المتعددة التي خاضت الإمبراطورية الحروب ضدها في تلك الفترة.

ونحاول في هذا البحث دراسة مقولة موريس، وإخضاعها لمعايير التطبيق العملي للعمليات الحربية، من خلال دراسة عدد من المعارك التي خاضها الجيش البيزنطي تحت قيادة قادته المشهورين الذين لم يتجاوز عددهم اثنين من القادة المميزين خلال تلك الفترة حاربوا ضد شعوب مختلفة منهم الفرس، والوندال، والقوط وغيرهم ، لنرى الإستراتيجية والتكتيك البيزنطيين، وما كان يتبعه هؤلاء القادة مع كل شعب من هذه الشعوب في المعارك الحربية من إستراتيجية وتكتيك.

كانت بيزنطة تدرس أساليب العدو في الحرب بدقة، وتُدخل تحسينات على الأسلحة والخطط استناداً إلى التجربة مع العدو؛ ولهذا جرى تطوير سلاح الفرسان(١١). فمثلاً تعلم البيزنطيون من الفرس الحرب السريعة التي تعتمد على الفارس المقاتل لأن الفرس كانوا معتادين على قتال قبائل وسط آسيا الثائرة، السريعة الحركة، القادرة على الكر والفر؛ مما أحوجهم إلى الاعتماد على الفارس السريع، وإعداد وحدات من الفرسان المقاتلين، حيث استخدموهم بنجاح ضد الرومان وتعلم البيزنطيون ذلك من حروبهم مع الفرس (١٢). ويعرض الإمبراطور موريس في كتابه من خلال صفحات مطولة تحت عنوان "كيفية التعامل مع الفرس" الإستراتيجية الفارسية في القتال وكيفية مواجهتها، وهو ما سنعود إليه في توصيف المعارك البيزنطية الفارسية لنرى مدى دقة تطبيقه (١٣).

ومع اختلاف الوسائل الإستراتيجية التي اتبعها البيزنطيون مع كل جيش من جيوش أعدائهم، وُجدت وسائل وطرق مختلفة للقتال، وخطط حربية تنفذ مع كل شعب من الشعوب المعادية وذلك من خلال دراسة البيزنطيين لطرق تلك الشعوب في القتال لتطبيقها في معاركهم. فمثلاً الترك والمجر فضلوا الاشتباك السريع لأنهم شعوب من الخيالة سريعي الحركة؛ وأحيانا يبدأ القتال بطريقة المناجزة التي يخرج فيها رجل من صفوف الجيش ليبارز رجلاً من الصفوف الأخرى (١٤).

ويضيف " ابن خلدون" (١٥) أن الحرب تجرى غالبًا بطريقتين: إما أن يزحف الجيش صفوفًا مرتبة يتقدم صف تلو صف، وإما بطريقة الكر والفر أي الهجوم ثم التقهقر أو الانسحاب ثم إعادة الهجوم وهكذا. وعلى هذا كان قتال الروم دائمًا يبدأ بالزحف صفوف أما حرب الكر والفر فهو القتال الذي اشتهر به العرب وقبائل البربر وبعض الشعوب الأخرى وخلص ابن خلدون إلى أن قتال الزحف أقوى وأشد من قتال الكر والفر كما أنه مرتب (١٦). ويذكر الإمبراطور موريس أنه إذا كانت قوة الجيش الأساسية من المشاة فلابد من تقسيم الجيش إلى صفوف وإذا كانت المعركة ضد خيالة فلا بد من تكوين ثلاثة صفوف من الفرسان الصف الأول يسمى المناضلون، ويتكون من ثلاثة فرق كل فرقة ثلاث كتائب والصف الثاني يعتبر عونًا وحماية يساعد الصف الأول ويحميه ويجمع تشتته إذا انهزم، ويبدو الصف الثاني أثناء الزحف كجسم لا يتحرك حسب وصف موريس، أما الصف الثالث فيضم فرق فرسان للمساعدة (١٧).

وعبارة فن الحرب يمكن إجمالها في معرفة كيفية استخدام وسائل معينة في القتال (١٨)؛ مثل وضع القادة والجند وتنظيم المعارك، ووضع خطط حربية واستخدام الجواسيس والكشافين لاستطلاع أخبار العدو، ودراسة جغرافية المنطقة المتوقع حدوث المعركة فيها، وكذلك ضبط الجند ومنعهم من التهور حتى لا يقعوا في كمائن العدو، وسيطرة القائد على جنوده، وعدم السماح لهم بالانشغال بالغنائم (١٩)، كما يضاف لذلك الهروب المصطنع والمباغتات والهجمات الليلية والكمائن والمفاوضات التي يقصد بها كسب الوقت كل هذا من وسائل فن الحرب (٢٠).

في عهد جستنيان لم تعد الإستراتيجية مسألة نشر الفرق في ميدان أو أرض مكشوفة وإنما هجمات ثقيلة على مدن حصينة وأحيانًا ينتصر المحاصرون بالإنهاك أو بالقوة الوحشية وهي طريقة حرب العصور الوسطى وهي حرب ميكانيكية تشن

فيها الهجمات بالقذائف المجانيق التي تلقي كتلاً مشتعلة أو الآلات التي تقذف سهامًا عملاقة أو مجانيق مغطاة مخصصة لفتح بوابات المدن، وكذلك سكب الزيت المغلي من فتحات في أسوار الحصون بالإضافة لحرب الخنادق، وقطع المياه عن المدن المحاصرة، وهي طريقة أكيدة لجعل حاميات المدن والحصون تستسلم (٢١)، وأحيانًا ما استخدمت قنوات المياه كمدخل للمدن المحاصرة كما حدث في الحروب ضد القوط الشرقيين في إيطاليا (٢٢).

وأخيرًا جاء اختيار عصر جستنيان كتحديد زمني لتلك الدراسة بسبب اهتمام هذا الإمبراطور بتكوين جيش قوي، وكذلك لتنوع حروبه الخارجية وتعددها مع شعوب مختلفة، مما يعتبر مجالاً خصباً لتطبيق المعايير التي اختص بها هذا البحث.

التغيرات التي طرأت على الجيش في عهد جستنيان :

يضم الجيش البيزنطي عنصرين أساسيين هما المشاة والفرسان، ويقسم إلى فرق خفيفة التسليح وفرق ثقيلة التسليح، الفرق ذات التسليح الثقيل هي التي تتسلح بالسيف العريض والخنجر والرمح وقوس الرماية، والفرق خفيفة التسليح سلاحها القوس والمقلاع والمزاريق (٢٣).

واعتاد الروم على تقسيم جيشهم إلى مقدمة يقودها الإمبراطور أو قائد الجيش ويسمي هذا الجزء القلب، وفرق على يمين الإمبراطور يطلق عليهم ميمنة، وآخرين على يساره يسمونهم ميسرة، وعسكر من وراء العسكر يسمونهم الساقة وهم فى المؤخرة (٢٤). ويطلق على هذا التنظيم التعبئة وهو ما اعتاد عليه جيش الروم، وكانت كثرة الفرسان الشجعان والمشاهير في صفوف الجيش تجعله يربح المعركة (٢٥).

ويذكر داوني أن تعداد الجيش في عهد جستنيان بلغ نحو مائة وخمسين ألف جندي، والقوة التي تجرد لأية حملة تبلغ حوالي خمسة عشر ألف جندي، ويبلغ جيش الميدان خمسة وأربعين ألف جندي مما يعتبر جيشاً جرارًا (٢٦).

ومن التغيرات التي طرأت على الجيش في عهد جستنيان ظاهرة تزايد أعداد فرق الحرس الخاص والتي أصبحت ترتبط مباشرة بشخص قائدها وتدين بالتبعية له وهو الذي يدفع لهم مرتباتهم ويقدم لهم الأسلحة وكانوا على درجة كبيرة من التدريب والكفاءة مما أهّلهم للمهام الصعبة والخطيرة (٢٧) وأصبحت تلك الفرق تسمى بأسماء قادتها وليس لها لقب رسمي، وبهذا أصبح للقادة المرموقين في الجيش فرق خاصة تتبعهم ، أكثر من تبعيتهم للجيش الإمبراطوري وأصبحت تلك الفرق بمثابة حرس خاص للقادة فكان القائد الشهير بليزاريوس (٢٨) Belisarius (٤٩٤-٥٦٥م) يمتلك سبعة آلاف فارس من قدامى المحاربين من عشيرته وكانوا يعرفون بفرق الرفقاء البوكلارى Bucellarii (٢٩) وإن لم يمنع ذلك وجود الحرس الإمبراطوري الذي كان يقيم في القسطنطينية ويمارس واجباته الاحتفالية في القصر(٣٠)، وهم في الوقت ذاته يرافقون الإمبراطور في حملاته ورحلات الصيد وينقسمون لعدة فرق منها فرقة المدارس التي يعهد لقائدها بقيادة الجيش نيابة عن الإمبراطور (٣١)، وقد تم إعادة تنظيم فرق الحرس الإمبراطوري في عهد جستنيان وإنقاص عددها (٣٢).

وجهد جستنيان محاولاً تقليل ولاء الفرق العسكرية لقادتها خشية سيطرة هؤلاء القادة وزيادة قوتهم بما يغريهم بمحاولة الوصول للحكم، فعمل على ألا تكون السيطرة على الجيش لشخص واحد بل لعدد من الرجال أو القادة ذوي الرؤى المختلفة، وإن أدى هذا إلى نتائج سيئة (٣٣).

أما عن سلاح الفرسان وتطوره في عهد جستنيان فقد أصبح هو العنصر الرئيسي في الجيش. ويبدي المؤرخ المعاصر بروكوبيوس Procopius إعجابه بفرق الفرسان المرتدين الدروع من الولايات الآسيوية وهي التي تعرف باسم الكاتافراكتي Cataphracti [٣٤]، ويقرر أنهم أكثر فاعلية وأفضل من المشاة القدامى، ويورد وصفًا لفرق الفرسان ثقيلي التسليح الذين تغطي دروعهم الفارس والفرس معًا [٣٥].

ويتحدث بروكوبيوس عن التطورات في فرق الرماة إذ يذكر أنهم لم يعودوا كما كانوا مجرد محاربين يلتحمون يداً بيد مع العدو مما كان يجعلهم محل ازدراء وكأنهم مدنيون جهلاء يحاربون بدون ترس ولا رمح ولا أي وسيلة دفاعية ولم يمتلكوا أي براعة، بل صاروا مختلفين في عهد جستنيان، وأطلق عليهم الرماة الفرسان إذ يمتطون الخيول ويرتدون الدروع على الصدر والساق حتى الركبة ويحملون القوس والسيف والرمح ويحملون دروعاً صغيرة معلقة على الكتف. ويشيد بروكوبيوس ببراعتهم في إصابة الهدف من فوق ظهور الخيل إذ يشدون وتر القوس إلى الوجه أو الأذن اليمني مما يجعل السهم يخرج بقوة ويتسبب في جرح عميق ويخترق الدروع، ويقرر أن اكبر الإنجازات الحربية في هذا العهد حدثت بفضل استخدام تلك الفرق [٣٦].

كان سلاح الفرسان الفارسي خاصة النبالة يتفوق على البيزنطيين؛ فقد كان القوس والنشاب هي الأسلحة التي يحسن الفُرس استعمالها منذ أقدم العصور، ولكن بعد إدخال تعديلات على سلاح الفرسان البيزنطي أصبح بأسلحته الجديدة وتدريباته قوة ضاربة سريعة الحركة [٣٧]. وفي عهد جستنيان كانت الأسبقية للتكتيكات العسكرية التي تعتمد على الفرسان، وكان كثيرًا ما يضم إلى الفرسان فرقة من المعاهدين ثقيلة التسليح ويُطلق عليهم "الفدراليين" Foederati [٣٨]، بينما انحصرت

واجبات المشاة في مناطق الجبال والغابات والمستنقعات التي لا يستطيع الفرسان التغلغل فيها، حيث يقاتل المشاة في هذه المناطق ببراعة (٣٩).

وقد طبقت تلك الاستراتيجية العسكرية التي تعتمد على الفرسان بشكل أساسي في حرب البيزنطيين ضد الفرس في الحرب الفارسية الأولى (٥٢٧ – ٥٣٢م) والثانية (٥٤٠ – ٥٦٤م) وسنعرض تفصيلات لمعركة دارا Dara عام ٥٣٠م والتي تعتبر تطبيقاً عملياً لهذه الطريقة وكذلك طبقت في معركة تريكامارومTricamarom ٥٣٥م ضد الوندال والتي أنهت قوة الوندال على يد الفرسان البيزنطيين قبل وصول المشاة الذين وصلوا ليلاً بعد أن وضعت الحرب أوزارها(٤٠)، ولذا نجد توصيفاً من القائد بليزاريوس للمشاة في معركة دارا السالفة الذكر بأنهم فلاحين شبه مدربين (٤١).

كان بليزاريوس يقسم جيشه إلى فرق صغيرة من الفرسان ليضمن سرعة تحركاتهم في تنفيذ خططه في الوقت الذي كانت جيوش أعدائه توصف بضخامة العدد والاعتماد على نظام المشاة مما جعل حركتهم ثقيلة لا يمكنها الصمود أمام كتائب الفرسان البيزنطيين سريعة الحركة التي تحارب بالقوس والسهم من على ظهور الخيل (٤٢)، وبهذا يمكننا القول أن انتصارات جيش جستنيان في الشرق والغرب اعتمدت على كفاءة جيشه الذي جمع بين الفرسان والرماة (٤٣).

وفيما يتعلق بتقسيم الجيش البيزنطي، فقد تشكل عادة من فرق للحماية وأخرى للهجوم وثالثة لحماية الجوانب أو الأجنحة، وفرق اقتحام ، وفرق مساعدة للحماية (٤٤).

ومر جيش الحدود (٤٥)، وجيش الميدان (٤٦) بتطورات في عهد جستنيان فقد نقصت أعداد جيش الحدود، ولم يكن ذا كفاءة أو تدريب ولم يتمتع بالاحترام، وكذلك مر جيش الميدان بتغيرات في تشكيله إذ أصبح يعتمد على عناصر جديدة

غير التي كان يؤلف منها منذ عهد قسطنطين العظيم (٣٢٣-٣٣٧م) [٤٧] Constantine the Great [٤٨].

وفي عهد جستنيان، تم تدريب قوة من الفرسان من مواطني الإمبراطورية ومن الشعوب الأخرى التي تعيش حول مناطق الحدود، تم تدريبهم على الطرق الرومانية في القتال وأصبحوا من أكثر عناصر الجيش كفاءة وتدريباً، فقد اهتم جستنيان بتكوين جيش قوى وأصبح جيشه يتألف من عناصر مختلفة من المرتزقة بالإضافة لأبناء الإمبراطورية نفسها [٤٩].

ولقد اعتمد جستنان على المرتزقة في جيشه حتى أصبح معظمه من الهون والشماليين والعرب والوندال [٥٠] والقوط [٥١]، واللمبارد [٥٢] والسلاف والأرمن والشوام والمغاربة يقود كل جماعة منهم زعيم. وكان ولاء هؤلاء لقادتهم أكبر من ولائهم للإمبراطور [٥٣]. وهناك رأى مفاده أن المرتزقة عنصر فعال للغزو لكن دون كفاءة في حالات الدفاع، لأنه يمكن للعدو أن ينفذ في صفوفهم الدفاعية ليتسلل دون مقاومة [٥٤].

ومن المحالفين الذين اعتمد عليهم جستنيان، العرب الغساسنة [٥٥]. ويذكر بروكوبيوس استعانة بليزاريوس بقوة كبيرة من العرب في حرب الفرس وبالفعل أرسل إليه الحارث الغساني (٥٢٨-٥٦٩م) [٥٦] قوات كبيرة العدد [٥٧]، كما قام بليزاريوس بمراسلة الفرنج [٥٨] ليعاونوه في حرب القوط [٥٩]، مما يشير لإحدى أسس الإستراتيجية البيزنطية في الحرب وهي البحث عن حلفاء يساعدوهم في حرب أعدائها للاستفادة من قوتهم وخبرتهم وتشتيت قوة الأعداء.

كما اعتمد جستنيان على إقامة شبكة من القلاع والحصون لحماية الحدود[٦٠]. ويذكر داوني أن الجيش في عهد جستنيان يعكس التغيرات التي جرت

في الإمبراطورية وتتمثل في تناقص أعداد السكان مما أدى لتناقص أعداد الجيش، والاعتماد على المرتزقة (٦١).

المجالس العسكرية والإستراتيجية :

المجلس العسكري هو مجلس أركان الحرب، ويتكون من التورمارخات (٦٢) وهم القادة المقصورة عليهم المشورة العسكرية السرية وعلى القائد ألا يبوح بما سيفعله ليحتفظ بقراره النهائي حتى لا تنكشف خططه للعدو (٦٣).

وكثيرًا ما كان القائد يخفي عن جنوده المكان الذي يقصدونه للحرب مثلما فعل بليزاريوس بناء على أوامر الإمبراطور جستنيان الذي أمره ألا يبين لجيشه أنهم متجهون لصقلية لحرب القوط الشرقيين، وأظهر أنه متجه إلى قرطاجة، ثم بعد ذلك كشف لهم عن وجهته الحقيقية (٦٤).

ونجد أنه في أثناء الحرب بين الفرس والبيزنطيين، تكرر عقد مجالس عسكرية عقدها بليزاريوس وتنوعت أهدافها من التشاور مع الضباط أصحاب الخبرة السابقة في حرب الفرس، وأحيانًا أخرى كان هدفه رفع الروح المعنوية لقواده وإزالة أي خوف في نفوسهم من الحرب مع الفرس (٦٥).

وقد ينزل القائد على رغبة المتشاورين معه في تلك المجالس ويقتنع بمشورتهم فيغير من خططه أو يعدل قراراته مثلما حدث من بليزاريوس في الحرب الفارسية الثانية حين عقد مجلسًا عسكريًا ونزل فيه على رغبة المجتمعين وقرر التراجع رغم تعارض ذلك مع رغبته الشخصية وخطته الحربية لأنه كان قد عزم على الاستمرار في الحرب حسب ما أقر به سكرتيره الخاص وأحد المقربين إليه وهو المؤرخ بروكوبيوس، ولكنه نزل على مشورتهم خاصة حين قالوا له أنه سوف يحافظ على اسمه وشعبيته إذا استطاع أن يعود بهم سالمين لأرض الرومان، ولعل

هذا القول يوضح مدى ما وصلت إليه حالة البيزنطيين النفسية بسبب هزيمتهم أمام الفرس (٦٦).

قادة الجيش في عهد جستنيان :

وبما إننا نتحدث عن الإستراتيجية والتكتيك، فلابد أن نشير إلى أبرز قادة الجيش البيزنطي في عهد جستنيان، الذين خبروا الحروب واستفادوا من تجاربهم وخبراتهم فيما يتعلق بالإستراتيجية والتكتيك، وقدموا لبيزنطة نتيجة ذلك انتصارات باهرة على أمم كثيرة وقبائل وشعوب عديدة. وقد كان للجيش قائدان يقال لهما "قائدا الجنود" يتولى أحدهما قيادة الفرسان والآخر قيادة المشاة ويساعدهما قادة آخرون. وهناك قائد عام للجيش كله، ومن أشهر هؤلاء القادة القائد بليزاريوس، الذي كان من أعظم القادة الذين عرفهم البيزنطيون على الإطلاق (٦٧). وهو الذي قاد حملات جستنيان ضد الفرس في الشرق، والوندال في شمال إفريقيا والقوط الشرقيين في إيطاليا وغيرها من الحملات التي حقق من خلالها الشهرة والثراء الفاحش (٦٨).

كان بليزاريوس بطل عصر جستنيان فقد انتصر على جحافل الجرمان وأسر ملوكهم وألقى بكنوزهم تحت أقدام سيده جستنيان، ووسع رقعة الدولة، وكان أداة طيعة في يد سيده الإمبراطور، ولكن ذلك لم يَحُلْ دون احتلاله مكانة عالية باعتباره قائداً مجدداً في الإستراتيجية، ناجحاً في تكتيكاته الحربية، يتقدم الصفوف في الحرب، كما اشتهر بأنه كان سخياً مع رجاله عند توزيع الغنائم، وكان حرسه الخاص على استعداد للتضحية بأنفسهم فداءً له. وعلى الرغم من ذلك أحصى البعض نقاط ضعفه ومنها عدم كبح جماح المتمردين من رجاله في الجيش، وكذلك ضعفه أمام زوجته التي سمح لها بالتدخل في كل شيء بما في ذلك الخطط العسكرية، والحكم بين رجاله في المعسكر الحربي (٦٩). وإن كان من حكمه قوله المأثور "إن أفضل القادة هو من يستطيع استبدال الحرب بالسلم" (٧٠).

وإذا أخضعنا بليزاريوس لمعايير القادة التي وضعها موريس في كتابه من صحة البدن والقدرة على اختيار مساعديه وعدم إهمال أي تفاصيل، والعمل الدءوب لجاء ترتيبه على قمة لائحة القادة العظام في تاريخ الإمبراطورية (٧١).

أما القائد الآخر الذي اشتهر في هذا العهد فهو نارسيس Narses (٧٢)، وهو خصي أرميني بدأ حياته موظفاً في القصر وتدرج حتى صار حاجباً للإمبراطـــور. وهو من المدنيين الذين تم اختيارهم لقيادة الجيش، فقاد نارسيس تعزيزات عسكرية إلى إيطاليا لمساعدة بليزاريوس في حرب القوط الشرقيين وأبدى شجاعة وبراعـــة إستراتيجية وتكتيكية في إدارة المعارك ضدهم، وامتاز بسرعة التكيف مع الظروف المفاجئة، كما كان قليل الكلام واضحاً فيما يقصده (٧٣). وصفه المؤرخون الحديثون بأنه استراتيجي ماهر ودبلوماسي بارع، كسر مقاومة القوط الشرقيين بعد كفـــاح صعب (٧٤).

وهناك مقولة لبروكوبيوس أن القادة يغيرون من بعضهم الـــبعض وكلمـــا أصبحوا أكثر شهرة ونجاحاً، كلما زاد شك الإمبراطور فيهم (٧٥).

أسلحة وملابس الجيش في عهد جستنيان :

كان جنود جستنيان يعتمدون على الأقواس والـــسهام، يـــصوبونها لقلـــوب أعدائهم بعد أن يوقعوا الخلل في صفوفهم، ثم ينهالوا عليهم بسيوفهم الطويلـــة (٧٦). وكان جندي المشاة على عهد جستنيان يرتدي الدرع والغطاء الواقي للساقين مـــن المعدن وتحته زرد من حلقات معدنية وعلى رأسه خوذة تنتهي بقرن طويل، أمـــا الأسلحة التي يحملها فهي السيف والكنانة ويتسلح بعض من المشاة بالحراب، وفرق منهم تتسلح بالفؤوس ذات الحدين (٧٧).

وكان الفرسان يحمون أنفسهم وخيولهم بدروع معدنيـــة ويتـــسلح الفـــارس بمشكة من الفولاذ وهي أداة تشبه البلطة، وترس ضخم وخـــوذة مزينـــة بريـــشة

وسلاحه السيف والرمح والقوس، ويعتبر رماة السهام ملوك أرض المعركة في عهد جستنيان [٧٨].

ونعرض في هذه الجزئية من البحث لبعض المعارك كنموذج نستخلص من خلاله إستراتيجية البيزنطية وتطبيقها من خلال التكتيك الذي اتبعه القادة في تلك المعارك، وهي معارك ضد شعوب مختلفة ومعظمها انتصر فيها البيزنطيون، مما نرجعه في الغالب إلى نجاح الإستراتيجية البيزنطية في وضع خطط الحرب المناسبة، والنجاح في تنفيذها بتكتيك محكم يحقق النصر.

أولاً: استراتيجية وتكتيك المعارك ضد الفرس :

يتحدث الإمبراطور موريس عن الحرب ضد الفرس فيقول إن هناك عوامل أثرت في الإستراتيجية والتكتيك البيزنطيين في حرب الفرس من ذلك أن الفرس يتحملون الحصار وإنهم باسلين في المعارك من أجل بلادهم [٧٩]، ودائمًا ما يبادرون بإعلان الحرب، وتحديد موعد المعركة كما حدث من ملك الفرس كسرى Khosroes (٥٣١-٥٧٩م) [٨٠] عندما سعى لإنهاء معاهدة السلام مع البيزنطيين في وقت انشغالهم بالحرب في إيطاليا كسبًا لعامل الوقت وتشتيتاً للجيش البيزنطي في أكثر من حرب [٨١].

كما كان عامل المناخ من العوامل المؤثرة على البيزنطيين في حروبهم مع الفرس. وهناك إشارة لبروكوبيوس يقول فيها إن البيزنطيين "لم يكونوا معتادين على الحرارة الزائدة وحياة الخيام، خاصة جند تراقيا Thrace، فمرضوا مرضًا شديدًا حتى أن ثلث الجيش كان راقدًا شبه الميت ولذا أرادوا العودة بأسرع ما يمكن لبلادهم" [٨٢]. وكذلك يذكر موريس أن الفرس يفضلون الهجوم في الصيف وفي أكثر ساعات النهار حرارة [٨٣].

ونتوقف مع تلك الإشارات من المصادر المعاصرة للأحداث لنذكر أن طبيعة المناخ في منطقة الحدود البيزنطية الفارسية كانت تختلف عن طبيعة المناخ في باقي أرجاء الإمبراطورية البيزنطية والتي جاءت منها فرق الجيش البيزنطي مثل جند تراقيا وهي منطقة في أقصى غرب آسيا الصغرى بينما المعارك ضد الفرس تجري في أقصي الشرق حيث مدن مثل دارا وآمد؛ ولم يكن جنود الإمبراطورية معتادين على المناخ الحار والإقامة في الخيام بما يشبه حياة الصحراء مما أضعف قوتهم وأثر سلباً في معنوياتهم وكان لذلك أبعد الأثر في نتائج الحرب مع الفرس، فجاءت عكس النتائج التي حققها البيزنطيون من انتصارات في حروبهم في أوربا أو شمال إفريقيا، لتقاربها مناخيًا مع مناخ الإمبراطورية البيزنطية.

ومن الأمور الجديرة بالملاحظة أيضًا وكانت ذات أثر في التخطيط ضد الفرس، حرص البيزنطيين على ألا يدخلوا الحرب ضد الفرس منفردين بل دائماً ما يبحثون عن حلفاء يساعدوهم ضد الفرس، وقد سبقت الإشارة لاستعانتهم بالعرب الغساسنة في حرب الفرس، ربما لمعرفة العرب بفنون القتال في تلك المناطق، واعتيادهم على مناخ المنطقة وكذلك معرفتهم للطرق والدروب.

كما أورد بروكوبيوس خبراً عن خطاب أرسله جستنيان إلى الهون Huns[٨٤] ليحثهم على غزو أراضي الفرس، وإن كان بروكوبيوس قد أورد تلك المعلومة على أنها ادعاء من ملك الفرس ضد جستنيان حتى تكون ذريعة يتخذها ضد البيزنطيين لإعلان الحرب عليهم [٨٥]، ولكننا نلحظ مشاركة الهون في الحرب ضد الفرس بالفعل مما يجعل ذريعة ملك الفرس حقيقية، عكس ما ذكره المؤرخ البيزنطي، ويؤكد لنا ذلك أن بروكوبيوس نفسه عاد وذكر أن بليزاريوس عندما علم بانشغال الفرس في حرب الهون رغب في غزو أراضيهم بسرعة [٨٦].

كما حرص الفرس في اختيار أرض المعركة أن تكون أرضاً مستوية فسيحة بدون مستنقعات أو غابات، وذلك حرصًا منهم على عدم تناثر تشكيلهم [٨٧]. كما أن الفرس متمرسون على حفر الخنادق حول المعسكر وإقامة الحصون المتقنة والمحمية [٨٨] وكان بليزاريوس يقلدهم في أسلوب حربهم فاتبع طريقتهم في حفر الخنادق وإقامة الحصون [٨٩]. كما كان للفرس طريقة في إخفاء قنوات المياه بغرض حمايتها وذلك بدفن ثلاث مواسير ووضعهم الواحدة تحت الأخرى لخداع المحاصرين [٩٠].

ومن عيوب الفرس في الحرب أنهم لا يستطيعون الدفاع ضد الهجمات الليلية غير المتوقعة على معسكراتهم، كما أن الهجمات الجانبية كثيرًا ما تضر بهم لأنهم نادرًا ما يستطيعون حماية الجوانب؛ وإذا هجموا من الأجنحة تسقط قوتهم سريعاً. كما أنهم يقسمون جيوشهم في الحرب إلى ثلاث مجموعات: الوسط ويتكون من حوالي أربعمائة أوخمسمائة من الرجال المتميزين، والميمنة والميسرة. أما إستراتيجيتهم في القتال فهم يركزون على تكثيف التشكيل الأمامي لمهاجمة العدو. والتكتيك الفارسي دائما ما يستهدف سلاح الفرسان [٩١].

ويذكر ابن خلدون أن طريقة الفرس في الحرب هي الزحف متخذين من الفيلة صروحاً في الحروب، ويحملون عليها أبراجًا من الخشب المحملة بالمقاتلين والسلاح، يضعوها في صفوف خلف الفرسان كأنها حصوناً يتقون بها وتزيد ثقتهم في أنفسهم [٩٢].

استراتيجية معركة دارا Dara عام ٥٣٠م :

دارا قلعة حدودية هامة [٩٣] بين الروم والفرس، ويحدد عرفان شهيد أهمية تلك المعركة في أنها أول معركة وقعت في الحرب الفارسية الأولى، وأول انتصار لبليزاريوس وهو يحمل لقب ماجستر magister [٩٤] كل القوات الشرقية، الذي

حصل عليه في عام ٥٢٩م (٩٥). وقد أرسل الفرس قوة من أربعين ألف رجلاً لحصار دارا، وكان على القائد بليزاريوس أن يواجه هذا الحصار المزمع حدوثه ولذا وضع إستراتيجية محددة بالنسبة لجيشه المكون من خمسة وعشرين ألف جندي خارج القلعة (٩٦). ويذكر موريس أن الفرس شعب يتحمل شدة الحصار وحرارة الجو والعطش ونقص المؤن، لذا فهو مزعج في الحصار وبالمثل في حصاره للغير (٩٧).

أقام بليزاريوس في دارا ومعه قادته وفرقه العسكرية وانضم إليه بعثة مرسلة من قبل الإمبراطور جستنيان إلى ملك الفرس يعرضون عليه السلام، وبالفعل أرسلوا رسالة إلى الفرس لاستقبالهم، وكان موقف بليزاريوس في دارا موقف المدافع أي على وشك ان يحاصر (٩٨).

وضع بليزاريوس إستراتيجية لمواجهة الفرس تعتمد على سحب المشاة من الوسط إلى الوراء وذلك حتى لا يقع عليهم عبء الهجوم الأكبر وهو ما اعتاد الفرس عليه في حروبهم ، مما يوضح إلمام القائد البيزنطي بالإستراتيجية الفارسية في القتال، ويمكننا اعادة ذلك لعدم ثقة بليزاريوس في كفاءة المشاة، ولذا كان اعتماده الأساسي على الفرسان الذين ألقى بهم في الأجنحة بأعداد متساوية في الجناحين الأيمن والأيسر، وليمنع أي اختراق للاتصال بين الوسط والأجنحة قام بوضع فرق من المعاهدين الهون تتكون كل فرقة من ستمائة من الفرسان على كل جانب من جوانب المشاة، وكلفهم بمهمة دعم ومساعدة الجانب الأقرب إليهم من الفرسان ووضع خلف المشاة حرسه الخاص وهو معهم وكانوا من الجنود المرتدين للدروع المدربين على أعلى مستوى (٩٩).

هكذا نستخلص من التشكيل السابق، تطابق خطة بليزاريوس مع القواعد التي أشار إليها موريس في إستراتيجيته من حيث تدعيم الخط الثاني من صفوف

المقاتلين من الخلف بعدد من جنود الحراسة، خشية فرار أحد الجنود، فقام بليزاريوس بوضع حرسه الخاص خلف المشاة وفي الوقت نفسه يكونون عوناً وحماية للصفوف، كما أن وضع فرق مهاجمين على الجانبين – غالبا من رماة القوس مع إضافة اثنين من الكتائب الخاصة– هي أيضا من أنماط الإستراتيجية البيزنطية التي أشار إليها موريس في مصدره [١٠٠].

ويؤكد عرفان شهيد مشاركة العرب الغساسنة تحت قيادة الحارث الغساني في معركة دارا. ورغم تفرده بهذا القول إلا أنه يورد من العلل والحجج ما يؤكد رأيه؛ فمثلاً يعلل عدم ذكر بروكوبيوس لهم في المعركة بأنه لم يهتم بذكر مشاركة العرب في حروب الروم؛ ويؤكد في الوقت نفسه على أن فرق المعاهدين من العرب قد شاركت بليزاريوس في كل حروبه ضد الفرس فلماذا تتخلف عن تلك المعركة وأن بليزاريوس اصطحبهم معه بعد معركة دارا وشاركوا في المعركة التالية ضد الفرس في العام التالي، لأنهم من الفرق التي يعتمد عليها ومن أفضل الرجال تدريباً و أكثرهم خطورة في القتال [١٠١].

على أية حال كان أحد جوانب خط المواجهة البيزنطي محمياً بتل [١٠٢]، وقام بليزاريوس بحفر خندق لحماية خط الهجوم ولكنه لم يكن بالعمق أو المساحة الكبيرة، وكانت تقطعه ممرات كثيرة للتقهقر أو للتقدم فلم يكن عقبة كبيرة في المعركة المقبلة، لأن كلا الجانبين عبراه أكثر من مرة دون صعوبة [١٠٣].

كان الفرس على الجانب الآخر في جيش من أربعة آلاف فارس بالإضافة للمشاة [١٠٤]، وكانوا مقسمين حسب الإستراتيجية الفارسية إلى قسمين من الفرسان على الجوانب والمشاة في الوسط [١٠٥]، بمعنى أنهم قسموا إلى ثلاثة أقسام كما يؤكد ثيوفانيس [١٠٦] Theophanes. وقد سبق شرح ما أورده موريس عن الإستراتيجية الفارسية في المعارك وبالفعل تعتبر معركة دارا تنفيذاً لهذه الإستراتيجية .

حدثت المعركة في عهد قباذ بن فيروز (٤٨٧-٥٣١م) ملك الفـرس [١٠٧]. وليس في عهد كسرى ابنه كما ذهب البعض خطأً.

يحدثنا المؤرخ ثيوفانيس أن الفرس قـدموا تحـت قيـادة القائـد ميـرام Mirram[١٠٨]، والذي كان موجوداً في مدينة نصيبين [١٠٩] قبل المعركة، وجاء معه ابن ملك الفرس وإن لم يذكر اسمه في المصادر [١١٠].

تكتيك معركة دارا :

حدثت مناوشات في اليوم الأول لم تكن حاسمة، وفي اليـوم الثـاني دارت المعركة الحقيقية وكانت ضارية؛ إذ تقدم الفرس والتحموا بالأجنحة البيزنطية وليس بوسط الجيش الذي تم سحبه للوراء كما سبق أن أوضحنا، وتفوق الفـرس علـى الجناح الأيسر البيزنطي، ولكن مع تقدمهم إلى ما وراء الخندق تعرضوا لهجوم من قبل فرق الهون الموجودة على يسار خط المشاة. وفي الوقت نفسه قامت فرقة مـن الهيرول Herule [١١١] المعاهدين الموجودة في المؤخرة بمهاجمـة الفـرس، ممـا اضطر الفرس إلى التقهقر [١١٢].

لكن الفرس لم يتركوا ميدان المعركة، وأعاد البيزنطيـون تنظـيم فـرقهم بالوضع الأول وقام الفرس، تحديدًا فرقة الخالدين Immortals [١١٣]- وهي فرقـة شهيرة لديهم تتميز بالكفاءة والقوة- بمهاجمة الجناح الأيمن للبيزنطيين، وأجبروهم على التقهقر للوراء حتى بلغوا بوابات دارا. لكن الفـرس اسـتمروا فـي التقـدم ومهاجمة البيزنطيين واندفعوا في تقدمهم حتى أصبحت تلك الفرقة منفصلة عن باقي الجيش الذي كان منشغلاً بتبادل القذائف مع المشاة البيزنطيين خلف الخندق. وفـي هذه الفجوة بين هذه الفرق الفارسية المنتصرة وبين الوسط ألقى بليزاريوس بفـرق الهون وجعلهم يهاجمون الجناح الأيسر للفرس والمؤخرة، وبدأ الفرس الهروب، مما

جعلهم معزولين تماما عن وسط جيشهم، وهاجم بليزاريوس الوسط الفارسي بحرسه الخاص مما عرض الفرس لمذبحة مروعة (١١٤).

يلاحظ أن الإستراتيجية التي وضعها بليزاريوس لمعركة دارا طبقت فـي التكتيك بشكل جيد كفل النصر للبيزنطيين. ويمكننا القول إن الانتصار فـي تلك المعركة تم بواسطة الفرسان وقرار بليزاريوس إبعاد المشاة عن الوسط للوراء، وحمايتهم بخندق بحيث يتلقى الفرسان الهجوم الفارسي لأنهم أقدر على مواجهته، مما يوضح ثقته في الفرسان، وتم تنفيذ التكتيك في المعركة كما أراد القائد .

ورغم هذا الانتصار في معركة دارا، لا يجب أن ننسى أن الإمبراطورية كانت في موقف دفاع، والفرس في موقف الهجوم، مما يعنى أن القوة الفارسية كانت تتزايد بينما التأثير البيزنطي في الشرق يتضاءل، ويعلل ذلك بانشغال الإمبراطورية بحروبها في الغرب مما أضعف قوتها أمام الفرس في الشرق (١١٥).

ولهذا رغم انهزام الفرس في دارا عام ٥٣٠م، إلا أنهم انتصروا في العام التالي أي عام ٥٣١م على بليزاريوس نفسه في معركة كيلنيكيوم Callinicum . وقد وقعت معاهدة سلام بين الطرفين عام ٥٣٢م (١١٦) وذلك في عهد كسرى ملك الفرس(١١٧). ولعل سعي بيزنطة لعقد سلام مع الفرس كان بهدف تفرغها لحرب عدو آخر وهو ما يعتبر من أسس التدابير العسكرية والدفاعية كما ورد في المصادر البيزنطية (١١٨).

ثانياً: استراتيجية وتكتيك المعارك ضد الوندال :

تختلف الحرب ضد الوندال عن الحرب ضد الفرس لأن الحرب ضد الوندال بدائها البيزنطيون و اتخذت شكل حملة بحرية عام ٥٣٣م تحت قيادة بليزاريوس الذي اتجه إلى شمال إفريقيا مصطحباً معه قوة مؤلفة من خمسة عشر ألف محارب، ثلثهم من الفرسان والباقي من المشاة (١١٩). وربما يعود صغر حجم

الحملة البيزنطية لمعرفة البيزنطيين لمدى الضعف الذي باتت عليه دولة الونـدال. فها هو بروكوبيوس يشير إلى ضعف الوندال وميلهم للترف والدعة وتـرك حيـاة الجندية وخوض الحروب (١٢٠).

وتختلف الرواية حول عدد جنود الحملة (١٢١) ولكنها تتفق في عدد السفن الخمسمائة، وبحارتها من المصريين والصقليين والأيونيين، وقائد الأسطول الـذي يدعي كالونيموس السكندري Kalonymos. وقد عين جستنيان بليزاريوس قائدًا عامًا على الحملة (١٢٢).

استخدم بليزاريوس هنا إستراتيجية تعتمد على إرسـال جواسـيس لجمـع المعلومات، فاستخدم سكرتيره بروكوبيوس كي يجمع له المعلومات حـول جـيش الوندال وحالته، وأمره أن يذهب إلى سيراكوز ليتحرى الأمـر وبالفعـل وصـل بروكوبيوس لمعلومات هامة أمده بها صديق له كان يعمل في شحن السفن، والذي أخبره أن الوندال يرسلون قوتهم إلى جزيرة سـردينيا Sardaigne لإخمـاد ثـورة اندلعت هناك ضدهم، وثورة أخرى في مدينة طرابلس Tripolitaine، وأخبره أنـه حصل على تلك المعلومات من أحد الموظفين القادمين من قرطاجة (١٢٣).

استعمل بليزاريوس الرجل الذي أبلغهم بحملة الوندال على سردينيا مرشدًا للأسطول، ووصل البيزنطيون إلى ميناء كابوت فـادا Caupt Vada (١٢٤)، وهنـاك عقد بليزاريوس مجلساً عسكرياً على ظهـر سـفينته للتـشاور مـع قـواده فـي الإستراتيجية التي ستتبع في حرب الوندال. وقد واجه معارضة في المجلـس مـن الذين رفضوا إنزال القوات في ميناء كابوت فادا لأنه يقع على مسافة كبيـرة مـن نقطة الالتحام المتوقعة مع الوندال مما يمثل إرهاقًا للجيش وإعطاء فرصة للعـدو للاستعداد. ولكن في النهاية استقر المجتمعون على الأخذ برأي القائد بليزاريـوس،

وأن يتم ترك الأسطول تحت حراسة بعض الرجال من رماة السهام لحمايته، وإنزال قواته للبر، وإقامة معسكر مع إحاطته بالأوتاد للحماية (١٢٥).

شهدت الحرب بين البيزنطيين والوندال عدة معارك منها معركة ديكيوم(١٢٦) Decimum عام ٥٣٣م، ومعركة تريكاماروم Tricamarom ٥٣٥م(١٢٧)، وقد اخترنا إحداها لتوضيح وشرح الإستراتيجية والتكتيك البيزنطي فيها رغم أنها لم تكن المعركة الأولى بينهما لكنها تعتبر المعركة الفاصلة التي حددت نهاية دولة الوندال.

وعلينا أن نشير في عجالة إلى معركة ديكيوم، والتي كاد الجيش البيزنطي أن يهزم فيها حيث استطاع الوندال تدمير الخيالة البيزنطية ومنها فرقة يوحنا الأرمني وخيالة التراقيين بقيادة فاراس Pharas، لولا أن عبقرية بليزاريوس جعلته يستوعب الخطر وقام بتعديل الخطة أثناء المعركة؛ حيث اتخذ موقعه في أرض المعركة، وجمع حوله بقايا الخيالة والمشاة وصمم على مواجهة الوندال في معركة منظمة باستخدام تكتيك يناسب جيشاً منظماً من الوندال وليس فرقاً همجية تتصرف بغير نظام ربما كما كان يعتقد (١٢٨). ولعل هذا الموقف من الأمور التي تشير لإمكانية تعديل الإستراتيجية المتبعة في الحرب بتكتيك يناسب الموقف أكثر من تكتيك معتاد أو تحت تأثير فكرة مسبقة عن الأعداء .

وأول إجراء اتخذه بليزاريوس فور نزوله للبر أن قام بمعاقبة بعض جنوده الذين قاموا بنهب بعض المحاصيل من الريف هادفاً من ذلك التقرب من السكان كما قام بإعلان خطاب من الإمبراطور جستنيان يوضح فيه أنه لم يأتِ لمحاربة الوندال وإنما أتى لمناصرة الملك المخلوع هيلدريك (١٢٩) Hilderic (٥٢٣-٥٣٠م) حليف الإمبراطور البيزنطي، وكان ذلك ضمن الإستراتيجية البيزنطية في إيجاد مبرر لحروبها يضمن لها مساعدة الشعوب التي تغزوها ضد حكامها (١٣٠).

إستراتيجية معركة تريكاماروم Tricamarom ٥٣٥م :

كان بليزاريوس يعلم نقاط الضعف في شخصية خصمه ملك الوندال جليمر Gelimer (٥٣٠-٥٣٤م) [١٣١]، وقد استغل ذلك أحسن استغلال فقد كان يعلم أن هذا الملك إذا هُزم يسارع بالفرار، ولا يثبت في المواقف الصعبة [١٣٢]، كما أنه يمر بفترة صعبة نتيجة الثورات المندلعة ضده وأن جزءًا من جيشه وأسطوله خارج البلاد منشغل في قمع الثورتين سالفتي الذكر، وأنه حين علم بمجيء بليزاريوس أسرع في عجلة لقتاله. وكان جليمر بعد هزيمة الوندال في معركة ديكيوم قد اتخذ نوميديا ملجأً له وقام بقطع المياه عن قرطاج، وعهد بقيادة الجيش في معركة تريكاماروم إلى شقيقه تزازون Tzazon العائد من سردينيا منتصرًا [١٣٣].

كرر بليزاريوس إستراتيجيته في سحب المشاة إلى المؤخرة واعتمد على الاشتباك بين الفرسان من الجانبين [١٣٤]. كما قام بوضع حرسه الخاص في الوسط أمام جدول ماء صغير اسمه مجردا لحماية الجبهة، وكان يأمل أن يثير رغبة الوندال في عبور الجدول، فيهاجمهم في لحظة العبور، وقام بوضع فرق الفرسان المعاهدين على أحد الجوانب، وباقي الفرق على الجانب الآخر [١٣٥]، وكان بليزاريوس ينوي الاستفادة من طرق القتال التي تدربت عليها قواته في حرب الفرس وهي الحرب الخاطفة السريعة وإنزال ضربات بالعدو تلحق به الهزيمة[١٣٦]، وكان عنصر المناخ هنا مناسباً للبيزنطيين فمنتصف ديسمبر مناسب لقوات قادمة من أجواء أوربا البعيدة عن الحرارة [١٣٧].

كانت قوة جيش الوندال تتراوح بين عشرة إلى خمسة عشر ألف مقاتل وهناك من يقول بأن عدد الرجال من حملة السلاح لم يتعدَّ ستة عشر ألفًا [١٣٨]، وإن كان هناك من يقول أنه بلغ ثلاثين ألفًا، خمسة آلاف منهم أرسلوا لسردنيا ، و مع ذلك فالباقي يفوق تعداد الحملة البيزنطية بكثير[١٣٩] وحاول الوندال الحصول على

حليف يساندهم في الحرب فأرسل جليمر سفارة إلى ملك القوط الغــربيين ولكنهــا وصلت أسبانيا بعد دخول بليزاريوس إلى قرطاج فرفض القوط الغربيون التحالف مع الوندال بعد أن بلغهم هزيمتهم وفقدهم لقرطاج (١٤٠).

أما فيما يختص بالإستراتيجية الوندالية، فقد وضع القائمون عليها تــشكيلاً مماثلاً للتشكيل البيزنطي: جناحان -ميمنة وميسرة- مُقسَّمان إلى مجموعات يتولى أمر كل مجموعة قائد، وتولى تزازون قيادة القلب وضم هذا التشكيل جماعات مــن البربر المتحالفين مع الوندال وهؤلاء كانوا من راكبي الإبل، ووُضعوا في الخلف، وصدرت التعليمات للوندال بعدم استخدام الرماح أو أي سلاح آخر عدا الــسيوف وعدم عبور الجدول المائي (١٤١).

وكان جليمر قد جمع نساء الوندال وأطفالهم وممتلكاتهم في المعسكر حتــى يكون القتال دفاعًا عن الأهل والمال مما يجعل الوندال يقاتلوا بحماس دفاعًا عن كل ما لديهم (١٤٢).

وواضح الحذر في هذه الخطة الحربية من جانب الونــدال وذلــك نتيجــة لهزيمتهم السابقة في معركة ديكيوم .

تكتيك معركة تريكاماروم :

أمر بليزاريوس فرسان القلب بقيادة يوحنا الأرمني Joan the Armenian – الذي يلي بليزاريوس في القيادة العامة- بعبور جدول المياه، والهجوم على قــوات القلب الوندالية، وذلك لإزعاجهم وحثهم على عبور جدول المياه وقد نجح الونــدال في إنزال هزيمة بتلك القوات بعد أن أحاطوا بهم، وألقوهم في الماء ولقنوهم درسًا صعبًا (١٤٣).

عاود يوحنا الأرمني أدراجه وأعاد ترتيب قواته وأبدلها بقوات من حــرس بليزاريوس الخاص، وهاجم قلب القوات الوندالية ولكن تزازون نجح فــي صــدهم

للمرة الثانية. وكرر يوحنا الهجوم للمرة الثالثة، وضم لقواته رماة الرماح وبدأت معركة شرسة بين الجانبين قتل فيها تزازون والعديد من الوندال (١٤٤)، وهنا أمر بليزاريوس الجناحين من الفرسان بعبور جدول الماء والقيام بهجوم على الأجنحة الوندالية والتي لم تكن مستعدة لمواجهة الهجوم على طول خط المواجهة. تقدمت القوات البيزنطية في اتجاه العدو وحاول الوندال العودة لمعسكرهم فاصطدموا ببعضهم البعض، وانهارت قوتهم وهربوا. ولم يبذل جليمر جهداً لإنقاذ الموقف بل سارع بالفرار، ولم يحاول جمع قواته. وأرسل بليزاريوس قوات لتتعقبه من كتائب المؤخرة فلم يستطع جليمر الإفلات منهم وسلم نفسه لبليزاريوس (١٤٥).

ونلحظ أن المعركة كانت معركة فرسان وليس للمشاة دور فيها، وأن القوة التي التزمت جانب الدفاع ولم تبدأ بالهجوم هزمت على الرغم من تفوقها في العدد(١٤٦). ويشير بروكوبيوس إلى أن بليزاريوس استخدم في حرب الوندال قوات ثقيلة التسليح من الخيالة لقدرتهم على التدمير وهزيمة الوندال (١٤٧)، ومع ذلك اتضح لنا أن خيالة الوندال واجهوا البيزنطيين بعنف وهزموهم في المراحل الأولى من المعركة.

ومن الأخطاء التي وقع فيها الوندال من البداية، الأوامر التي صدرت لهم من قادتهم باستخدام السيف فقط في القتال، وهذا لا يساعد في إيقاف هجوم العدو عن بعد وإنما يصلح في المعارك التي يتم فيها الالتحام بين القوات عن قرب، فقد اشتهر الوندال بالتفوق في المنازلات الفردية ولكنهم يعجزوا أمام سيل رماة السهام والنبالة، كما أخطأ جليمر عندما لم يسارع بمهاجمة قوات البيزنطيين وهي تعبر النهر؛ ولو فعل ذلك لاستخدم إستراتيجية بليزاريوس ضده ولربما فاجأه بها وحقق النصر. لكنه بقى حتى تعرض للهجوم وهُزم (١٤٨).

وهكذا انتهت دولة الوندال بعد ٩٥ عامًا استمرت فيها في حكم الشمال الإفريقي. وتعتبر الحرب ضد الوندال حرباً مدمرة قادها الفرسان ثقيلو التسليح، فقد كانوا الأقدر على هزيمة الوندال [١٤٩].

وترجع أسباب نجاح بليزاريوس إلى قدراته واستراتيجيته السليمة ومعرفته لمواطن الضعف لدى عدوه، كما كان للعوامل النفسية دور كبير في هذه المعركة، خاصة الخسائر التي مُني بها الوندال من قبل في ديكيوم وسقوط العاصمة قرطاج في يد البيزنطيين .

ثالثاً: إستراتيجية وتكتيك المعارك ضد القوط الشرقيين :

استولي جستنيان على ايطاليا بالسياسة والحرب فقد بدأ باستمالة بعض عشائر القوط الشرقيين [١٥٠]، واستعان بالفرنجة لحرب القوط الشرقيين [١٥١]، وقد أرسل بليزاريوس وأعطى له تعليماته بأن يعلن أنه متجه لقرطاج والحقيقة أنه متجه إلى صقلية [١٥٢] ونجح بليزاريوس في الاستيلاء على صقلية بسهولة، ثم اجتاز خليج مسينا وحاصر نابولي وأخذها، ثم أخذ روما فحاصره القوط فيها سنة كاملة، وبعد أن رفعوا الحصار أكمل بليزاريوس الحرب ضدهم وأخضعهم وعاد للقسطنطينية منتصرًا يحمل أسرى وكنوز القوط [١٥٣]؛ ولكنهم عادوا للمقاومة تحت قيادة أحد زعمائهم المدعو توتيلا Totila [١٥٤] (٥٤١-٥٥٢م)، فعاد بليزاريوس لقتالهم ثم استدعى جستنيان بليزاريوس إلى القسطنطينية، وأرسل قائدًا آخر هو نارسيس على رأس جيش أكبر عددًا من السابق [١٥٥].

وتعتبر الحرب ضد القوط الشرقيين من أكبر الحروب التي خاضها جستنيان من الناحية الجوهرية، وهي حرب حصار وليست حرب معارك، فلم يكن هناك اشتباك بين جنود الإمبراطورية والقوط حتى استيلاء بليزاريوس على رافنا، وبالتالي كان حسم الأمر في هذه الحرب يعود لفترات الحصار الطويل والتي امتدت

من عام ٥٣٥م إلى عام ٥٤٠م، وتخلل ذلك مناوشات صغيرة اتضح فيهـا تكتيـك الجيشين (١٥٦). كما وضح فيها كيف بحث البيزنطيون عن مساعدة الفرنج لهم فـي حرب القوط، وهي نفس إستراتيجيتهم في قتال الفرس (١٥٧). كما حرص جـستنيان على البدء بحرب الوندال قبل القوط الشرقيين حتى يحرمهم من مساعدة أسـطول الوندال لهم (١٥٨) الذي وصفه بروكوبيوس أنه من أهم الترسانات البحرية الموجودة في عالم العصور الوسطى آنذاك (١٥٩).

وفي الحرب ضد القوط الشرقيين تغيرت القيادة البيزنطية بـين القائـدين بليزاريوس ونارسيس وكل منهما اتبع إستراتيجية مغايرة للآخر في الحرب. ففـي الفترة الأولى، قاد بليزاريوس الحرب وكانت الإستراتيجية فيها عبارة عن حـصار مدن متبادل بين الجانبين، واستخدم بليزاريوس فرقًا من جيـشه للتجـسس؛ كمـا استخدم حفر الخنادق حول الأسوار أحيانا كما حدث بعد دخوله روما، وكذلك قطع قنوات المياه فيما يمكن أن يطلق عليه حرب المياه (١٦٠). وقد استخدم بليزاريـوس الخديعة ضد القوط وذلك بأن أظهر الموافقة على اختيارهم له كملك علـيهم حتـى يدخل رافنا عاصمتهم بمحض إرادتهم (١٦١)، وظهرت براعة بليزاريوس في مقاومة الحصار (١٦٢)، وفي ادراكه لطبيعة البلاد التي يحارب فيها ومهارت التعامـل مـع القوط (١٦٣).

ومع ذلك يذكر بروكوبيوس أن بليزاريوس فشل في حملته على إيطاليا لأن خططه في حملاته السابقة تنم عن خبرته في التعامل مع مشاكل تلك الحروب؛ أما في هذه الحملة فلا. ويعرض لمثل يؤكد أقواله فيقول إن بليزاريوس ظـل يتجـول بحرًا محاولاً إيجاد مكان يرسو فيه مما يشير لبعض الصعوبات التي واجهته فـي الحملة (١٦٤). ويعلق أنه لم ينجح في أية معركة وعجز عـن تثبيـت أقدامـه فـي إيطاليا(١٦٥).

وعندما عهد لنارسيس بالقيادة طلب من الإمبراطور أن يمده بكل ما يحتاج للحملة منذ البداية من مال وعتاد ومؤن وإلا فإنه لن يقبل المهمة واستجاب له الإمبراطور، وتطوع عدد كبير من البرابرة من الهون واللمبارد والهريول للخدمة تحت راية نارسيس لأنه كان رجلاً سخياً مع رجاله (١٦٦).

وعلى الجانب الآخر سعى القوط للحصول على حلفاء لهم فاستنجدوا بالملك الفارسي، وإن لم يؤتِ هذا الحلف ثماره، لكنهم حصلوا على دعم الفرنج لهم في الحرب ضد البيزنطيين إذ دعم ملك استرازيا ثيودبرت (١٦٧) Theudebert (٥٣٤-٥٤٨م) الجيش القوطي بعشرة آلاف جندي من البرجنديين (١٦٨).

إستراتيجية معركة تاجيناي Tajinae ٥٥٢م :

دارت معركة تاجيناي (١٦٩) في جبال الابنين في سهل صغير بين التلال عرضه حوالي ميلين وهي أرض مناسبة لحركة الفرسان أكثر من المشاة، ووضع نارسيس إستراتيجية تتمثل في تشكيل قواته التي يتراوح عددها بين اثني عشر ألفاً إلى خمسة عشر ألف جندي، بحيث يكون الجناح الأيسر أمام تل صغير منعزل مما يعطي حماية لذلك الجانب، ووضع فرقة صغيرة من المشاة للسيطرة على هذا التل. ويبدو أن الملك القوطي فطن لأهمية ذلك التل، فأرسل فرقة من الفرسان قبل بدء المعركة للسيطرة عليه، ولكنها لم تستطع أن تأخذ طريقها عبر الممر الوعر الذي يؤدي لقمة هذا التل، وانسحبوا بخسائر كبيرة بعد أن طرحتهم الفرق البيزنطية بعيداً عنه (١٧٠).

وتمثلت الإستراتيجية القوطية في الحرب من خلال خطة القائد بدويلا Baduila (١٧١) الذي يثق في فرسانه، وكانوا يشكلون الجزء الأكبر من الجيش القوطي، وتم دعمهم بمئات من الجرمان المرتزقة، وتم ترتيب الفرسان في الخط الأمامي والمشاة في خط ثانٍ في المؤخرة ووضع الملك القوطي خطته بحيث يهجم

الجميع في وقت واحد فلا تحدث مناوشات بطيئة وإنما هجوم مفاجئ غير متوقع حتى يتجنب سيل السهام التي تمثل أقوى دفاعات الفرق البيزنطية، وكان يأمل أن يخرق وسط الجيش البيزنطي بهذا الهجوم مع توقعه بأن وسط الجيش البيزنطي من المشاة (١٧٢).

وقد ابتكر نارسيس إستراتيجية جديدة في هذه المعركة لمواجهة الهجوم القوطي وصفت بالابتكار وإنها لم تستخدم من قِبل أي قائد آخر في الحرب في ذلك الوقت، حيث دعّم وسط جيشه بنخبة من المعاهدين اللمبارد والهيرول، وأمرهم بالنزول عن خيولهم واستخدام الرماح، مما يعني أنه حول الفرسان لمشاة ووضع على أحد جوانب هؤلاء الفرق من المعاهدين، جنوده من المشاة البيزنطيين الرماة وعددهم حوالي أربعة آلاف على كل جناح وأمرهم أن يتقدموا بشكل نصف قوس، وذلك حتى إذا تقدم العدو نحو وسط الجيش البيزنطي سيجد نفسه في مساحة خالية ومحاط بالرماة ومعرضًا لسيل من السهام من كلا الجانبين (١٧٣).

ويعلل بروكوبيوس تلك الخطة من نارسيس بسبب خوفه من فرار فرق المعاهدين، لذا أنزلهم عن خيولهم حتى يمنعهم من الفرار بسرعة (١٧٤).

ولعل هذا التشكيل البيزنطي أكثر فاعلية لأنه يتم به محاصرة العدو فجأة ويفيد في حالة مهاجمة قوات تفوق أعدادها أعداد الجيش البيزنطي، لأن هذا النوع من الصدام يصيب العدو بخسائر كبيرة (١٧٥).

وفي رأي الباحثة أن التجديد في هذه الخطة هي اعتمادها على المشاة وإن كانوا في الأصل فرسان تم تحويلهم لمشاة، وذلك عكس كل الخطط التي اتبعها بليزاريوس في حروبه من الاعتماد على الفرسان راكبي الخيول وإبعاد المشاة عن خط القتال وسحب الوسط للوراء وتقديم الأجنحة؛ أما هنا فقد قوى وسط الجيش وأحاطه بالرماة أي جعل الأجنحة من الرماة. وعلينا أن ننتبه إلى إن هذه الخطة

تأتي مناسبة لتخوف القوط من الرماة البيزنطيين ربما لضعفهم عن مواجهتهم ولعل نارسيس كان مدركاً لتلك الحقيقة فكثف من فرق الرماة ورتبها بحيث تحيط بالجيش القوطي وتطوقه.

تكتيك معركة تاجيناى:

بدأ بدويلا زعيم القوط المعركة في منتصف النهار وهاجم بكل جيشه واتجه فرسانه تجاه وسط الجيش البيزنطي تاركين الأجنحة التي تشكلت من فرق الرماة، وكان ذلك خطأً كبيراً لأنهم بمجرد أن وصلوا إلى مركز نصف القوس –الدائرة- الذي شكله الجيش البيزنطي وقعوا تحت نير الرماة البيزنطيين، وخسروا خيولهم التي جرحت، مما جعل هجومهم بطيئاً و ليس هجوم مفاجئ كما خطط له ، وسريعًا تحولت المعركة إلى اشتباك بالأيدي على طول خط المواجهة. وحاول فرسان القوط إيجاد ثغرة لكن دون جدوى، أما المشاة القوط الذين كان من المفروض أن يساعدوا الفرسان حتى يبقوا الرماة البيزنطيين مشغولين فلم يتقدموا وتخوفوا من أن تأتيهم ضربة جانبية من الجناح الأيسر الذي به فرقة نارسيس. وبالفعل هاجم نارسيس بفرسانه –الذين لم يكونوا حتى ذلك الوقت قد قاموا بأي عمل ويتمتعون بالحيوية- فرق الفرسان القوط المنهكين فهزمهم، وفي فرارهم داسوا على مشاتهم الذين لم يفتحوا لهم طريقاً للهرب وإنما وقفوا مذهولين (١٧٦).

انتهت معركة تاجيناى، والتي تمثل تجربة أولى للجمع بين الرمح والقوس. ورغم شجاعة بدويلا إلا أنه مات قتيلاً في المعركة (١٧٧). وربما أخطأ بدويلا في الإستراتيجية وكذلك أخطأت فرقه في التكتيك، ولو أنه قدم الرماة المشاة مع تدعيمهم بالفرسان وهاجم بقوة الرماة البيزنطيين في الأجنحة قبل أن يهاجم المركز أي الوسط البيزنطي، لربما حقق نتائج مغايرة لما تم عليه الأمر وجاء هذا التكتيك من قبل بدويلا بما لا يتفق مع شهرته وسمعته العسكرية (١٧٨).

وعن تقييم الحرب ضد القوط فنلاحظ أنها حرب طويلة المدى تعتمد بشكل أساسي على حصار المدن.

إستراتيجية وتكتيك المعارك ضد الفرنج:

لم يتوقف طموح الفرنج عند بلاد الغال، بل سعوا للاستيلاء على أسبانيا وإيطاليا، وعندما علموا أن القوط والرومان عانوا كثيرًا من الحرب فكروا أنهم يمكنهم بكل سهولة الاستيلاء على الجزء الأكبر من إيطاليا، واستغلوا الموقف وزحف جيش من الفرنجة تحت قيادة زعيمين ألمانيين هما ليوتارس Leutharis وشقيقه بوكلين Bucelin على رأس خمسة وسبعين ألفاً من رجالهم على شمال إيطاليا، ودمروا كثيراً من المدن، وذلك في عام ٥٥٣م. (١٧٩)

بدأ الفرنج الحرب ضد البيزنطيين و بحثوا عن حلفاء لهم ولكنهم فشلوا عندما أعلن آخر زعماء القوط الشرقيين أنه لن يساعد الفرنج وكان هذا يعني حرمانهم من مساعدات القوط مما يسهل مهمة البيزنطيين في حربهم (١٨٠).

كان الفرنج عكس القوط جنودهم من المشاة المسلحين بالرماح والسيوف والفؤوس، واختلفت أساليبهم وطرقهم في القتال ، فقد تمثلت استراتيجيتهم في التقدم في صفوف متتابعة على طول خط القتال ، وكان ذلك التخطيط قوياً لا يمكن كسره بسهولة بهجوم جانبي وإذا تعرض لهجوم أثناء تقدمه كان يصمد ويهزم المهاجمين(١٨١).

على الجانب الآخر كان البيزنطيون منهكين من حروبهم في إيطاليا ضد القوط الشرقيين والتي استمرت لفترة طويلة وان كانت كللت بالنجاح، إلا أن الجيش البيزنطي تحت قيادة نارسيس فقد الكثير من رجاله وبقى القائد البيزنطي في روما ليقضي الشتاء ويحاول إراحة الجيش واستجماع قواه ، لكنه خرج من روما على رأس ثمانية عشر ألف مقاتل لمواجهة الفرنج (١٨٢).

استراتيجية معركة كابو Capoue ٥٥٤م:

كان نارسيس ملماً بفنون القتال ضد الفرنج فوضع خطة تتلاءم مع معرفته بهم فأعد لهم كميناً، إذ رتب الرماة والمشاة في الوسط ووضع خلفهم مجموعة من المعاهدين المختارين، ورتب الفرسان البيزنطيين في جناحين طويلين (١٨٣)، وكان الفرسان في الأجنحة مسلحين بالسهام، وفي اليسار أخفى نارسيس فرقة أخرى من الفرسان في غابة محتمين بأشجارها وهو الكمين الذى أعده الفرنج (١٨٤).

وقد طبقت نفس إستراتيجية القتال الفرنجي في تقسيم الجيش إلى صفوف عميقة، والقيام بهجوم مشترك لكل القوات على الخط الأمامي لجبهة العدو (١٨٥)، وكان أحد جوانب الجيش يحميه نهر Casilium (وهو الاسم القديم لكابو الحالية) والجانب الآخر أقام عليه الفرنج تحصينات للحماية، وكانت القوات الفرنجية تقدر بحوالي ثلاثين ألف رجل . (١٨٦)

لكن جزءًا من الجيش الفرنجي قد انفصل تحت قيادة ليوتارس واتجه جنوبًا متجنبًا روما وداهم عددًا من المدن، ولكنه تلقى درسًا داميًا من القوات البيزنطية، وقضى الوباء على باقى قواته، ولم يكن أخوه بوكلين قد علم بنبأ تدمير جيش أخيه فظل ينتظر منه المدد. (١٨٧)

تكتيك معركة كابو:

قرر بوكلين المبادرة بالهجوم معتمدًا على حماسة المشاة الفرنج لاختراق قلب الجيش البيزنطي، وجاء الصف الفرنجي مندفعًا ناحية الوسط فاصطدم بالخط الأمامي من المشاة والخط الثاني من الرماة ثم اشتبكوا بفرق المعاهدين الذين وضعوا خلف الفرق الخفيفة، ودفعهم الفرنج للوراء. وفي هذه اللحظة دفع نارسيس الجناحين من الفرسان لداخل المعركة، وهاجم أجنحة الفرنج وأجبرهم على التوقف، وأصدر أوامره لرماة السهام بترك الجعاب والسهام واستخدام الرماح ضد جند

الفرنج (١٨٨) وذلك يدل على قرب المسافة بين المتحاربين فتكون الرماح مؤثرة وفعالة.

وهناك من يقول إن نارسيس أصدر أوامره للفرسان النبالة الذين تحيط أجنحتهم بالعدو أن يصوبوا نبالهم لا على الجنود المواجهين لهم مباشرة ولكن من فوق رؤوسهم كي يصيبوا ظهيرة الجناح المقابل . (١٨٩)

لم يستطع الفرنج التقدم إلى الأمام أو الخلف بسبب الخوف من انكسار صفوفهم، ودخل فرسان البيزنطيين في ثغرات بينهم وهم عاجزين عن أي تصرف بل ومعرضين لسيل القذائف التي لم يستطيعوا الرد عليها، ولكن شجاعتهم جعلتهم يثبتون في مواقعهم لعدة ساعات. وفي النهاية انهاروا وولوا الأدبار ناحية المؤخرة -وهي الجهة التي لم يكونوا محاصرين فيها- وبعد ذلك أمر نارسيس قواته بهجوم عام بعد أن تأكد من تشتت القوات الفرنجية، وبالفعل اخترق رجاله من الفرسان الصف الفرنجي المبعثر، وقاموا بذبح أعداد كبيرة من الفرنج حتى قيل أن خمسة فقط من الفرنج هم من نجوا من المعركة، واندحر الجيش الفرنجي عن آخره (١٩٠).

وترى الباحثة أن هذه المعركة تشهد بعبقرية نارسيس الحربية وتفوقه واستخدامه للمشاة بشكل مغاير لما كان عليه التكتيك البيزنطي عند غيره من القادة، كما تأتي هذه المعركة أيضا لتدلل على مقدرة الرماة البيزنطيين، وأنهم أكثر ما كان يُعمل حسابهم ويُتوجس خيفة منهم في المعركة، خاصة من جانب شعوب مثل القوط أو الفرنج.

الهوامش

(١) الإمبراطور موريس (٥٨٢-٦٠٢م) من الأباطرة الذين حاولوا إصلاح أحوال الإمبراطورية. وقد عقد صلحاً مع الفرس ومات مقتولاً على يد رجاله. وكان قد ألف كتاباً عن الإستراتيجية واعتمدت الباحثة على النسخة المترجمة للألمانية، ويصف رنسيمان الكتاب بأنه دراسة قيمة عن أحوال الجيش البيزنطي.

بروكوبيوس: التاريخ السري، ترجمة. صبري أبو الخير، ط (دار عين)، القاهرة٢٠٠١م، ص٤٩؛ أيضا ستيفن رنسيمان: الحضارة البيزنطية ،ترجمة. عبد العزيز جاويد، ط. (الهيئة المصرية العامة للكتاب)، القاهرة ١٩٩٧م، ص ١٥٩.

(٢) Maurikios, Strategikon, Ger. trans: Ernst Gamillscheg, Vienna 1981, p. 263.

(٣) Maurikios, op.cit, p.355.

(٤) فايز نجيب اسكندر: فن الحرب والقتال عند الصليبيين والمسلمين في النصف الأول من القرن الثالث عشر الميلادي، رسالة ماجستير لم تنشر، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ١٩٧٦م، ص ٢٤.

(٥) طارق منصور: الجيش في الإمبراطورية البيزنطية، رسالة ماجستير لم تنشر، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، ١٩٩٣م، ص ٣٨٢.

(٦) ستيفن رنسيمان: الحضارة، ص ١٥٩. أيضًا:

Three Byzantine Military Treatises, text, Eng. trans: Gearg T. Dennis, Washington, D.C., 1985, p. 45.

(٧) فايز نجيب إسكندر: فن الحرب، ص ٢٤، أيضًا: Three Byzantine Military, p. 21.

(٨) كارل فون كلاوزفيتز: الوجيز في الحرب، ترجمة. أكرم يسري وهيثم الأيوبي، ط (المؤسسة العربية للدراسات والنشر)، بيروت ١٩٧٤م، ص ١٤١.

(٩) الإمبراطور جستنيان من منطقة مقدونيا، ويعد من الأباطرة المميزين في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية فقد حاول إعادة الإمبراطورية الرومانية القديمة لمركزها المرموق عالميًا وحدودها القديمة، ولتحقيق هذا الحلم خاض حروبًا عديدة ضد الشعوب الجرمانية التي غزت الإمبراطورية الرومانية واستولت على كثير من أراضيها. وقد شهد الجيش البيزنطي تطورات عديدة خلال فترة حكمه.

ج.م. هسي: العالم البيزنطي، ترجمة رأفت عبد الحميد، ط. (دار عين) القاهرة ١٩٩٧م، ص٩٢.
انظر أيضًا:

Nicolle, David, Romano-Byzantine Armies 4th-9th centuries, London, 1992, p.6-7.

(١٠) Maurikios, op.cit, 263.

(١١) جلانفيل داوني: القسطنطينية في عهد جستنيان، ترجمة. فاروق أنيس، ط (وزارة الثقافة والشباب)، عمان الأردن، ١٩٨٢م، ص٥٦.

(١٢) زبيدة عطا: المقاتل البيزنطي، مجلة التاريخ والمستقبل، كلية الآداب، جامعة المنيا، مج ١، العدد ١، ١٩٩١م، ص ١٢٦- ١٢٨.

(١٣) Maurikios, op.cit, p. 355-361.

(١٤) زبيدة عطا: المقاتل ، ص١٣٠.

وعن طريقة المبارزة بين رجلين من الجيشين يصف لنا بروكوبيوس مشهدًا تفصيليًا لهذا الأمر في حرب القوط والبيزنطيين. للتفاصيل انظر:

بروكوبيوس: الحروب القوطية، ترجمة. عفاف صبره، ط. (دار الكتاب الجامعي)، القاهرة ١٩٨٧م، ج١، ص١٤٢، ج٢، ص١٠٢.

(١٥) العلامة الشهير ابن خلدون توفي عام ١٤٠٦م/٨٠٨هـ، ورغم كونه متأخراً زمنياً عن الفترة موضوع الدراسة الإ أنه وضع توصيفاً هاماً ودقيقاً لأنواع الحرب.

ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج١، ط ٤ (دار التراث العربي)، بيروت.د.ت،ص ٢٧١.

(١٦) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، ص ٢٧١.

(١٧) Maurikios, op.cit, p. 115-119

(١٨) كارل فون كلاوزفيتز: الوجيز، ص ١٤١.

(١٩) زبيدة عطا: المقاتل، ص١٢٦-١٢٨.

(٢٠) زبيدة عطا: المقاتل، ص ١٨٣.

(٢١) Arnott, Peter, The Byzantines and their world, U.S.A, 1973, p. 106-109.

(٢٢) Arnott, The Byzantines, p. 110.

(٢٣) جورج كاستيلان: تاريخ الجيوش، ترجمة. كمال دسوقي، ط (مكتبة النهضة المصرية)، القاهرة، ١٩٥٦م، ص ٢٦؛ نورمان بينز: الإمبراطورية، ، تعريب حسين مؤنس و محمود زايد، ط٢. القاهرة (الدار القومية للطباعة والنشر) ١٩٥٧م، ص١٨٤.

(٢٤) ابن خلدون: العبر، ج١، ص٢٧٢.

(٢٥) محمد عبد العزيز منصور: في عالم الحرب ،ط(دار الاعتصام) القاهرة،١٩٧٤م، ص١٤-١٥.

(٢٦) داوني: القسطنطينية، ص٥٦.

(٢٧) داوني: القسطنطينية، ص٥٦.

(٢٨) ولد بليزاريوس عام ٥٠٥م وكان صديقا حميمًا للإمبراطور جستنيان. بدأ نجمه يلمع بعد معركة دارا عام ٥٣٠م، ثم عُين قائدًا عاماً للشرق. وفي عام ٥٣٢م قضى هو والقائد نارسيس على ثورة نيقا في العاصمة. أرسله جستنيان للحرب ضد الوندال. ويوصف بأنه كان رجلاً أنيقًا وقائدًا مثاليًا ذا هيبة، وسنُفرد له صفحات في البحث في حديثنا عن قادة الجيش في عهد جستنيان.

بروكوبيوس: الحروب القوطية ، ج١، ص٥٥ حاشية٢١؛ ج٢، ص٧٩-٨٨/١١١، انظر أيضًا:

Arnott, The Byzantines, pp. 107-108.

(٢٩) فرق البوكلاري هم مرتزقة الجرايات أو التموين، وتسميتهم بهذا الاسم نسبة إلى الخبز أو الجراية فهم يخدمون مقابل جرايتهم.

داوني: القسطنطينية، ص٥٦.انظر أيضا:

Oman, History of the Art of War in the Middle Ages, London, 1924, V.I, p.26; Nicolle, Romano-Byzantine, p.7; Arnott, The Byzantines, p.101.

انظر أيضًا:

إسحاق عبيد: من ألاريك إلى جستنيان، ط (دار المعارف)، القاهرة، ١٩٧٧م، ص١٣٥، رنسيمان: الحضارة، ص١٦١، نورمان بينز: الإمبراطورية البيزنطية، ص١٧٣.

(٣٠) Oman, History of the Art of war, V.I, pp. 26-27.

انظر أيضا :داوني: القسطنطينية، ص٥٦.

(٣١) Baynes & Moss: Byzantium an introduction to East Roman Civilization, Oxford, 1961, p. 299; Ostrogorsky, G, History of the Byzantine State, Eng. trans: Hussy, Oxford, 1936, pp. 222-223.

(٣٢) نورمان بينز: الإمبراطورية البيزنطية، ص١٧٧.

(٣٣) رنسيمان: الحضارة، ص١٦١- ١٦٢. انظر أيضًا:

Oman, History of the Art of war, p. 26.

وقد وضع جستنيان مجموعة القواعد والقوانين التي تحدد سلطات القادة وحقوقهم وسلطتهم عن ذلك انظر

. Keen, M. H., The Laws of War in the Late Middle Ages, Toronto, 1965, p. 16-17.

(٣٤) كاتافراكتي هم من الفرسان المسلحين تسليحاً ثقيلاً و المتحصنين بدروع الزرد، على نهج النظام الفارسي، ويضيف رنسيمان أنهم الجند الراكبة ومسلحين بالقوس ولا يرى من أجسامهم إلا الجزء المكشوف، فالدروع تغطيهم حتى ساقيهم، وكانوا العنصر الفاصل في عدد كبير من المعارك في تلك الفترة ، حيث تستطيع تلك الفرق إصابة العدو من مسافات بعيدة.

نورمان بينز: الإمبراطورية، ص١٧١؛ رنسيمان: الحضارة، ص١٦١. انظر أيضا:

Arnott, The Byzantines, p. 106; Baynes, Norman H., The Byzantine Empire, London, 1962, p.132-133; C.M.H.V.II , p.11.

(٣٥) Procopius, History of the Wars, The Persian war, Books I-III, Eng. trans: H.B. Dewin L.C.L., London, p.7-9.

انظر أيضًا: رنسيمان: الحضارة، ص١٦١-١٦٢.

(٣٦) Procopius, The Persian war, p.5–7; also Oman, History of the Art of War, p. 25; Bury,J. B., The Imperial Administrative, British Academy, p. 53; Teall, John L., "The Grain Supply of the Byzantine Empire", in D.O.P. N.13, 1959. p.109.

(٣٧) أرثر كريستنسن: إيران فى عهد الساسانيين، ترجمة. يحيى الخشاب، ط (الهيئة المصرية العامة للكتاب) القاهرة،٢٠٠٦م، ص٣٥٣؛ داوني: القسطنطينية، ص٥٦.

(٣٨) فرق المحالفين تتألف من الشعوب البربرية التي تبعث بفرق مقاتلة لمساعدة البيزنطيين والعمل في خدمة جيشها مقابل المال ووفقًا لشروط معاهدات تعقد بينهم وبين الإمبراطورية. وهناك من يرى أن جند المحالفين نظام سيء للتجنيد لأن قائدهم هو الذي يعولهم ويجمعهم وليس الحكومة المركزية، وإن كانوا فرسان متمرسين ومحاربين ممتازين وكشافين مهرة، ولكن لم يكن من السهل انصياعهم للنظام العسكري.

نورمان بينز: الإمبراطورية. ص١٧٨؛ رنسيمان: الحضارة، ص١٦١ - ١٦٢؛ داوني: القسطنطينية، ص٥٦. انظر أيضًا: Nicolle, Romano-Byzantine, p.6.

. Teall, John, L., "The Barbarians in Justinian's Armies", in Speculum, Vol. 40, No. 2. (Apr., 1965), pp. 294-322.

(٣٩) طارق منصور: الجيش، ص٤١٧. انظر أيضًا: Oman, History of the Art of war, p. 26.

ومع ذلك يوجه للمشاة عدد من الانتقادات في تلك الفترة منها إنهم غير مدربين بصورة كافية، ولا يستطيعون التعامل مع خيول العدو وإن كانوا في الماضي يمثلون القوة الأساسية للجيوش الرومانية.

Macdowall, Simon & Embleton, Gerry, Late Roman Infantryman, pp. 236-565; A.D, Hong Kong, 1995, p.21, Lot, Ferdinand, L'art militaire et les armées au Moyen–Age en Europe et dans le Proche-Orient, T.I , Paris, 1946, p.32.

(٤٠) Oman, History of the Art of war , p. 26.

(٤١) Oman, History of the Art of war , p. 28.

(٤٢) جوزيف نسيم: تاريخ الدولة البيزنطية، ط (دار المعرفة الجامعية)، الإسكندرية،١٩٩٦م، ص٨١.

(٤٣) Oman, History of the Art of war, p. 27.

(٤٤) Maurikios, op.cit, p.193.

(٤٥) جيش الحدود أو فرق الحدود Limitanei كان عبارة عن فرق من الجنود المزارعين يعيشون على ماتغله الأرض، ويتألف من سكان المناطق التي تقع على أطراف الإمبراطورية، وهم أكبر عناصر الجيش عدداً ، وقد تناقص عددهم باستمرار نتيجة استغلال قادتها لهم اقتصاديًا وكانوا أقل تدريباً وكفاءة إذ ما قيسوا بالفرق الأخرى، خاصة جيش الميدان.

داوني: القسطنطينية، ص٥٥؛ إسحاق عبيد: من الإريك، ص١٣٢.

(٤٦) ضم جيش الميدان جنودًا يجندون من مقاطعات مثل إيلليريا وتراقيا وايسوريا، وكان أفضلهم جند ايسوريا وهي منطقة جبلية تقع جنوبي الأناضول. وجيش الميدان جيش متنقل يتألف من مجموعة مختلفة من القوات التي يمكن إرسالها في مهام خاصة.

داوني: القسطنطينية، ص٥٥؛ إسحاق عبيد: من الاريك، ص١٣٢.

(٤٧) الإمبراطور قسطنطين العظيم ولد في ناسيوس في داكيا عام ٢٧٤م كان أبوه أحد الأثرياء من شمال مقدونيا. وقسطنطين أول من اعترف بالمسيحية كإحدى الديانات الرسمية في الدولة في مرسوم ميلان ٣١٣م، وحكم كإمبراطور منفرد منذ عام ٣٢٣م.

رأفت عبد الحميد: الدولة والكنيسة، ج٢، ط٣ (دار قباء للطباعة والنشر) القاهرة، ١٩٩٩م، ص ١٠١-١١٤؛ زبيدة عطا: الدولة البيزنطية، ط (دار الفكر العربي) القاهرة.د.ت، ص١١٥-١٣٥.

(٤٨) داوني: القسطنطينية، ص٥٥.

(٤٩) داوني: القسطنطينية، ص٥٦؛ محمد الشيخ: تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ط (دار المعرفة الجامعية)، الإسكندرية، ١٩٩٤م، ص١٧٦. انظر أيضا: C.M.H.V.II , p.34.

(٥٠) الوندال شعب جرماني غزا بلاد الغال ثم طردهم القوط الغربيون إلى شمال إفريقيا، وقضى جستنيان على دولتهم بعد أن هزمهم قائده بليزاريوس. وقد ألصق باسم الوندال معنى التوحش والتخريب وإن كان البعض يرد على هذا الاتهام بأنه وُجِّه إليهم من قبل رجال الدين الكاثوليك لكون الوندال أريوسيين.

بروكوبيوس: الحروب، ج٢، ص٤٩ حاشية ٢٦ أيضا فايز نجيب اسكندر: الحياة الاقتصادية في الشمال الإفريقي في عهد الوندال، ط. القاهرة (مطبعة الجبلاوي) ١٩٨٨م، ص١٤-١٥، عبد الرحمن أحمد سالم: المسلمون والروم في عصر النبوة، (دار الفكر العربي) القاهرة، ١٩٩٧م، ص٢٠ حاشية ٢.

(٥١) القوط من قبائل الجرمان ومن أكثرهم عددًا وأشدهم خطرًا. سكنوا الركن الجنوبي الغربي من ساحل البحر البلطي وعرف لديهم نظام الملكية، وتأسست الإمبراطورية القوطية جنوب روسيا وشمال البحر الأسود، وانقسموا إلى قوط شرقيين وقوط غربيين.

بروكوبيوس: الحروب، ج٢. ص١٣. أيضًا:

إبراهيم طرخان: القوط والإمبراطورية الرومانية حتى نهاية القرن الرابع الميلادي، المجلة التاريخية المصرية، الجمعية التاريخية، مج٧، ١٩٥٧م، ص٢٤-٢٨.

(٥٢) اللمبارد من الشعوب الجرمانية حلوا محل القوط الشرقيين في إيطاليا، وانتهت دولتهم على يد شارلمان ملك الفرنجة وذلك في عام ٧٧٤م.

بروكوبيوس: الحروب، ج٢، ص٤٨ حاشية ٢٥، عبد الرحمن أحمد سالم: المسلمون، ص٢٧، حاشية١.

(٥٣) محمد عبد العزيز منصور: في عالم الحرب، ط (دار الاعتصام) القاهرة، ١٩٧٤م، ص ١٥؛ إسحاق عبيد: من الاريك، ص٥٦؛ زبيدة عطا: المقاتل، ص٨٤.

(٥٤) جورج كاستلان: تاريخ الجيوش، ص٢٧.

(٥٥) الغساسنة من القبائل العربية وهم بني غسان وفدوا من اليمن وقت تصدع سد مأرب وحلـوا بين عشائر قضاعة وسليح وجمعوها في كيان سياسي واحد ، وأول من ملك منهم جفنة بـن عمرو، واستعان بهم الروم في القرن الخامس لمراقبة غيرهم من القبائل العربية التي تجوب أطراف الجزيرة المتاخمة لبادية الشام، واعتبروهم أعوانهم ضد عرب الحيرة عمال الفرس، وقد تنصروا في عهد الحارث بن جبلة.

الأصفهاني: تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، ط. بيروت، د.ت، ص١١٤-١١٥؛ وهـب بن منبه: التيجان في ملوك حمير، تحقيق ونشر :مركز الدراسات والبحـوث اليمنيـة، ط٢ ،صنعاء، ١٩٧٩م،ص٢٩٧.

أسد رستم: الروم في سياستهم وحضاراتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بـالعرب، ج١،ط (دار المكشوف)، بيروت، ١٩٥٦م، ص١٨٧، طارق منصور: بيزنطة والعالم الخارجي، ج٢، ط (مصر العربية للنشر والتوزيع)، القاهرة، ٢٠٠٣م ، ص٢٣، حسين الـشيخ: العـرب قبـل الإسلام، ط (دار المعرفة الجامعية)، الإسكندرية، ٢٠٠٣م، ص١٦١.

(٥٦) الحارث الغساني هو الحارث بن جبلة أو الحارث الأكبر رفعه جستنيان لرتبة فيلارخـوس Phalarch. بسط الحارث سيطرته على كثير من قبائل عرب الـشام بمـساعدة الإمبراطـور جستنيان وذلك حتى يقيم خصمًا قويًا في وجه المنذر ملك الحيرة عامل الفرس.

أسد رستم: الروم ،ج١، ص١٨٧؛ جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٣، ط٢ (جامعة بغداد) ١٩٩٣م، ص٢٢١، طارق منصور: بيزنطة، ج٢، ص٢٣، حسين الشيخ: العرب، ص١٥٨-١٦٠.

(٥٧) بركوبيوس: التاريخ السري، ص٢٢.

Procopius, The Persian war, p.399. Also: Theophanes: The Chronicle of Theophanes, Eng. trans: Cyril Mango & Roger Scott, Oxford, 1997, p.352.

(٥٨) الفرنج هم من قبائل الجرمان وبروكوبيوس يذكرهم في كتاباته باسم الجرمان عامة. وهناك من يعرفهم بأنهم الشعب الذي تزعمه الميروفنجيون والكارولنجيون فيما يعرف الآن بفرنـسا وشمال اسبانيا.

بروكوبيوس: الحروب،ج٢، ص٧١/٢٠٨. أيضا: محمد الشيخ: دولة الفرنجـة وعلاقتهـا بالأمويين في الأندلس، ط ٢ (مؤسسة الثقافة الجامعية) الإسكندرية ،١٩٩٠م، ص١٣.

(٥٩) بروكوبيوس: الحروب القوطية، ج١، ص٢٩.

(٦٠) إسمت غنيم: إمبراطورية جستنيان، ط (دار المعارف) الإسكندرية،١٩٨٢م، ص٩٢ أيضًا:

Diell, Ch., History of the Byzantine Empire, pp. 26-28; C.M.H.V.II,P.32l; Whitting, Philip, Byzantium an Introduction, Oxford, 1982, p.20.

(٦١) داوني: القسطنطينية، ص ٥٤-٥٥.

وهناك تعليق يذكر عن الجيش البيزنطي في عهد جستنيان أنه كان جيش دولة تفضل التفاوض على القتال، وكانت تشتري أعداءها بدلاً من غزوهم.

Arnott, The Byzantines, p. 106.

(٦٢) التورماخات (المطرانة) وهم قادة الفرق المكونة للجيش وعندما يحين موعد المعركة يجمعهم القائد وكذلك أي رجل يجده مناسبًا ليأخذ مشورتهم فيما يجب وضعه من خطط.

طارق منصور: الجيش، ص٣٩٥؛ بينز: الإمبراطورية، ص١٧٥.

(٦٣) طارق منصور: الجيش، ص٣٨٣.

(٦٤) بروكوبيوس: الحروب القوطية، ج١، ص ٥٧/٢٩.

(٦٥) Procopius, The Persian war, pp.397-399.

(٦٦) Procopius, The Persian war, p.427 - 429.

انظر أيضًا: عبد الحفيظ محمد علي: قوة الوندال، ص٨٩ حاشية ٦.

(٦٧) بروكوبيوس: التاريخ السري، ايضا: Lot, L'art militaire ,p.32-33

(٦٨) داوني: القسطنطينية، ص٥٦.

(٦٩) إسحاق عبيد: من الاريك، ص١٣٤ أيضًا Arnott, The Byzantines, p. 113

يصف بروكوبيوس أنطونينا زوجة بليزاريوس بأنها تفعل المستحيل وقد كال لها أصناف من السباب في كتابه التاريخ السري، وقد صاحبت زوجها في حملته ضد الوندال وكانت ماهرة في حفظها لمياه الشرب داخل سفينة القيادة إذ خزنتها في أواني زجاجية وغطتها بالرمال في باطن السفينة مما يشير لذكائها ودورها الجيد لجانب زوجها.

Procopius, The Persian war, p. 243. also: Evans, J.A. S., The Empress Theodora partner of Justinian, Texas, 1997, p. 91; Cesaretti, Poola, Theodora Empress of Byzantium, Eng. trans: Rosamma. M., U.S.A., 2004, p. 224 - 225.

بروكوبيوس: التاريخ السري، ص٥١-٥٨؛ إبراهيم طرخان: شمالي إفريقيا والوندال ٤٣٩-٥٣٤م، المجلة التاريخية المصرية (الجمعية المصرية للدراسات التاريخية) مج١١، عام ١٩٦٣م، ص١٤٨.

(٧٠) بسام العسيلي: الحرب والحضارة، ط(المؤسسة العربية للدراسات والنشر)، بيروت، ١٩٧٩م، ص١٥٨.

وجاءت نهاية بليزاريوس على يد جستنيان الذي عزله بسبب توجسه منه لكثـــرة انتـــصاراته وحرم من كل دعم وتفرق حرسه الخاص ولم يسمح له بالاتصال بأصدقائه ولم يـــسمح لهـــم بمساعدته وصودرت أمواله وعاش ما بقى من حياته في زوايا النسيان. للمزيد انظر:

بركوبيوس: التاريخ السري، ص٦٧ أيضا؛ بسام العسيلي: الحرب، ص١٥٨حاشية ٦٩.

ولعل مقولة بليزاريوس عن الحرب والسلم توافق رأي الإمبراطور ليـــو الـــسادس Leo VI (٨٨٦-٩١٢م) في كتابه Tactical أن السلام يفضل عن الحرب.

Dennis,Gearg T., "The Byzantines in Battle", in Byzantium at War Book, Athens, Institute for Byzantine Studies, 1997, p.165.

(٧١) Maurikios, op.cit, p16-18; Three Byzantine Military, p.21. also Teall, The Grain Supply, p. 109.

(٧٢) يصف بروكوبيوس نارسيس بأنه وصيًا على الكنوز الملكية وأنه حاد الذكاء كثيـــر النـــشاط، وأنه كان طواشي وعين رئيسًا لهذه الطائفة في الحرس الإمبراطوري. وقد وصف بأنه قائـــد بارع ورجل حرب من الدرجة الأولي.

بروكوبيوس: الحروب، ج١، ص٢٠٦. أيضًا:

Cesaretti, Thodora Empress, p. :261; C.M.H.V.II, p. 11-12.

(٧٣) إسحاق عبيد: من الاريك، ص١٣٥. أيضًا:

Oman, History of the Art of War, p. 32; Lot, L'art militaire, p. 33.

(٧٤) Ostrogorsky, State, p. 65.

(٧٥) Arnott, The Byzantines, p. 105.

(٧٦) جوزيف نسيم: الدولة ص٨١.

(٧٧) إسحاق عبيد: من الاريك، ص١٣٢.

(٧٨) إسحاق عبيد: من الاريك، ص١٣٢.

(٧٩) Maurikios, op.cit, p.355.

(٨٠) كسري أنوشروان (٥٣١-٥٧٩م) ملك بعد والده قباذ، واسمه يعني صاحب المجـــد التقـــي، ولقبه الفرس بأنوشروان أي الروح الخالدة، وكان رجلاً شديدًا أعاد الأمور إلى أحوالها ونفى رءوس المزادقة، ملك سبعًا وأربعين سنة وشهور، وكان شديد الذكاء وتمتع مثل أبيه بـــسمعة كبيرة، وقع صلحاً مع البيزنطيين لمدة خمسين عامًا.

ابن قتيبة: المعارف، ص٦٦٣-٦٦٤؛

بروكوبيوس: الحروب، ج٢، ص٤٩ حاشية ٢٧؛ أيضًا نبيه عقيل: الإمبراطورية البيزنطية، ط.دمشق، ١٩٦٩م ، ص٦٦. أيضًا: ول.ديورانت: قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، مج٦ ، ط. (الهيئة المصرية العامة للكتاب) القاهرة، ٢٠٠١م، ص٢٩٠-٢٩١. انظر أيضًا:

Evans,J.A.S, The Age of Justinian, New York, 2000, p.118; Gauthier,Guy, Justinien. Le rêve impérial, Paris, 1999, p. 244.

(٨١) Procopius, The Persian war, p.262-263.

(٨٢) Procopius, The Persian war, p. 427.

(٨٣) Maurikios, op.cit, p.357.

(٨٤) الهون من الجنس المغولي وهم من القبائل التي غزت الإمبراطورية الرومانية مدفوعة من الشرق تحت ضغط قبائل أخرى وجهت مسيرتها صوب الغرب، وبدأ تهديدهم لأراضي الإمبراطورية منذ القرنين الأول والثاني الميلاديين.

إدوارد جيبون: اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، ترجمة: محمد سليم سالم ،ج٢، ط٢ (الهيئة المصرية العامة للكتاب)، القاهرة، ١٩٩٧م، ص٢٣٧-٢٣٨. زبيدة عطا: الدولة البيزنطية، ص٩٧.

Gordon,C. D., The Age of Attila Fifth-Century Byzantium and the Barbarians, Michigan, 1966, p.57.

(٨٥) Procopius, The Persian war, p. 265; Theophanes: The Chronicle, p.267.

(٨٦) بروكوبيوس: التاريخ السري، ص٦٠. أيضًا:

Procopius, The Persian war, p. 399.

ويتحدث كدرينوس بشكل مفصل عن انقسام الهون إلى قبائل بعضها متضامن مع الفرس وأخرى تؤيد الروم وعن الحروب بينهم.

Cedrenus: Compendium Historiarum, ed. J. P. Migne, P.G.T. 121 , p.644.

(٨٧) Maurikios, op.cit, p. 359.

(٨٨) Maurikios, op.cit, p. 359.

(٨٩) Procopius, The Persian war, p.399.

(٩٠) Arnott, The Byzantines, p. 110.

(٩١) Maurikios, op.cit, p.355-361.

وقد ضم الجيش الفارسي آلافًا من المرتزقة الهون البيض الذين تم شراؤهم بأسعار باهظة. للمزيد انظر:

Guy, Justinien, pp. 242-248. also

آرثر كريستنسن: إيران، ص٢٠٠.

(٩٢) ابن خلدون: العبر، ج١، ص٢٧٣. أيضًا : آرثر كريستنسن: إيران، ص١٩٨.

(٩٣) دارا قلعة قرب الفرات تقع بين نصيبين وماردين، وكانت تدعى حصن الإمبراطورية الرومانية، وهي مدينة حدودية هامة بين الدولتين البيزنطية والفارسية. ويذكر ميخائيل السرياني أن بين بنائها وخرابها ٧٢ سنة. وتُنسب إلى ملك الفرس دارا بن قباد، وتقع حاليا في تركيا مقابل مدينة عامودة.

أسد رستم: الروم، ص١٩٢. أيضًا: ميخائيل السرياني: حولية ميخائيل السرياني، ترجمة غريغوريوس يوحنا، ج٢، ط. (دار ماردين)، حلب، ١٩٩٦م، ص ٢٠١. ابن البلخي: فارس نامه، ترجمة يوسف الهادي، ط (الدار الثقافية للنشر)، القاهرة ٢٠٠١م، ص٦٠ حاشية ٢.

Theophanes: The Chronicle, p.365. also Evans, The Age of Justinian, p. 117; Stein, Ernest, Histoire du Bas-Empire, t.II, Amsterdam, 1949, p. 294.

(٩٤) هي وظيفة هامة في البلاط وتساوي وظيفة مستشار الدولة ثم أعطى هذا اللقب إلى قادة الجيش وخاصة قادة سلاح الفرسان والمشاة.

فايز نجيب اسكندر: مصنف نقفور برينيوس، قسطنطينة، ١٩٨٤م، ص٥٠ حاشية ٥٠.

(٩٥) Irfan Shahid, Byzantium and the sixth century, V. I, Washington, D.C., p.131.

وهناك من يذكر أن بليزاريوس حصل على هذا اللقب عام ٥٤٨م وآخرين يذكرون أنه حصل عليه عام ٥٣٤م وليس كما يذكر عرفان شهيد عام ٥٢٩م. ولعل الرأي الأخير هو الأقرب للصواب.

C.M.H.V.II,P.28

Jones,A.H.M, The Later Roman Empire 284-602, Oxford, 1964, p. 290.

(٩٦) Dawney,Glaville, The Persian Campaign in Syriain A.D. 540, Speculum, v. 28, no.2, Apr. 1953, p. 343; Oman, History of the Art of War, p. 27.

(٩٧) Maurikios, op.cit, p. 355.

(٩٨) Theophanes: The Chronicle, p. 274. Also Teall , The Barbarians, p. 298.

(٩٩) Oman, History of the Art of War, p. 28, Also Maurikios, op.cit, p. 35.

(١٠٠) Maurikios,op.cit, pp. 115-119.

(١٠١) ويذكر عرفان شهيد أنه تم الاستعانة بقوات الحارث في ردع ثورة السامريين اليهود وإنهم من القوات التي تدعم فرق الفرسان التي حققت النصر في دارا. ويذكر أن المؤرخ ملالاس قد ذكر مشاركة الحارث في الوقت الذي تجاهلها بروكوبيوس.

Irfan Shahid, Byzantium, p. 131.

(١٠٢) Theophanes: The Chronicle, p.264.

(١٠٣) Oman, History of the Art of war, p. 28, also Procopius, The Persian war , p. 109.

(١٠٤) Procopius, The Persian war, p. 109.

(١٠٥) Oman, History of the Art of war, p. 29.

(١٠٦) Theophanes: The Chronicle ,p.274.

(١٠٧) قباذ بن فيروز (٤٨٧-٥٣١م) Khawad تولي بعد أخيه بلاش وكان ملكه ثلاثة وأربعين عامًا كان ضعيفًا في ولايته مهينا فوثب مزدق وأصحابه على الناس وسلبوهم أموالهم ونساءهم. وقد توفي قباذ في ١٣ سبتمبر ٥٣١م وتولي بعده ابنه خسرو أو كسرى كما يعرف عند العرب.

ابن قتيبه: المعارف، حققه ثروت عكاشة، ط٤ (دار المعارف)، القاهرة، ١٩٨١م، ص٦٦، ابن البلخي: فارس نامه، ص٨٢-٨٤.

أيضًا:

Theophanes: The Chronicle, p. 274, also Stein, Histoire du Bas-Empire, t.II, p. 294; Diell, History of Byzantine Empire, p. 26.

(١٠٨) ميرام من قادة الفرس المشهود لهم بالكفاءة، وكانت تحت قيادته قوة فارسية كبيرة تقدر بحوالى ٤٠ ألف رجل.

Theophanes: The Chronicle, p. 274. also Ferdinand Lot and others, Histoire du Moyen-Age, Paris, 1940, T.1, p. 30.

(١٠٩) مدينة نصيبيين Nisibis تقع قبالة مدينة دارا في العراق

Procopius, The Persian war, p. 431.

أيضًا: أسد رستم: الروم، ج١، ص١٩٢.

(١١٠) Theophanes: The Chronicle ,p.264.

(١١١) هم من الشعوب التي تحالفت مع الإمبراطورية البيزنطية وجاء ملكهم المدعو جريتس Gretas إلى القسطنطينية وتنصر هو ومستشاروه وتعهد بمساعدة البيزنطيين عسكرياً وذلك في عام ٥٢٨م.

Cedrenus: Compendium, p. 642. Also. Teall, The Barbarians, pp. 299-300.

(١١٢) Oman, History of the Art of War, p. 28 – 29.

(١١٣) فرقة الخالدين هي من الفرق المميزة عند الفرس، وتشتهر بمهارتها في القتال وشجاعة أفرادها حيث يتم اختيارهم بعناية. وتتكون من عشرة آلاف رجل وكانوا يرتدون قلنسوة ذات علامات تميزهم.

Oman, History of the Art of War, p. 28; Lot, Histoire, T.1, p.208.

آرثر كريستنسن: إيران، ص١٩٨ .

(١١٤) Oman, History of the Art of war, p. 28 – 29.

(١١٥) Strogorsky, State, p. 69; Hoyt, Robert, S., Europe in Middle Ages, U.S.A, 1967, p.10.

(١١٦) بدأ مناوشات تلك المعركة المنذر اللخمي ملك الحيرة وعميل الفرس الذي أغار على أنطاكية وتوغل في أرض الروم وقد اشترك الحارث بن جبلة ملك الغساسنة في تلك الحرب إلى جانب الروم، ومدينة كلينيكوم التى دارت فيها المعركة هي مدينة الرقة الفراتيه، ومن شروط معاهدة السلام التي وقعت بين الطرفين بعد ذلك أن تكون دارا منزوعة السلاح،كان جستنيان يرغب في سرعة إنهاء الحرب مع الفرس لإرسال قواته لحرب الوندال.

أسد رستم: الروم ،ج١، ص ١٨٦؛ جواد علي: المفصل، ج٣، ص٢٢١؛ حسين الشيخ: العرب، ص١٦٠؛ عبد القادر اليوسف: الإمبراطورية، ص٦٢ أيضًا

Diehl, Ch., History of Byzantine Empire, Eng. Trans: George. B. Ives, New York, 1969, pp.26-27; . Evans, The Age of Justinian, p.117; Irfan Shahid, Byzantium, pp.140-180.

عفاف صبره: الجزيرة الفراتية بين الصراع الفارسي البيزنطي من القرن الرابع الميلادي إلى الفتح الإسلامي، المجلة التاريخية المصرية، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، مج ٤٣، عام ٢٠٠٥م، ص١٠٢-١٠٣.

(١١٧) Theophanes: The Chronicle ,p. 276.

(١١٨) Three Byzantine Military Treatises, p.23.

(١١٩) محمود سعيد عمران: معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية،ط (دار النهضة العربية)، بيروت، ١٩٨١م، ٥٦؛ جوزيف نسيم: الدولة، ص٧٧؛ إبراهيم طرخان: شمالي إفريقيا، ص١٤٧. انظر أيضًا:

Nicolle, Romano-Byzantine, p. 7.

(١٢٠) Procopius, The Vandalic War, Books III-IV, Eng. trans: H.B. Dewin L.C.L., London, 1991, p. 107.

(١٢١) هناك قول إن الحملة تألفت من ١٦ ألف محارب بالإضافة لقوات التموين، وكانت القوات تضم حرس بليزاريوس الخاص وقوات من الحلفاء ٦٠٠ من الهون و٤٠٠ من الهيرول والبحارة من مصر والأناضول، وهناك من يجعل قوة الحملة ١٨ ألف مقاتل.
Oman, History of the Art of war, p. 30, C.M.H.V.II ,P.12-13. Also
داوني: القسطنطينية ،ص٥٨؛ إسحاق عبيد: من ألاريك، ص١٣٦ إبراهيم طرخان: شمالي إفريقيا، ص١٤٧.

(١٢٢) ذكر ثيوفانيس أسماء القادة المشاركين في الحملة تحت قيادة بليزاريوس بالتفصيل
Theophanes: The Chronicle, p. 288.
عبد الحفيظ محمد علي: قوة الوندال البحرية، (دار النهضة العربية)، القاهرة، ١٩٨٧م، ص٩٠.
ويذكر عرفان شهيد مشاركة العرب في حرب الوندال ضمن قوات بليزاريوس وانه ورد اسم زياد وهو اسم عربي ضمن القادة الذين أورد بروكوبيوس أسمائهم ضمن قوات المحالفين.
Irfan Shahid, Byzantium, p. 180 – 181.

(١٢٣) ثار الحاكم الوندالي على جزيرة سردينيا ويدعى جوداس Gaddas وهو قوطي الأصل دخل في خدمة الوندال، ثم أعلن خضوعه لجستنيان، وبالفعل أرسل له الإمبراطور قوات لتساعده، وأرسل جليمر حملة من خمسة آلاف جندي لقمعه و١٢٠ سفينة مما حرمه من الإستفادة من هذه القوات في مواجهة البيزنطيين،كما اندلعت ضد الوندال ثورة أخرى في مدينة طرابلس .
Procopius, History of the Wars, The Vandalic War, Books III-IV, Eng. trans: H.B. Dewin L.C.L., London, 1991, pp.195-197; Theophanes: The Chronicle, p. 288, also
عبد الحفيظ محمد على: قوة، ص٩٢-٩٣؛ داوني: القسطنطينية، ص٥٧، إبراهيم على طرخان: شمالي إفريقيا ٥٣٤م، ص١٤٦.

(١٢٤) كابوت فادا أو رأس كابوديا ميناء يقع على بعد حوالي مائة واثنين وستين ميلاً من قرطا ج و ٦٦ ميلاً من سوسه ويقع في تونس الحالية ، ويشير البعض إلى أنها مكان في ليبيا. وكانت ولاية شمال إفريقيا تضم المنطقة من ليبيا إلى المغرب.

محمود سعيد عمران: مملكة الوندال في شمال افريقيـــة، ط(دار المعـــارف)، الإســـكندرية، ١٩٨٥م، ص٩٧، إبـــراهيم طرخـــان: شـــمالي إفريقيـــا، ص١٤٨، عبـــد القـــادر اليوسف:الإمبراطورية البيزنطية، ط (المكتبة العصرية)، بيروت، ١٩٦٦م، ص٥٥. انظـــر أيضًا:

Nicolle, Romano-Byzantine ,p. 7.

(١٢٥) عبد الحفيظ محمد علي: قوة، ص٩٤-٩٥؛ إبراهيم طرخان: شمالي إفريقيا، ص١٤٨. انظر أيضًا:

Moorhead,John, Justinian, Singapore, 1994, pp.66-67; Guy, Justinien, p.135.

(١٢٦) ديكيوم كانت تبعد حوالي عشرة أميال عن قرطاج، ومكانها الآن غير معروف.

عمران: مملكة، ص١٠٠؛ إبراهيم طرخان: شمالي إفريقيا، ص ١٥٢.

(١٢٧) تريكامارروم تبعد ٢٠ ميل غرب قرطاج عند جدول ماء يعـــرف باســـم مجـــردا Mejerda ومكانها الآن غير معروف.

Procopius, The Vandalic War, p.219; Lot, Histoire, p. 37, also

عبد الحفيظ محمد على: قوة، ص٩٦؛ عمران: مملكة، ص١٣٢.

(١٢٨) Procopius, TheVandalic War, p.171-173; Guy, Justinien, p. 140.

(١٢٩) هليدريك ملك الوندال ابن الملك هونريك من زوجته الرومانية، زار القسطنطينية في عهـــد جستنيان وبعد عودته فتح الكنائس الكاثوليكية، ولذا لم يكن محبوبًا من الوندال الذين اعتبروه كاثوليكيًا، وانتزع منه العرش قريبه جليمر، وألقاه في السجن، وقوبل ذلك بالترحـــاب مـــن الوندال، مما دعي جستنيان للقدوم لحرب الوندال دفاعًا عن صديقه الملك المخلوع.

Moorhead, Justinian, p. 66; Jacquin, A.M, Histoire de L'Église, Paris, 1936, T.II, p. 429; Schmidt, L., Histoire des Vandales, Paris, 1953, p.156.

انظر أيضا عبد الحفيظ محمد على: قوة، ص٨٦، إسحاق عبيد: العصور الوسطى الأوربية، ط (مكتبة سعيد رأفت) جامعة عين شمس، د.ت، ص١٤٤-١٤٥.

(١٣٠) Procopius, The Vandalic War, pp. 141-143; Arnauld, Dominique, Histoire du Christianisme en Afrique, Paris, 2001, p.287; also

عبد الحفيظ محمد على: قوة، ص٩٤؛ إبراهيم طرخان: شمالي إفريقيا، ص١٤٩.

(١٣١) جليمر نبيل من بيت ملك الوندال جنـــزريك استغل السخط على سياســـة الملـــك هلـــدريك وشخصيته فدبر مؤامرة وجلس مكانه على العرش، وهناك من يقول إنه ابن أخت هليـــدريك

ملك الوندال ،وقد اغتصب العرش عام ٥٣١م، وكون جليمر اريوسيا، أتاح لجستنيان التدخل و اعلان الحرب على الوندال باسم الدين.

Procopius, The Vandalic War, p.155. Also Jacquin, Histoire, p.429.

أسد رستم: الروم ،ج١، ص١٨٧؛ عبد الحفيظ محمد علي: قوة، ص٨٦؛ إسحاق عبيد: من الاريك، ص١٣٦.

(١٣٢) إسحاق عبيد: من الاريك، ص١٣٧.

(١٣٣) إسحاق عبيد: من الاريك، ص ١٣٧.

Oman, History of the Art of War, pp. 29-30.

(١٣٤) Oman, History of the Art of War, p.29

(١٣٥) Procopius, The Vandalic War, p. 229, also Oman, History of the Art of War, p.229.

(١٣٦) عمران: مملكة، ص١٣٢ - ١٣٥ Procopius, The Vandalic War, p.219-221, also

(١٣٧) عمران: مملكة، ص١٣٣-١٣٤.

(١٣٨) فايز نجيب اسكندر: "الشمال الإفريقي في عهد الوندال في مصنف المؤرخ المعاصر فيكتور فيتتسس"، حولية التاريخ الإسلامي والوسيط، جامعة عين شمس، مج ٥، ٢٠٠٦-٢٠٠٧م، ص١٥٣ حاشية ٥٢.

(١٣٩) عمران: مملكة، ص٩٤. أيضا Schmidt, Histoire, p.160.

(١٤٠) Procopius, The Vandalic War, pp. 197-199; also Evans, The Empress Theodora, p. 220.

(١٤١) Procopius, The Vandalic War, p.229. also

محمد سالم حمدان: تاريخ دولة الوندال في إفريقيا، ط(المكتب الجامعي الحديث)، القاهرة، ٢٠٠١م، ص١٢٩؛ نورمان بينز: الإمبراطورية، ص٥٧.

(١٤٢) Procopius, The Vandalic War, p.221.

(١٤٣) Procopius, The Vandalic War, p. 219; Oman, History of the Art of War, pp. 29-30, also

عمران: مملكة، ص١٣٥؛ إبراهيم على طرخان: شمالي إفريقيا، ص١٤٧.

(١٤٤) Procopius, The Vandalic war, p.227- 229

انظر أيضًا: عمران: مملكة، ص١٣٥.

هناك رأي للمؤرخ لوت يقول فيه: إن الهون امتنعوا في أول المعركة عن المشاركة وكـان ذلك لخشيتهم من أن يبقيهم بليزاريوس في إفريقيا ،ثم سرعان ما هموا لمناصرة البيزنطيين.
Lot, L'art militaire ,p.38

(١٤٥) Theophanes: The Chronicle, p.293; Procopius, The Vandalic War, p.237, also Oman, History of the Art of war, p. 30.
إسحاق عبيد: من الاريك، ص١٣٧.
فرق المؤخرة كانت من الهيرول وقائدهم يدعى فاراس pharas وقد أحاطت بجبل بابوا حيث يختفي جليمر وأرسل له قائد الفرقة رسالة ودية ينصحه بالتسليم فسلم نفسه لهم.
Procopius, The Vandalic War, p.241 , also
إبراهيم طرخان: شمالي إفريقيا، ص ١٥٢؛ عبد القادر اليوسف: الإمبراطورية، ص٥٦.

(١٤٦) Oman, History of the Art of war, p. 30; C.M.H.V.II, p.13. Also
عمران: مملكة، ص١٣٦.

(١٤٧) بروكوبيوس: التاريخ السري، ص٢٣. Procopius, The Vandalic War, p.225-231, also

(١٤٨) Oman, History of the Art of war, p. 30, also
عمران: مملكة، ص١٣٦.

(١٤٩) Procopius, The Vandalic war, p231- 233.
بروكوبيوس: التاريخ السري، ص٢٣ Theophanes: The Chronicle ,p. 293.

(١٥٠) أسد رستم: الروم، ج١، ص١٨٨.

(١٥١) عبد القادر اليوسف: الإمبراطورية، ص٥٩.

(١٥٢) يتحدث بروكوبيوس عن أعداد قوات الحملة البحرية وجنسياتهم وكذلك عن خطاب وجهـه الإمبراطور لزعماء الفرنج يدعوهم فيه للانضمام له في حرب القوط.
بروكوبيوس: الحروب،ج١،ص٥٦-٥٧ انظر أيضًا : Arnott, the Byzantines, p. 108.

(١٥٣) بروكوبيوس: الحروب،ج٢، ص٨٧/ ١٢٠.

(١٥٤) توتيلا كان رجلاً حذرًا شجاعًا لامعًا يحظى باحترام كبير بين القوط.
بروكوبيوس: الحروب،ج٢،ص٩٤-٩٥. انظر أيضًا: C.M.H.V.II ,P.16
إسحاق عبيد، العصور الوسطى، ص ١٩٦.

(١٥٥) بروكوبيوس: الحروب،ج١، ص٢٠٦/ ج٢، ص ١٣٤. انظر أيضًا:
Oman, The Byzantine Empire, New York, MDCCCXII, p. 95.
أسد رستم: الروم،ص١٨٨-١٩٠؛إسحاق عبيد: من الاريك، ص١٤٢، إسحاق عبيد:العصور الوسطى.ص١٩٤

(١٥٦) Oman, History of the Art of war, p. 31; Moorhead, Justinian, p.88; Guy, Justinien, p.202.
وهناك رأي لأحد الباحثين يقول أن الدارس للإستراتيجية الحربية في إيطاليا لن يحظي بالكثير من المعلومات ،لأنها حروب غير متماسكة أو منظمة وإنما سلسلة من المعارك الفردية التي يتم فيها الاستيلاء على مدن ثم استعادتها وهذه هي نموذج الحرب الإيطالية.انظر أيضا:
Arnott, The Byzantines, p. 107.

(١٥٧) بروكوبيوس: الحروب، ج١، ص٥٧.

(١٥٨) Norman H. Baynes, The Byzantine, p.144.

(١٥٩) Procopius, TheVandalic war, p.189, also
فايز نجيب اسكندر: الحياة، ص٤٩.

(١٦٠) Arnott, The Byzantines, p. 109 – 113.

(١٦١) يعلق بروكوبيوس على رغبة القوط في منح التاج لبليزاريوس أنهم كانوا يفضلون التفاوض معه عن التفاوض مع الإمبراطور،ويذكر جي أن القوط عرضوا هذا العرض على بليزاريوس بغرض الإيقاع بينه وبين جستنيان مما يحقق لهم النصر وحماية دولتهم.
بروكوبيوس: الحروب، ج٢، ص٧٨.انظر أيضًا:
Arnott, The Byzantines, p. 105; Guy, Justinien, p.203

(١٦٢) بروكوبيوس: الحروب، ج٢، ص٧٨-٧٩ ؛ أيضا إسحاق عبيد: من الاريك، ص١٤٥.

(١٦٣) Arnott, The Byzantines, p. 113.

(١٦٤) بروكوبيوس: التاريخ السري، ص٧١.

(١٦٥) بروكوبيوس: التاريخ السري، ص٧١-٧٢، أيضًا: إسحاق عبيد: العصور الوسطى، ص١٩٩.

(١٦٦) إسحاق عبيد: من الاريك، ص١٥١.

(١٦٧) ثيودبرت ملك استرازيا Austrasieحاول في عام ٥٣٩م التدخل في إيطاليا والحصول علـــى املاك لنفسه هناك،فقام بمهاجمة شمال ايطاليا ،ونهب وقتل بلا تميز ومات عام ٥٤٨م.
C.M.H.V.II, P.19; Oman, History of the Art of war, p.54; Lot, L'art militaire, p.40; Lot, Histoire, T.1, p.208.

(١٦٨) إسحاق عبيد: العصور الوسطى، ص ١٩٤.
Moorhead , Justinian, p.83; Casaretti: Theodora, p. 253.

(١٦٩) تاجيناى أو تجناناى تقع في جبال الابنين للمزيد انظر
Oman, The Byzantine Empire, p. 95.
إسحاق عبيد: العصور الوسطى، ص٢٠١.

(١٧٠) Oman, History of the Art of war, P. 33.C.M.H.V.II , pp.16-18.

(١٧١) بدويلا يعتبر من أنبل شخصيات القرن السادس الميلادي وأول فرسان العصور الوسطى كما كان يطلق عليه، اتصف بالشجاعة والعدل، مما حدا بالمؤرخين البيزنطيين لمدحه.
Oman, The Byzantine Empire, pp. 92, 95; Stein, Histoire du Bas-Empire, p.567.

(١٧٢) Oman, History of the Art of war, p. 33.

(١٧٣) Oman, History of the Art of war, p. 34.

(١٧٤) بروكوبيوس: الحروب، ج٢، ص٥٩٨ - ٩٩. انظر أيضًا
Oman, History of the Art of war, p.35.

(١٧٥) Maurikios, op.cit, p. 121.

(١٧٦) Oman, History of the Art of war, p. 35.

(١٧٧) يذكر بروكوبيوس أن بدويلا جرح جرحًا مميتًا في بداية المعركة وأن رجالــه قــاتلوا دون قائد، وإن ذكر آخرون أنه فر من المعركة وذبح بواسطة فرقة صغيرة من الفرســان الــذين تعقبوه
بروكوبيوس: الحروب،ج٢، ص١ انظر أيضا: Oman, The Byzantine empire, p. 95.

(١٧٨) إسحاق عبيد: من الاريك ،ص١٥١ Oman, History of the Art of war, p. 35,

(١٧٩) Lot, L'art militaire, pp.40-41; Diel, History, p. 25. C.M.H.V.II , p.18.

(١٨٠) بروكوبيوس: الحروب ،ج٢، ص٥٨؛ أيضًا: إسحاق عبيد: من الاريــك، ص١٥٢-١٥٣. إسحاق عبيد: العصور الوسطى، ص ٢٠٣ .
C.M.H.V.II ,P.19

(١٨١) Oman, History of the Art, p. 36, . Jones, The later Roman, p.290.

(١٨٢) Jones, The later Roman, p.292; Lot, L'art militaire, pp.40-41

(١٨٣) Oman, History of the Art, p. 36.

(١٨٤) Lot, L'art militaire, p. 42.

(١٨٥) Oman, History of the Art, p. 36.

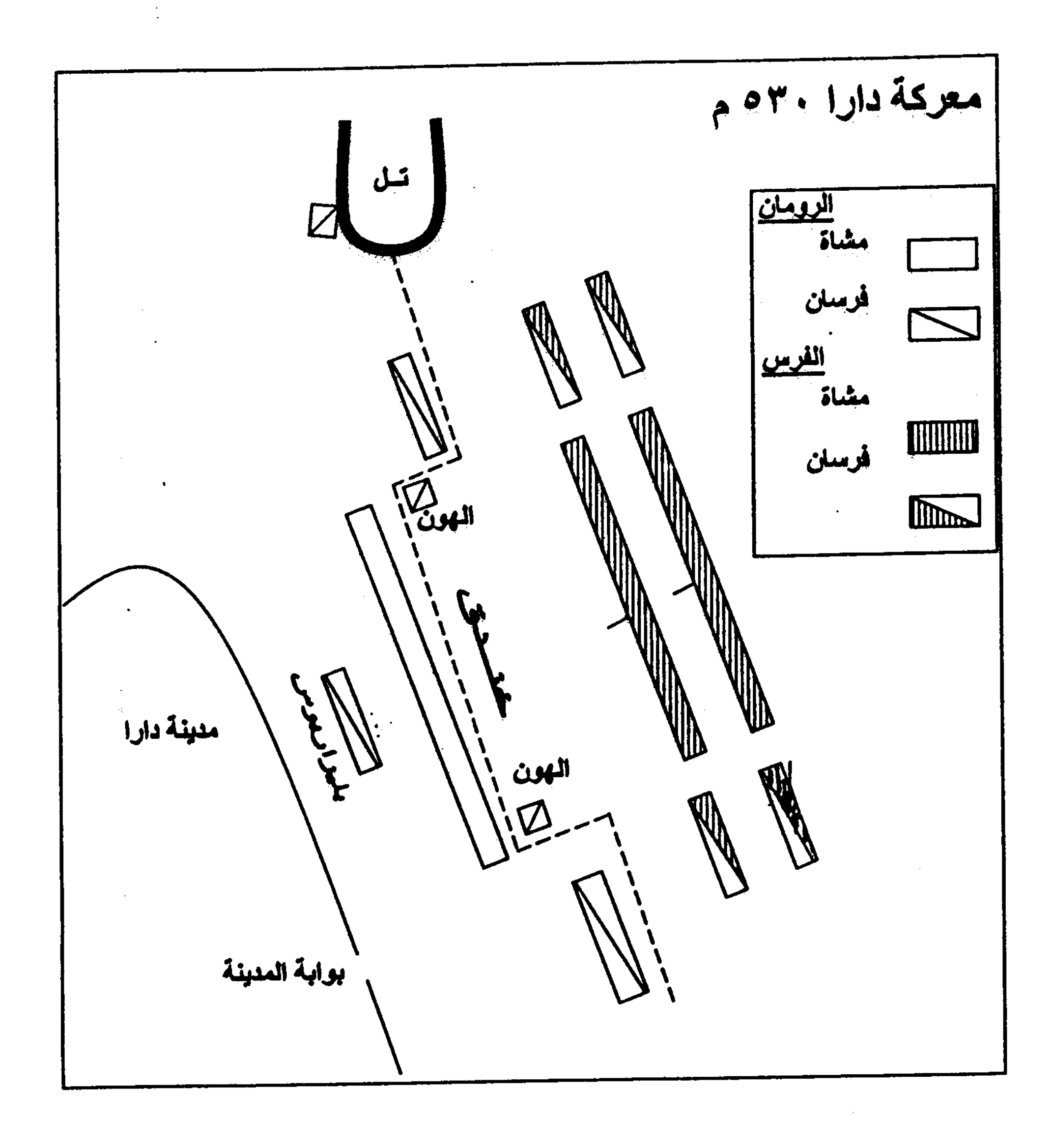
(١٨٦) Lot, L'art militaire, p. 42.

(١٨٧) إسحاق عبيد: العصور الوسطى، ص٢٠٣. أيضًا Lot, L'art militaire, p. 42.

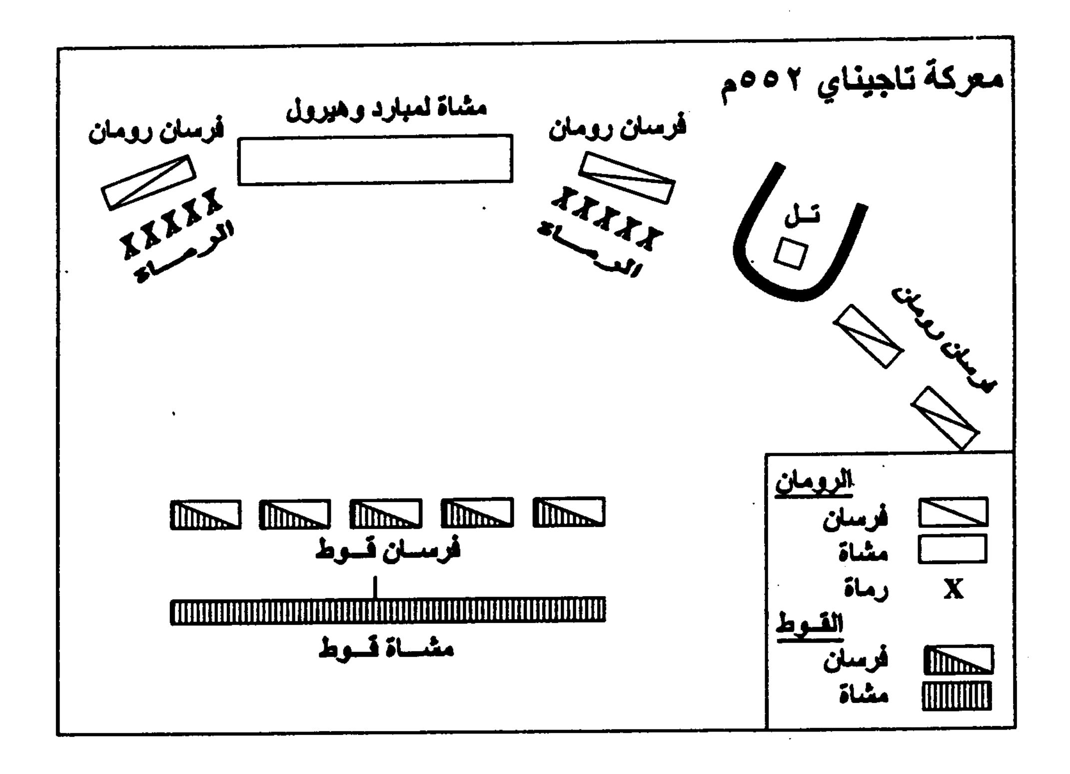
(١٨٨) Lot, Histoire,T.1, pp. 208-209; Lot, L'art militaire, p. 42.
Oman, History of the Art, p. 36.

(١٨٩) وإن كانت تلك الرواية عليها مآخذ كثيرة من المتخصصين في فن القتال حيث يرون أن فكرة الضرب في الظهر صعبة وغير ممكنة لأن مدى السهم أقصر من أن يصل إلى ظهر العدو الموجود في الجانب الآخر من ساحة المعركة إلا إذا كانت تلك الساحة لا يصل عرضها إلى مائتي متر، ومع ذلك فهناك من يتقبل تلك الرواية ويأخذ بها، ولعل قولنا السابق عن استخدام الرماح يحقق نظرية قرب المسافة في ساحة القتال بما يحقق جزءًا من الرواية ولكن استخدامها في ظهر الأعداء يبقى بعيد التصديق.
Lot, L'art militaire, p. 42.

(١٩٠) Oman, History of the Art, p. 36 – 37; Lot, L'art militaire, p. 42.



معركة دارا ٥٣٠ م
تـل
الرومان
مشاة
فرسان
الفرس
مشاة
فرسان
الهون
الهون
مدينة دارا
بوابة المدينة



معركة تاجيناي ٥٥٢م
مشاة لمبارد وهيرول
فرسان رومان
فرسان رومان
الرماة
تل
فرسان قوط
مشاة قوط
الرومان
فرسان
مشاة
رماة
X
القوط
فرسان
مشاة

قائمة المصادر والمراجع العربية

إبراهيم طرخان : "القوط والإمبراطورية الرومانية حتى نهاية القرن الرابع الميلادى"، المجلة التاريخية المصرية، الجمعية التاريخية، مج ٧، ١٩٥٧م.

----------: "شمالى إفريقيا والندال ٤٣٩- ٥٣٩م"، المجلة التاريخية المصرية، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، مج١١، ١٩٦٣م.

ابن البلخى: فارس نامه، ترجمة يوسف الهادى، ط(الدار الثقافية للنشر)، القاهرة، ٢٠٠١م.

ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر، ط ٤ (دار التراث العربى)، بيروت . د.ت.

ابن قتيبة: المعارف، حققه. ثروت عكاشة ، ط٤ ، (دار المعارف)، القاهرة، ١٩٨١م.

ادوارد جيبون: اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، ترجمة. محمد سليم سالم، ط٢، (الهيئة المصرية العامة لكتاب)، القاهرة، ١٩٩٧م.

اسحاق عبيد: العصور الوسطى الأوربية، ط (مكتبة سعيد رأفت)، القاهرة، د.ت.

--------: من الاريك إلى جستنيان، ط (دار المعارف)، القاهرة، ١٩٧٧م.

أسد رستم: الروم فى سياستهم وحضاراتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، ط (دار المكشوف)، بيروتن ١٩٥٦م.

أسمت غنيم: إمبراطويرة جستنيان، ط (دار المعارف)، الإسكندرية، ١٩٨٢م.

الأصفهانى: تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء، ط . بيروت، د.ت.

بروكوبيوس: الحروب القوطية، ترجمة. عفاف صبره، ط (دار الكتاب الجامعى)، القاهرة، ١٩٨٧م.

--------: التاريخ السرى، ترجمة صبرى أبو الخير، ط (دار عين)، القاهرة، ٢٠٠١م.

بسام العسيلى: الحرب والحضارة ، ط (المؤسسة العربية للدراسات والنشر)، بيروت، ١٩٧٩م.

ج.م. هسى: العالم البيزنطى، ترجمة . رأفت عبد الحميد، ط (دار عين)، القاهرة، ١٩٩٧م.

جلانفيل داونى: القسطنطينية فى عهد جستنيان، ترجمة . فاروق أنيس، ط (وزارة الثقافة والشباب)، عمان الأردن، ١٩٨٢م.

جواد على: المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، ط ٢ (جامعة بغداد) ١٩٩٣م.

جورج كاستيلان: تاريخ الجيوش، ترجمة. كمال دسوقى، ط (مكتبة النهضة المصرية)، القاهرة، ١٩٥٦م.

جوزيف نسيم: تاريخ الدولة البيزنطية، ط (دار المعرفة الجامعية)، الإسكندرية، ١٩٩٦م.

حسين الشيخ: العرب قبل الإسلام، ط (دار المعرفة الجامعية)، الإسكندرية، ٢٠٠٣م.

زبيدة عطا: " المقاتل البيزنطى، مجلة التاريخ والمستقبل"، كلية الآداب ، جامعة المنيا، مج١ ، العدد ١، ١٩٩١م.

--------: الدولة البيزنطية، ط (دار الفكر العربى)، القاهرة. د.ت.

ستيفن رنسيمان: الحضارة البيزنطية، ترجمة. عبد العزيز جاويد، ط (الهيئة المصرية العامة للكتاب)، القاهرة، ١٩٩٧م.

طارق منصور : الجيش فى الإمبراطورية البيزنطية، رسالة ماجستير لم تنشر، كلية الآداب، جامعة الزقازيق ، ١٩٩٣م.

----------: بيزنطة والعالم الخارجي، ط (مصر العربية للنشر والتوزيع)، القاهرة، ٢٠٠٣م.

عبد الحفيظ محمد على: قوة الوندال البحرية، ط (دار النهضة العربية)، القاهرة، ١٩٨٧م.

عبد الرحمن أحمد سالم: المسلمون والروم فى عصر النبوة، ط (دار الفكر العربى) ، القاهرة، ١٩٩٧م.

عبد القادر اليوسف: الإمبراطورية البيزنطية، ط (المكتبة العصرية)، بيروت، ١٩٦٦م.

عفاف صبره: " الجزيرة الفراتية بين الصراع الفارسى البيزنطى من القرن الرابع الميلادى إلى الفتح الإسلامى"، المجلة التاريخية المصرية، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، مج ٤٣، عام ٢٠٠٥م.

فايز نجيب اسكندر: فن الحرب والقتال عند الصليبين والمسلمين فى النصف الأول من القرن الثالث عشر الميلادى، رسالة ماجستير لم تنشر، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ١٩٧٦م.

------------: مصنف نقفور برينيوس، قسطنطينية، ١٩٨٤م.

------------: الحياة الاقتصادية فى الشمال الإفريقى فى عهد الوندال، ط . القاهرة (مطبعة الجبلاوى ، ١٩٨٨م.

----------: "الشمال الإفريقى فى عهد الوندال فى مصنف المؤرخ المعاصر فيكتور فيتنسس"، حولية التاريخ الإسلامى والوسيط، جامعة عين شمس، مج٥، ٢٠٠٦- ٢٠٠٧م.

كارل فون كلاوزفيتز: الوجيز فى الحرب، ترجمة. أكرم يسرى وهيثم الأيوبى، ط (المؤسسة العربية للدراسات والنشر)، بيروت، ١٩٧٤م.

محمد الشيخ: تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ط (دار المعرفة الجامعية)، الإسكندرية، ١٩٩٤م.

-------: دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين فى الأندلس، ط ٢ (مؤسسة الثقافة الجامعية)، الإسكندرية، ١٩٩٠م.

محمد عبد العزيز منصور: فى عالم الحرب، ط (دار الاعتصام)، القاهرة، ١٩٧٤م.

محمود سعيد عمران: معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ط (دار النهضة العربية)، بيروت، ١٩٨١م.

------------: مملكة الوندال فى شمال إفريقية، ط (دار المعارف)، الإسكندرية، ١٩٨٥م.

ميخائيل السريانى: حولية ميخائيل السريانى، ترجمة . غريغوريوس يوحنا، ط . (دار ماردين)، حلب، ١٩٩٦م.

نبيه عقيل: الإمبراطورية البيزنطية، ط. دمشق، ١٩٦٩م.

نورمان بينز: الإمبراطورية، تعريب. حسين مؤنس ومحمود زايد، ط ٢ (الدار القومية للطباعة والنشر)، القاهرة، ١٩٥٧م.

ول ديورانت: قصة الحضارة، ترجمة. محمد بدران، ط (الهيئة المصرية العامة للكتاب)، القاهرة، ٢٠٠١م.

وهب بن منبه: التيجان فى ملوك حمير، تحقيق ونشر: مركز الدراسات والبحوث اليمنية، ط ٢، صنعاء، ١٩٧٩م.

قائمة المصادر والمراجع الأجنبية

Arnauld, Dominique, Histoire du Christianisme en Afrique, Paris, 2001.

Arnott, Peter, the Byzantines and their world, USA , 1973.

Baynes, Norman H., The Byzantine Empire, London, 1962.

Baynes & Moss: Byzantium – An Introduction to East Roman Civilization, Oxford, 1961.

Bury, J. B., The Imperial Administrative, British Academy.

Cedrenus: Compendium Historiarum, ed. J. P. Migne, P.G.T. 121.

C.M.H.V.II.

Cesaretti, Poola, Thodora Empress of Byzantium, Eng. Trans: Rosamma M., USA., 2004.

Dawney, Glaville, "The Persian Campaign in Syriain A.D. 540", Speculum, v. 28, no. 2, Apr. 1953.

Dennis, Gearg T., "the Byzantines in battle", in Byzantium at War Book, Athens, Institute for Byzantine Studies, 1997.

Diell, Charle, History of Byzantine Empire, Eng. Trans: George. B. Ives, New York, 1969.

Evans, J.A.S. the Age of Justinian, New York, 2000.

---------------, The Empress Theodora Partner of Justinian, Texas, 1997.

Gauthier, Guy, Justinien, Le rêve imperial, Paris, 1999.

Gordon, C.D., The Age of Attila – Fifth century Byzantium and the Barbarians, Michigan, 1966.

Hoyt, Robert S., Europe in Middle Ages, USA, 1967.

Jacquin, A.M. Histoire de l'Église, Paris, 1936.

Keen, M.H., The Laws of War in the Late Middle Ages, Toronto, 1965.

Lot, Ferdinand, L'art militaire et les armées au Moyen-Age en Europe et dans le Proche-Orient, T.I, Paris, 1946.

------------------ and others, Histoire du Moyen-Age, Paris, 1940.

Macdowall, Simon & Embleton, Gerry, Late Roman Infantryman 236- 565 A.D., Hong Kong , 1995.

Maurikios, Strategikon, Germ. trans: Ernst Gamillscheg, Vienna, 1981.

Moorhead, John, Justinian, Singapore, 1994.

Nicolle, David, Romano-Byzantine Armies 4th – 9th centuries, London, 1992.

Oman, History of the Art of war in the Middle Ages, London, 1924.

-------, The Byzantine Empire, New York, MDCCCXII.

Ostrogorsky, G, History of the Byzantine State, Eng. Trans: Hussy, Oxford, 1936.

Procopius, History of the Wars, The Persian War, Books I- III, Eng. Trans: H.B.Dewin L.C.L. London.

-----------, History of the Wars, The Vandalic War, Books III- IV, Eng. Trans: H.B. Dewin L.C.L. London, 1991.

Schmidt, L., Histoire des Vandales, Paris, 1953.

Shahid, Irfan, Byzantium and the Sixth centure, v. 1, Washington, D.C.

Stein, Ernest, Histoire du Bas-Empire, t. II, Amsterdam.

Teall, John L., "the Grain Supply of the Byzantine Empire", in D.O.P.N. 13.

---------------, "The Barbarians in Justinian's Armies", in Speculum, Vol. 40, No. 2. (Apr., 1965).

Theophanes: The Chronicle of Theophanes, Eng. Trans: Cyril Mango & Roger Scott, Oxford, 1997.

المقوقس عظيم القبط ودوره فى الفتح الإسلامى لمصر
٢١ هـ / ٦٤١ م

د. محمد بركات البيلى
أستاذ التاريخ الإسلامى ورئيس قسم التاريخ
كلية الآداب - جامعة القاهرة

كان العرب قبل الإسلام على صلة قديمة بمصر، فمصر وشبه الجزيرة العربية متجاورتان جغرافيا لا يفصلهما عن بعضهما إلا أخدود البحر الأحمر الضيق الذى يشتد ضيقه فى أقصى جنوبه حيث يوجد باب المندب من جهة ، ومن جهة أخرى ينقطع فى شماله عند العقبة (أيلة) والسويس (القلزم) ليتصل يابساهما ليصيرا يابساً واحداً ممتداً عبر برزخ السويس وشبه جزيرة سيناء، ولذا فقد اعتبرت أحداهما امتداداً للأخرى ولم ينظر إلى البحر الأحمر كحاجز يفصل بينهما بل اعتبر حلقة وصل بينهما ييسر اتصالهما جغرافياً وبشرياً، ومن ثم فقد نزحت بعض القبائل العربية إلى مصر قديماً، منهم من أقام على تخومها ومنهم من توغل إلى داخلها واستقر بدلتاها وواديها حتى أن مدينة مثل قفط بصعيد مصر كان نصف سكانها عرباً منذ القدم وربما كانت آخر هجرة عربية إلى مصر قبيل فتح المسلمين إياها هى هجرة بعض بطون خزاعة إلى مصر هرباً من القحط والجدب الذى نزل بمواطنهم.[1]

ولم تكن بلاد العرب بمنأى عن قبط مصر، إذ نزح بعضهم إليها قبل الإسلام ومنهم من استوطنها مثل ياقوم القبطى الذى سكن بمكة وعمل فيها بحرفة التجارة وأعان قريشاً على تجديد عمارة الكعبة المشرفة عام ٦٠٦ م قبيل البعثة النبوية بنحو خمسة أعوام فقط[2] ثم كان منهم جبر بن عبد الله القبطى الذى أرسله

المقوقس مع مارية القبطية وأختها سيرين والهدية التى أهداها لرسول الله محمد ﷺ رداً على رسالته ﷺ التى دعا فيها المقوقس إلى الإسلام، فأسلم جبر بن عبد الله وأصبح من صحابة رسول الله ﷺ. (٣)

ولقد اهتم العرب المسلمون منذ البعثة النبوية اهتماماً عظيماً بمصر، إذ ذكرها القرآن الكريم ذكراً حميداً فى عديد من آياته (٤) منها ما هو ذكر صريح (٥) ومنها ما هو ذكر بالكناية، (٦) وامتدح الرسول ﷺ مصر وأهلها فى كثير من حديثه الشريف (٧) ونبأ المسلمين بأنهم سيفتحون مصر وأوصاهم بأهلها خيراً، وبأن يتخذوا منهم جنداً (٨) واهتم الرسول ﷺ بدعوة أهل مصر إلى الإسلام، فحينما سنحت له الفرصة ﷺ بعد صلح الحديبية لتوسيع نطاق الدعوة الإسلامية إلى خارج شبه الجزيرة العربية، أرسل ﷺ عدداً من صحابته بكتب منه إلى ملوك الآفاق فحمل حاطب بن أبى بلتعة اللخمى كتاب النبى ﷺ إلى المقوقس عظيم القبط، وحمل عبد الله بن حذافة السهمى كتاب إلى كسرى فارس، وحمل دحية بن خليفة الكلبى كتابه ﷺ إلى هرقل قيصر الروم. (٩)

وقد أثار التاريخ الذى أرسل فيه النبى كتبه إلى ملوك الآفاق نقاشاً بين المؤرخين لم يحسم فيه القول بعد ولا يمكن تجاهله فيما نحن بصدده إذ أنه ضرورى فى شخصية المقوقس الذى كتب إليه النبى ﷺ كتابه الذى حمله حاطب بن أبى بلتعه وقد أثار هذاالنقاش ما يوجد من تفاوت بين بعض التواريخ التى تسجلها الرواية العربية وما يقابلها من الرواية الغربية ومن ثم حاول بعض المؤرخين المحدثين التوفيق بين الروايتين أو ترجيح أحداهما على الأخرى لكن يبدو أن قراءة الرواية العربية بغير تحقيق من ناحية وتجاهل ما فى الرواية الغربية من قلة تدقيق من ناحية أخرى قد أوجد لبساً لدى البعض فى التأريخ لكتب النبى

ﷺ التى أرسلها إلى ملوك الآفاق، ولعل افتقار الرواية الغربية إلى التدقيق [١٠] يسوغ لنا الاعتماد على الرواية العربية بعد مزيد من التحقيق.

لقد ذكر الطبرى أن رسول الله ﷺ بعث بكتبه إلى ملوك الآفاق فى شهر ذى الحجة سنة ٦ هـ [١١] وهذا التاريخ يوافق مارس / إبريل ٦٢٨م، متأخراً عن التاريخ الذى حددته الرواية البيزنطية لمقتل أبريز فى مارس ٦٢٨م، ولهذا يصعب على بعض الدارسين قبوله ، إذ يعنى فى رأيهم إما أن كتاب الرسول ﷺ لم يدرك أبرويز قبل مقتله [١٢] أو أنه أرسل إليه قبل الحديبية .[١٣] ولما كانت كتب الرسول ﷺ - فى رأى البعض - قد أرسلت فى وقت واحد فإن ذلك ينعكس على الكتب الأخرى. [١٤]

لكن المصادر العربية لم تتفق على تاريخ واحد لهذه الكتب، فإذا كان ابن سعد قد ذكر أن ستة نفر من أصحاب الرسول ﷺ قد خرجوا بكتبه ﷺ فى يوم واحد فى المحرم سنة سبع وجعل أولهم عمرو بن أمية الضمرى الذى حمل كتابيه إلى النجاشى يدعوه الرسول ﷺفى أولهما إلى الإسلام ويأمره فى ثانيهما أن يزوجه أم حبيب بنت أبى سفيان [١٥] فقد ذكر ابن سعد فى موضع آخر أن خروج عمر بن أمية الضمرى إلى النجاشى كان فى شهر ربي الأول من سنة سبع. [١٦] وإذا كان الطبرى قد حدد ذى الحجة ٦ هـ لخروج ستة نفر منهم ثلاثة مصطحبين هم حاطب بن أبى بلتعة اللخمى إلى المقوقس وشجاع بن وصب الأسدى إلى الحارث الغسانى ودحية بن خليفة الكلبى إلى قيصر، فقد ذكر فى موضع آخر أن دحية بن خليفة - وهو أحد الثلاثة المصطحبين - حضر غزوة خيبر [١٧] وقد أثبت هذا الحضور كل من الذهبى [١٩] وابن عبد البر النمرى [١٩] وابن سيد الناس [٢٠] وآخرون، وكانت خيبر - على تعدد الأقوال فى تاريخها فى عقب المحرم

سنة ٧هـ. وقد لاحظ ابن كثير تعدد الأقوال فى كتب الرسول ﷺ إلى ملوك الآفاق فذكر أن الواقدى جعلها فى آخر سنة ست فى ذى الحجة بعد عمرة الحديبية وأن البيهقى جعلها بعد غزوة مؤتة ولا خلاف بينهما أن بدء ذلك كان قبل فتح مكة وبعد الحديبية، وفى لفظ البخارى: فى المدة التى عاد فيها أبو سفيان رسول الله ﷺ وقال محمد بن إسحاق كان ذلك ما بين الحديبية ووفاته ... وقد روى مسلم عن أنس بن ملك أن رسول الله ﷺ كتب قبل مؤته إلى كسرى وقيصر وإلى النجاشى وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله عز وجل. (٢١)

وعلى هذا النحو لم يكن خروج رسل رسول الله بكتبه فى آن واحد ولم يقل بذلك ابن إسحاق – كما زعم البعض –(٢٢) وإنما كانت كتبه ﷺ على امتداد الفترة التى تلت الحديبية، أو فيما بين الحديبية ووفاته ﷺ . على حد تعبير ابن إسحاق – ولم يكن خروج عبد الله بن حذافة السهمى ودحية بن خليفة الكلبى فى وقت واحد بل كان خروج عبد الله بن حذافة السهمى إلى كسرى أسبق من خروج دحية بن خليفة الكلبى إلى قيصر إذ لم يتصاحبا فى رحلتيهما كما أن الوقائع تظهر تأخر عودة دحية بن خليفة الكلبى من رحلته عن عودة عبد الله بن حذافة السهمى على الرغم من تقارب الرحلتين فى مدتيهما.

ويبدو أن التباين فى التواريخ بين الرواية العربية والرواية الغربية يرجع إلى تعدد التقاويم المعول عليها من رواية لأخرى وتفاوت بدايات هذه التقاويم، وقد فطن ابن كثير إلى هذا التفاوت فى الرواية العربية حين لاحظ أن بعض الرواة يؤرخون لغزوة الخندق فى شوال سنة ٥ هـ ويؤرخ لها بعض آخر فى سنة ٤ هـ فرأى أن ذلك راجع إلى أن البعض يبدأ التاريخ الهجرى من محرم السنة التالية للهجرة مع إغفالهم عشرة أشهر كاملة من ربيع الأول – وهو شهر هجرة

الرسولﷺ – إلى آخر السنة مع أن المشهور أن عمر بن الخطاب ﷺ جعل أول التاريخ الهجرى من محرم سنة الهجرة، وعند مالك أن التاريخ الهجرى يبدأ من ربيع الأول سنة الهجرة "فصارت الأقوال ثلاثة". (٢٣)

وحدث مثل هذا التباين فى الرواية الغربية نشأ عن إغفال رواتها التمييز بين التقويم الميلادى الذى أوله شهر يناير والتقويم اليونانى الذى يبدأ بتاريخ الإسكندر وأوله شهر سبتمبر والسنة على حساب تقويم الإسكندر تقابل جزءين من سنتين ميلاديتين فضلاً عن إغفال الرواية النصرانية تمييز طريقة احتساب فى السنة اليونانية عند السريان عنها فى السنة فى التقويم اليونانى المعتاد سواء فى ابتدائهم التقويم اليونانى قبل بدئه الفعلى بعام أو ابتدائهم للسنة فى تقويمهم السريانى فى أول أكتوبر بدلاً من أول سبتمبر، ومن ثم جاءت بعض التواريخ فى الرواية الغربية مضطربة وعز على بعض الدارسين مقابلتها مقابلة دقيقة بالتواريخ فى الرواية العربية (٢٤) ولهذا رأى بتلر الصواب فى الاعتماد على المصادر الإسلامية حين الحديث عن كتب الرسولﷺ إلى ملوك الآفاق. (٢٥) وقد سجلت الرواية العربية أن مقتل ابرويز كان " ليلة الثلاثاء لعشر ليال قضت من جمادى الأولى سنة سبع". (٢٦)

وهذا يوافق أغسطس/ سبتمبر ٦٢٨م متأخراً عن التاريخ الذى حددته الرواية البيزنطية لمقتل أبرويز بنحو ستة أشهر وبذلك يكون أدراك كتاب الرسول أبرويز قبل مقتله محققاً.

يمكن القول إذن إن الرسول بعث بكتبه إلى ملوك الآفاق عقب صلح الحديبية فى أوقات متقاربة يتناسب وقت كل منها مع الوقت الذى تواجد فيه من أرسلت إليهم فى الموضع الذى وصلت إليه فيه فجاء كتاب النبى قيصر وهو فى

الشام(٢٧) وحمل حاطب بن أبى بلتعة كتابه ﷺ إلى مصر إلى المقوقس عظيم القبط(٢٨) فمن هو المقوقس هذا؟

لقد اختلف المؤرخون – القدامى والحديثون- فى شخصية المقوقس، وقد ناقش الفرد بتلر Butler هذه القضية مناقشة مستفيضة تناول فيها آراء القدامى والحديثين بالنقد والتحليل مفنداً بعضها ومستدلاً ببعضها الآخر على رأيه الذى استقر عليه وهو أن المقوقس هو قيرس وأن مؤرخى العرب الذى يذكرون مسمى المقوقس لا يدركون معنى هذا اللفظ ولا اشتقاقه وأنهم سحبوا اسم المقوقس الذى كان حاكما لمصر وقت فتح المسلمين لها على حاكمها الذى أرسل إليه النبى كتابه سنة ٦٢٨م، واستدل بتلر على رأيه فى عدم اتضاح الصورة لديهم بأنهم أطلقوا اسم المقوقس على ثلاثة أشخاص :

١- على الحاكم الذى جاءه كتاب النبى محمد قبل الفتح بسنوات عديدة.

٢- على الحاكم الذى كان يحكم مصر إبان الفتح الإسلامى.

٣- على عظيم القبط إبان ثورة منويل.

وزعم بتلر أن المقوقس هو قيرس واستدل على ذلك بعدة أدلة منها :

(أ) رواية ساويرس بن المقفع أسقف الأشمونين الذى ذكر أن بنيامين هرب عند قدوم قيرس ونسب إلى بنيامين أنه قال "إن المقوقس طردنى وشردنى" فاستنتج بتلر من ذلك انه "ليس ثمة شك فى أن ساويرس يذهب إلى أن المقوقس هو قيرس ويفرق بينه وبين بنيامين". (٢٩)

(ب) كل تاريخ حنا أسقف نقيوس قائم على أن قيرس كان والياً على مصر دون أن يذكر اسم المقوقس بينما يذكر أبو صالح الأرمنى أن هرقل استعمل

المقوقس على البلاد، ومعظم العرب يذكرون اسم المقوقس فـي المواضـع التي يذكر فيها اسم قيرس، وفى هذا دلالة على أن المقوقس هو قيرس.

(ج) وذكر بتلر أنه اطلع على خطية من أصل قبطى فى بـاريس (منـيسيوخات عربية / رقم ١٥٠ / ص ص ٢٠-٣١) جاء فيها المقوقس باسم "كبيـرس المقوقس" وبما أن حرف الباء زيادة خاطئة من الناسخ فيبقـى أن الاسـم الصحيح هو "كيرس المقوقس".

وهكذا لم يستطع بتلر تجاهل حقيقة أن لفظ المقوقس لم يكن اسـماً علمـاً لشخص بل كان لقباً لمنصب الحاكم ولكنه – أى بتلر – أجهد فكره ليثبت فكرة آمن بها سلفاً هى " أن المقوقس لم يكن سوى قيرس وأنه لا ينبغى لذلك اللقب أن يطلق على سواه من الناس" ومن ثم زعم بتلر أن العرب أطلقوا هذا اللقب خطـأ علـى الحاكم الذى كتب إليه النبى قبل فتح مصر ثم أخطأوا ثانية فسموا به بعـد الفـتح بطريق القبط بنيامين. (٣٠)

لكن نص كتاب رسول الله الذى عثر عليه بمصر على رق من الجلد يثبت أن حاكم مصر – أو عظيم القبط – الذى جاءه كتاب النبى ﷺ سنة ٦٢٧هـ كـان يلقب المقوقس وأن العرب أطلقوا نفس اللقب . المقوقس . لاحقاً على قيرس، ليس على سبيل الخطأ – كما توهم بتلر – وإنما لأنه جمع أيضاً بين السلطتين الكنـسية والزمنية، ويبدو أن بتلر ظن أن لقب المقوقس لقب بيزنطى – أو قبطى من أصـل بيزنطى – وبحث له عن دواعى جغرافية فذهب إلى أن قيرس قدم إلى مصر مـن فاسس Phasis وهى ناحية ببلاد القوقاز، فنقل اللفظ ففقاسيوس إلى اللغة القبطيـة على صورة ففقيوس أو قلخيوس، ثم اشتق من هذه الصورة المحرفة اللفظ العربـى "المقوقس " فى القرن السابع أو الثامن، وأضاف بتلر احتمالاً آخر هـو أن مدينـة

فاسيس التى قدم منها قيرس كانت من اقليم فلخليس Calchis فلقب قيرس بالقلخى ثم تحرف اللفظ إلى المقوقس، ولا يتحرج بتلر عن أن يزعم أن القبط الساخطين على قيرس سخروا منه بما عهد عنهم من دعابة وسرعة بديهة فجعلوا للفظ القلخى مدلولاً قبيحاً يدل عن الرذيلة فاتهموا قيرس بذلك فى خلقه مثلما اتهموه فى دينه. (٣١)

وهكذا أجهد بتلر فكره ولوى عنق الحقيقة ليتجاهل حقيقة واضحة هـى أن لفظ المقوص لفظ عربى الأصل ورد لأول مرة – فيما نعلم – فى كتاب النبـى ﷺ إلى عظيم القبط الذى كان يحكم مصر فعلياً ويجمع فى يديه بين السلطتين الزمنيـة والكنسية ولذلك جمع اللفظ بين مقطعين هما : المقوق وقس للدلالة على هذه السلطة المزدوجة. وإذا كان المقطع الثانى وهو لفظ القس معروف كلقب كنسى يدل دلالـة واضحة على السلطة الكنسية، فإن المقطع الأول وهو لفظ : المقـوق مـا هـو إلا صنيعة اسم المفعول من الفعل قوق الذى يدل لغوياً على معنى حكم وشاهدنا علـى ذلك وجود ما يسمى بالدنانير القوقية والبيعة القوقية ولهما صلة بالحكم أو الملك كما جاء فى لسان العرب(٣٢) وإذا جمع بين المقطعين : " مقوق " و " قس " مع إدغام القاف الأخيرة من المقطع الأول مع القاف التى هى الحرف الأول من المقطع الثانى ينشأ عن هذا الإدغام لفظ " مقوقس " بصيغة اسم المفعول لأنه لم يتقـوقس بنفسه وإنما قوقسه غيره أى جعله مقوقساً أو حاكماً قساً يجمع بين السلطة القوقيـة – أى الزمنية – والسلطة القسية – أى الكنسية.

وإذا كان قيرس قد تقوقس على مصر من قبل هرقـل الـذى عهـد إليـه بالسلطتين الزمنية والكنسية فى مصر سنة ٦٣١م – كما هو ثابت تاريخياً – بمـا يعنى أنه لم تكن له صلة – من قريب ولا من بعيد بكتاب النبى ﷺ ، فمن هو إذن ذلك المقوقس الذى أرسل إليه النبى ﷺ كتابه مع حاطب بن أبى بلتعـة اللخمـى

واصفاً إياه بعظيم القبط إدراكاً منه أن هذا المقوقس كان قبطياً – أى مصرياً – ولم يكن رومياً بيزنطياً، فلا يعقل أن النبى محمدﷺ الذى كان – على حد قول بتلر نفسه – على دراية بأحوال الفرس والروم لا يكون على نفس الدرجة من الدراية بأحوال مصر التى كان يتطلع إليها ويوصى بأهلها خيراً، ومن ثم لم يكن يجهل أن مصر – حين أرسل إليها حاطب بن أبى بلتعة – كانت تمر بفترة إنتقالية بين جلاء الفرس عنها بعد هزيمتهم التى علم بها ﷺمرجعه من الحديبية (٣٣) وبين عودة الحكم البيزنطى إليها، وكان بهذه الفترة الإنتقالية ما يمكن تسميته بفراغ سياسى، وأغلب الظن أن هذا الفراغ السياسى قد شغله زعيم مصر ارتضاه القبط لتسيير شئونهم فقوقسوه فكان هو المقوقس عظيم القبط إبان قدوم حاطب بن أبى بلتعة بكتاب النبىﷺ ولأن هذا المقوقس كان قبطياً يستمد سلطانه من رضى القبط به دون تعيين من هرقل فقد وصفه النبىﷺ بالمقوقس عظيم القبط وكتب إليه مثلما كتب إلى هرقل قيصر الروم ولو كان عظيم القبط هذا والياً على مصر من قبل هرقل – أو تابعاً له – لما اختصه النبىﷺ بكتاب واكتفى بكتاب هرقل، لكن النبىﷺ اختص المقوقس عظيم القبط بكتاب يدعوه فيه – وقومه إلى الإسلام – إدراكاً منهﷺ لاستقلالية هذا المقوقس عن قيصر الروم.

ويغلب على الظن أن المقوقس الذى لقبه – أو نعته – ا لنبى فى كتابه بعظيم القبط كان هو البطريق القبطى بنيامين الذى اختير بطريقاً للقبط المونوفيزيتيين بعد وفاة البطريق أندرونيكوس فى بداية سنة ٦٢٣م (٣٤) وكان أندرونيكوس قد انفرد ببطرقية مصر بعد ما هرب حنا الرحوم بطريق الملكانيين – صحبة نيقتاس – إلى قبرص ووفاته بها ٦١٧م ، ولم يكن لجورج خليفة حنا الرحوم شأن يذكر بينما كان بنيامين خليفة أندرونيكوس بعد وفاته ٦٢٣م محبوباً

من القبط وعمل على إصلاح الكنيسة القبطية وتطهيرها وتوحيدها وإعادة الاستقرار إليها دون صدام مع الاحتلال الفارسى فعلت مكانته [٣٥] وصار أهلاً لملء الفراغ السياسى فى الفترة الإنتقالية بين خروج الفرس عن مصر وعودة الروم إليها وجمع بين السلطتين الزمنية والكنسية فصار مقوقساً فى الوقت الذى قدم فيه حاطب بن أبى بلتعة إلى مصر. ولعله مما يؤد ذلك أن المؤرخين المسلمين أشاروا إلى بنيامين بع الفتح الإسلامى لمصر بلقب المقوقس. ففى حديثه عن تمرد الروم فى الإسكندرية إبان حملة منويل البيزنطى، ذكر ابن الأثير أن المقوقس لم يوافقهم على تمردهم بل مكث على صلحه [٣٦] ومع أن البعض قد يخلط بين الصلح الذى عقده كيرس مع عمرو بن العاص [٣٧] وبين الصلح الذى دخل فيه بنيامين بعد أن خرج من مخبئه إستجابة لنداء وجهه إليه عمرو بن العاص بأن " له العهد والأمان والسلامة من الله فليحضر آمناً مطمئناً ويدير حال بيعته وسياسة طائفته" فلما سمع القديس بنيامين هذا عاد إلى الإسكندرية بفرح عظيم بعد غيبة ثلاثة عشر عاماً" [٣٨] ويصف يوحنا النقيوسى هذه العودة الحميدة لبنيامين مع تجاهله لذكره فى كثير مما ذكره فى كتابه – لمخالفته إياه فى المذهب – فيقول " ودخل الأنبا بنيامين بطريرك المصريين مدينة إسكندرية بعد هروبه من الروم فى العام ١٣ وسار إلى كنائسه وزارها كلها، وكان كل الناس يقولون : هذا النفى وإنتصار الإسلام كان بسبب ظلم هرقل الملك وبسبب اضطهاد الأرثوذكسيين على يد البابا كيرس وهلك الروم لهذا السبب وساد المسلمون مصر" [٣٩] وذكر البلاذرى عن حملة منويل أن المقوقس اعتزل أهل الإسكندرية حين نقضوا [٤٠] وذكر المقريزى أن المقوقس لم يتحرك ولا نكث [٤١] ولم يكن المقوقس الذى أشار إليه كل من ابن الأثير والبلاذرى والمقريزى هو قيرس الذى كان قد توفى بالإسكندرية بعد أشهر قليلة من الفتح الإسلامى لمصر

حسبما ذكر يوحنا النقيوسى [٤٢] وإنما كان المقوقس لديهم هو بنيامين، فزعم بتلر أن ذلك كان منهم على سبيل الخطأ [٤٣] لكن المؤرخين المسلمين لم يخطئوا لأن بنيامين كان مقوقساً سابقاً قبل قدوم قيرس إلى مصر مقوقساً عليها من قبل هرقـل، وقـد ساوى يوحنا النقيوسى – ربما غير قصد – بين قيرس وبنيامين فى المكانة حـين وصف قيرس بأنه البطريرك الخليقدونى [٤٤] ووصـف بنيـامين بأنـه بطريـرك المصريين. [٤٥]

وجملة القول إن المقوقس لقب عربى اللفظ ظهر تاريخياً لأول مـرة فـى كتاب النبى إلى المقوقس عظيم القبط عام ٧هـ/٦٢٨م، وأغلب الظـن أنـه كـان بنيامين بطريرك القبط المونوفيزيتيين الذى إنفرد ببطرقية مصر لفرار بطريـرك الملكانيين حنا الرحوم وقلة شأن خليفته بينما كان بنيامين محبوباً من كافة القبط فعلاً شأنه حتى صار مقوقساً – على النحو الذى أوضحنا – فلما قدم قيرس إلى مـصر مقوقساً من قبل هرقل تخفى بنيامين خوفاً مـن بطـشه واضـطهاده، ولـم يكـن المؤرخون المسلمون يجهلون اسم قيرس [٤٦] ولكنهم لقبوه بلقـب المقـوقس خلفـاً لبنيامين المتخفى تأسياً بما جاء من قبل فى كتاب رسول الله ﷺ ولكـنهم كـانوا يدركون الفرق بين مقوقس قوقسه القبط بأنفسهم فوصف بعظيم القبط وبين مقوقس آخر قوقسه هرقل فلم يوصف بعظيم القبط. ولما خرج بنيامين من مخبئه – وكـان قيرس قد توفى – أعيد تلقيب بنيامين بالمقوقس وإن كان اللقب هذه المرة لم يـزد عن كونه مجرد لقب شرفى – أو مجازى – بعد أن خلا من مدلوله الـسياسى لأن السلطة السياسية كانت حينئذ بيد الفاتحين المسلمين، ولعل هذا هو ما أدى إلى توقف استخدام لقب المقوبس واندثاره والاكتفاء بلقب البطرق بعد أن اقتصر على السلطة الكنسية.

ويمكن القول إذن إنه كان بمصر حين مجئ الفتح الإسلامى مقوقسان : أولهما مقوقس فعلى ظاهر وقائم على رأس السلطة بجناحيها الزمنى والكنسى هو قيرس، وثانيهما مقوقس سابق مختبئ من بطش قيرس، وقد أسهم كل منهما فى أحداث الفتح الإسلامى بنصيب فما هو ؟ كان حكم قيرس عاملاً مساعداً على نجاح الفتح الإسلامى لمصر، فلقد أدى اضطهاده الشديد للقبط إلى شدة سخطهم على الحكم البيزنطى وكانوا يرجعون انتصار المسلمين إلى ظلم هرقل الملك وبسبب اضطهاد الأرثوذكسيين على يد البابا كيرس "(٤٧) ويذهب عزيز سوريال إلى أن إذلال أهل مصر بطريقة لم يسبق لها مثيل فى التاريخ وامتلاء نفوسهم بالمرارة والكراهية لكل ما هو بيزنطى جعلهم يشعرون بالارتياح وهم يشاهدون الجلاد البيزنطى قيرس وهو يترنح متهاوياً أما الفاتح العربى (٤٨) ولقد فر بنيامين من بطش قيرس واختفى فى مكان مجهول بدير صغير فى برية صعيد مصر (٤٩) وأجمع المؤرخون المسلمون على أن بنيامين – وإن كتبوه أحياناً أبو ميامين – كتب للقبط يعلمهم أنه لا تكون للروم دولة وأن ملكهم قد انقطع ويأمرهم بتلقى عمرو بن العاص فكان القبط عونا للفاتحين المسلمين منذ بداية الفتح بفتح حصن الفرما، (٥٠) وهكذا كانت علاقة القبط بالفاتحين المسلمين علاقة تحالف لا تصادم بفضل توجيهات بنيامين للقبط ومن ثم لم يكن غريباً أن يحسن الفاتحون المسلمون معاملة قبط مصر عامة ومعاملة بنيامين خاصة إذ أمنه عمرو بن العاص وأعاده إلى رئاسة كنيسته وتكفى فى الدلالة على ذلك شهادة عزيز سوريال أن شهد عصر بنيامين ومن تلاه من البطارقة فى ظل الفتح العربى نهضة لم يسبق لها مثيل من شعور دينى قومى وإنتعاش فى الفنون والآداب فى مناخ حر تماماً ". (٥١)

الهوامش

(١) محمد كامل حسين: أدب مصر الإسلامية ص ص ١٥-١٦

وعبد الله خورشيد البرى: القبائل العربية فى مصر ص ص ٣٦-٣٩.

(٢) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، ج٢ ، ص ص ٢٨٧-٢٩٠.

(٣) ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها ص ١٠٩.

(٤) ذكر ابن زولاق (فضائل مصر وأخبارها وخواصها، ص ٣) "أن الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه ذكر مصر فى ثمانية وعشرين موضعاً من القرآن" ونقل عند ذلك ابن ظهيرة (الفضائل الباهرة فى محاسن مصر والقاهرة، ص ٧١) لكن السيوطى (حسن الحاضرة، ج١ ، ص ٥) يرى أن هذه المواضع " أكثر من ثلاثين".

(٥) ذكرت مصر صراحة فى خمس من آى القرآن الكريم هى:

١- "اهبطوا مصر فإن لكم ما سألتم" (البقرة /٦١).

٢- "وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوأ لقومكما بمصر بيوتاً" (يونس / ٨٧).

٣- "وقال الذى اشتراه من مصر لامرأته أكرمى مثواه" (يوسف/ ٢١).

٤- "ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين" (يوسف / ٩٩).

٥- "ونادى فرعون فى قومه أليس لى ملك مصر" (الزخرف / ٥١).

(٦) ذكرت مصر كناية فى نحو خمس وعشرين آية منها ما كنى فيه عنها بالمدينة مثل قوله تعالى " وقال نسوة فى المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه " (يوسف / ٣٠) ، وقوله تعالى " وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى " (القصص / ٢٠) والآيات ١٥، ١٨ من القصص والآية ١٢٣ من الأعراف. وكنى عنها بالربوة مثلما فى قوله تعالى " وآويناهما إلى ربوة" (المؤمنون/ ٥٠) ، وقوله تعالى "كمثل جنة بربوة" (البقرة / ٢٥٦) وقيل إن الربا لا تكون إلى بمصر، تكون عليها القرى، ولولا الربا لغرقت القرى، وكنى عنها بالأرض فى نحو عشر آيات هى ٢١ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٨٠ من سورة يوسف و ٤ ، ٦ ، ٩، من القصص و ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٧ من الأعراف و ١٣٥ من الشعراء ، وكنى عنها بمبوأ صدق فى قوله تعالى " ولقد بوأنا بنى إسرائيل مبوأ صدق " (يونس / ٩٣).

(٧) روى عن رسول الله ﷺ أنه قال " ستفتح عليكم بعدى مصر، فاستوصوا بقبطها خيراً فإن لكم

منهم صهراً وذمةً" وفى رواية أخرى "ذمة ورحماً"، ويقص بالرحم أن هاجر زوج إبـراهيم وأم ابنه إسماعي عليهما السلام كانت تدعى "أم العرب " وقيل بل تدعى "ياق" كانت عنـد قريـة أم رنين، ويقصد بالصهر أن مارية أم إبراهيم ولد رسول الله ﷺ كانت مصرية من قريـة تـدعى حفن، أما الذمة فهى أن القبط كانوا نصارى فهم من أهل الذمة (ابن زولاق: فضائل مـصر ص ص ٦-٨من كورة أنصنا ، وابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، ص ٢، والسيوطى: حـسن المحاضرة ج١ ، ص ص ١١- ١٤) .

(٨) روى عن رسول الله أنه قال " إذا فتحت عليكم مصر فاتخذوا بها جنداً كثيفاً فذلك الجند خيـر أجناد الأرض". (ابن زولاق : فضائل مصر وأخبارها . تحقيق على محمد عمر، القاهرة ١٩٩٩، ص ٦).

(٩) ابن هشام : السيرة النبوية، ج٢ ، ص ٦٠٧.

(١٠) يظهر افتقار الرواية الغربية إلى التدقيق فيما كتبه بتلر (فتح العرب لمصر) عن نهاية الحرب الفارسية البيزنطية ومقتل كسرى أبرويز على يد ابنه شيروين الذى يجعله بتلر حينا فى فبرايـر ٦٢٨م (ص١٦٢)، وحيناً آخر فى مارس ٦٢٨م (ص ١٧٥)، ويذكر أن البشرى بانتهاء الحرب جاءت إلى القسطنطينية فى خطاب ارسله هرقل قرئ فى كنيسة أيا صوفيا فى يوم العنصرة ١٥ مايو ٦٢٨م، لكن كوسن رو برسوال يذكر أن :

(A. P. coussin de percsal, essai sur l' nstorie des reles, Paris 184, pp. 188-190)

الخطاب الرسمى لهرقل أثبت أن نيرويه قتل أباه فى أواخر فبراير ٦٢٨م.

هذا ويمكن التعرف على اضطراب الرواية الغربية من متابعة مالكينة بتلر فـى (ص ص ٦٢-١٦٥ صوانها) و (ص ص ١٧٥-١٧٦ وصوانها).

(١١) الطبرى: تاريخه، ج٢ ، ص ٦٤٤.

(١٢) تبلر: المرجع السابق، ص ص ١٦٣-١٦٤ (هامش).

(١٣) Cousin de percsal; Essai sm d'histoire des asobes, Paris 1848, Vol. 3, pp. 188-190.

(١٤) تبلر: المرجع السابق ، ص ١٧٥.

(١٥) الطبقات الكبرى، ج١ ، ص ٢٥٨.

(١٦) نفس المصدر، ج١ ، ص ٢٠٧.

(١٧) تاريخ الطبرى، ج٣، ص٩.

(١٨) المغازى، ص ٣٣٦.

(١٩) الدرر فى اختصار المغازى والسير، ص ١٩٧.

(٢٠) عيون الأثر، ج٢، ص١٧٣.

(٢١) البداية والنهاية، ج٤، ص ٢٦٢.

(٢٢)بتلر: المرجع السابق ، ص١٧٥ (هامش ٢)

(٢٣) البداية والنهاية ، ج٤، ص ٩٣.

(٢٤) تبلر: المرجع السابق ، ص٥١٩.

(٢٥) نفس المرجع ، ص ١٧٦ (هامش)

(٢٦) الطبرى : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٦٥٦

ويذكر بتلر (المرجع السابق ص١٦٤ / هامش) أن هذا التاريخ يتفق مع ماجاء فى كتاب تـاريخ جاهان آرا أن وفاة أبرويز كانت فى ٢٠ جمادى الأولى ٧ هـ لكن كوسن دى برسفال Coassin de Percevel يتشبث بالتاريخ الذى جاء فى الخطاب الرسمى لهرقل مع أن هذا الخطاب لم يقرأ فى كنيسة أيا صوفيا إعلانا للنصر على الفرس إلا فى يوم عيد العنصرة ١٥ مايو ٦٢٨م.

(٢٧) كان مجئ دحية إلى قيصر بعد قدومه من أرمينة إلى الشام فى مايو ٦٢٨م يدل علـى ذلـك وجود أبى سفيان إبان ذلك فى الشام وقت رحلة الصيف التى اعتادتها قريش.

(٢٨) ذكر ابن ظهيرة (الفضائل الباهرة ص ٥٣) خطأ أن رسول رسول الله إلى المقـوقس كـان عبادة بن الصامت.

(٢٩) فتح العرب لمصر، ص ٥٣.

(٣٠) نفس المرجع .

(٣١) بتلر : المرجع السابق ، ص

(٣٢) ابن منظور : لسان العرب ، مادة قوق .

(٣٣) ذكر الذهبى (المغازى ص ٢٩٤) أن الروم ظهروا على فارس عند مرجع المـسلمين مـن الحديبية وذكر الطبرى (ج٢ ص ص ١٨٦-١٨٧) ما يفيد أن الله عز وجل – نبأ رسـول يـوم

الحديبية بهلاك كسرى ففرح الرسول ومن معه .

(٣٤) بتلر : المرجع السابق ، ص ٢٠٤.

(٣٥) نفس المرجع : ص ص ٢٠٦-٢٠٧.

(٣٦) الكامل فى التاريخ : ج٢ ، ص ٤٢.

(٣٧) يوحنا النقيوسى : المصدر السابق ، ص ٢١١.

(٣٨) ساويرس بن المقفع : سير الآباء البطاركة، نشرة سيبرلد، ص ص ١٠٦-١٠٩.

(٣٩) يوحناالنقيوسى: المصدر السابق ، ص ٢٢٠.

(٤٠) فتوح البلدان، ج١ ، ص ٢٦١.

(٤١) الخطط ، ج١ ، ص ٣١١.

(٤٢) تاريخ مصر ، ص ٢١٤.

(٤٣) فتح العرب لمصر ، ص ٤٩١.

(٤٤) تاريخ مصر ، ص ٢١٠.

(٤٥) نفس المصدر، ص ٢٢٠.

(٤٦) ذكر اليعقوبى (تاريخه ج١ ، ص ١٥٦) قورس (قيرس) الإسكندرانى، وذكـر المقريـزى (خطط، ج٣ ، ص ٥٣٤) ، أن هرقل اقام قيرس بطرك الإسكندرية فطلب بنيامين ليقتله فلم يقدر عليه لفراره.

(٤٧) يوحنا النقيوسى: المصدر السابق ، ص ٢٢٠.

(٤٨) عزيز سوريال عطية، تاريخ الكنيسة الشرقية ، ص ٩٩.

(٤٩) ساويرس بن المقفع: المصدر السابق ، ص ١٠٦.

(٥٠) ابن سعيد : الاغتباط فى حلى مدينة الفسطاط، ص ٢١ ، وابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ج١ ، ص ٧ وغيرهما.

(٥١) تاريخ الكنيسة الشرقية، ص ١٠٥.

الإمام أبو العباس أحمد بن سريج
" القاضى المجدد "

د. زنوبة نادى مرسى
كلية الآداب - جامعة القاهرة

تذخر كتب التاريخ والتراجم بأسماء كثير من العلماء والمفكرين الذين أثروا الحياة الفكرية والثقافية وذاع صيتهم بين معاصريهم وامتد هذا الصيت إلى ما جاء بعدهم، ومن هؤلاء العلماء الإمام أبو العباس أحمد بن عمر بن سريج البغدادى ويعد من أبرز العلماء الذين كان لهم شأن كبير فى نشر المذهب الشافعى وإثراء الحياة الفكرية فى الدولة الإسلامية وقد صارت بغداد بفضله قبلة لطلاب العلم الراغبين فى الأخذ عن المذهب الشافعى كما ازدهرت فيما الحياة الثقافية بما عقده من مناظرات فقهية.

كان لابن سريج مكانته العلمية المتميزة إذ أنه كان إمام الشافعية فى عصره ومما يدل على تقدمه وفضله ما ذكره المؤرخون عنه فقيل " هو الإمام العلامة شيخ الإسلام، كان أحد أئمة الشافعية وكان يلقب بالباز الأشهب وعنه انتشر مذهب الشافعى فى الآفاق".[١]

والإمام ابن سريج ولد سنة ٢٤٨ هـ ببغداد وسمع فى دانته من الكثيرين كان منهم الحسن بن محمد الزعفرانى تلميذ الإمام الشافعى، وعلى بن إشكاب، وأحمد بن منصور الرمادى، وعباس بن محمد الدورى، وأبى يحى محمد بن سعيد بن غالب العطار وعباس بن عبد الله الترقفى وأبى داود السجستانى ومحمد بن عبد الملك الدقيقى ومحمد بن عمران الصائغ، وغيرهم من جهابذة العلماء.[٢]

كان هؤلاء هم أساتذة الإمام ابن سريج، كما درس أبو العباس ابن سريج الفقه على بعض العلماء كان أشهرهم أبو القاسم عثمان بن سعيد بن نشار الأغاطى[٣] وأبو الحسن المنذرى[٤] ومن الذين صحبهم وتأثر بهم ابن سريج الفقيه أبو القاسم الجُنَيْد وكان شيخ الشافعية فى عصره.[٥]

وعلى هذا، فقد تلقى ابن سريج العلم من جمهرة من الشيوخ والعلماء حتى برع فى المذهب يقول فى ذلك الخطيب البغدادى " هو إمام أصحاب الشافعى فى وقته، شرح المذهب ولخصه، وعمل المسائل فى الفروع، وصنف الكتب فى الرد على المخالفين من أهل الرأى، وأصحاب الظاهر".[٦]

ولى ابن سريج فى بداية حياته قضاء شيراز لفترة قصيرة[٧] وقد عاش فى عصر كثر فيه العلماء الأعلام من مختلف المذاهب، ولكنه تمكن بواسع علمه وعمق ثقافته أن يصبح محط أنظار العلماء والتلامذة حتى قيل فى ذلك " كان شيخ الشافعية فى عصره وانتهت إليه الرحلة وقصده الناس من كل البلدان فى طلب العلم".[٨]

هذا وقد بلغ ابن سريج شاواً بعيداً فى إثارة المناقشات الفقهية التى كان أساسها الرأى والحجة وكان الكثيرون من أهل العلم وغيرهم يحرصون على حضور مجالسه وبلغ من شأنه أن اقترن اسمه باسمى عمر بن عبد العزيز والإمام الشافعى فى التجديد والإحياء فقيل فى ذلك" قال أحد العلماء سمعت حسان بن محمد يقول " كنا فى مجلس ابن سريج سنة ثلاث وثلثمائة فقام إليه شيخ من أهل العلم فقال " أبشر أيها القاضى فإن الله يبعث على رأسى كل مائة من يجدد – أى للأمة – أمر دينها، وإن الله بعث عمر بن عبد العزيز على رأس المائة فأظهر كل سُنة وأمات كل بدعة، ومَن الله على رأس المائتين بالشافعى حتى أظهر السنة، وأخفى

البدعة، ومَن الله علينا على رأس الثلثمائة بك حتى قويت كل سنة وضعفت كل بدعة".[٩]

لقد أجاد ابن سريج وبرع فى أصول وفروع المذهب الشافعى حتى قيل أنه كان يفضل على جميع أصحاب الشافعى حتى على المزنى[١٠] الذى قيل عنه " هو إمام الشافعيين وأعرفهم بطرقه وفتاويه وما ينقل عنه وقد صنف كتبا كثيرة جعلته من أبرز أعلام الشافعية".[١١]

امتد دور الإمام العلمى والفكرى ليشمل عدة نواحى منها المناظرات العلمية التى شهدتها بغداد والتى كانت تجرى بينه وبين غيره من العلماء والأئمة يقول السبكى " وقد ناظر أبو العباس الإمام داود الظاهرى.

وإما ابنه محمد بن داود فلأبى العباس معه المناظرات المشهورة والمجالس المروية وكان أبو العباس يستظهر عليه".[١٢]

وقد أورد السبكى مناظرات جرت بين أبى العباس ابن سريج ومحمد بن داود منها ما ذكره: " أن ابن سريج اجتمع ومحمد بن داود، فاحتج ابن داود على أن أم الولد تباع، قال: أجمعنا أنها كانت أمة تباع، عنه دوعى أن هذا الحكم يزول بولادتها فعليه الدليل، فقال له ابن سريج. وأجمعنا على أنها لما كانت حاملاً لاتباع، عنه ادعى أنها تباع إذا انفصل الحمل فعليه الدليل فبهت أبو بكر".[١٣]

وكانت مجالس ابن سريج العلمية تجمع بين الفقه وبين الأدب فقد برع ابن سريج فى نظم الشعر أيضاً[١٤] يقول الخطيب البغدادى " حدثنا أبو بكر الدرامى قال: تناظر ابن سريج وابن الأصبهانى يعنى محمد بن داود فى مسألة، فطال بينهما الكلام والتسع، فقال أحدهما لصاحبه، أترضى بأول من يطلع؟ قال: نعم فإذا هم بابن الرومى قد أقبل فتحاكما[١٥] إليه".

ومن البديهى أن تؤدى تلك المناظرات إلى رواج الحياة الفكرية والعلمية بفضل عطاء هذا الإمام حتى قيل فيه" يبعث الله من يجدد، فعلى رأس الثلاثمائة: ابن سُرَيج فى الفقهن والأشعرى فى أصول الدين، والنسائى فى الحديث".(١٦)

كان لابن سريج دور هام فى نمو الحياة العقلية وازدهار الحياة الفكرية وقد قصده العلماء من كل حدب وصوب فى شيراز وفى بغداد، وكان من أشهر هؤلاء الشيخ محمد بن خفيف الشيرازى شيخ الشيرازيين وإمامهم فى وقته الذى كان له مناظرات علمية أيضاً مع ابن سريج فعنه أنه قال " سألنا يوماً القاضى أبو العباس ابن سُريج بشيراز وكنا نحضر مجلسه لدرس الفقه: فقال لنا: محبة الله فرض أو غير فرض".(١٧)

كانت الصلة بين ابن سريج وغيره من الفقهاء والعلماء قوية وكان هؤلاء يحترمون مكانته العلمية ويقدمونه عليهم نظراً لهذه المكانة يقول الخطيب البغدادى فى ذلك " كان ببغداد جمع للقضاة والمعدلين والفقهاء فقاموا ليمضوا إلى موضع فاتفقوا على أن يتقدمهم أبو العباس ابن سريج ومنهم من هو فى سن أبيه، فقال لهم ما أتقدم إلا على شريطة إن تقدمت فى طرق وإن تأخرت فمبذرق".(١٨)

ومما يدل على مكانته العلمية أيضاً ما يرويه السبكى أن المؤرخ على بن الحسين المسعودى صاحب مسروج الذهب علق عن أبى سريج " رسالة البيان عن أصول الأحكام وفيها ذكر المسعودى أنه حضر مجلس أبى العباس ببغداد فى علته التى مات بها سنة ست وثلثمائة من الهجرة وقد حضر المجلس لعيادة أبى العباس جماعة من شيوخ الشافعية والمالكية والداوودية وغيرهم وبينما أبو العباس يكلم رجلاً من المالكيين إذ دخل عليه رجل معه كتاب مختوم فدفعه إلى القاضى أبى العباس فقرأه على الجماعة فإذا هو من جماعة الفقهاء المقيمين ببلاد الشاش يعلمونه أن الناس من ناحيتهم مختلفون فى أصول فقهاء الأمصار ويسألونه رسالة يذكر فيها

أصول الشافعي ومالك وسفيان الثورى وأبى حنيفة وداود بن على الأصبهانى فكتب القاضى هذه الرسالة ثم أملى فيما ذكر المسعودى عليهم بعضها وعجز لضعفه عن إملاء الباقى فقرئ عليه والمسعودى يسمع ".(١٩)

تلاميذه : يمكن القول ومن خلال هذه الدراسة أن الامام ابن سريج استطاع بعلمه أن يجذب إليه العلماء والمشايخ والطبة الذين رحلوا إليه من مختلف الأرجاء وثابروا على حضور مجالسه العلمية وحلقات درسه فتخرج معه كثير من العلماء الذين ذاع صيتهم وأقروا له بزعامتهم ورئاستهم كما كان لهم أثر كبير بعد هذا الإمام فى النهضة التشريعية وفى ازدهار الحياة العقلية. والفكرية ومن خلال عرض أسماء تلاميذ هذا الإمام يتضح ما سبق ذكره فمن أشهر تلاميذه.

أبو بكر عمر بن عبد الله بن إبراهيم البغدادى المعروف بالصَيْرَفى وهو إمام جليل أصولى تفقه على ابن سريج وله مؤلفات عديدة منها شرح الرسالة – كتاب فى الاجماع كتاب فى الشروط – توفى سنة ٣٣٠ هـ. وقيل فيه كان الصيرفى أعلم الناس بالأصول بعد الشافعى".(٢٠)

ومنهم أيضاً أبو العباس أحمد بن أبى أحمد المعروف بابن القاضى تفقه على ابن سريج وكان إمام عصره وتفقه عليه أهل طبرستان وله مؤلفات كثيرة منها المفتاح والتلخيص" والمواقيت فى الفقه" وقد توفى بطرسوس سنة ٣٣٥ هـ.(٢١)

ومن تلاميذ الإمام أيضاً أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد المروزى، كان شيخ الشافعية وانتهت إليه رئاسة العلم ببغداد كما انتشر العلم عن أصحابه إذ قيل أنه خرج من مجلسه إلى البلاد سبعون إماماً، وقد انتقل فى آخر عمره إلى مصر وتوفى بها سنة ٣٤٠ هـ.(٢٢)

ومن أشهر تلاميذ الإمام محد بن شعيب النيسابورى وكان أحد الأئمة المشهورين بالفصاحة والبراعة والفقه تلقى العلم بنيسابور على أبى بكر بن خزيمة

ثم خرج إلى أبى العباس بن سريج ولزمه إلى أن تقدم فى العلم وتوفى سنة ٣٢٤ هـ.(٢٣)

ومن تلاميذ ابن سريج أيضاً حسان بن محمد بن أحمد بن هارون، أبو الوليد النيسابورى، قيل عنه كان أحد أئمة الدنيا وتلميذ أبى العباس بن سريج وكان إمام أهل الحديث بخراسان وتوفى سنة ٣٤٩ هـ بنيسابور وله كتاب "المستخرج على صحيح مسلم " وصنف أحكاماً على مذهب الشافعى.(٢٤)

ومن تلاميذ الإمام أيضاً أبو على الحسن بن الحسين المعروف بابن أبى هريرة كان أحد أئمة الشافعية، تفقه على ابن سريج، ثم على أبى إسحاق المروزى، وصحبه إلى مصر ثم عاد إلى بغداد وقد تخرج عليه خلق كثير وانتهت إليه إمامة العراقيين وتوفى ببغداد سنة ٣٤٥ هـ.(٢٥)

ويُعد الفقيه أبو الطيب محمد بن المفضل من أشهر تلاميذ ابن سريج واشتهر بالذكاء قيل عنه " وكان أبو العباس يقبل عليه كل الإقبال ويميل إلى تعليمه غاية الميل " وقد ألف كتباً وتوفى سنة ٣٠٨ هـ.(٢٦)

ومنهم أيضاً أبو بكر احمد بن الحسن بن الفارسى ألف كتاب " عيون المسائل فى نصوص الشافعى وتوفى حوالى سنة ٣٥٠هـ.

ومن أشهر من أخذوا عن بن سريج واعترفوا له بالفضل أبو على محمد بن أحمد السروذبارى البغدادى، كان فقيهاً غوياً حافظاً للأحاديث وقد صحب الجنيد حتى صار أحد الأئمة وكان يقول " أستاذى فى التصوف الجنيد، وفى الحديث إبراهيم الحربى وفى الفقه ابن سريج وفى النحو ثعلب وتوفى سنة ٣٢٢ هـ.(٢٧)

ومن هؤلاء أيضاً أحمد بن إبراهيم بن [illegible] وكان من أهل جرجان وتوفى سنة ٣٢٩هـ.(٢٨) ومن تلاميذ ابن سريج أحمد بن محمد إسماعيل الطوسى الفقيه المحدث توفى سنة ٣٤٥ هـ.(٢٩)

ومن علماء جرجان والذين تفقهوا على ابن سريج[٣٠] محمد بن جعفر بن محمد الخازمى وقد روى عنه وتوفى سنة ٣٢٤ هـ. ومن العلماء الذين أخذوا عن الإمام أيضاً محمد بن جعفر من علماء خوارزم وقد رحل فى طلب العلم إلى العراق وتوفى سنة ٣١٨هـ.[٣١]

ومن تلاميذ الإمام المعروفين أيضاً الإمام أبو جعفر أحمد بن محمد الإسترابادى وكان من كبار الفقهاء والمدرسين وأجلة العلماء.[٣٢]

ومن هؤلاء أيضاً أبو الحسن أحمد بن محمد البغدادى المعروف بابن القطان وكان أحد أئمة الشافعية تفقه على ابن سريج ثم الشيخ أبى إسحاق الشيرازى وقد صنف من أصول الفقه وفروعه وكانت الرحلة إليه ببغداد وعنه أخذ كثير من العلماء وقيل هو آخر أصحاب ابن سريج وفاة وتوفى فى سنة ٣٥٩ هـ.[٣٣]

وصفوة القول أن بغداد فى عهد ابن سريج كانت مجمع العلماء وملتقى الطلبة والأئمة الذين اختلفوا إليها فى سبيل طلب العلم وقد استنادوا من هذا الإمام وقاموا بنشر المذهب من بعده من الآفات كما صنفوا فى ذلك مؤلفات كثيرة وأظهروا براعة فى نشر المذهب الشافعى والدفاع عنه.

وفضلاً عن المناظرات العلمية وتلاميذ الإمام ابن سريج الذين أثروا الحياة الفكرية والفقهية فللإمام مؤلفات عديدة بلغت أربعمائة مصنف كما ذكر المؤرخون ويقول فيها الاسنوى" وبلغت مصنفاته أربعمائة تصنيف وعز وجود شئ منها فى هذا الوقت وعندى كتابه المسمى بالودائع، وتصنيف على مختصر المزنى " أجاب فيه على أسئلة[٣٤] سئل عنها" .

ومن مصنفاته التى أشار إليها المؤرخون .

١- الرد على ابن داود فى إبطال القياس (أوفى القياس).

٢- التقريب بين المزنى والشافعى.

٣- الرد على محمد بن الحسن الشيبانى.

٤- مختصر فى الفقه.

٥- الرد على عيسى بن أبان.

٦- جواب القاشانى.

٧- البيان عن أصول الأحكام.

٨- الفروق فى الفروع.

٩- كتاب العين والدين فى الوصايا.[١٠]

هذا ويذكر المؤرخون أن ابن سريج كان له ولد فقيه نقل عنه العراقيون فى الطهارة نقلاً عن والده، وكذلك ابن الرفعة فى " الكفاية "،[٣٦] وقد روى عن ابن سريج وحدث عنه كثيرون منهم أبو القاسم الطبرانى وأبو أحمد الغطريفى وأبو الوليد حسان بن محمد.[٣٧]

كان أبو العباس بن سريج " القاضى المجدد " صاحب سنة واتباع كما يذكر الذهبى ويقول فيه " وبلغنى أنه سئل عن صفات الله تعالى فقال : حرام على العقول أن تمثل الله وعلى الأوهام أن تحده وعلى الألباب أن تصف إلا ما وصف به نفسه فى كتابه أو على لسان رسوله، وهو صاحب مسئلة الدور فى الحلف بالطلاق".[٣٨]

وكما أشرت فقد ولى ابن سريج القضاء فى بداية شأنه واستمر على ذلك حيانا من الزمن فى شيراز ثم قدم بغداد وعرض عليه الوزير قضاء القضاة بها بعد إعجابه بهذا الإمام الآن وكان يقول هذا المنصب أبو عمر المالكى إلا أن ابن سريج امتنع أشد الامتناع حتى أمر الوزير أن يُسمر عليه بابه ولما عاتبه الناس على ذلك قال " أردت أن يتسامع الناس أن رجلاً من أصحاب الشافعى عومل على تقلد القضاء بهذه المعاملة وهو مصر على إبائه زاهداً فى الدنيا".[٣٩] هذا وقد توفى الإمام فى بغداد[٤٠] سنة ٣٠٦ هـ/٩١٨م.

الهوامش

١- ابن خلكان: وفيات الأعيان - تحقيق احسان عباس - بيروت - م أ ص ٦٦ الضهبى: تذكرة الحفاظ ج ٣ ص ٨١٢ ، ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب القاهرة ١٣٥٠ هـ - ج٢ ص ٢٤٧.

٢- الذهبى: المصدر السابق والجزء ص ٨١١ ، السبكى: طبقات الشافعية ج٣ ص ٢١.

٣- ابن خلكان: المصدر السابق م ٣ ص ٢٤١. ، السبكى: المصدر السابق والجزء والصفحة. أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٥ وانظر أيضاً ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب ج٢ ص ١٩٨ وانظر ص ٢٤٧ وقيل الانماطى منسوب إلى أنماط وهى البسط التى تفرش وكان فقيهاً ورعاً أخذ العلم عن المزنى وهو الذى نشر مذهب الشافعى فى بغداد. وتوفى سنة ٢٨٨ ، ٢٨٩ هـ.

٤- الاسنوى: طبقات الشافعية - بيروت - الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م - ص ٣٧٠.

٥- ابن خلكان: المصدر السابق م أ ص ٣٧٣ وقيل أن أبا القاسم الجنيد كان شيخ وقته وقيل كان فقيهاً على مذهب سفيان الثورى.

٦- الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد- القاهرة ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١م، م ٤ ، ص ٢٨٧.

٧- ابن خلكان: المصدر السابق م أ ص ٦٦ ، الذهبى: تذكرة الحفاظ ج ٣ ص ٨١٢، السبكى: المصدر السابق ج ٣ ص ٢٢.

٨- شعبان محمد إسماعيل: أصول الفقه ص ٩٦.

٩- الخطيب البغدادى: المصدر السابق والمجلد ص ٢٨٩، الذهبى: تذكرة الحفاظ ج ٣ ص ٨١٢ : ٨١٣.

١٠-انظر ابن الجوزى: المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ابن خلكان : المصدر السابق ج٦ ص ١٤٩ والمجلد ص ٦٦.

١١-ابن خلكان: وفيات الأعيان م أ ص ٢١٧، وقد توفى المزنى سنة ٢٦٤ هـ بمصر وهو الإمام أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزنى.

١٢-ابن النديم: الفهرست ج ١ ص ٢١٣، السبكى: المصدر السابق ج ٣ ص ٢٣ : ٢٤.

١٣-السبكى: المصدر السابق والجزء ص ٢٥.

١٤-انظر السبكى: المصدر السابق والجزء ص ٢٨ : ص ٣١.

١٥-الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد م ٤ ص ٢٨٨.

١٦-السبكى: المصدر السابق والجزء ص ٢٥.

١٧-السبكى ج ٣ ص١٥٨ وانظر ترجمة ابن خفيف فى الصفحات ١٤٩ : ١٥١ وقد توفى هذا الإمام فى سنة ٣٧١ هـ.

١٨-الخطيب البغدادى: المصدر السابق والمجلد ص ٢٨٩.

١٩-السبكى: المصدر السابق ج ٣ ٤٥٦، ٤٥٧.

٢٠-السبكى: المصدر السابق والجزء ص ١٨٦، الاسنوى: طبقات الشافعية ص ٢٥٦، الحسينى: طبقات الشافعية ص ٦٣، ، شعبان إسماعيل: أصول الفقه ص ١١٠ وقيل له كتاب بعنوان كتاب البيان فى دلائل الأعلام على أصول الأحكام.

٢١-الحسينى: طبقات الشافعية ص ٦٥: ٦٦، ابن خلكان: المصدر السابق م ١ ص ٦٨، شعبان إسماعيل: أصول الفقه ص ١١٤: ١١٥.

٢٢-ابن خلكان: المصدر السابق م ١ ص ٢٦: ٢٧.الاسنوى: طبقات الشافعية ص ٣٦٢. الحسينى: طبقات الشافعية ص ٦٦، ٦٧.

٢٣-السبكى: المصدر السابق ج ٣ ص ١٧٣.

٢٤-الذهبى: تذكرة الحفاظ ج ٣ ، ص ٨٩٥، الحسينى: طبقات الشافعية ص ٧٣: ٧٤.

٢٥-ابن خلكان: المصدر السابق م ٢ ص ٧٥، الحنبلى: شذرات الذهب ج ٢ ، ص ٣٧٠.

٢٦-الاسنوى: طبقات الشافعية ص ٢١٣. الحسينى: المصدر السابق ص ٤٥.

٢٧-الذهبى: سير أعلام النبلاء ج ١٤ ص ٥٣٥: ٥٣٦. السبكى: طبقات الشافعية ج ٣ ص ٤٨. أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٤٧ والروزبارى نسبة إلى روزبار وهى قرية من قرى بغداد.

٢٨-السهمى: تاريخ جرجان ص ٩٠ . ابن الجوزى: المنتظم ج ٦ ص ٣٢٠. السبكى: طبقات الشافعية ج ٣ ص ٩.

٢٩-السبكى: المصدر السابق والجزء ص ٤٠.

٣٠-السبكى المصدر السابق والجزء ص ١٣٠ .

٣١-السبكى: المصدر السابق والجزء ص ١٢٩.

٣٢-الاسنوى: طبقات الشافعية ص ١٩. الحسينى: طبقات الشافعية، ص ٨٤ واستراباز بلدة بخراسان قريبة من جرجان.

٣٣-ابن خلكان: المصدر السابق م ١ ص ٧٠. الحسينى: المصدر السابق ص ٨٥. شعبان إسماعيل: أصول الفقه ص ١٢٦.

٣٤-الاسنوى: المصدر السابق ص ٢١٢.

٣٥-ابن النديم: الفهرست ج ١ ص ٢١٣. السبكى: المصدر السابق والجزء ص ٢٣. البغدادى: هدية العارفين م ١ ص ٥٧. شعبان إسماعيل: أصول الفقه ص ٩٧.

٣٦-الاسنوى: المصدر السابق والصفحة.

٣٧-الذهبى: تذكرة الحفاظ ج ٣ ص ٨١١. السبكى: المصدر السابق والجزء ص ٢٢.

٣٨-الذهبى: المصدر السابق والجزء ص ٨١٣.

٣٩-السبكى: المصدر السابق ج ٣ ص ٢٢، ٣٠، ٣١. أمين الخولى: المجددون فى الإسلام ص ١١٩: ١٢٠.

٤٠-الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد م ٤ ص ٢٩٠. ابن كثير: البداية والنهاية فى التاريخ ج ١١ ص ١٢٩. فؤاد يسزكين: تاريخ التراث العربى م ١ ص ١٩٩.

قائمة المصادر و المراجع

أولا: المصادر العربية :

١- الإسنوى (ت ٧٧٢ هـ) جمال الدين الدين عبد الرحيم – طبقات الشافعية – بدون أجزاء – الطبعة الأولى بيروت ١٤١٦ – ١٩٩٦م.

٢- ابن الجوزى (ت ٥٩٧ هـ) جمال الدين أبو الفرج – النتظم فى تاريخ الملوك والأمم – ج ٦ – الطبعة الأولى – حيدر اباد الدكن – ١٣٥٧ هـ .

٣- الحسينى (ت ١٠١٤) أبو بكر هداية الله – طبقات الشافعية – حققه وعلق عليه عادل نويهض– الطبعة الأولى – بيروت – دار الآفاق الجديدة ١٩٧١ م .

٤- الخطيب البغدادى (ت ٤٦٣ هـ) أبو بكر أحمد بن على – تاريخ بغداد أو مدينة السلام – م ٤ – القاهرة ١٣٤٩ – ١٩٣١ م .

٥- ابن خلكان (ت ٦٨١هـ – ١٢٧١ م) شمس الدين أبو العباس وفيات الأعيان و أبناء الزمان – المجلدان الأول و الثانى – تحقيق إحسان عباس – دار صادر – بيروت .

٦- الذهبى (ت ٧٤٨ هـ – ١٣٤٨ م) أبو عبد الله شمس الدين .

١ – سير أعلام ج ١٤ – الطبعة الحادية عشرة – ١٤١٧ – ١٩٩٦ م .

٢ – تذكرة الحافظ ج ٣ – دار الكتب العلمية – بيروت – بدون تاريخ .

٧- السبكى (ت ٧٧١ هـ) تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب – طبقات الشافعية الكبرى – تحقيق محمود محمد الطناحى و عبد الفتاح محمد الحلو – الجزء الثالث – دار إحياء الكتب العربية – بدون تاريخ .

٨- السهمى (ت ٤٢٧ هـ) حمزة بن يوسف – تاريخ جرجان – عن النسخة الوحيدة المحفوظة فى مكتبة بودلين بجامعة اكسفورد – الطبعة الرابعة – ١٤٠٧ – ١٩٨٧ م .

٩- ابن العماد الحنبلى (ت ١٠٨٩هـ) أبو الفلاح عبد الحى – شذرات الذهب فى أخبار من ذهب – الجزء الثانى – القاهرة ١٣٥٠ هـ .

١٠- ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) عماد الدين أبوالفدا – البداية و النهاية فى التاريخ ج ١١ .

١١- أبو المحاسن(ت ٨٧٤هـ) جمال الدين أبو المحاسن يوسف – النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة – ج ٣ – طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب – وزارة الثقافة – المؤسسة المصرية العامة للتأليف و النشر – بدون تاريخ .

١٢- ابن النديم (ت ٣٨٣ هـ) الفهرست- ج ١ – تحقيق محمد عونى عبد الرؤف و إيمان جلال – الهيئة العامة لقصور الثقافة – بدون تاريخ .

ثانيا : المراجع العربية الحديثة :

١- اسماعيل باشا البغدادى :

هدية العارفين باسماء المؤلفين و آثار المصنفين – الجلد الأول – منشورات مكتبة المثنى – بغداد ١٩٥١م .

٢- أمين الخولى :

المجددون فى الإسلام – الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٠ .

٣- شعبان محمد اسماعيل :

أصول الفقه – تاريخة و رحالة ١٩٩٨ م – الطبعة الثانية – مكة المكرمة – ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م .

ثالثا : مراجع أفرنجية مترجمة :

١- فؤاد سزكين :

تاريخ التراث العربى – المجلد الأول – الجزء الثالث – ترجمة د . محمود فهمى حجازى – ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م .

جدلية المفاهيم فى الحضارة العربية الإسلامية

د . سعود محمد العصفور
جامعة الكويت - كلية الآداب - قسم التاريخ

ABSTRACT

The Dispute over Terminologies of Arabic Islamic Civilization

Defining *civilization* may be quiet tricky, as plenty of researchers worked on defining civilization and worked up definitions of which they believe to be precise when in fact they were not. Therefore, and through this article we tried to carefully work on defining this term through establishing the fundamentals needed to come up with the perfect definition. We have provided examples of a number of terms recorded by researchers.

It is useful then to consider the terms that are closely related to civilization in order to clarify the role of the fundamentals in differentiating between the term civilization and other related terms. We have also discussed the definition of civilizations from the point of view of Ibn Khaldūn, the experienced and skilled historian and anthropologist. Ibn Khaldūn believes that the terms al-Badāwa – Bedouin lifestyle – and civilization are closely related. We aim at defining and assuring the components of the term civilization. We then discussed the terminologies related to the naming of our civilization especially that the naming differs from one researcher to another. We tried our best to pinpoint the factors that contributed in making every researcher choose the name he has chosen. It is also useful to discuss the terminologies related to the constituents of our civilization and those related to its characteristics and explain them.

The importance of this article lies in the fact that it contributes in clarifying the terminologies related to Arabic Islamic civilization.

ملخص البحث

جدلية المفاهيم فى الحضارة العربية الإسلامية

الحديث عن الحضارة يطول ، فكم من باحث كتب حول مفهوم الحضارة وصاغ في عجالة ألفاظه وهو يرى أنه فعل الصواب ، وفي بحثنا هذا أردنا أن نتمهل في تناول هذا المفهوم ، وذلك بوضع أسس يجب أن تراعى قبل الشروع في وضع تعريف مثالي ، كما حاولنا التعرض لبعض المفاهيم التي صاغها المؤرخون كأمثلة دالة .

ورأينا من المفيد بعد ذلك أن نميز الألفاظ القريبة من مفهوم الحضارة لنؤكد حقيقة ما ذهبنا إليه من أسس تبرز حقيقة الفارق بين تلك الألفاظ وبين مفهوم الحضارة ، كما تناولنا مفهوم البداوة والحضارة عند ابن خلدون باعتبار أن هناك علاقة حميمية بينهما في نظر مؤرخ خبير متمرس في دراسة المجتمعات البشرية ، وهدفنا من ذلك زيادة تأكيد مكونات مفهوم الحضارة ، ثم تطرقنا لمفاهيم متعلقة بهوية حضارتنا وخاصة أن هذه الهوية اتخذت عدة تسميات عند الباحثين ، وحاولنا جهدنا تتبع الأسباب التي قادت كل باحث لإطلاق تسميته الخاصة ، وكان من المفيد أيضاً أن نتطرق للمفاهيم المتعلقة بالمقومات الخاصة لحضارتنا ، وتلك المتعلقة بخصائصها لإيضاح ما هو لازم بهذا الصدد ، وحسب هذا البحث أن يضيف شئياً في تجلية المفاهيم المتعلقة بالحضارة العربية الإسلامية .

مقدمة :

لن يكتف الباحثون في رحاب الحضارة العربية الإسلامية من وضع الأسس اللازمة لتناولها من خلال توضيح العديد من المفاهيم المتعلقة بها ، وسوف نتناول في بحثنا هذا جدلية مفهوم الحضارة بصورة عامة من خلال أسس نضعها ، ثم نسوق أمثلة لما وضعه بعض المؤرخين من تعاريف بهذا الصدد ، ثم نحاول التفريق بين مفهوم الحضارة وبين الألفاظ ذات الصلة ، ثم نتناول مفهوم البدواة والحضارة عند ابن خلدون ، ثم نتعرض للمفاهيم المتعلقة بهوية حضارتنا من خلال التسميات التي أطلقت عليها ، ثم نتطرق للمفاهيم المتعلقة بالمقومات الخاصة لحضارتنا ، وتلك المتعلقة بخصائصها بغية استكمال المفاهيم .

لازالت الكثير من الصعوبات تعترض سبيل من يتناول الدرسات المتعلقة بالحضارة وفلسفتها ، وخاصة تلك التي تتعلق بوضع قواعد لأصولها ومناهجها [١]، لذا سوف نتعرض لمفاهيم تبدو لأول وهلة سهلة التناول ، لكننا كلما اقتربنا منها وجدنا حاجة ملحة في التمهل والتدقيق ، ذلك أن الطريق ليست اعتيادية في مسالكها.

أولاً : مفهوم الحضارة :

لا يهمنا المعنى اللغوي لكلمة حضارة بقدر أهمية معرفتنا للمعنى الإصطلاحي ، فالمعنى اللغوي قد حدده أهل اللغة في كونها مشتقة من الحضر وهم سكان المدينة حيث الاستقرار ، وأنها ضد البداوة التي يعيش سكانها في الصحراء حيث حياة التنقل والترحال [٢] .

وفي لغات أوروبا ، وبخاصة الإنجليزية فإن الحضارة مشتقة من اللاتينية ، فلفظ "Civilization" معناه مدينة ، ولفظ "civites" يعني مدني أو ساكن المدينة [٣] وأقرب تعريف لغوي لها : " أنها مرحلة من النمو الفكري والثقافي والمادي المتقدم

في المجتمع الإنساني" (٤) ، أو في معنى مقارب : " المرحلة المتقدمة من النمو الإنساني الاجتماعي " (٥).

وقبل أن نحاول الوصول إلى مفهوم الحضارة الإصطلاحي ، لابد أن نضع الأسس التي يرتكز عليها مفهوم الحضارة ، فإذا وضعنا تلك الأسس سهل علينا وضع المفهوم حسب ما نملكه من مفردات لغوية .

ويمكن تحديد أسس مفهوم الحضارة فيما يلي :

١- **الإنسان** : باعتباره صانع الحضارة ومبدعها ، فالحضارة لا تتم إلا بجهد إنساني ، والإنسان خليفة الله في أرضه ، وقد استخلفه الله تعالى لعمارتها ، وعلاقة الإنسان بالحضارة كصانع لها جدلية فلسفية نالت أهمية الكثير من الباحثين فجاءت موائمة مع حتمية تلك العلاقة (٦) .

٢- **تفاعل الإنسان مع غيره** : فالحضارة لا تقوم بجهد فرد من الأفراد ، بل يحتاج الأمر إلى تفاعل الإنسان مع غيره من البشر ، ومن خلال هذا التفاعل يكون الإنتاج البشري جهداً جماعياً يؤلف المجتمعات البشرية الحضرية التي تعيش في أرجاء المعمورة ، ويدخلها بالتالي في حوار الحضارت حيث تستفيد كل حضارة من غيرها (٧) .

٣- **الإنجازات الإنسانية** : لاتتم الحضارة إلا بإنجازات أفرادها في شتى النواحي ، والحضارة الإنسانية المبدعة تركز على النواحي الفكرية والسياسية والإجتماعية والإقتصادية والفنية والروحية ، دون إهمال لناحية ما ، وكلما كان العطاء جزيلاً ، كان التقدم والإزهار صفة لهذه الحضارة .

٤- **الزمان** : الحضارة وليدة الزمان ، فكل حضارة ولدت في زمان محدد ، واستمرارها إنما يكون خلال ذلك الزمان ، ونهايتها أيضاً تكون في زمان محدد ،

لذا قيل في عرف الزمان : حضارات سادت ثم بادت ، فبدايتها محددة ، ونهايتها محددة [٨] .

٥- **المكان** : ما من حضارة إلا وقد عاشت في مكان معين ، ولهذا المكان أبعاده المحددة ، وضيق المكان أواتساعه يتوقف بطبيعة الحال على ما تملكه الحضارة من قوة ذاتية متوافقة مع بيئتها الأصلية ، ثم تأثيرها على البيئات المحيطة بها ، فكلما استطاعت الحضارة التوافق مع بيئتها الأصلية واستفادت منها الاستفادة المثلى ، أضحت مثالاً يحتذى ، وسهل عليها التأثير في البيئات المحيطة بها ، فانضمت إليها طواعية أو قسراً ، فزادت بذا رقعتها الجغرافية على نحو متوافق من الإزهار والرقي [٩] .

إذا عرفانا هذه الأسس ، فلا يصعب علينا الحكم في مدى توافق ما نضعه لمفهوم الحضارة من ألفاظ لغوية تعبيرية .

فالحضارة عند ابن خلدون " أحوال عادية زائدة عن الضروري من أحوال العمران زيادة تتفاوت بتفاوت الرفه وتفاوت الأمم في القلة والكثرة تفاوتاً غير منحصر " [١٠] .

بينما جاء تعريفها عند سعيد عبد الفتاح عاشور " المستوى الفكري والاجتماعي والاقتصادي والسياسي والفني والروحي لمجتمع أو فرد معين " [١١] .

أما الحضارة عند محمود إسماعيل فهي : " إنجازات الإنسان المادية والفكرية والروحية عبر الزمان وفي إطار المكان من خلال الصراع الأزلي والأبدي بين الإنسان والطبيعة " [١٢] .

وعرفها حسين مؤنس بأنها : " ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته ، سواء أكان المجهود المبذول للوصول إلى تلك الثمرة مقصوداً أو غير مقصود ، وسواء أكانت الثمرة مادية أو معنوية " [١٣] .

وجاء ذكرها عند ديورانت بأنها : " نظام اجتماعي يعين الإنسان على زيادة انتاجه الثقافي بعناصره الأربعة : الموارد الاقتصادية ، النظم السياسية ، الخلائقية ، متابعة العلوم والفنون " (١٤) .

وجاء تعريفها عند تايلور بأنها : " مرحلة من التقدم الثقافي تكون فيها الفنون والعلوم والحياة السياسية في درجة متقدمة " (١٥) .

بينما عرفها أحمد شلبي بكونها : " الإنجازات التي تحقق للبشرية أو حققتها البشرية من خلق وسلوك ومعارف " (١٦) .

أما محمود عرفة فقد عرفها بأنها : " كل ما يتصل بالتقدم الإنساني في المجالات المختلفة كاللغة والأدب والفنون وغيرها من مظاهر النشاط الإنساني الذي يؤدي إلى الرقي بالإنسان ، وتيسير السبيل إلى حياة إنسانية كريمة ، كما تشمل على التراث التاريخي المتمثل في العقائد والقيم التي ترسم للحياة غاية مثلى ومغزى روحياً عميقاً " (١٧) .

والحضارة عند مصطفى الرافعي : " تجسيد للنشاط العقلي عند الإنسان ، وتاريخ الحضارة سجل لتطور هذا العقل ومدى فعاليته في مختلف نواحي الحياة من سياسية واجتماعية واقتصادية وإدارية وحربية وعمرانية " (١٨) .

وعند الحوراني هي : " عقائد دينية ، وازدهار اقتصادي ، وانجازات إنشائية وفنية ، وأنظمة تشريعية ، وتضامن اجتماعي ، وفق تقاليد وعادات موحدة ، أو قوى حربية " (١٩) .

وهي عند عفت الشرقاوي : " التراث التاريخي المتمثل في العقائد والقيم التي ترسم للحياة غاية مثلى ومغزى روحياً عمقاً متعالياً على متناقضات الزمان والمكان" (٢٠) .

بينما هي عند محمد محمد حسين : " كل ما ينشئه الإنسان في كل ما يتصل بمختلف جوانب نشاطه ونواحيه ، عقلاً ، وخلاقاً ، ومادة ، وروحاً ، ودنيا ، ودين"(٢١) .

وعند شفايتزر هي :" التقدم الروحي والمادي للأفراد والجماهير على السواء"(٢٢).

أما الحضارة عند أحمد إبراهيم الشريف فهي : " النشاط الاجتماعي بمختلف صوره ومظاهره واتجاهاته ، بما في ذلك التصورات المجردة والمعرفة العلمية"(٢٣).

وإن الناظر إلى هذه المفاهيم يخرج بانطباع عام مفاده : اتساع الفكر الإنساني وقدرته على التعبير عن مدلولات الألفاظ وفق المعطيات الخاصة لكل باحث ، فمن غير شك أن كل باحث حاول جهده في الوصول إلى التعريف المثالي لمفهوم الحضارة وفق ثقافته التي ألفها وسخرها في وضع ذلك المفهوم ، فجاءت تلك المفاهيم معبرة عن واقع الحال .

ثانياً : مفاهيم متعلقة بالألفاظ القريبة من الحضارة :

هناك من ألفاظ ما تبدو أكثر قرباً من مفهوم الحضارة ، ويظنها البعض أنها الحضارة بعينها ، ومن المفيد أن نتعرض لهذه المفاهيم بغرض إثبات الصلة أونفيها عن مفهوم الحضارة ، منها : المدنية ، والثقافة ، والتاريخ .

وقد استعرضنا فيما سبق الأسس التي يجب توافرها في المفهوم المثالي للحضارة، و تبين بجلاء أن هذا المفهوم له من المكونات الخاصة ما يجعله يختلف عن المفاهيم الأخرى، لذا فإن من السهولة تبيان الفارق بينها .

١- الفارق بين الحضارة والمدنية :

لكل حضارة مراحل مرّت بها ، فالمرحلة الأولى في نظر ابن خلدون هي البداوة، تليها مرحلة ثانية مزدهرة هي الحضارة وتعني التحضر والتقدم والرقي

والازدهار ، أما في نظر بعض الباحثين الذين يرون أن للحضارة ثلاث مراحل تماثل المراحل التي يمر فيها الإنسان : طفولة ، وشباب ، وكهولة ، فإن المدنية تعني مرحلة الشباب حيث الإزدهار والتقدم في الحضارة ، وهذه العلاقة واضحة بينهما من عدة جوانب ، أولها أن المدنية ليست مساوية للحضارة ، وثانيها أن المدنية جزء من الحضارة ، وليس العكس ، وثالثها أن المدنية مرحلة من مراحل الحضارة ، وأنها المرحلة المزدهرة من مراحل الحضارة ، أو مرحلة الشباب في منطوق من يرى مراحل الحضارة الثلاث (٢٤) .

٢- الفارق بين الحضارة والثقافة :

يشمل مفهوم الحضارة على كثير من إنجازات الإنسان في كافة النواحي الروحية والفكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والفنية ، ولما كانت الثقافة تمثل الفكر الإنساني ، كانت هي جزء من الحضارة ، وليس مساوية لها ، وتمثل الناحية الفكرية فحسب . وقد استفاض كل من كريبير وكلوك في تبيان مدلول الثقافة وفق هذا السياق (٢٥) .

٣- الفارق بين الحضارة التاريخ :

التاريخ كعلم سابق على زمنياً على الحضارة ، كما أن التاريخ في بدايته كان يتناول النواحي العسكرية والسياسة تحديداً ، أما في العصر الحديث فإنه يتناول كافة النواحي الحضارية الأخرى كالروحية والفكرية والاقتصادية والاجتماعية والفنية ، والتاريخ في العصر الحديث وفي ظل تخصص العلوم أصبح يتناول في مكوناته الكثير من الحضارات القديمة والحديثة والمعاصرة ، وعلى هذا فإن الحضارة غير مساوية للتاريخ ، وأنها جزء منه ، يضاف إلى ذلك أن الحضارة أصبحت في الوقت المعاصر تميل إلى مفهوم فلسفة التاريخ (٢٦) .

ثالثاً : مفهوم البداوة والحضارة عند ابن خلدون :

إذا عرفنا مفهوم الحضارة الاصطلاحي ، فلابد لنا أن نعرف نقيضه ، هل الحضارة بما تحويه من معاني ليس لها بداية ؟ وهل بدايتها صالحة بمفردها لتكوين الإبداع الإنساني الخلاق في جميع النواحي ؟

هذه الأسئلة وغيرها في يقيني كانت تتوارد إلى ذهن ابن خلدون وهو الخبير بأحوال العمران والاجتماع البشري ، فقد حدد العلاقة بين البدواة والحضارة بدقة في عبارات دالة ، منها :

١- " إن البدو أصل المدن والحضر وسابق عليهما " [٢٧] .

علل ابن خلدون عبارته : بأن البدو يقتصرون في أحوالهم على الضروري ، ويعجزون عما فوقه ، أما الحضر فهم يعتنون بحاجات الترف والكمال في أحوالهم وعوائدهم ، وحيث أن الضروري أقدم من الحاجي والكمالي وسابق عليه ، فإن الضروري أصل والكمالي فرع ناشئ عنه . وفي هذه العبارة يلحظ الباحث أن ابن خلدون قد أصل لقاعدة متسقة ، وهي أن حياة البدواة سابقة على حياة الحضر ، وأن البدو قد سبقوا الحضر في تأسيس حياة بدائية هي أصل لحياة المدنية اللاحقة[٢٨].

٢- " خشونة البداوة قبل رقة الحضارة " [٢٩] .

احتوت هذه العبارة على الكثير من المعاني ، منها : أن ابن خلدون تحدث عن مرحلتين تمر بهما كل حضارة ، مرحلة أولى عبر عنها بالبدواة ، ومرحلة ثانية عبر عنها بالحضارة ، ويعني بها هنا الانتقال من البداوة إلى رفاهية الحضارة . وابن خلدون هنا لا يذكر المرحلة الثالثة التي تمر بها كل حضارة وهي مرحلة الشيخوخة التي تضعف فيها الحضارة ، فحديثه هنا يقتصر على المرحلتين الأوليين.

ومن معانيها أيضاً أن لكل حضارة بداية ، وقد عبرعنها ابن خلدون بلفظ البدواة، وهذه البداية تكون شاقة ، وقد أشار ابن خلدون إليها بلفظة دالة وهي الخشونة ، والمشقة تكمن في صعوبة توفير الحاجيات الضرورية كالمأكل والمشرب والمسكن والملبس ، فضلاً عن عدم الاستقرار الناجم عن تنقل الإنسان بحثاً عن الكلأ والماء، باعتبار أن حرفته الرئيسة هي الرعي ، ناهيك عن عدم الأمن الذي يصاحب نزوله في منزل لا يألفه بداية .

وهذه البداية الشاقة المتمثلة في البدواة تختلف عن حياة الحضر والرفه ، فحياة الحضر هي حياة المدن بما فيها من راحة واستقرار ، وتوفرالحاجات الضرورية ، فضلاً عن الكماليات الزائدة التي تعد من مظاهرالترف والدعة ، لذا عبر عنها ابن خلدون بالرقة .

٣- " التمدن غاية البدوي يجري إليها وينتهي بسعيه إلى مقترحه منها " (٣٠) .

لا يمكن للبدوي في ظل حياة البداوة المتصفة بالمشقة والمكابدة أن يقنع بها ، ويركن إليها ، لذا فإنه يبذل قصارى جهده للبحث عن حياة أخرى يجد فيها راحته ، وهذه الحياة عبر عنها ابن خلدون بالتمدن ذاك الذي فيه كل أمنية له ، من هنا كان التمدن هو غاية البدوي ، ومنتهى مبتغاه .

كما يمكن استخلاص فائدة أخرى من هذه العبارة ، وهي أن البدواة هي مرحلة أولية تليها مرحلة لاحقة أكثر تطوراً وتعقيداً ، تتطلب بذل المزيد من السعي والمثابرة للوصول إليها ألا وهي الحضارة .

٤- " الحضري لا يتشوف إلى أحوال البادية إلا لضرورة تدعوه إليها ، أو لتقصير عن أحوال مدينته " (٣١) .

رقة المدينة وما فيها من اسقرار وعيش رغيد ، يجعل الحضري المتمدن لا يلتفت إلى حياة البادية القاسية بكل ظروفها وأحوالها ، لكن للضرورة اللاإنسانية

أحكامها ودواعيها ، فعندما يضيق الحال في المدينة لتوفير حاجة ضرورية أو كمالية ، فإن الحضري يلجأ إلى البادية لعله يجد فيها مبتغاه ، فإذا حدث ظرف طارئ في المدينة كتعرضها لخطر عدواني داهم ، أو حدث تلوث في مياهها ، أو اندلع حريق في مساكنها ومحالها ، أو تعرضت لكوارث طبيعية كالزلازل والبراكين والفيضانات والأعصاير أو خلاف ذلك ، وهو في المجمل يعد من أساسيات الحاجيات الضرورية ، فإن أهلها من الحضر لا مفر أمامهم سوى التوجه إلى البادية .

وكذا الحال بالنسبة للحاجيات الكمالية ، وما ينقص بيئتهم الحضرية من هدوء لا يجدونه في حياة المدن الصاخبة ، فإن ذلك يقودهم إلى ارتياد البادية لتحقيق ذلك . ومثال ذلك أن أهل المدينة من الحضر يتوجهون إلى البادية في موسم الربيع بعد نزول المطر ، واخضرار أرض الصحراء، وطيب هوائها ، فإن ذلك فيه المتعة والترويح عن نفوسهم لا يجدون مثيله في مدينتهم، لكن مكثهم في البادية هنا ليس بدائم ، بل يزول بزوال تغير أحوال الصحراء ، فعند اشتداد حرارة جوها ، واصفرار عشبها ، وظهور هوامها ، فإن الحضر يغادرونها إلى مدينتهم .

٥- " إن أهل البدو أقرب إلى الخير من أهل الحضر " (٣٢) .

هذه العبارة وإن كان في ظاهرها نصرة ومحاباة لأهل البادية وعوائدهم ، إلا أنها في مجملها مقبولة وصحيحة ، فأهل البادية بعيدون في الأصل عن ملاذ وعوائد الترف والإقبال على الدنيا ومباهجها وشهواتها ، وهو مما يلوث الفطر السليمة ، والأنفس الأبية من مذمومات الأخلاق والشرور ، والبعد عن طرائق الخير ومسالكه ، وذهاب الحشمة ، كل هذه العوائد وغيرها اكتسبها الحضر في بيئتهم المدنية ، ولم تكن في أصل نفوسهم ابتداءً .

٦- " إن الحضارة هي نهاية العمران وخروجه إلى الفساد ، ونهاية الشر والبعد عن الخير " (٣٣) .

ساق ابن خلدون هذه العبارة تتمة لسابقتها ، فالحضارة والتمدن عنده إنما هو نذير الانهيار ، وليس هو الانهيار بعينه ، فروح العبارة يفيد ذلك ، كما أن عباراته آنفة الذكر تدلل عليه ، فما بعد التحضر والتمدن إلا نهاية العمران ، وخروجه إلى الفساد ، ونهاية الشر ، والبعد عن الخير ، وهي نهاية حتمية طبيعية لكل حضارة . فالحضارات التي سادت وازدهرت قديماً إنما مآلها انهيار وزوال ، لكن هذا الأمر لا ينطبق على حضارة الإسلام التي تتسم بصفة الديمومة لارتباطها بالدين الإسلامي الذي تكفل الله بحفظه إلى قيام الساعة ، وهذا رأي تبناه شبنجلر في كتابه تدهور الحضارة الغربية حيث تقوم نظريته على تصور بيولوجي لحركة التاريخ ، ذلك أن الحضارة في مفهومه كائن عضوي طبيعي تنشأ وتزدهر وتنمو ، وفي آخر الأمر تشيخ وتفنى ، وتبدو هذه النظرية واضحة في كتابه (٣٤) .

٧- " إن أهل البدو أقرب إلى الشجاعة من أهل الحضر " (٣٥) .

فرضت طبيعة العيش الرغيد والاستقرار في المدينة نمطاً حياتياً ، وسلوكاً مكتسباً ، وهو الركون إلى السلامة ما دامت أسوارهم تحوطهم من كل جانب ، وحاكمهم يقوم بشأنهم ، لذا فإنهم ألقوا السلاح ، وركنوا إلى الأمان والسلامة ، أما أهل البادية فهم دائماً يحملون السلاح ، ويتلفتون في كل جانب إذا هم ساروا في الطرق خوفاً من عدو متربص بهم ، ولا يأمنون حتى في أثناء نومهم من غدر عدوهم ، وهذا كله فرضته طبيعة الصحراء ، وكثرة قطاع السبل ، لذا فإن الشجاعة هي زادهم ، ولابد من توافرها في كل أحد ، لذا كانت سجية ظاهرة فيهم تزيد على مثيلتها عند أهل الحضر .

٨- " الإنسان مدني بالطبع أي لابد له من الاجتماع الذي هو المدينة ، وهو معنى العمران " [٣٦] .

مقتضى العبارة أن الإنسان بمفرده لا يمكنه أن يقيم حضارة ، وأن هذه الحضارة لابد لها من وجود اجتماع بشري ، يقوم كل فرد من أفراده بدور لأجل توفير الحاجيات الضرورية ، فضلاً عن الكمالية ، وهذا الأمر يمكن تحقيقه بصورة مثلى في المدينة حيث توجد مختلف الحرف والصنائع التي تتطلب التعاون والتآزر بين المشتغلين بها ، فلا يمكن بحال أن يقوم أحد الأفراد بكل تبعاتها ، وباعتبار أنها موجودة في المدينة فحسب ولها أهمية بالغة عند البدوي والحضري على سواء ، فإن حياة المدينة هي حياة العمران الحقة [٣٧] .

رابعاً : مفاهيم متعلقة بهوية حضارتنا :

إن تحديد هوية حضارة أمة من الأمم هو غاية مقصودة ، لأنه الإطار العام الذي يندرج تحته جل الحديث اللاحق ، لذا يتطلب الأمر المزيد من العناية والدقة في استعراض وجهات النظر حول هذه الإشكالية بغية تجليتها ، وصولاً إلى حقيقتها ، وما ترنو إليه .

وقد اختلف المؤرخون والمفكرون حول هذه الإشكالية ، وبصورة نلحظ خلالها متناقضات ومفارقات لا يمكن الجمع بينها إلا بتتبع للمفاهيم التي أوردها أصحابها ، والتي تنحصر في أربع تسميات لحضارتنا ، هي :

١- الحضارة العربية الإسلامية .

٢- الحضارة الإسلامية العربية .

٣- حضارة دار الإسلام .

٤- الحضارة الإسلامية .

وقبل أن نستعرض وجهات النظر المختلفة حيال كل تسمية ، نود أن نلفت النظر إلى ملاحظتين :

الملاحظة الأولى ، هي أن التعريفين الأوليين قد جمعا بين مختلفين ، فالعربية مشتقة من العرب ، وهم أحد الأجناس البشرية ، والإسلام هو أحد الأديان السماوية. وحضارة تحمل هذه التسمية الجامعة بين الجنس والدين تعد سابقة تاريخية في مفاهيم العصور التاريخية ، فلم نسمع عن حضارة جمعت في تسميتها بين جنس ودين .

والملاحظة الأخرى ، هي أن التعريفين الأوليين قد جمعا بين العروبة والإسلام ، وهما لا يجتمعان إلا من خلال حرف العطف (الواو) ، فالعروبة إنما تنسب إلى العرب وهم جنس يضم مختلف الملل والنحل والعقائد ، فمنهم المسلم ، واليهودي ، والنصراني ، والمجوسي ، والصابئي، والوثني ، وغير ذلك ، أما الإسلام فليس فيه اعتبار للجنس ، وإنما أتباعه هم المسلمون حصراً .

وعلى ضوء هاتين الملاحظتين فإن المنطوق العام لتسميتين يصبح : " الحضارة العربية والإسلامية " ، و " الحضارة الإسلامية والعربية " . على اعتبار أن العربية تختلف عن الإسلام، وهذا ما لم يقل به أحد ، لكنه يعزز رأي من قال أن حضارتنا هي حضارة الإسلام لا دخل لها بحضارة العرب السابقة لوجودها .

ومهما يكن من أمر ، فإن تسمية حضارتنا لا تخرج بحال عن ما أوردناه من تسميات أطلقها أهل الفكر والتأريخ ، ومن المفيد أن نستعرض كل تسمية ، والأسباب التي دفعت أصحابها إلى نعتها بها :

١- الحضارة العربية الإسلامية :

يرى أنصار هذه التسمية أن العربية لها السبق في هذه الحضارة ، ثم يأتي دور الإسلام لا حقاً، وذلك لأسباب كثيرة منها : أن العرب لهم حضارتهم وإنجازاتها

التي سبقت الإسلام وأثرت فيه ، كما أن البيئة التي ظهرت فيها الحضارة هي شبه الجزيرة العربية ، وهي ذات بيئتهم ، ومؤسس الحضارة هو محمد بن عبدالله – صلى الله عليه وسلم – عربي الأصل ، والكتاب الذي أنزل عليه كان بلسان عربي مبين ، والداخلون الأولون في الإسلام معظمهم من العرب ، وأن العربية هي اللغة الرئيسة في التخاطب بين أهل الحضارة ، كما هي أيضاً اللغة التي تؤدى بها العبادات كالصلاة والدعاء وقراءة القرآن ، فضلاً عن كونها لغة العلم والفن والأدب ، وهي كذلك لغة الفاتحين الأوائل الذين فتحوا الأمصار ونشروا الإسلام .

٢- الحضارة الإسلامية العربية :

وأساس هذه التسمية هو تقديم الإسلام كدين له الفضل والمنة على العربية ، وفق معطيات كثيرة ، منها : أن الإسلام أشمل من العربية على اعتبار أنه يضم كل الأجناس ، ولا اعتبار عنده للجنس في مفهوم التفاضل ، وأن الإسلام هو الذي نشر العربية عندما فتح الأمصار ، وأنه أعز العربية وجعلها لغة القرآن الكريم ، ولغة للعبادات ، ولغة العلم والفن والأدب ، وأن الإسلام لا ينكر دور العرب في صنع الحضارة في بدايتها لذا يصبغ الحضارة بهم ، لكنه لا ينكر دور غير العرب في صنعها والإعلاء من شأنها ، فكثير منهم خدموا العلم ، وقادوا المعارك وشاركوا فيها، وذادوا عن حياض الإسلام ، لذا يقدم لفظة الإسلام على العربية ، كما أن الإسلام دين الله للبشرية جمعاء ، لذا كان الأولى تقديمه تشريفاً له على العروبة .

٣- حضارة دار الإسلام :

يرى أنصار هذه التسمية من عدة اعتبارات ، أهمها : أن الحضارة ليست حكراً على العرب وعلى المسلمين ، بل إن القاطنين في ربوعها من غير المسلمين لهم دورهم في صنعها ، وأن للحضارات الكلاسيكية الشرقية كالصينية والهندية والفارسية أو الغربية كاليونانية والرومانية دورها في تكوين الحضارة الإسلامية ،

على اعتبار أن الإسلام استفاد من إسهامات تلك الحضارات بعد ازدهار حركة الترجمة منذ العصر الأموي (٣٨) .

٤- الحضارة الإسلامية :

ينطلق أنصار هذه التسمية من اعتبارات ، أهمها : أن لكل حضارة صبغتها الخاصة ، لذا فإن هذه الحضارة إسلامية خالصة ، وأن للعرب حضارة خاصة بهم قبل الإسلام ، كما أن بإمكان الجميع عرباً كانوا أم غير عرب أن يساهموا فيها على حد سواء ، وأن إعلاء فضل جنس بعينه سوف يخلق تناقضاً في مبادئ الإسلام ، وأن الإسلام لا يقبل سقطات الفن والأدب وما شابهها من العرب أوغيرهم، على اعتبار أنها خارجة عن شرع دين الحضارة الإسلامية ، كما أن حضارة الإسلام حضارة باقية قد تكفل الله بحفظها إلى يوم القيامة ، وأن سواها حضارات بائدة ، وأن الدين عند الله الإسلام ، فلا يعز سوى أتباعه .

إن ما أوردناه من تسميات لحضارتنا هو جدلية بين المؤرخين ، ولعل طبيعة النفس البشرية وحبها لوضع مقاييس محددة ، تعطينا هذا التباين في وجهات النظر، وحسبنا أننا قد أوضحنا ذلك.

خامساً : مفاهيم متعلقة بالمقومات الخاصة للحضارة العربية الإسلامية :

لكل حضارة مقومات خاصة تمثل دعائم أساس في تكوينها ، وسوف نحاول أن نرصد هذه المقومات بشكل لا يخرجنا عن واقعية الطرح .

حاولت جهدي أن اصل إلى هذه المقومات عبر كثير من الكتب التي تناولت ذات الموضوع ، فلم أجد سوى الأستاذ الدكتور محمود إسماعيل قد جمعها وأصلها تاصيلاً رصيناً ، لا أملك أن أضيف إليه شيئ من المقومات المطلوبة ، ولكن يمكن إضافة الكثير من المعلومات الاستيضاحية والتفصيلية في كل مقوم منها .

أجمل محمود إسماعيل مقومات الحضارة العربية الإسلامية في ثلاثة ، هي : الأساس الإسلامي، والأصول العربية ، والمؤثرات الأجنبية . وحسبي أن أرتبها ترتيباً تاريخياً ، فأقول : المؤثرات الأجنبية ، ثم الأصول العربية ، ثم الإسلام .

١- المؤثرات الأجنبية :

يقصد بالمؤثرات الأجنبية تأثير الحضارات الشرقية كبلاد الرافدين ، وبلاد الشام، والفارسية ، والهندية ، والصينية ، والفرعونية ، والغربية كاليونانية ، والرومانية.

فحضارة بلاد الرافدين كان صلة الحضارة العربية الإسلامية بها وثيقة ، فاستفادت من مدارس النحو العراقية العريقة المتمثلة في البصرة ، والكوفة ، وبغداد، كما اخذت عنها علم الفلك ، وأخذت عنها أيضاً أساليب ري الأراضي ، وزراعة المحاصيل .

وكذا الحال بالنسبة لحضارة بلاد الشام ، فإن الحضارة العربية الإسلامية أخذت عنها فنون الزراعة ، وأساليب الري ، فضلاً العلاقة التجارية الوطيدة بين الحضارتين .

وأخذت عن الحضارة الفارسية فنون العمارة والزخرفة ، فضلاً عن أنظمة الحكم والدواوين ، كما أخذت فنون القتال والخطط العسكرية والأسلحة المستخدمة ، وقامت بترجمة كتب الأدب ككتاب كليلة ودمنة الذي ترجمه عبدالله بن المقفع من الفارسية إلى العربية .

وأخذت عن الحضارة الهندية علم الرياضيات ، وخاصة الأرقام الهندية ، وأسس علم الفلك ، كما جلبت منها حاصلات الشرق وخاصة التوابل ، والبخور ، والعطور، والعقاقير الطبية ، والأخشاب .

وكانت علاقة الحضارة العربية الإسلامية وطيدة أيضاً بالحضارة الصينية ، فقد جلبت من الصين التوابل ، والعقاقير الطبية ، والورق ، والحرير .

كما تأثرت بالحضارة الفرعونية في مجال العقاقير الطبية ، والكيمياء ، فضلاً عن الهندسة المعمارية التي تملثت في بناء الأهرامات ، يضاف إلى ذلك أساليب الري ، وطرق الزراعة .

وتأثر الفلاسفة المسلمون كالكندي ، والفارابي ، وابن سينا ، وابن باجة ، وابن الطفيل ، والغزالي ، وابن رشد بالفسلفة اليونانية ، واستوعبوا آراء أساطينها كسقراط وأفلاطون وأرسطو، ووضعوا لها الشروح الوافية ، ونقلوا ذلك إلى أوروبا.

كما تأثرت الحضارة العربية الإسلامية بما شيده الرومان من عمائر ، وما أبدعوه من زخارف، وما وضعوه من قوانين ، كما تعلم أتباعها خططهم العسكرية ، وفنون القتال ، فضلاً عن معرفة ركوب البحر ، وإنشاء الأساطيل البحرية .

٢- الأصول العربية :

نعني بالأصول العربية كل ما جاء عن العرب من إنجازات ، وما تعارفوا عليه من عادات وتقاليد ، فضلاً عن ما تميزت به لغتهم من مميزات .

وعلى اعتبار أن كل حضارة إنسانية قد تأثرت بغيرها من الحضارات ، فإن الحضارة العربية الإسلامية تأثرت بغيرها ، وأن تاثير كل حضارة قد يكون في ناحية أو يكون في نواحي كثيرة ، وسوف نركز على الجوانب الواضحة من ذلك التأثير العربي على الحضارة العربية الإسلامية .

فالعرب مادة الحضارة الأولى ، فلهم حضارة سابقة عريقة تمركزت في شبه الجزيرة العربية التي عرفت بهم ، ولهم أعراقهم وأنسابهم وعاداتهم وتقاليدهم ، وهم يتكلمون بلغة واحدة هي العربية ، ولما جاء الإسلام اختار الله تعالى من بينهم رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وهو عربي عريق النسب ، ولما أنزل الله كتابه كانت العربية وعاءً له ، كما كانت العربية أداة تؤدى بها العبادات والدعاء والأذان

والصلاة ، ولما فرض الجهاد كان العرب هم غالبية الجيش الإسلامي باعتبارهم كثرة من دخل الإسلام في بداية ظهوره .

وانتشار العنصر العربي في البلاد المفتوحة ساهم بدور فاعل بإضفاء الصبغة العربية على تلك البلاد ، وخاصة إذا ما سلمنا بأن الغالب دائماً يفرض ثقافته على المغلوب ، ويمكن تلمس ذلك بجلاء فيما حدث للبلاد المفتوحة كفارس ومصر والمغرب والأندلس ، حيث تغلغلت العربية بما تحمله من موروث ثقافي ، فتعلم أهلها العربية من الفاتحين لها ، وساعد على ذلك ما تمتعت به اللغة العربية من خصائص كسهولة التعبير ، وكثرة المشتقات والمترادفات ، الأمر الذي رغب تلك الشعوب في اعتمادها لغة للتخاطب فيما بينهم ، كما ألفت شعوب تلك البلاد عادات العرب الحسنة كالكرم والشجاعة والصدق والأمانة وحاولت محاكاتها .

وكان للعرب خبرة في ميادين الحروب وفنون القتال ، ومن ذلك المبارزات الثنائية التي تكون عادة في بداية كل معركة بين أشجع الفرسان وأقواهم وبين نظيره في جيش العدو ، كما اتقنوا الخطط العسكرية كالكر والفر بهدف خلخلة جيش العدو وإرباكه ، فضلاً عن استخدامهم للأسلحة بمختلف أنواعها كالسيوف والرماح والأقواس والنشاب والخناجر والحراب والأطبار والهراوات وغيرها ، كما كان للعرب عاداتهم الخاصة في معاملة الأسرى والرسل وعدم قتلهم ، وكان لذلك أثره الواضح على أبناء الحضارة العربية الإسلامية في سير معاركهم مع الخصوم، يضاف إلى ذلك أن العرب كانوا قادة للمعارك الإسلامية الفاصلة الأولى ، فقد فتحت الشام على يد القائدين العربيين خالد بن الوليد ، وأبو عبيدة بن الجراح في معركة اليرموك سنة ١٥ هـ / ٦٣٦ م ، وفتحت العراق على يد القائد العربي سعد بن أبي وقاص في معركة القادسية سنة ١٦ هـ / ٦٣٧م، وفتحت مصر على يد القائد العربي عمرو بن العاص في معركة بابليون سنة ٢١ هـ / ٦٤١ م [٣٩] .

وتقف الحضارة العربية قبل الإسلام على رأس القائمة في عمـق تأثيرهـا فـي الحضارة العربية الإسلامية ، وخاصة أن هذه الحضارة انطلقت من ذات البيئـة ، وهي شبه الجزيرة العربية ، لذا كان التأثير من جميع النواحي الدينيـة والـسياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية والفنية ، وهذا ما سوف نتطرق إليه في المقـوم الثاني .

ففي الجانب الديني تأثرت الحضارة العربية الإسلامية تأثراً مباشـراً بحـضارة العرب قبل الإسلام ، فالإسلام – وهو صبغة الحضارة الأساس – جاء لتغيير عقيدة العرب المتمثلة في عبادة الأوثان ، وصرفهم إلى عبادة الله وحده ، كما حفظ للعرب فضلهم في قدسية بيت الله الحرام ، وأقرّهم على حج الناس إليه في كل عام ، ولكن وفق مناسك إسلامية محددة ، ثم جاء بعبادات ملزمة لكل أحد من صلاة ، وصوم ، وزكاة ، فضلاً عن تشريع شامل لكل متعلق بالخالق والمخلوق .

وفي الجانب السياسي كان الحكم بين العرب لشيوخ القبائل وفق ما اعتادوه مـن أعراف وتقاليد ، فلما جاء الإسلام حافظ النبي على كيان القبيلـة وأوجـب تقـدير زعمائها وإكرامهم ، لكنه قنن الطاعة في المعروف فقط ، على اعتبـار أن النبـي صلى الله عليه وسلم هو الحاكم بأمر الله يحكم بين الناس بشرعته ومنهاجه ، وبعد وفاته كان الحكم وفق مبدأ الشورى ، فجاء موافقاً لما تعارف عليـه العـرب مـن مبادئ .

وكان للعرب تراثهم الثقافي في شتى العلوم كالفلك ، والقيافة ، واللغة ، والتاريخ، والأدب ، وكانت لهم أسواق الشعر كسوق عكاظ بمكة المكرمة وسوق المربد في البصرة ، فحافظت الحضارة العربية الإسلامية على هذا الموروث الثقافي وصبغته بصبغة إسلامية مثلى .

وفي الجانب الاجتماعي كانت عادات العرب الحسنة كالكرم ، والصدق ، والأمانة، والشجاعة، والنجدة ونصرة الملهوف ، واحترام الكبير ، موائمة للحضارة العربية الإسلامية ، فأخذتها ، بينما كانت العادات السيئة كشرب الخمر ، ولعب الميسر ، والمفاخرة بالأنساب ، ووأد البنات ، وأنكحة الكفار غير موائمة ، فعمدت الحضارة العربية الإسلامية إلى نبذها ، والعمل على إبطالها.

وكانت تجارة العرب رائجة في شبه الجزيرة العربية عبر رحلتي الشتاء والصيف ، وما يفد به التجار من بضائع في موسم الحج ، وكذا ما عتاد عليه أهل المدينة من رواج تجاري ، وقد أقرت الحضارة العربية الإسلامية هذه التجارة واستثمرتها في بنائها الاقتصادي .

وكان للعرب إسهامهم في الجانب الفني عبر ما أبدعوه من فنون زخرفية ، وعمارة ، وقد انتقلت هذه الفنون إلى الحضارة العربية الإسلامية وأضحت ركيزة لكل ابداع خلاق .

وكانت العربية وعاءً لعلوم العرب بما امتازت به من مزايا ، أهمها : كثرة مترادفاتها ، وقدرتها على الاشتقاق ، ووجزالة ألفاظها وعباراتها ، وسهولة تعابيرها ، وقدرتها على استيعاب الألفاظ والمصطلحات الجديدة ، لذا أصبحت لغة القرآن الكريم ، ولغة الأدب والعلم والفن .

٣- الإسلام :

طبع الإسلام الحضارة العربية بطابع جلي ، ولازمها ملازمة السوار للمعصم ، فلا يمكن بحال فصل الإسلام عن العروبة ، فالحضارة التي نعنيها قوامها الإسلام وما جاء به في كل مناحي الحياة من مبادئ ، ولنا أن نتصور ذلك إذا ما تطرقنا لكل ناحية أسهم فيها الإسلام .

فقد ركز الإسلام على الناحية العقدية باعتبارها أصل وجود الإنسان ومحط اهتمامه ، ولما كان العرب في شبه الجزيرة العربية قد خرجوا عن فطرهم السليمة واتخذوا أصناماً يشركونها في عبادة الله وحدة ، فإن الإسلام شرع في دعوته لإرجاعهم إلى نقاء فطرهم السليمة ، فجاء في أوائل السور التي أنزلت إليهم بدعوة صريحة لنبذ عبادة الأصنام والتزام عبادة الله وحده باعتباره جل وعلا خالقهم ورازقهم ومآلهم جميعاً إليه ، لذا ألزم من يدخل إلى الإسلام أن ينطق بأول معتقد موافق لهذه الدعوة وهو شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وأضحى هذا المعتقد الأول شعاراً لكل من دخل الإسلام من العرب وغيرهم ، فكان أحد المقومات الإيجابية التي تصب في صالح وحدة الحضارة العربية الإسلامية .

وأركان الإسلام الأخرى جاءت لتزيد اللحمة قوة واتساقاً ، فإقامة الصلاة أمر لازم لكون الصلاة صلة بين العبد وربه ، وأنها عمود الدين ، ولأن الفاصل بين المسلم والكفر تركها ، وأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وغير ذلك من مقاصدها النافعة ، ولنا أن نأخذ مقصدها الأخير مثالاً، فإن من يحاول أن يتصف بالفضيلة ويبتعد عن الفحشاء والمنكر هو إنسان حضاري طاهر، لا يصدر عنه إلا الفعل الحسن والعمل الخلاّق ، لأنه أبد اليوم يتذكر أفعاله وأقواله في خمس مرات يقف فيها بين يدي خالقه ورازقه ، فإن صدر منه ما هو قبيح أناب إلى الله ، وعاد يصلح ما اقترفته جوارحه ، فكان فعله هذا من الإيجابيات التي ترمي إلى تحقيقها الحضارة العربية الإسلامية .

وأما إيتاء الزكاة ، فهو أصل عظيم يحاكي أسمى مبادئ الإنسانية جمعاء ، وهو غرس مبدأ التكافل الاجتماعي الذي نادت به الأمم قديمها وحديثها ، فالإسلام أوجب على من يمتلك نصاب الزكاة إخراج زكاة ماله لثمانية أصناف هي بحاجة ماسة إليها وهم : الفقراء ، والمساكين ، والعاملون عليها ، والمؤلفة قلوبهم ، والرقيق ،

والغارمون ، والمجاهدون في سبيل الله ، وأبناء السبيل [٤٠] ، وحدد مقدارها ، وبين أنواعها ، وعين مصارفها ، فحاجة الفقير مقضية في ظل الإسلام دونما حاجة لفرض ضرائب أو التنازل عن مكاسب شخصية لصالح الغير ، فإخراجها يزيد المال طهارة ونماءً ، ويشعر الفقير بأن حقه في العيش الكريم قد كفله الشارع له ، عبر مبدأ تكافلي مثالي .

والصوم أيضاً يحقق غاية عزيزة تعود بالفائدة على صاحبها أولاً ، وهي كسب فضيلة التقوى ، مصدقاً لقول الله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون " [٤١] . فالصائم لا يعلم حقيقة صومه إلا الله تعالى ، ويستطيع كل أحد أن يأكل ويشرب في الخفاء ما يحلو له ، لكن لا يمنعه من ذلك إلا خشيته من مراقبة الله له ، لذا ينال تلك الفضيلة ، كما ينال جزاءً لا حصر له ، مصدقاً لقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي عن الله تعالى : " كل عمل ابن آدم له ، إلا الصوم ، فإنه لي وأنا أجزي به " [٤٢] ، والتقوى لازمة لأتباع الحضارة العربية الإسلامية ، فهي تقودهم إلى فعل كل طيب من الأعمال خوفاً ورجاء في تحصيل الثواب والأمن من العقاب الإلهي ، كما أن لصوم مقاصد أخرى ، منها الشعور بالعطش والجوع ، محاكاة لشعور الفقراء والمساكين في أيامهم العصيبة ، لذا فإن على الإنسان أن ينظر في أحوالهم ، ويتتبع حوائجهم ، فيشبعهم عناية ورعاية ، والصوم بذا يكرس مبدأ التكافل الاجتماعي الذي تنادي به الحضارة المثالية.

والحج غاياته ومقاصده أكثر من أن تحصى ، ففيه سمو النفس الإنسانية واستشعارها بحقيقة المساواة بين أفراد المجتمع ، كبيرهم وصغير ، غنيهم وفقيرهم، فالرجال لباسهم واحد ليس فيه شيئ من خياطة خائط ، ولا تطريز حائك، ويشعرهم هذا اللباس بدنو الأجل لأنه يحاكي لباس الأموات ، ويشعرهم أيضاً بيوم

الحساب ، فالجميع على صعيد واحد ، وفي بقعة محدودة المعالم، كما يشعرهم بوحدة المصير على الرغم من اختلاف ألوانهم وأجناسهم وأعراقهم ، وهم إخوة تسود بينهم الألفة والرحمة ، دونما سخط ولا لغط ، ينتقلون من مكان إلى آخر لأداء مناسكة واحدة ، فرادى وجماعات يحكمهم الزمان ، ويوحدهم المكان ، ويلقي بعضهم على بعض تحية الإسلام في جمع مثالي الإيمان ، وكذا النساء يفعلن ذلك غير أن لباسهن ليس فيه تقييد ، لكن تحكمه العفة والحشمة والوقار .

وفي يوم عرفة ، يوم الحج الأكبر يقف الجميع على صعيد عرفات ، وقد بحت الحناجر من كثرة الدعاء ، وجفت المآقي من كثرة سكب العبرات ، وهم يتضرعون لرب غفور كريم ، بغية اعتاقهم من النار ، ورجاء الفوز بالجائزة ، وأن يرجعوا إلى ديارهم وأهليهم كيوم ولدتهم أمهاتهم، بلا ذنب ، ولا أثم . وهذا السمو للنفس الإنسانية من الغايات المنشودة للحضارة ، فكلما سمت نفس الإنسان تطلعت إلى معالي الفعال ، ونبذت مواطن النكوص في كل الأحوال ، وهذه المساوة التي تحققت في الحج تشعر الإنسان في ظل حضارة الإسلام أن مبدأ المساواة الحقة إنما يكون في احترام الناس جميعاً مهما تباينت أحوالهم المعيشية ، واختلفت وظائفهم و أعراقهم ، فهم أبناء الإنسانية الذين تعمَر بهم الديار ، وتزهو بأفعالهم الحضارة .

وأركان الإيمان في الإسلام هي الأخرى تزيد الحضارة قوة وتأصيلاً لمفهوم التزام الطاعة الحقة لخالق واحد ، فلإيمان بالملائكة يكرس المثل الأسمى لما يجب أن تكون عليه العبادة لله تعالى من خضوع وإنكسار ، باعتبار أن الملائكة يعبدون الله دونما كلل ولا ملل ، مصدقاً لقول الله تعالى : " فإن استكبروا ، فلذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسئمون " (٤٣) ، فضلاً كون الإيمان بالملائكة يبرز قصور العقل البشري في إدراك عالم غيبي يجب التسليم بوجوده لتحقيق غاية

الانقياد للخالق ، وهذ الانقياد يقود أبناء الحضارة الواحدة إلى محاكاة المثل العيا لما ينبغي أن يكون عليه العمل الخلاّق لما فيه من مصالح تهدف لخير المجتمع .

والإيمان بالكتب السماوية أولها وآخرها أسمى اعتراف للإنسان بوحدانية الخالق وفضله على الخلق جلهم قديمهم وحديثهم دونما تمييز ، فالكتب السماوية جميعها أنزلت من عند الله على أنبيائه الكرام ، وهم خلقه الذين بلغوا عنه أوامره ونواهيه إلى أقوامهم ، وكانت الرسالة السامية والغاية المشتركة بين تلك الكتب تتمثل في الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، ولما كان القرآن الكريم أحد الكتب السماوية التي في ثنياها تصديق لكل الكتب السابقة بما حوته من فضائل كان القرآن الكريم استمراراً لرسالات السماء ، ولكون القرآن الكريم خاتمة تلك الكتب ، فإن فيه دعوة صريحة للإلتقاء حوله ككتاب أنزله الله خاتمة لكل الكتب ، وجامعاً لكل ما احتوته من فضائل هي صالحة لخير البشرية جمعاء ، ففيه خبر ما قبلنا ، ونبأ ما بعدنا ، وهو الحق الذي لم ينله تغيير ولا تبديل ، من هنا كانت دعوته متسقة مع واقع الحال ، بعدما غيّر وبدّل أصحاب الكتب السماوية الأخرى في كتبهم وحرّفوها، وباعتبار القرآن دستور الإسلام الخالد كان مصدر خير للحضارة العربية الإسلامية بما حوى من تعاليم صالحة لكل زمان ومكان ، ودعوة حقيقية لخير البشرية في كل ناحية من نواحي الحياة .

أما الرسل الذين أرسلهم الله تعالى ، فهم يشتركون في وظيفة واحدة هي الدعوة إلى عبادة الله وحده ، وإخراج الناس من ظلام المعصية إلى نور الهداية ، فالإيمان بهم واجب ، وتصديقهم لازم، وهو أحد أركان الإيمان الذي يلتزمه أبناء الحضارة العربية الإسلامية ، لذا كان هذا الإيمان ركيزة تؤلف بينهم وتجعلهم يحترمون جميع أتباع الرسل الذين تعاقبوا على البشرية ، والتعايش معهم وفق ما يمليه عليهم الإسلام من الإحسان لأهل الذمة ، وباعتبار أن محمداً صلى الله عليه وسلم خاتمة

رسل الله ، فإن دعوة غير المسلمين إلى تصديقه تصبح غاية أهل الإسلام من أجل التوحد حول رسول واحد ، وكلمة سواء تتمثل في عبادة الله وحده ، مصدقاً لقوله تعالى : " قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون " (٤٤) ، حقاً إنها دعوة منطقية تتحد فيها أسمى الغايات في غاية واحدة ، فلا عجب أن كانت هذه الآية وأمثالها سبباً في دخول الكثير من أتباع الرسل السماوية في الإسلام ، وإسهامهم فيه إسهاماً مبدعاً في شتى العلوم والآداب .

والإيمان باليوم الآخر يعد أحد ركائز العقيد الإسلامية التي تقود صاحبها إلى فعل الخيرات في الدنيا رجاء الفوز بنعيم الثواب في جنة الخلد ، فالجزاء من جنس العمل ، والحضارة العربية الإسلامية هي بحاجة إلى هذا المفهوم العقدي الراسخ الذي يدفع أصحابه إلى فعل كل فضيلة لصالح خير المجتمع .

وفيما يتعلق بالناحية السياسة ، اعتمد الإسلام منهج الشورى في الحكم ، دونما التعرض لتفاصيل تطبيقها ، وإنما ترك للمسلمين تطبيقها وفق معطيات الواقع ، وهذا الأمر إذا ما تمعناه جلياً وجدناه يحاكي عالمية هذا الدين وجاهزية حضارته أن تكون صالحة لكل زمان ، ولنا في رسول الله أسوة حسنة في حرصه على أخذ مشورة أصحابه في الأمور الدنيوية التي تختلف فيها الآراء ، كالنزول عند ماء بدر، فقد كان رأيه أن يجعل هذا الماء بينه وبين العدو ، فأشار عليه أهل الخبرة والرأي في الحرب أن الصواب أن يكون الماء خلف جيش المسلمين ، يشربون منه، ويحرمون الأعداء من تناوله ، فاستجاب الرسول صلى الله عليه وسلم لهذا الرأي السديد ، وعدل عن رأيه (٤٥) ، وكذا استشارته صلى الله عليه وسلم لأصحابه في غزوة الخندق ، حيث تمخض الرأي عن حفر خندق حول المدينة المنورة يحول دون مهاجمتها من قبل الكفار (٤٦) ، وهذا يدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم قد

أسس لمبدأ الشورى بين أصحابه ، وهذا ما صار الأمر إليه بعد وفاته ، حيث اعتمد هذا المبدأ في تنصيب الخلفاء الراشدين الأربعة ، وهذا الأمر أضحى أنموذجاً يحاكى في الحضارة العربية الإسلامية على مر عصورها .

ولم يتعرض الإسلام لخطط الحكم الأخرى كالقضاء ، والوزارة ، والحسبة ، والبريد ، والجيش، والشرطة ، وإنما وضع مبادئ عامة أسهمت في بلورة تلك الخطط ، وكانت تلك المبادئ تحوط الخطط بما يحقق مصالح الخلق وبما لا يتعارض مع مبادئ الشرع .

أما الناحية الاجتماعية فهي أكثر تفصيلاً ، فقد تناول الإسلام الفرد وبين حقوقه ، وحدد واجباته، كما أوضح علاقة الفرد مع غيره ، واستوجب الأمر أن تكون العلاقة حسنة راسخة ، وأول من هم أولى بالعناية والاهتمام هما الوالدين ، وتأتي الأم في المقام الأول بأفضلية تفوق الأب ثلاث مرات اعترافاً بفضلها وعظم ما تقوم به ، وبعد الأب يأتي باقي الأرحام الأقرب فالأقرب ، كما أن للجار مكانة كبيرة ضمن النسيج الاجتماعي ، فقد شدد النبي صلى الله عليه وسلم بالإحسان إليه، ثم تتسع دائرة الألفة والمحبة في حضارة الإسلام لتشمل بقية أفراد المجتمع في المسجد والعمل والأمكنة العامة والخاصة في مثالية مجتمعية راقية .

وقد نظم الإسلام في ظل الحضارة العربية الإسلامية العلاقات الأسرية ، وحدد حقوق وواجبات الزوج والزوجة ، وجعل العلاقة أشد رسوخاً وذلك بإحاطتها بنطاق الشرع ، ونبه إلى شفافية العلاقة بين الطرفين بعبارات تدل على الحب والمودة كالسكن ، والرحمة ، والمودة ، مصداقاً لقول الله تعالى : " ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة " [٤٧] ، كما ركز على قدسية العلاقة بينهما ، فحرم الخيانة الزوجية ، وسد باب الزنا ودواعيه ، وشدد العقوبة في ذلك حفاظاً على بنيان الأسرة المسلمة ، وشرع الطلاق وسيلة أخيرة بعد

بذل كل وسع والتدرج في محاولة رأب الصدع بين الزوجين ، كما أشار الإسلام إلى أهمية العناية بالذرية ذكوراً وإناثاً مصدقاً لقول الله تعالى : " والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات ، أفبالباطل يؤمنون ، وبنعمة الله يكفرون " (٤٨) . ولا ريب أن هذه العناية الفائقة من قبل الإسلام بالأسرة يعطي مكانة لهذا الدين في منظور الحضارة على اعتبار أن الأسرة نواة المجتمع .

ومن شمولية الإسلام ورقيه حضارياً اهتمامه بذوي الاحتياجات الخاصة من المعاقين وغيرهم ممن يستحقون الرعاية ، فنهى الإسلام عن التعرض لهم بالفاحش من الكلام أو الحط من شأنهم ، بل أوجب المعاملة لهم بالحسنة ، كما لفت النظر إلى إكرام ذي الشيبة من الرجال الكبار ، وكذا النساء اللائي بلغن من الكبر مبلغاً ، كما حث على العطف على اليتيم والأرملة والمطلقة ، فضلاً على الحنو على الفقير والمسكين وابن السبيل .

وحتى غير المسلمين نالوا رعاية الإسلام وعطفه ، فلهم الأمان ، وحرمة دمائهم وأموالهم مكفولة طالما أنهم دفعوا ما استوجب عليهم من جزية ، بل تم مراعاة أخذ الجزية منهم بحسب القدرة المالية ، ومثال ذلك ما عمل به زمن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب حين قسم الجزية ثلاثة أقسام ، جزية موسرين ، وجزية متوسطي الحال ، وجزية الفقراء . كما نال أهل الذمة مكانة رفيعة في المجتمع الإسلامي ، فكان منهم الوزراء ، وكبار الكتاب ، ورؤساء الصنائع وغير ذلك من المناصب الرفيعة، كما نال علماؤهم عناية فائقة من كثير من الحكام ، وهذا يدل على سمو الإسلام ومبادئه التي أرست قواعد الحضارة العربية الإسلامية .

وفي مجال التنظيم الطبقي في المجتمع ، أزال الإسلام الفوارق بين الطبقات ، حتى لا نكاد نلحظ طبقة ظاهرة على أخرى في حقوقها ، عدا ما تقتضيه توابع

المناصب القيادية ، ففي عصر الدولة الإسلامية الأولى حيث الخلافة الراشدة فإن الحاكم وهو الذي يقف على رأس التنظيم الطبقي ، ليس له ما يميزه عن بقية أفراد المجتمع ، سواء في المسكن ، أو الملبس ، أو المطعم ، أو المركب ، فهو يعتبر المنصب تكليف لا تشريف ، وأن على الجميع أن يطيعه في الأمور التي أجراها على حكم الشرع وعدالة الحكم ، لذا كان الأمر في أوائل الدولة الإسلامية يحاكي مثالية الإسلام وصلاحيته لكل زمان ، ثم طال الأمر التغيير والتبديل والتكالب على المناصب ، لكن مثالية الإسلام كانت نبراساً يحتذى لكل حاكم عادل .

ونالت الناحية الاقتصادية هي الأخرى عناية كبيرة في ظل الإسلام ومبادئه ، فعمل الإسلام على تنظيم شئون الأموال وتوجيهها في أبواب مختلفة ، فقد تناولها في باب العبادات حين أوجب إخرج الزكاة على الأغنياء ليحمي المجتمع من الفقر والعوز بغية تحقيق الألفة والمحبة بين الأغنياء والفقراء ، وليشعر الجميع أنهم في مجتمع يهدف إلى رفاهية أفراده .

وقرر الإسلام الميراث لربط الأقارب بعضهم ببعض ، سابقهم ولاحقهم ، كما حرم السرف الناشئ عن أحوال الترف ، ودعا إلى الاعتدال والاقتصاد في المال دون بخل ، وفي هذا تتجلى عالمية مبادئ الإسلام ووسطيته وجمال حضارته .

وأمر بتحصيل الأموال من مصادرها الاقتصادية الطبيعية المرتبطة بالنشاط البشري ، فالتجارة تعد مصدراً لجمع المال ، لذا رغَب الإسلام باحترافها ، وأحل البيع والشراء لما فيه من مصلحة متحققة ، وحرم الربا والبيوع الفاسدة كالعينة ، والنجش ، والغرر ، وبيع السلعة قبل قبض ثمنها ، لما في ذلك كله من غبن ومفسدة تطال حاجة الفقير .

كما حرم الغش التجاري الناتج عن تطفيف الكيل والميزان واتباع أساليب أخرى في تزييف البضاعة وإخراجها عن صورتها الحقيقية ، وفي ذلك مدعاة لإثارة الأحقاد والبغضاء بين الناس ، وانتشار الفساد في الأرض .

وأمر الإسلام بتحصيل المال عن طريق الزراعة ، وذلك بإحياء الأرض واستثمارها ، ولفت إلى ما في ذلك من مصلحة متحققة للإنسان والحيوان ، مصدقاً لقول الله تعالى : " فلينظر الإنسان إلى طعامه ، أنا صببنا الماء صباً ، ثم شققنا الأرض شقاً ، فأنبتنا فيها حباً ، وعنباً وقضباً ، وزيتوناً ونخلاً ، وحدائق غلباً ، وفاكهة وأباً ، متاعاً لكم ولأنعامكم " (٤٩) .

والصناعة من دعائم المجتمعات الحضرية ، وتنوعها يدل على غنى ثروات المجتمع ، وقد أمر الإسلام بكسب المال عن طريقها لأهميتها للناس في معايشهم ولما تحققه للصانع والتاجر من عوائد ربحية ، ولفت القرآن الكريم النظر إلى أهمية الصناعة وإلى بعض أنواعها في مثل قول الله تعالى : " وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس " (٥٠) ، وكإشارة إلى صناعة الملابس قال الله تعالى : " قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوآتكم وريشاً " (٥١) ، و إشارة إلى بناء القصور والمباني قال الله تعالى : " قيل لها ادخلي الصرح ، فلما رأته حسبته لجة ، وكشفت عن ساقيها ، قال هذا صرح ممرد من قوارير " (٥٢) .

والمحتسب وظيفته بالدولة الإسلامية مشتقة من قول الله تعالى : " ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون " (٥٣) ، ومن مهامه الجليلة منع التلاعب في الصنائع ، وضمان وصولها إلى يد المستهلك سليمة من الغش .

وحرم الإسلام الاحتكار لقوله صلى الله عليه وسلم : " من احتكر فهو خاطئ"(٥٤)، والهدف من ذلك رفع الضرر عن الناس ، لأن المحتكر يقصد رفع سعر السلعة في وقت ضرورة الناس لشرائها .

بهذه المبادئ الاقتصادية استطاع الإسلام أن يقدم مثالاً حضارياً يحتذى به ، حيث يراعى فيه عدم المساس بحاجات الفقراء من الناس .

واهتم الاسلام بالحياة العلمية اهتماماً بالغاً ، حيث تضمنت أول سورة من القرآن الكريم دعوة صريحة للأخذ بأسباب العلم ، حيث قال الله تعالى فيها : " أقرأ بسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم " (٥٥) ، وقال الله تعالى أيضاً : " قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون " (٥٦) ، وأعلى من شأن العلماء، مصدقاً لقول الله تعالى : " إنما يخشى الله من عباد العلماء " (٥٧) .

كما حث على استثارة العقل للنظر في الكون وما يحويه من بديع صنع الله في الأرض وفي السماء كتعاقب الليل والنهار ، وكيفية سير السفن في البحر ، وما يترتب على نزول المطر من إحياء للأرض بعدما كانت قفراء مجدبة ، وما خلق الله من مخلوقات تدب على الأرض ، فضلاً عن لفت النظر إلى الظواهر الطبيعية كهبوب الرياح ودفعها للسحاب بين السماء والأرض مصدقاً لقول الله تعالى : " إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون " (٥٨) .

ويرفع القرآن من شأن العلماء الذين هم رواد الحضارة العربية الإسلامية ويخاطبهم بفضلهم على من سواهم في المعرفة والفهوم مصدقاً لقول الله تعالى : "

وما يعلم تأويله إلا الله ، والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب " (٥٩) ، كما يعدهم بالدرجات الرفيعة يوم القيامة مصدقاً لقول الله تعالى : " يرفع الله الذين آمنوا والذين أوتوا العلم درجات " (٦٠) .

إن نظرة الإسلام للعلم والعلماء كبيرة لا يتسع المقام لذكر تفاصيلها ، ويكفيها دلالة ما أنجزه علماء الإسلام من نتاج علمي وأدبي في العصور الوسطى نقلوه فيما بعد إلى أوروبا وغيرها من البلاد ، وكان هذا التميز يسجل لدور الإسلام في فتح البلاد ونشر العلم في ربوعها .

سادساً : خصائص الحضارة العربية الإسلامية كمفهوم :

لكل حضارة خصائصها التي تتصف بها ، وقد تكون هذه الخصائص ذاتية ، وقد تكون مشتركة مع غيرها من الحضارات ، ويمكن إجمال ذلك في :

١- حضارة إيمانية عقدية :

اقترنت هذه الحضارة بالإسلام كدين سماوي يركز على الاعتقاد الإيماني الراسخ بوحدانية الله ، والإنقياد لأوامره ونواهيه ، فالغاية من الخلق هي عبادة الله مصاقاً لقوله تعالى : " وما خلقت الأنس والجن إلا ليعبدون ، ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ، إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين " (٦١) ، وكذا الدخول في الإسلام تقيد بلفظ الشهادتين وهو أول أولويات الإنقياد العقدي بقول المسلم : " أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله " ، كما يستلزم الاعتقاد أيضاً الإيمان بالملائكة ، والكتب السماوية الأخرى ، والرسل السابقين قبل محمد صلى الله عليه وسلم ، واليوم الآخر ، والقضاء والقدر.هذه بعض ركائز هذه الخاصية ، وهي بذا تحاكي في الإنسان قصوره عن إدراك كل ما هو خارج عن نطاق إرادته .

٢- حضارة شمولية :

اهتمت الحضارة العربية الإسلامية بكل نواحي الحضارة الروحيـــة و الفكريـــة والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والفنية ، فهي بذا لا تركـــز علـــى الجوانـــب الروحية فحسب ، بل تهتم بالجوانب الفكرية التي تتعلق بالعلم وما أبدعه المبدعون في شتى الميادين وخاصة تلك التي تتعلق بشئون حياة الناس من خـــلال اهتمامهـــا بالعلوم التجريبية كالكيمياء والفيزياء ، والطب ، والنبات ، فضلاً عن العلوم العقلية كالفلسفة والرياضيات والفلك ، كما اهتم علماؤها في فنون الأدب من نثر وشعر .

٣- حضارة إنسانية :

تركز الحضارة العربية الإسلامية على الإنسان ، وتجعله محـــور اهتمامهـــا ، فكفلت له العيش وإن كان فقيراً ، فالزكاة تضمن له حياة كريمة بعيـــدة عـــن ذل السؤال ، وماله مصان ، وعرضه محفوظ ، وحريته مطلقة سوى ما ينـــافي روح الشريعة وقواعدها التي جاءت لتكفل الخير لجميع أفراد المجتمع ، كما أنها اشتملت على كل مبادئ الإنسانية كالعدالة والمساواة والإخاء والمحبة واحترام حقوق البشر جميعاً بما فيهم من أقليات .

٤- حضارة لا عنصرية :

لا فرق في الحضارة العربية الإسلامية بين عرق وآخر ، ولا لـــون وآخـــر ، الجميع سواسية في الثواب والعقاب ، وهذا يجعلها عالمية الطرح ، فالجميع يؤدون ما عليهم من واجبات نحو حضارتهم ، بقدر ما يكون العطاء ، فالجزاء الأوفى لمن اجتهد ونال المعالي ، وإذا اختصموا في شيئ نالوا حقوقهم كاملة غير منقوصـــة لا يردهم عن أخذ حقوقهم لونهم ولا جنسهم ، أما المفاضلة في منظور الـــدين فهـــي التقوى ، وهي أسمى الغايات التي تنشدها البشرية ، وقد تجلى هذا في تقلد الموالي المناصب الرفيعة ، بل كان الكثير منهم علماء .

٥- حضارة متطورة :

باب الاجتهاد مفتوح إلى أن يرث الله الأرض وما عليها ، هذا قد كفله الشارع في الأمور التي لا تتعارض مع النصوص القطعية ، فكل ما يتعلق بأمور الناس الحياتية التي لا تخرج عن منطوق الشرع هي قابلة للتجديد وفق متطلبات العصر ، فالابتكارات العلمية والأحوال الطارئة قابلة للإجتهاد ، فالحضارة ليس يعتريها الجمود ، بل تقبل كل جديد غير مناف لمبادئها العامة ، وهذا الأمر جعل علماء هذه الحضارة يبدعون في كل علم .

٥- حضارة منفتحة على غيرها :

لعبت حركة الترجمة في العصرين الأموي والعباسي دوراً كبيراً في نقل العلوم والآداب ، والفنون ، وأنظمة الحكم ، من الحضارات الأخرى كالفارسية ، والهندية ، والصينية ، والفرعونية ، والبابلية ، واليونانية ، والرومانية ، وغيرها دون استنكاف ولا استمراء ، وقد استوعب علماء المسلمين ذلك كله ، وأضافوا إليه الكثير ونقلوه إلى غيرهم من الحضارات ، وخاصة الأوروبية ، وهذا كله يدل على انفتاح الحضارة الإسلامية على غيرها ، وإسهامها الإيجابي في الحضارة العالمية ، ولعل الحضارة الأوروبية انتهجت ذات الطريق الذي سلكته الحضارة العربية الإسلامية وهو العمل على ترجمة تراث الحضارات ومنها الحضارة الإسلامية، فكان تقدمها الصناعي الذي أفاد من حركة الترجمة في القرن السادس عشر وعم الغرب الأوروبي من حضارات إلى أخرى (٦٢) .

٦- حضارة سلام :

تؤصل هذه الحضارة مبادئ الإسلام في نشره للسلام في أرجاء المعمورة ، فدعوة الإسلام هي دعوة سلام وحكمة تمثلاً بقول الله تعالى : " ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتي هي أحسن " (٦٣) ، كما أوجب على

أتباعه إلقاء تحية الإسلام على المسلمين وغيرهم إذا كانوا في تجمع واحد ، بل نبذ الاعتداء على الغير إذا أظهر المحبة والأمان ، وحث على إنفاذ العهود والمواثيق ، وحذر من الغدر ، لأن ذلك ينافي أوامر الله مصدقاً لقول الله تعالى : " إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم أحداً فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين " (٦٤) ، ورغّب بالعفو عند المقدرة والإعراض عن الجاهلين مصدقاً لقول الله تعالى " خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين " (٦٥) . وقد فعل الرسول صلى الله عليه وسلم مثل هذا الفعل مع كفار قريش عندما دخل مكة فاتحاً لها إذ قال لهم : " اذهبوا فأنتم الطلقاء " (٦٦) . ونجد في التاريخ الإسلامي الكثير من الأمثلة الدالة على تسامح المسلمين مع أعدائهم في غير لين ، ويتحدث الباحثون أن السلام عمّ ربوع البلاد التي فتحها الإسلام ، وخاصة في العصور الزاهرة من الإسلام ، ومثال ذلك مشاعر الأمن والسلام التي أعقبت انتصار صلاح الدين الأيوبي في معركة حطين على الصلبيين ثم الوحدة التي تحققت بين مصر والشام .

٧- حضارة دائمة :

ارتبطت الحضارة العربية الإسلامية بالإسلام كدين سماوي خالد ، وكذا كتاب الله المنزل الذي تكفل الله بحفظه إلى يوم القيامة ، فضمن ذلك كله للحضارة ديمومتها بعكس الحضارات الأخرى التي سادت ثم بادت إلى غير رجعة ، وهذه الخاصية للحضارة العربية الإسلامية فريدة ، ارتبطت كذلك برسول هو خاتم رسل الله تعالى ، وهذه الديمومة جعلت أبناء الحضارة يتنافسون بينهم ، ويحاكون أمثلة خالدة مبدعة منذ عصر الدولة الإسلامية الأولى .

٨- حضارة كثيرة الأتباع :

تتميز الحضارة العربية الإسلامية بكثرة المنتمين إليها على اعتبار أنها ارتبطت بدين الإسلام الخالد ، وبرسول خاتم للرسل ، الأمر الذي أدى إلى كثـرة أتبـاع الحضارة ، وبذا صارت هذه الحضارة من الحضارات الأولى الأكثر انتشاراً بـين بني البشر .

٩- حضارة ممتدة جغرافياً :

تعد الحضارة العربية الإسلامية من الحضارات الأكثـر امتـداداً علـى وجـه البسيطة، بل إن ارتباطها بالإسلام كدين جعلها تتغلغل في المساحات التي تـشغلها غالبية من الديانات الأخرى ، بفضل انتشار الإسلام بين شعوب الأرض جميعـاً ، وهذا جعل لها خاصية انسيابية في الأرض ، فلا حـدود مـصطنعة تقـف أمـام انتشارها.

١٠- حضارة علمية :

اهتمت الحضارة العربية الإسلامية بالعلم والعلماء ، ولما كـان الإسـلام لهـا شرعة ومنهاجاً جعلت العلم فريضة على كل مسلم يدخل فيها ، بل حث الرسـول صلى الله عليه وسلم توصيل العلم إلى من يجهله وخاصة العلم الشرعي ابتداء من تعليم القرآن الكريم مصدقاً لقوله صلى الله عليه وسلم : " خيركم من تعلم القـرآن وعلمه " (٦٧) ، بل إن فضل العلم يفوق فضل العابد مصدقاً لقول النبي صـلى الله علية وسلم : " فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم " (٦٨) ، ومن كان طريقه العلم ودروبه كانت الجنة هي مآله مصدقاً لقول النبي صلى الله عليه وسلم : " مـن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً ، سهل الله له به طريقاً إلى الجنة " (٦٩) وكـان لهـذه الدعوة صداها في نفوس أتباع الحضارة ، فتميزوا في كل علم ، وعلموه لغيرهم .

١١- حضارة وسطية :

تتسم الحضارة العربية الإسلامية بالوسطية والاعتدال ، فهي جمعت بين المادة والروح حيث تهتم بالدين والدنيا ، والعبادة في غير رهبانية ، ومن أولوياتها التيسير على الناس دون تفريط ، مصدقاً لقول النبي صلى الله عليه وسلم : " يسروا ولا تعسروا ، وبشروا ولا تنفروا " (٧٠) ، ولحديث عائشة أم المؤمنين ، قالت : " ما خير رسول الله بين أمرين قط ، إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً " (٧١) ، وكذا وصفت أمة محمد صلى الله عليه وسلم بالوسطية ، مصدقاً لقول الله تعالى : " وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ، ويكون الرسول عليكم شهيداً"(٧٢) .

وبعد ، فإن ما أوردناه في ثنايا البحث هو محاولة لوضع أسس لازمة في جدلية المفاهيم المتعلقة بالحضارة العربية الإسلامية ، وحسب البحث أن يلفت النظر إلى أهمية التمهل في اختيار العبارات الدالة على كل مفهوم ، وضرب الأمثلة لشرح كل ما يتعلق به وصولاً إلى خلق قناعة مقبولة .

الهوامــش

(1) Ernest Cassire : The Proplem of Knowledge' Philosophy,science and history Since Hegel,English Trans.p.278.

(٢) الأزهري ، تهذيب اللغة ، المؤسسة المصرية العامة للتـــأليف والأنبـــاء والنـــشر ، الـــدار المصرية للتأليف والترجمة ، طبع دار القومية للطباعة والنشر ومطابع سجل العرب ، القـــاهرة ١٩٦٤ م ، ج ٤ ص ١٩٨ – ١٩٩ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، طبعة دار المعارف ، القاهرة د.ت ، ص ٩٠٦ – ٩٠٧ .

(3) Philip Weiner, Dictionary of the History of Ideas, (New York: Charles Scribner's Sons, 1973), P613.

(4) The American Heritage Dictionary of the English Language,3ED, New York: Houghton Mifflin Company,1992, PP 349-350.

(5)Oxford Advanced Learner's Encyclopedic Dictionary, Oxford University Press: 1994, P160.

(٦) فؤاد زكريا ، الإنسان والحضارة ، نشر مكتبـــة مـــصر للمطبوعـــات ، القـــاهرة ١٩٩١م ؛عبدالمجيد عبدالملك ، الإنسان والحضارة جدليـــة المادة والوعي ، نـــشر دار بيـــسان للنـــشر والتوزيــــع والإعلام ، بيـــروت ٢٠٠٣ م .

(٧) انظر : إبراهيم القادري بوتشيش ، بين أخلاقيات العرب وذهنيات الغـــرب ، نـــشر رؤيـــة للنشروالتوزيـــع، القاهرة ٢٠٠٥ م حيث يقدم الكتاب مجموعـــة مـــن الدراســـات والمعالجـــات الأنثروبولوجية الاجتماعيـــــة والثقافية للتاريخ العربي والإسلامي، مثل العلاقـــات الاجتماعيـــة بين الشرق والغرب الناجمة عن الحروب الصليبية، والتواصل الحضاري بين العرب والهنـــدوس وما أدى إليـــه من تعاون وتضامن بيـــن الأمم والعقل الاجتمـــاعي والحـــضاري للمجتمعـــــات الإسلاميـــة في العصور الوســـطى ؛ محمد خاتـــمي ، حوار الحضارات ، نـــشر دار الفكـــر ، دمشق ٢٠٠٣ م كتاب يتضمن محاضرات في مناسبات متعددة حول حوار الحضارات والشروط المسبقة للحوار، ومنجزات الحوار، وما يلعبه كل من العالم الإسلامي والغرب في ذلك ؛

V.Plekhanon: The Role of The individual in History , English trans.p.27,41.

(٨) حول ارتباط الحضارة بالزمان انظر : ول ديورنت ، قصة الحضارة ، دار الجيل ، بيروت ١٩٧٧ ؛ محمد سويسي، انتقال العلوم العربية والحضارة الإسلامية إلـــى الغـــرب، ، تـــونس،

المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، ١٩٨٥ ؛ ديفيد ب. رزنيك ، أخلاقيات العلم، قانون الأخلاق بديلا عن أخلاق القانون، ترجمة عبد النور عبد المنعم، مراجعة يمنى طريف الخولي، سلسلة "عالم المعرفة"، رقم ٣١٦ ،الكويت ، ٢٠٠٥م ، ؛ حسام الألوسي، الزمان في الفكر الديني والفلسفة وفلسفة العلوم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٥ م.

(٩) عن جدلية المكان في الحضارة انظر : بيليت، جان ماري ، عودة الوفاق بين الانسان والطبيعة، سلسلة عالم المعرفة (١٨٩)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت١٩٩٤م ؛ باختين ميخائيل إشكال الزمان والمكان ، ترجمة يوسف حلاق، دمشق ١٩٩٠م ؛ قاسم، سيزا ،أهمية المكان، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة ١٩٩٤م ؛ لجنة إدارة شؤون المجتمع العالمي ، جيران عالم واحد، سلسلة عالم المعرفة عدد ٢٠١ ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ١٩٩٥م .

(١٠) ابن خلدون ، المقدمة ، نشر دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الرابعة ، د.ت ، ص٣٦٩.

(١١) سعيد عبدالفتاح عاشور وآخرون ، تاريخ الحضارة الإسلامية العربية ، نشر ذات السلاسل، الطبعة الثانية ، الكويت ١٩٨٦ م ، ص ٥ .

(١٢) محمود إسماعيل ، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية ، الكويت، ١٩٩٢ م ، ص ١٢ . وعن التداخل في هذا المفهوم بين الاتجاه الروحي والمادي في حياة المجتمع ؛ انظر أيضاً :

Jemes A. Goud and H.C.Kiefer,The Weslern Humanities 2 Vols.

(١٣) حسين مؤنس ، الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها ، مجلة عالم المعرفة ، الطبعة الثانية، عدد ٢٣٧ ، سنة ١٩٧٨ م ، ص ١٥ .

(١٤) ول ديورانت ، قصة الحضارة ، دار الجيل ، بيروت ١٩٨٨ م ، ج ١ ص ٣ .

(15) E.B.Taylor, Dictionary of Anthropology, Special Indian Edition, (Delhi: Goyl Saab, 1988), P117.

(١٦) أحمد شلبي ، موسوعة الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة التاسعة ، القاهرة ١٩٩٣ م ، ص ٧ .

(١٧) محمود عرفة وحسين عبدالحميد ، معالم تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ، دار الكتاب الحديث ، الكويت ، ١٩٩٣ م ، ص ١٠ .

(١٨) مصطفى الرافعي ، حضارة العرب ، دار الكتاب العالمي ، الطبعة الرابعة ، القاهرة ١٩٨٨ م ، ص ١٣ .

(١٩) الحوراني ، الإنسان والحضارة ، المكتبة العصرية ، بيروت ١٩٨٩ م ، ص ١٤ .

(٢٠) عفت الشرقاوي ، فلسفة الحضارة الإسلامية ، دار النهضة العربية ، الطبعة الرابعة ، بيروت ١٩٧٧ م ، ص ٥٦ .

(٢١) محمد محمد حسين ، الإسلام والحضارة الغربية ، دار الفتح ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٧٣ م ، ص ٤ .

(٢٢) ألبرت شفابتزر ، فلسفة الحضارة ، ترجمة عبدالرحمن بدوي الطبعة الثالثة ، دار الأندلس، بيروت ، ص ١١٣ .

(٢٣) أحمد إبراهيم الشريف ، دراسات في الحضارة العربية الإسلامية ، دار الفكر العربي ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٨١ م ، ص ١٩ .

(٢٤) للمزيد حول مفهوم المدنية انظر : أحمد إبراهيم الشريف ، المرجع السابق ، ص ١١ – ٢٠ ؛ محمود إسماعيل ، المرجع السابق ص ١١ – ١٤ ؛ غازي الصوراني ، تطور مفهوم المجتمع المدني وأزمة المجتمع العربي ، نشر مركز الغد العربي ، دمشق ٢٠٠٤ م.

(25)A.Kloeber , C. Kluckhohn , Culture : A Critical Review of Concepts and Definitions , Cambridge,1952.

(٢٦) للمزيد عن الفرق بين التاريخ والحضارة انظر : أحمد إبراهيم الشريف ، المرجع السابق ، ص ٢١ – ٢٧؛ محمود إسماعيل ، المرجع السابق ، ص ١٦ – ١٨ .

(٢٧) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص ١٢٢ .

(٢٨) عن حياة البدو انظر أيضاً :

History of the Arabs , St.Martin's Press,New York,1970,p23,25; The Manners and Customs of the Rwala Bedouins,New York,1928,P.368.

(٢٩) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص ١٢٢ .

(٣٠) المصدر السابق .

(٣١) المصدر السابق .

(٣٢) المصدر السابق ، ص ١٢٣ .

(٣٣) المصدر السابق ، ص ٣٧١ – ٣٧٤ .

(٣٤) عن نهاية الحضارة انظر: شبنجلر، تدهور الحضارة الغربية، ترجمة: أحمد الشيباني، بيروت، دار مكتبة الحياة، ١٩٦٤، الجزء الأول، ص٦٠-٦١ ; ويلسون ، سقوط الحضارة ، ترجمة أنيس زكي حسن ، نشر دار الآداب ، بيروت ١٩٨٧ .

(٣٥) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص ١٢٥ .

(٣٦) المصدر السابق ، ص ٣٨٢ – ٣٨٣ .

(٣٧) عن جدلية ابن خلدون بكون الإنسان مدني بطبعه انظر : صالح الحاجي بن علي ، السياسة والتربية في فكر ابن خلدون ، من بحوث ندوة بيت الحكمة ، تونس ، ١٣ – ١٨ مارس ٢٠٠٦م ؛ إبراهيم الحيدري ، الحضارة والمدنية ، مجلة أطروحات في النظرية الاجتماعية والمجتمع ، العدد الأول ، منشورات جامعة عنابة ، الجزائر ١٩٨٣ م .

(٣٨) عن مفهوم دار الإسلام انظر : محمود إسماعيل ، المرجع السابق ، ص ٩ ، ٤٣ – ٤٥ ؛ أحمد البغدادي ، تجديد الفكر الديني- دعوة لاستخدام العقل ،دار المدى، دمشق، ١٩٩٩م، صفحات: ٩-١١؛ إيلي نجم ، ماذا عن الحضارة الإسلاميّة – المسيحيّة ؟ ، جريدة الأخبار ، عدد الاثنين ٢٧ تشرين الثاني ، لبنان ٢٠٠٦ م .

(٣٩) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم ، دار صادر ، الطبعة الثالثة ، بيروت ١٩٦٧ م ، ج ٣ ص ٣٩٤ – ٤١٨ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، ١٩٧٩ م ، ٧ ص ٤ – ١٦ و ٣٧ – ٤٧ ؛ البلاذري ، فتوح البلدان ، تحقيق صلاح المنجد ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٥٦ م ، ٢٤٩ – ٢٥٨ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ١٩٧٩ م ، ج ١ ص ٣١١ – ٣١٢ .

(٤٠) سورة التوبة ، آية ٦٠ .

(٤١) سورة البقرة ، آية ١٨٣ .

(٤٢) مسلم بن الحجاج ، صحيحه ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ، دار إحياء التراث العربي ، القاهرة ١٩٥٤ م ، باب فضل الصيام ، حديث رقم ١٦١ .

(٤٣) سورة فصلت ، آية ٣٨ .

(٤٤) سورة آل عمران ، آية ٦٣ .

(٤٥) ابن كثير ، المصدر السابق ، ج ٣ ص ٢٦٧ .

(٤٦) المصدر السابق ، ج ٤ ص ٩٥ .

(٤٧) سورة الروم ، آية ٢١ .

(٤٨) سورة النحل ، آية ٧٢ .

(٤٩) سورة عبس ، آية ٢٤ .

(٥٠) سورة الحديد ، آية ٢٥ .

(٥١) سورة الأعراف ، آية ٢٦ .

(٥٢) سورة النمل ، آية ٤٤ .

(٥٣) سورة آل عمران ، آية ١٠٤ .

(٥٤) حديث رواه مسلم في صحيحه ، باب تحريم الاحتكار في الأقوات ، حديث رقم ١٦٠٥ .

(٥٥) سورة العلق ، الآيات ١ – ٤ .

(٥٦) سورة الزمر ، آية ٩ .

(٥٧) سورة فاطر ، آية ٢٨.

(٥٨) سورة البقرة ، آية ١٦٤ .

(٥٩) سورة آل عمران ، آية ٧ .

(٦٠) سورة المجادلة ، آية ١١ .

(٦١) سورة الذاريات ، الآيات ٥٦ – ٥٨ .

(62)Leuria Mamford : Techinque et civilization,Tran.Fiar Caisae,Edition Du Sevil.Paris 1950.P.104.

(٦٣) سورة النحل ، آية ١٢٥.

(٦٤) سورة التوبة ، آية ٤ .

(٦٥) سورة الأعراف آية ١٩٩ .

(٦٦) ابن كثير ، المصدر السابق ، ج ٤ ص ٣٠١ .

(٦٧) محمد ناصر الدين الألباني ،صحيح الترغيب والترهيب ، طبعة مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض ، ٢٠٠٠ م ، حديث رواه البخاري ومسلم وأبوداود والترمذي والنسائي وابن ماجه وغيرهم ، ج ٢ ص ١٦١.

(٦٨) محمد ناصر الدين الألباني ، المرجع السابق ، حديث رواه الترمذي ، وقال حديث حسن صحيح ، ، ج ١، ص ١٤٤ .

(٦٩) المرجع السابق ، حديث رواه مسلم ، ج١ ص ١٤٥ .

(٧٠) المرجع السابق ، حديث رواه البخاري ومسلم ، ج ٣ ص ١٧.

(٧١) المرجع السابق ، حديث رواه البخاري ومسلم ، ج ٣ ص ١٧ .

(٧٢) سورة البقرة ، آية ١٤٣.

همفري الرابع سيد تبنين ودوره في الحركة الصليبية

د.علي أحمد محمد السيد
أستاذ تاريخ العصور الوسطي المساعد
كلية الآداب - فرع دمنهور- جامعة الإسكندرية

المقدمة:

حظيت الحركة الصليبية بعظيم الاهتمام من الباحثين، سواء في الغرب أم في الشرق؛ لأهمية أحداثها، وما ترتب عليها من نتائج، تأثر بها معظم العالم المعروف آنذاك. و لا يتسع المجال للتأكيد على هذا، ومع ذلك فهناك ما يمكن إضافته من تسليط الضوء علي شخصيات لم تحظ بقدرٍ كافٍ من الدراسة، منها شخصية الأمير الصليبي همفري الرابع Humphrey IV، سليل أسرة همفري سيد تبنين (تورون) Humphrey Lord of Toron، التي تأسست حوالي عام ١١٠٧ م، وظهر منها أربعة رجال حملوا الاسم نفسه (همفري)(١) علي التوالي. وظلت أسرتهم قائمة في الشرق اللاتيني - ولو اسمياً - حتي بعد انتهاء دور الأسرة الفعلي، في أعقاب استرداد المسلمين لبيت المقدس عام ١١٨٧ م.

وفي الواقع، لم تظهر دراسة متخصصة، تنصب علي شخص همفري الرابع؛ فظلت شخصيته متوارية،لا ترد إلا في الظل وعرضاً، عند عرض الأحداث التي تناولتها كتب تاريخ الحروب الصليبية بشكل عام، وقد يرجع ذلك إلي أنه كان شخصية ضعيفة في نظر بعض المؤرخين؛ فلم تتوقف عندها كثيراً - علي عكس ما تحاوله هذه الدراسة - فقد كان الاهتمام منصباً علي معالجة الأحداث من حوله، لا من خلاله، دون إبداء للأسباب. وقد اقترن اسم همفري الرابع بسيادته علي قلاع إقطاعية شرق الأردن Autre Jordon، أعني قلعتي الشوبك Montroyal والكرك

Crack بشكل أساسي، وفق مبدأ التوريث، بداية من عام ١١٧٠ م، حتي استرداد المسلمين لها. وكانت سيادته عليها في مجملها اسمية(٢)؛ لطغيان شخصية الأمير الصليبي رينالد أف شاتيون Reginald of Chatillon و شهرته علي شخصية همفري داخل ممتلكاته في الفترة ذاتها تقريباً. وعليه تنبه الباحث لأهمية دراسة، تجلي الجوانب الغامضة من شخصية همفري الرابع، وتهتم بإبراز ملامح هذه الشخصية، وتناقش دورها الصليبي لا من حيث كونه حاكماً صورياً، وإنما فيما يخص ما أحاط بشخصيته، وبسببها، من أحداث جليلة، أقل ما توصف به أنها محورية، بل مصيرية بالنسبة للصليبيين في الشرق بصفة عامة. لقد اقترن اسم همفري الرابع بأحداث اضمحلال مملكة بيت المقدس الصليبية وسقوطها، وفي السنوات التي تلت هذا السقوط، مما استوجب دراسة أعماله في خصوصية، وبرؤية أكثر عمقاً وموضوعية، في ضوء تعرضه لظروف صعبة، سواء في أثناء فترة سيادته أم الفترة التي تلت ذلك.

وضع الأمير همفري الرابع الإقطاعي:

لعل من المهم لفهم أبعاد شخصية همفري الرابع، المحورية في هذه الدراسة، التعرف علي وضعه الإقطاعي داخل مملكة بيت المقدس الصليبية، واستقصاء روابطه العائلية، والوقوف علي علاقات قرابته مع النبلاء من رجالات اللاتين في الشرق.

ولد همفري الرابع حوالي عام ١١٦٦ م؛ إذ وُصِف عند وفاة أبيه همفري الثالث Humphrey III سيد تبنين في عام ١١٧٠ م، بأنه طفل قاصر، كما جاء في الترتيب بعد أخته إيزابيلا Isabella – زوجة كل من روبين الثالث Ruben III ملك أرمينيا (١١٧٤– ١١٨٦م.)، والنبيل مايلر أف بلانسي Mailer of Plancy – ثمرةً لزواج همفري الثالث من الأميرة ستيفاني أف ميللي Stephany

of Milly عام ١١٦٣ م.[٣] سليلة تلك الأسرة النبيلة التي حازت إقطاع نابلس منذ عقود خلت، بيد أن ستيفاني غدت سيدة إقطاع شرق الأردن، الذي كان يضم قلعتي الكرك والشوبك، فضلاً عن بعض القلاع الصغيرة، مثل هُرمز والوعر ووادي موسي وسلع[٤] خلفاً لأبيها فيليب أف ميللي Phillip of Milly، بعد أن تولي منصب مقدم طائفة الرهبان الداوية The Tempelars عام ١١٦٦ م. كذلك تزوجت خالته هلينا أف ميللي Helena of Milly من والتر الثالث سيد بيروت Walter III Lord of Beirut (١١٧٩-١١٨٧م.)، وحينما توفي الوالد تزوجت أرملته من ميلون أف بلانسي Milon of Plancy صنجيل (مستشار) مملكة بيت المقدس في عام ١١٧٣م، ولم تنجب منه، وما لبث ميلون أن توفي هو الآخر في العام التالي، فتزوجت للمرة الثالثة من رينالد أف شاتيون، في نوفمبر عام ١١٧٧م، في وقت كان همفري الرابع فيه صبياً في حوالي الحادية عشرة من عمره[٥]، هذا فيما يتعلق بفرع الأم ستيفاني، أما فيما يختص بالوالد همفري الثالث، فهو ابن همفري الثاني Humphrey II سيد إقطاعية تبنين، فضلاً عن إقطاعيتي الخليل Saint Abraham منذ عام ١١٤٩م، وبَنياس Banyas الداخلية منذ عـام ١١٥٧م، التي ورثها عن زوجتـه الأميـرة الأنطاكيـة فيليبـاPhillipa[٦]. وقد شغل منصب كُندسطبل المملكة قبل ذلك بأعوام خمسة[٧]. ولما كان همفري الثاني بهذا الثقل الإقطاعي والوظيفي، وكان جداً لهمفري الرابع، فقد أظهر حرصه علي تأمين ممتلكات الحفيد، بمحاولة تعطيل زيجتي والدته ستيفاني الثانية والثالثة.

هكذا كان همفري الرابع علي صلة مباشرة بعدد من البيوت الصليبية البارزة في الشرق اللاتيني، فضلاً عن صلته بشخصيات لها ثقلها الإقطاعي والسياسي داخل مملكة اللاتين في الشرق، بل وخارجها، وقد أدي ذلك إلي أن شملت ممتلكاته – منذ كان طفلاً – كلاً من الخليل وتبنين، اللتين آلتا إليه عن طريق

جده ثم أبيه؛ وشرقي الأردن حيث قلعتي الكرك والشوبك، وغيرهما من القلاع الأصغر، التي آلت إليه عن طريق أمه وجده فيليب أف ميللي(٨)، ولهذه الأسباب نجده في صباه وشبابه تبوأ مكانة إقطاعية مرموقة، جعلته يطمح إلي أعلي المراتب الشرفية في المملكة، أعني العرش ذاته. وجدير بالذكر أن المصادر الأجنبية - التي ارتكنت إليها الدراسة - تقرنه بإقطاعية تبنين ملقباً إياه بـــ "همفري سيد تبنين" في مراحله العمرية و الإقطاعية كلها، سواء في أثناء تبعية تبنين له أم بعد أن تنازل عنها للتاج في عام ١١٨٠م. ولتقتصر ملكيته علي الخليل والكرك والشوبك، وتنسب الأخيرتان له وتلحقان باسمه أحياناً(٩)، وقد ظل يذكر علي أنه مالك هذه الإقطاعيات حتي بعد فقده لها، بيد أن ارتباطه بإقطاعية تبنين - سيداً اسمياً لها - كان الغالب.

وقد حظيت شخصية همفري الرابع ببعض اهتمام عدد من المؤرخين المعاصرين، سواء المسلمين منهم أم الصليبيين الأوروبيين. ومنهم من أسماه هنفري أو ابن الهنفري أو الهنغري(١٠). أما المصادر الأجنبية ففيها اسمه كالتالي: همفري وأون فروا Onfroi وأم فرد Amfird ورينفرد دي تورون Reunferd du Touron(١١). أما أوصافه، فقد وصفه ابن شداد، علي سبيل المثال، في مواضع من كتابه بأنه من أبرز رجال فرنج الساحل الشامي، ومن "أكابرهم وملوكهم ومن أولاد ملوكهم"، وأنه "شاب حسن إلا أنه محلوق اللحية..."(١٢). أما المؤرخ الصليبي إرنول فقد نعته بأنه شخصية خاملة وضعيفة وجبانة، الأمر الذي جعل عدداً كبيراً من النبلاء ينبذون فكرة أن يتولي حكمهم(١٣)، أما المؤرخ الإنجليزي المجهول، صاحب الكتاب المعروف بالحملة الصليبية الثالثة، فقد ذكر أنه شاب فائق الجمال، نال حظاً كبيراً من التعليم، وكان في تصرفاته أقرب ما يكون إلي فتاة منه إلي رجل؛ ففيه رخاوة وتهتهة، وربما صح فيه قول القائل: "لقد حارت الطبيعة فيك اخلقتك ذكراً أم أنثي، فلقد ولدت أيها المحبوب ولداً ،لكن يغلب عليك أن تكون

بنتاً[١٤]، ويبدو أن عدداً من المؤرخين المحدثين تأثر بهذه الكلمات، فذهب فريق منهم إلي أن جماله الفائق أضفي عليه من التخنث ما لم يكن معه موضع احترام الجند الذين اشتهروا بالصلابة في الجيش الصليبي، ومع ذلك كان نبيلاً مثقفاً[١٥] كما رأي آخر أنه من الواضح عدم أهليته للملك لضعفه[١٦]، بينما رأي ثالث أن الشواهد تدل علي نبل أخلاقه[١٧].

وما من شك في أن لهذه الأوصاف له عند المؤرخين مغزاها؛ إذ أنها تجاوزت الوصف الشكلي والحسي للأمير الصليبي همفري الرابع، إلي تقييم شخصه، ودوره في الحركة الصليبية، وربما تركت أوصافه هذه انطباعات معينة، جعلته شخصية هامشية عند كتابة تاريخ الحروب الصليبية في الشرق؛ لذا يجب إعادة النظر في تقييم هذه الشخصية وإلقاء مزيد من الأضواء عليها.

ظهور همفري الرابع علي الساحة الصليبية:

راق همفري الرابع للملك الصليبي بلدوين الرابع فاختاره زوجاً لأخته غير الشقيقة إيزابيلا Isabella، ابنة الملك عموري الأول Amalric I (١١٦٢-١١٧٤م). من ماريا كومنينا - أو الأنطاكية -Maria Comnen - التي تزوجت من باليان إبلين Balian Ibelin أحد كبار أسرة إبلين الإقطاعية في الشرق اللاتيني - وتمت مراسم هذه الخطبة في أكتوبر ١١٨٠م. [١٨]، وكانت إيزابيلا آنذاك في الثامنة، في حين كان همفري في الرابعة عشرة تقريباً، وفسر بعض المؤرخين المعاصرين هذه الخطبة علي أنها كانت رداً شرفياً للجميل، الذي قدمه همفري الثاني الجد، حينما جُرح في أثناء إنقاذ الملك الصليبي من الموت في معركة ضد المسلمين في أبريل من عام ١١٧٩م، وقضي نحبه بعدها[١٩]، في حين فسر مؤرخون محدثون ذلك برغبة الملك في توثيق عُري العلاقات بين بيوتات صليبيي المملكة: أسرة إبلين ممثلة في باليان زوج ماريا من ناحية، وأسرة همفري ورينالد

أف شاتيون زوج ستيفاني والدة همفري الرابع من ناحية أخري[٢٠]، كذلك أبدي رينالد من ناحيته حرصه علي إتمام تلك الزيجة، بغرض التقرب إلي البيت الحاكم في بيت المقدس[٢١]، وهكذا كان من المفترض أن يترتب علي خطبة همفري الرابع وإيزابيلا أن تتوطد العلاقة بين عدد من كبار الشخصيات في المملكة الصليبية، ويعكس الإسراع في إتمام خطبة شخصين في هذه السن المبكرة، إلي أي حد تدخلت السياسة في هذه العلاقات.

ونجد في الوثائق أصداء لمشروع الزواج، وانعكاسات له علي وضعية همفري الإقطاعية داخل المملكة لصالح التاج؛ فيبدو أن بعض النبلاء رأي ضرورة أن يتنازل عن جانب من ممتلكاته الشاسعة، وبالفعل أشارت وثيقتان مؤرختان بعامي ١١٨٠ و ١١٨١م. إلي شخص آخر اسمه بلدوين، يحمل لقب حامي قلعة تبنين[٢٢]، وما لبثت تبنين أن غدت من ممتلكات أجنس أف كورتيناي Agnes of Courtenay والدة بلدوين الرابع[٢٣]، في حين يري ستيفن رنسيمان أن تنازل همفري عن تبنين للتاج كان بمثابة هدية لإيزابيلا بصفتها خطيبته[٢٤]، وفي المقابل تثبت وثيقة أخري أنه في أبريل ١١٨٣م.، حاز همفري عوائد جمرك عكا التي تخص الملك بلدوين الرابع، وصار بمقدوره توجيهها إلي أي من المؤسسات الخيرية كيفما شاء[٢٥]. أما ممتلكاته في إقطاع شرق الأردن والخليل، فظلت تحت وصاية رينالد أف شاتيون زوج أمه؛ إذ تشير وثيقة مؤرخة بالحادي والعشرين من أبريل ١١٨٣م، إلي أن همفري كان يدعو رينالد بسيدي Me Domini [٢٦]، وهذا يعني أنه حتي ذلك العام كان همفري يَـعُد رينالد وصياً عليه على الرغم من أنه تجاوز الخامسة عشرة ،أى سن الأهلية[٢٧]، الذي تسقط عنده وصاية رينالد عليه. ومجمل هذه الإشارات يدل علي أن همفري ازداد شرفاً علي شرفه بتداخله مع البيت

الملكي، بيد أن هذا الشرف لم يواكبه تطور ملحوظ فى نفوذه وقوته بين نبلاء المملكة يساير ممتلكاته الوراثية.

وسرعان ما تحول همفري الرابع إلي طورٍ آخر، هو المساهمة في الحرب، و أول ذكر في المصادر لجهوده تلك، إشارتها إلي خروجه من إقطاعه في شرق الأردن، فى أواخر سبتمبر ١١٨٣م، علي رأس قوات الإقطاعية متجهاً إلي إقطاعية الجليل الصليبية، حيث اجتمع معظم قادة مملكة بيت المقدس - ومن بينهم رينالد أف شاتيون زوج أمه - لصد قوات صلاح الدين، غير أن المسلمين تحت قيادة الأميرين عز الدين جوردريك النوري وجاولي الأسدي نصبوا لهمفري وقواته كميناً علي منحدرات جبل فقوع(٢٨)، حيث حاصروهم خمسة أيام حتي خارت قوي الصليبيين، وفتح المسلمون ثغرة بين صفوفهم مغريين همفري وفرسانه بالنفاذ من خلالها، فوقعوا طُعمة لسيوف المسلمين "فقتلوا منهم مقتلة عظيمة وأسروا مائة رجل"(٢٩)، وتعرضت القوات الصليبية الأخري لهزائم كبرى مشابهة، فاكتفي صلاح الدين بهذا القدر من القتال، وعاد إلي دمشق مروراً بنهر الأردن في السادس من أكتوبر من العام ذاته، في حين أسرع همفري مع من تبقي من رجاله، ولجأوا إلي قلعة الكرك(٣٠)، ومن الملفت للنظر أن همفري الرابع إبان هذه الهزيمة النكراء، كان شاباً صغير السن في حوالي السابعة عشرة، ومن ثم ذاق - وهو في تلك السن المبكرة - مرارة الهزائم ورأي بعينيه ويلات الحروب، وما يسفك فيها من دماء، وما يحصد فيها من أرواح.

وفي أعقاب هذه الهزيمة شهدت قلعة الكرك - إحدي ممتلكات الأمير همفري الرابع - وقائع حفل زواجه من إيزابيلا ابنة الملك عموري الأول، في الثاني والعشرين من نوفمبر ١١٨٣م، وأحسن رينالد أف شاتيون إتمام الاستعدادات اللازمة لهذا؛ فدعا عدداً كبيراً من كبار الشخصيات الصليبية، بحكم المكانة الخاصة

للعروس التى تجرى فى عروقها الدماء الملكية، كما أظهر رينالد كثيراً من مظاهر الأبهة فى الاحتفالات[٣١]. ولعل إتمام الزواج قبل أن تبلغ العروس السن المقررة[٣٢] يدل علي أنه كانت وراءه دوافع نفعية؛ إذ أراد رينالد من خلاله تدعيم موقف همفري الرابع داخل البلاط الملكي، أو – بالأحري – تقوية موقفه هو نفسه بشكل مناسب بين كبار رجال المملكة.

وإذا كان زواج همفري الرابع من إيزابيلا مناسبة قُصد بها جمع شمل العائلات الفرنجية – على الأرجح– فإن حفل عقد القران ظهرت فيه بعض الشواهد علي عكس ذلك؛ إذ مارست ستيفاني والدة همفري دورها كحماة علي العروس، بتحريض من زوجها رينالد أف شاتيون، وحرمتها من الالتقاء بوالدتها[٣٣] ماريا كومنينا، مما أوغر صدر الأم تجاههما، ولم يتحقق الهدف الأول من الزيجة، وتجسدت الخلافات بشحنٍ أعمق بين أفراد بيت إبلين بصفة خاصة ـ الذي انتمت إليه ماريا كومنينا بزواجها من باليان ـــ ورينالد أحد أقطاب البيت الحاكم في المملكة.

من ناحية أخري، لم يكن لزواج همفري الرابع أثرٌ إيجابي يذْكر علي وضعه في ممتلكاته التي صارت مسرحاً لصدام عسكري مستمر بين رينالد زوج أمه وصلاح الدين الأيوبي، الذي كان عليه أن يتصدي لسياسات رينالد العدوانية المنطلقة من هذه الممتلكات، فما لبثت قواته أن طوقت قلعة الكرك، وأمطرتها بوابل من الحجارة، بدايةً من العشرين من نوفمبر ١١٨٣م، إبان الاحتفالات بزواج الأمير بإيزابيلا، ولم يُرفع الحصار إلا في الرابع من ديسمبر من العام ذاته؛ لتحرك جيش الملك بلدوين الرابع صوب الكرك على الرغم من مرضه الشديد، الأمر الذي دفع المؤرخ وليم الصوري إلى انتقاد رينالد أف شاتيون لتقصيره في واجبه المقدس في الدفاع عن القلعة[٣٤]. ثم عاود صلاح الدين في العام التالي مهاجمة الكرك بجيش

كبير، ولم يثنه عنها إلا جيش المملكة الذي هب للدفاع عنها[٣٥]. والملاحظ من هذا أن همفري الرابع لم يظهر له دور عسكري واضح؛ إذ يبدو أنه أقام في قلعته يمارس مهامه الإقطاعية الأخري، ويتعامل مع الفلاحين من خلال موظفيه[٣٦]، وفي المقابل أمسك رينالد مقاليد الأمور، لا فيما يخص مناطق سلطته، حيث ممتلكات همفري وحسب، وإنما علي مستوي التعامل مع الإدارة الملكية في القدس ذاتها أيضاً، ومن ثم طغت شخصيته علي شخصية الأمير الصغير همفري.

همفري الرابع في معترك الأحداث الصليبية:

ومع أواخر أغسطس ١١٨٦م، دخل همفري الرابع حومة النزاع علي عرش مملكة بيت المقدس عبر زوجته إيزابيلا، حينما توفي الملك الصغير بلدوين الخامس، وتسببت وفاته في تأجج نار النزاع من جديد بين النبلاء، فانقسموا إلي فريق يضم ريموند الثالث Raymond III كونت طرابلس (١١٥٢- ١١٨٧م.) الوصي علي العرش، ومعه نبلاء بيت إبلين وبيت جارنييه Garnieé، ومعظم النبلاء المحليين، وقد حرص هذا الفريق علي ضم إيزابيلا وزوجها همفري إليه لاستخدامهما أداة لبلوغ مآربهم، وفريق آخر يضم جاي لوزينان Guy of Lusignan زوج سيبيلا Sebelle ورجال بيت كورتناي، وعلي رأسهم جوسلين الثالث Joscelyn III[٣٧]، الذي اتفق مع ريموند علي التوجه إلي ممتلكات زوجته في طبرية، وجمع الأمراء بها للتشاور في مصير المملكة، في ضوء تأكيد وصية الملك بلدوين الرابع علي تولي ريموند الوصاية، ومن ثم يُقصى جاي لوزينان وزوجته سيبيلا عن هذا الأمر[٣٨]، وما لبث ريموند أن وقع في الشرك، حينما أسرع جوسلين بانتزاع بيروت التى مُنحت له في مقابل تحمل أعباء الوصاية، كما أعلن جوسلين سيبيلا ملكةً علي عرش المملكة، مدعومة بزوجها جاي، فضلاً عن رينالد أف شاتيون وباقي الفريق[٣٩]. وهكذا استند الفريقان علي أحقية الأختين في

وراثة العرش، الأمر الذي أظهر همفري وجاي علي أنهما طرفان أساسيان في النزاع.

وتأزم الموقف عندما دُعي همفري الرابع وزوجته إيزابيلا والفريق الذي ينتميان إليه، لحضور حفل تتويج سيبيلا ملكة بالقدس، علي أساس أنه أمر قضى(٤٠)، إلا أن همفري وزوجته رفضا الحضور، فتوج هرقل Heraclius(٤١) بطريَرك المملكة (١١٨٠- ١١٩١م.) سيبيلا، في سبتمبر – أكتوبر ١١٨٦م، ملكة نزولاً علي رغبة سكان المدينة الصليبيين، فى حضور حشد من كبار رجال الدولة المؤيدين لها، الذين انضم إليهم رينالد أف شاتيون، وتُرك لها أمر اختيار شريكها، فكان من الطبعي أن يقع اختيارها علي زوجها جاي، الذي كان كثير من النبلاء والأهالي يكرهونه، وكان لذلك رد فعل كبير لدي الفريق الآخر، الذى ينتمى إليه همفري الرابع، ويتزعمه ريموند الثالث الوصي، الذى أعلن أنه ما زال معهم الأميرة إيزابيلا والأمير همفري، ومن ثم من الممكن تتويجهما ثم اصطحابهما إلي القدس، خاصة مع تأييد معظم نبلاء المملكة له في الرأي، حتي لو اضطروا إلى استخدام القوة في استبدال الزوجين بالزوجين، وبالفعل زحفت قواتهم للسيطرة علي جانب من مدن المملكة، منها صور وبيروت وعكا(٤٢)، فكان ذلك بمثابة إشعال شرارة حرب داخلية بين صليبيي المملكة(٤٣). وتزعم ريموند الثالث هذا الفريق؛ إذ كان زوج ستيفاني أميرة الجليل إحدي كبري إقطاعيات المملكة(٤٤). وقد ورد في المصادر الإسلامية ما قد يفسر هذا القدر الكبير من الحماسة لدي ريموند الثالث؛ فهو "المؤهل للمُلك والمرشح له"(٤٥)، وبلغ به الطموح حد التفكير فى اعتناق الإسلام ليبلغ غايته(٤٦). وبذلك أخذت الشواهد تجتمع للتأكيد علي أن المصالح الشخصية والطموح إلى السلطة، كانت الشغل الشاغل للقادة الصليبيين، وفى هذا السياق يفيد أحد المصادر الصليبية المتأخرة نسبياً (من القرن الرابع عشر الميلادي) بأن رينالد

أف شاتيون أسرع بدوره وسيطر بقواته علي بلدة بيت لحم في العام المذكور (١١٨٦م)[٤٧]، لخلوها من قوات تدافع عنها، منتهزاً حالة الاضطراب التي سادت المملكة جراء الانقسام الذي دب بين قادتها. وهكذا أضحي همفري الرابع في مواجهة رينالد، على الرغم مما يربطهما من أواصر ومصالح.

وماذا عن موقف همفري الرابع حيال هذه الأحداث الفاصلة في تاريخ مملكة الصليبيين؟ تشير المصادر إلي أنه حينما أدرك عزم فريقه علي تتويجه "أعلن أنه ليس بقادر علي تحمل مثل هذه المسئولية الضخمة"، وامتطى جواده مبادراً بالتحرك مع فرسانه بسرعة ليلاً نحو القدس، فلما انبلج الصباح واستيقظ البارونات، وتأهبوا لتتويجه علموا بفراره، وحين بلغ المدينة طلب مقابلة الملكة سيبيلا، وفي حضرتها حياها فأمسكت عن رد التحية، فأخذ يحك شعر رأسه كطفل غلب عليه الخجل، وقال لها: "مولاتي ما كان لي أن أفعل غير ما فعلت، فقد أرادوا أن يجعلوني ملكاً رغم أنفي" فبدلت الملكة من معاملتها له، وقالت: "... ما أراك سلكت إلا سبيل الصواب، واعلم أني غير غاضبة عليك، بل صافحة عنك، والآن هيا امض وقدّم ولاءك للملك [جاي]... فمضي ليقدم فروض طاعته... ثم أقام مع الملكة بالقدس"[٤٨]. وفي هذا الصدد يري المؤرخ المحدث ستيفن رنسيمان أنه حتي هذه اللحظة من المفترض أن يكون ريموند صادقاً في نواياه، ووقوفه بجانب إيزابيلا، إلا أن تصرف همفري علي هذا النحو جعل ريموند يفكر في الاحتفاظ بحق التتويج لنفسه لاعتبارات، أهمها أنه كان وصياً علي العرش[٤٩].

وما من شك في أن هذه الخطوة من همفرى الرابع لها ما وراءها، من النتائج الكبار في تاريخ مملكة بيت المقدس الصليبية؛ فإذا ما كانت أنظار غالبية نبلاء المملكة قد اتجهت إليه، منتظرين أن يكون ملكاً طيعاً، وأكثر إذعاناً لهم من جاي، خيب آمالهم في هذا الشأن[٥٠]؛ ونزل قراره بالانسحاب علي فريق ريموند

الثالث ومن معه من النبلاء نزول الصاعقة، وتملكتهم الحيرة فيما يجب فعله، وحاول ريموند إلزامهم بما اتفقوا عليه، إلا أن خروج همفري من بينهم وضع حداً لمخططاتهم، وكان ذلك إيذاناً بانهيار تحالف النبلاء، وبعد التشاور قرروا دعوة ريموند للذهاب إلي ممتلكات زوجته في طبرية بإقليم الجليل، في حين ارتأوا ضرورة التوجه نحو القدس ليقسموا للملك الجديد يمين الولاء(٥١).

وأمام هذا التصرف من قبل همفري الرابع لابد لنا من وقفة تقييمية للملابسات والظروف التي أدت به إلي اتخاذ هذا القرار. هناك فريق من المؤرخين المعاصرين عدّوا القرار دليلاً علي ضعفه، وفسروا رفضه للتتويج علي أنه هروب من تحمل المسئولية(٥٢)، في حين ذهب بعض المؤرخين المحدثين إلى أن هذا القرار يكتنفه الغموض(٥٣) ولابد من الوقوف علي جزئيات اتخاذه؛ فالمتأمل للأحداث المحيطة يلحظ بسهولة وجود مقومات نشوب حرب، من المفترض أن ينزلق إليها نبلاء المملكة جميعاً، بل ومن خارجها أيضاً، حيث إمارة طرابلس الصليبية؛ أي من معظم الكيانات الصليبية القائمة في الشرق اللاتيني، كما يلاحظ أن مدبري الأمر في الفريقين المتنازعين سواء ريموند الثالث أم جوسلين أف كورتناي، لهما خبرة طويلة اكتسباها عبر السنين، ومع ذلك أخذت الأمور تفلت من أيديهما، بدليل بدء استخدام جوسلين أف كورتناي للقوة، الأمر الذي أنذر بتفجير الوضع العسكري، دونما انتظار لتحكيم قوة خارجية أكبر كالبابوية أو الإمبراطورية الرومانية المقدسة، أو حتي ملكي فرنسا وإنجلترا، فرأي همفري الشاب - الذي كاد أن يكمل العقدين من عمره والكاره للعنف - أن يجنح للسلم، وإطفاء نار حرب لا يعلم أحد مداها، بما اتخذه من قرار التنازل عن شرف عظيم، هو العرش تضحيةً منه، خاصةً وأن المسلمين كانوا يثبتون يوماً بعد يوم قوتهم العسكرية في ظل قيادة شخص مثل صلاح الدين.

همفري الرابع أسيراً:

وفي آخر مساهمة حربية لهمفري الرابع، فى أوائل يوليو من عام ١١٨٧م، تقدم جنده في صحبة رينالد أف شاتيون[٥٤] لمواجهة جيش صلاح الدين، الذى اجتاز نهر الأردن نحو طبرية قاصداً الاستيلاء عليها، وتمكن بالفعل من إسقاطها دون قلعتها، في الوقت الذي أخذت القوات الصليبية من شتي أرجاء المملكة تجتمع عند بلدة صفورية، حيث انقسمت آراء الصليبيين حول التقدم لإنقاذ طبرية؛ فكان همفري الرابع ورينالد ممن آثروا التقدم لإنقاذ طبرية، في حين آثر قادة آخرون التريث، فصاروا عُرضة لاتهامهم بالجبن، وتمكن رينالد وهمفري من إقناع الملك جاي بالتقدم، فأسند إليهما – مع آخرين– مسئولية الدفاع عن مؤخرة الجيش[٥٥]، وتقدم الجيش الصليبي حتي بلغ المرتفعات المعروفة بقرون حطين، وفي صباح السبت الرابع من يوليو، شهدت المنطقة أحداث معركة حطين التي عاني منها الصليبيون الأمرّين؛ إذ نجح المسلمون في تحطيم جيشهم[٥٦] لتتجسد الكارثة بكامل أبعادها في الجانب الصليبي. أما صلاح الدين فأصدر أوامره بأن يجيئوه بأسري المعركة، فمثلوا بين يديه، وكان من بينهم همفري ورينالد أف شاتيون والملك جاي، وكثير من النبلاء والفرسان[٥٧]. وأفاضت المصادر الإسلامية والصليبية في سرد أحداث الأيام التي شهدت انتصارات حطين [٥٨] وبدا حدث أسر همفري مشهدًا عاديا، بل ومستترًا وراء النكبات التي حاقت بالصليبيين.

أسر همفري الرابع في سجون دمشق، فرأي صلاح الدين أن يستثمر أسره هذا،فى إطار سياسة عامة هدفها مزيد من الانتصارات بأقل الأثمان[٥٩]، فبعد أن استولي علي عدد من المدن الساحلية، حاصر عسقلان في الرابع والعشرين من أغسطس عام ١١٨٧م، لمدة أسبوعين، وحينما استعصت عليه؛ لشدة حصانتها، استحضر جاي من دمشق بغرض التدخل لدي المدافعين عن المدينة مقابل إطلاق

سراحه، وعلى الرغم مـ أن جاي لم يتمكن من إقناعهم بالتسليم. ذاضطر صلاح الدين إلي اقتحام المدينة، في الرابع من سبتمبر من العام ذاته، فإن صلاح الدين أطلقه، بل وترك له أن يطلق له عشرة رجال يختارهم ممن كانوا معه في الأسر، فكان من بينهم همفري الرابع(٦٠). والواضح أن عملية إطلاق الأسري تأجلت بضعة أشهر؛ بسبب انهماك صلاح الدين في أحداث جسام، أبرزها حصار بيت المقدس، ثم فتحها في الثاني من أكتوبر من العام ذاته، وفي ذلك اليوم طلبت ستيفاني أف ميللي من صلاح الدين أن يأذن لها بالخروج من بيت المقدس، وإطلاق سراح ابنها همفري، " فصرح لها بالسفر، وهي بنوابها محوطة وبرأيها منوطة " (٦١)، ولم يشرع في إطلاق سراح همفري وجاي إلا في يونيو من عام ١١٨٨م، شريطة ألا يحمل من يطلق سراحهم السلاح بعدها لقتاله، وبالفعل تم ترحيل جاي من نابلس إلي طرابلس(٦٢).

أما عن إطلاق سراح همفري، فثمة ملابسات أحاطت بهذا الحدث؛ إذ ربط صلاح الدين بين فك أسرهمفرى، وتسليمه قلعتي الكرك والشوبك، اللتين صامدتا لحصار أخيه العادل، وكانتا من ممتلكات همفري الرابع، بعدما خلصتا إليه بقتل رينالد أف شاتيون، ولذا اشترط القائد علي والدته ستيفاني شرطاً، فقال: "إن سُلمت الكرك أطلقته"(٦٣)، وأمر بإحضار همفري من سجنه بدمشق، واصطحبه معه إلي القلعتين بغرض التدخل لدي الحامية الصليبية فيهما وإقناعها بالتسليم، متبعاً السياسة ذاتها التي استخدمها مع جاي(٦٤). وهكذا غدا تسليم قلعتي الكرك والشوبك لصلاح الدين ثمناً لفك أسر همفري الرابع(٦٥). وأمام الكرك دعا همفري فرسانه قائلاً: "....إذا أحسستم أنكم عاجزون عن الصمود فإني أدعوكم لتسليم القلعة لخلاصي"، وردد الكلمات ذاتها أمام فرسان قلعة الشوبك(٦٦)، إلا أن الفرسان في القلعتين رفضوا التسليم، فأُودع همفري السجن مرة أخري، في حين توجهت أمه نحو عكا(٦٧).

ويمكن تفسير تراجع صلاح الدين عن قراره بفك أسر همفري في هذه المرحلة بأمرين: أولهما أن كلمات همفري التى حضّ فيها فرسانه علي التسليم لم تكن بالقوة الكافية، وثانيهما أن القلعتين اللتين تشكلان أساس ممتلكاته لم يتم إسقاطهما بعد.

وواصلت حامية الكرك دفاعها عن القلعة، واستبسلت في الذود عنها، حتي فشت المجاعة فيها، وبلغ الجوع ببعضهم إلى حد بيع نسائهم وأطفالهم للأعراب مقابل المؤن، وبسبب هذه المعاناة وربما كذلك بسبب كلمات سيدهم همفري قرر رجال الحامية تسليم القلعة في نوفمبر ١١٨٨م، أما قلعة الشوبك، فعلى الرغم من أن همفرى كان قد خاطب فرسانها بالكلام نفسه، وحوصروا أيضاً، فإنهم صمدوا للحصار بضعة أشهر؛ إذ أنها لم تتعرض للضغط ذاته الذي تعرضت له قلعة الكرك، غير أن الشوبك اضطرت أخيراً للتسليم في أبريل – مايو ١١٨٩م. وتهاوت البقية الباقية من القلاع الصليبية التي تعد من ممتلكات همفري: هرمز والوعر وسلع تباعاً، وحينئذٍ أطلق سراح همفري(٦٨) بعد أن جُرِّدَ من ممتلكاته تماماً، ومع ذلك ظل المؤرخون يلقبونه في التاريخ الصليبي بين الحين والآخر في المرحلة التالية بسيد الكرك والشوبك(٦٩) لكنها كانت ملكية اسمية.

الأمير همفري بين التاج و الهاوية:

وما لبثت الأحداث علي الساحة الصليبية أن تتابعت وتبدلت المواقف بما يمكن همفري الرابع من الاستواء علي عرش المملكة الصليبية في فرصة أخري، وهذا ما يمكن تتبعه في المصادر المعاصرة؛ فهذا صاحب ذيل وليم الصوري يفيد بأن نجم المركيز كونراد أف مونتيفرات Conrad of Monteferrat ــ عم الملك الصليبي بلدوين الخامس ــ بزغ في الشرق اللاتيني، بعد أن ترك ممتلكات أسرته في مونتيفرات شمالي إيطاليا، للمشاركة في الحرب ضد المسلمين، إلا أنه عرج علي القسطنطينية ومكث بها فترة، ثم قرر استئناف مشروعه الصليبي، و وصل

صور في أعقاب هزيمة حطين حوالي منتصف يوليو ١١٨٧م،واستحوذ عليها، ودافع عنها، وحماها من السقوط في يدى صلاح الدين(٧٠)، فرأي فيه باليان إبلين وبعض النبلاء الذين لم يتعرضوا للأسر قائداً لهم، في الوقت الذي عدّه فيه همفري الرابع، وسائر أنصار جاي أف لوزينان الذين خرجوا من الأسر دخيلاً، ومنافساً قوياً علي العرش للملك جاي(٧١). رأي حزب كونراد أن جاي فقد مملكته بهزيمته في حطين؛ إذ ترك المملكة حينها دون حاكم، فكادت أن تضيع بأكملها لولا تدخل كونراد، في حين أصر جاي وحزبه علي الدخول إلي صور لاستئناف حكمها(٧٢). وظل الطرفان في حالة استنفار وترقب لما ستنجلي عنه الأمور، وازدادت حالة صليبيي الشرق سوءاً.

كان ظاهر الأحداث التالية يوحي بمكاسب جمّة لهمفري الرابع وزوجته إيزابيلا؛ إذ توفيت الملكة سيبيلا في أواسط يوليو ١١٩٠م، ومن قبلها ابنتاها أليس Alice وماريا Maria الواحدة تلو الأخري، بشكل مثير للريبة(٧٣)، الأمر الذي جعل مسألة النزاع على العرش تطفو بين قادة المملكة علي السطح من جديد ، فكما اكتسب جاي العرش من خلال زواجه فإنه يفقده أيضاً بفقد زوجته؛ إذ يفتقر إلي السند الذى كان يؤهله للاحتفاظ بالحكم(٧٤) وكان من شأن وفاة الملكة بلا وريث سوي زوج فاشل يكرهه شعبه، وأخت زوجة لهمفري أن فتح باب الأمل من جديد فى أن تصبح إيزابيلا ملكة، ويجلس زوجها إلي جوارها علي العرش، كما حدث في حالة جاي، وأخذ همفري يمني نفسه، ويرتب أموره علي أن المملكة صائرة إليه بالنظر إلى ما لزوجته من حق ثابت فيها(٧٥).

بيد أن التطورات جاءت عكسية، فانتعشت أطماع كونراد، ففضلاً عن الفوز بامرأة علي قدر كبير من الجمال، فالفرصة مواتية أمامه كي يكون ملكاً(٧٦)، إذا ما أحسن استغلال الأوضاع من حوله، فأخذ يدبر خطة مزدوجة هدفها أن يغتصب

زوجة همفري من زوجها، ويسلب التاج الملكي من جاي، فأخذ يشيع بأنه ليس بالرجل الكفء القادر على إدارة شئون الدولة، كما أن حقه في الحكم سقط بعد وفاة زوجته، خاصة وأن هناك ابنة أخري للملك عموري لا تزال حية(٧٧).

وفيما يتعلق بشق الخطة الثانى الخاص باغتصاب زوجة همفري، فاتفقت المصادر الصليبية المحلية والإنجليزية والفرنسية المعاصرة علي تجريم دور كونراد فيه؛ إذ استخدم عنصر الدعاية، لضمان معاونة النبلاء له، وراح يستميل بعضهم بالهدايا، ويضم غيرهم إليه مرتكناً إلي القربي بينهم وبينه، واجتذب آخرين بالمداهنة والتملق، وقطع علي نفسه العهود لغير هؤلاء وأولئك(٧٨)، فأعلن أنه سيبذل كل ما في وسعه لدعم الجيش الصليبي ومساعدته علي الخروج من أزماته الاقتصادية والعسكرية إذا ما تحقق له الزواج من وريثة العرش(٧٩). والواضح أن هذه التطورات في المعسكر الصليبي كان لها صداها الكبير إلي حد سماع المعسكر الإسلامي بها، وأن يردد المؤرخون المسلمون المعاصرون خبر اغتصاب المركيز لزوجة همفري، وأنه استعان في ذلك بالقساوسة، وذهب العماد الأصفهاني إلي أن إيزابيلا كانت حُبلي من همفري آنذاك(٨٠).

ولما كان الدين يشكل العقبة الكئود التي تحول بين المركيز والزواج من زوجة همفري، أخذ يسوق المبررات للتفريق بين إيزابيلا وهمفري، دون تعدٍ علي روح الدين، فزعم أنها حين تزوجت كانت طفلة غريرة، دون السن الشرعية للزواج، لم يستشرها أحد في أمر زواجها من همفري، ولم تُسأل أهى راضية أم لا(٨١)؟ ولقيت دعاوي المركيز وطعنه في زواج همفري من إيزابيلا هوي لدي أمها ماريا كومنينا؛ لما كان ينطوي عليه صدرها من مقت وكراهية شديدين لهمفري، الذى سعي من قبل لحرمانها من رؤية ابنتها بإيعاز من والدته ستيفاني أف ميللي، فألح عليها المركيز أن تعلن شجبها للزواج القائم بين ابنتها وهمفري وتحملها علي

الطلاق منه، وبالفعل راحت الأم تحبب لابنتها الانفصال عن همفرى والزواج من المركيز، فأصمّت ابنتها أذنيها عما تدعوها إليه أمها، ولكن الأم لم تيأس فعاودت مسعاها مرة بعد مرة، في حين ظلت إيزابيلا علي موقفها الرافض، وحينئذٍ حذرتها أمها من أنها لن تحظي بالشرف العظيم وتكون الملكة ما لم تنفصل عن همفري، وأخذت تذكرها بجرمه حينما هرب إلي القدس، وأعلن ولاءه لسيبيلا، ففوت علي نفسه وعليها فرصة الفوز بالتاج والعرش الذي كان والدها جالساً عليه يوماً ما، إلا أن إيزابيلا لم تنصع لمطالب أمها، فلجأت ماريا إلي كونراد سائلة إياه أن يتدخل[٨٢].

وكان الدين وحده الحل والسبيل لفصل همفري عن إيزابيلا، فبادر كونراد بإغداق الهدايا علي رجال الدين من حاشية يوبالدو لانفرانشي Ubaldo Lan Franchi رئيس أساقفة بيزا Archbishop of Pisa (١١٧٦- ١٢٠٨م.) ممثل بابا روما، وفيليب أف درو Philipe of Dreux أسقف بوفيه Bishop of Beauvais (١١٧٥- ١٢١٧م.) اللذين ربطتهما به إما مصلحة أو قرابة[٨٣]، فضلاً عن فريدريك دوق سوابيا[٨٤] Frederick Duke of Swabia بغرض إقناعها وإيجاد مخرج لإتمام هذا الزواج، والتقي الأسقفان بإيزابيلا ورددا على مسامعها كلمات المركيز، زاعمين أنها حين تزوجها همفري كانت قاصراً غريرة، لا تدرك شيئاً من أمور الزواج، ومن ثم فالزواج باطل ويمكن فسخه[٨٥]. ولابد لنا هنا من وقفة؛ فالمعروف – وفقاً للقواعد الكنسية- أنه في حالة حدوث خلاف حول العرش يُرفع الأمر إلي بابا روما ليقول رأيه، وحسماً للقضية تُعرض علي ملكي إنجلترا وفرنسا كي يؤكدا علي الاختيار المقترح[٨٦]، ولما كان هذا يصب في صميم الخلاف الذي نحن بصدده، من مؤامرات كونراد التى تهدف جميعاً إلي الفوز بالعرش، يتبين أن المركيز أحسن التدبير حين لجأ للمندوب البابوى؛ لأهمية دوره

في حسم هذه المواقف؛ إذ لديه القدرة علي حسم قضية الطلاق، بما يمتلكه من علم في اللاهوت المسيحي الكاثوليكي وتعاليمه من ناحية، ومن ناحية أخري له أن يحسم الخلاف على العرش بين كونراد وجاي في المرحلة التالية، بوصفه ممثلاً للبابا، في ظل القاعدة المذكورة.

وتنفيذاً لما رآه رجال الدين من أنصار كونراد تقرر حجز إيزابيلا عن همفري عند أوصياء، في الوقت الذي دعا فيه كونراد إلي عقد مجلس قضاء ديني، يناقش موضوع الطلاق ويحضره همفري، وفيه أكدت ماريا للمندوب البابوي بطلان الزواج، وكررت قولها بأن ابنتها حين خُطبت كانت طفلة غريرة في الثامنة من عمرها، أي أنها كانت دون السن التي يصح فيه الزواج، واستمع همفري إلي هذا الاتهام، وسأله الحاضرون عن سبب إصراره علي الإبقاء علي زوجته في ضوء ما قيل، فكان رده: "إن هذه السيدة [إيزابيلا] إنما قبلت هذا الزواج عن فهم وإدراك وعن طيب خاطر"(٨٧)، وكان من الشهود جي الثالث أف سنليس Gey III of Senlis كبير الخدم، الذي أكّد كذباً – في تحدٍ لهمفري – أن إيزابيلا لم تُستشر فى زاوجها، وأن كل ما تم إنما تم بأمر الملك بلدوين الرابع، وضد مشيئة السيدة وضد رغبة أمها، وحينئذٍ لم تلق دعوي همفري قبولاً لدي نبلاء حزب كونراد ذوي السطوة: رينالد سيد صيدا Reginald Lord of Sidon، وباجان سيد حيفا Pagan of Caiphas، وباليان سيد إبلين(٨٨)، وتوجهوا له ناصحين – دون أن يطلب نصيحتهم – بأنه إن ظل محتفظاً بزواجه هذا، فلن يكون قادراً علي إدارة دفة المملكة، مما يجر عليه المتاعب، ويسبب له التعاسة(٨٩)، وعدّ المؤرخ الإنجليزي المجهول نصيحة هؤلاء النبلاء بمثابة أمر منهم إلي همفري بالتخلي عن زوجته؛ إذ حددوا له يوماً بعينه لتنفيذ طلبهم(٩٠).

ولم ينتظر خصوم همفري رد فعله، وموقفه مما طلبوه منه، فهددوا بأنهم سيبادرون برفع دعوي بالطعن في أي قرار يصدر غير قررا الطلاق، ولما سمع بلدوين رئيس أساقفة كانتربري Baldwin Archbishop of Canterbury (١١٨٤-١١٩٠م.)[٩١]، الذي كان ينوب عن بطريرك بيت المقدس الاسمي هرقل في الاجتماع، بخبر الجريمة التي تُحاك، أبدي عظيم أسفه، ورفضه لما ينطوي عليه هذا الإجراء من مخالفة للشرع، و وجّه لكونراد وأنصاره لوماً شديداً[٩٢]، ومع ذلك واصل أنصار كونراد ضغطهم علي همفرى، مستغلين ما كانوا يعرفونه عنه من قبل وعدم ثقته في قدرته علي تحمل المسئولية كملك، خاصة في تلك الظروف الصعبة التي يمر بها الصليبيون في الشرق؛ لذا لم يجدوا صعوبة في إقناعه بالانفصال عن زوجته، خاصة وأنه لم يكن صالحاً للحياة الزوجية، وهى تهمة فسرتها إحدي الدراسات علي أن همفري كان مخنثاً، الأمر الذي يحول دون استمرار الزواج. رضخ همفري لهم إذن ونزل عند رأيهم، وأعلن موافقته علي الطلاق، فأعلن المندوب البابوي يوبالد الفصل بين الزوجين علي الفور [٩٣]، وعقّب ابن شداد علي ما جرى قائلاً إن الزواج تم فسخه "بأمر اقتضاه دينهم"[٩٤]، ولعل في هذه الإشارة ما يبرهن مرة أخرى علي مدي اهتمام معسكر المسلمين بما يجري من أحداث دقيقة داخل البيت الصليبي؛ لما قد ينطوي عليه هذا من معلومات مهمة قد تترك أثرها في الميدان.

هكذا انتهي الشق الأول من القضية، الذي حسمه همفري بالموافقة علي الطلاق، ليبدأ الشق الثاني من القضية، بأن دعا المندوب البابوي ماريا كومنينا وابنتها لسماع القول الفصل، وقضي بأن تتزوج من المركيز، وعقب النطق بالحكم أسرع المركيز في إتمام إجراءات الزواج[٩٦]، وغيرت إيزابيلا موقفها، فلم تشعر بالخجل من أن تذهب مع المركيز بمحض إرادتها، الأمر الذي صعَّد من سُخط

المعارضين للزواج، فتهامسوا فيما بينهم بأنهم لا يقرون هذا الزواج الآثم، وبلغ الأمر برئيس أساقفة كانتربري إلى أن أصدر قرار الحرمان الكنسي ضد الذين يقبلون بهذا الزواج ويوافقون عليه، مستنداً إلي أن المركيز أخذ الفتاة إلي بيته مع أن رجلها ما زال حياً، مكتفياً بشهادة أسقف بوفيه علي زواجهما، كما أن المركيز كانت له زوجتان، تحيا إحداهما في إيطاليا، والثانية في القسطنطينية(٩٧) ولم يكن يعيبهما شيء، فما كان من أنصار كونراد إلا أن برروا موافقتهم علي الزواج بأن فيه مصلحة عُليا للبلاد في هذه المرحلة العصيبة(٩٨).

وعلي كلٍ انتهي الأمر بزواج كونراد من إيزابيلا وعقد أنصاره بهذه المناسبة حفلاً بالكنيسة في الرابع والعشرين من نوفمبر ١١٩٠م، منتهزين فرصة وفاة بلدوين رئيس أساقفة كانتربري قبل ذلك بأيام(٩٩). وعلي هذه الصورة شهد معارضو هذا الزواج مصرع العدالة، وانقلاب الأوضاع من النقيض إلي النقيض، وانتهاك حرمة الدين؛ إذ فقد همفري امرأته والمملكة معاً، بسبب المركيز(١٠٠)، الذي حرص علي ألا يظهر سعادته بما أحرزه من نصر؛ فلم يشأ أن يتخذ لقب الملك في هذه المرحلة(١٠١)، إلا أن العبارات المصدرية تشير إلي تصاعد الغضب كرد فعل لما حدث، وتعكس كلمات المؤرخ جوفري دو فانسوف بوضوح هذا الاستياء من كونراد وحزبه، حين يقول: "لقد سرت الجريمة في دماء هؤلاء لما طُبعوا عليه من الخيانة فارتكبوا خطيئة يهوذا [الإسخريوطي]..... وجمعوا في نفوسهم كل ما ينكره زماننا والأزمنة الغابرة" وأخذ المؤرخ يكيل لهم الشتائم والاتهامات، خاصة ضد باليان إبلين وزوجته ماريا كومنينا والدة إيزابيلا، فضلاً عن كونراد. أما إيزابيلا فذكر المؤرخ عنها أنها كانت ضعيفة علي استعداد لتقبل كل ما هو منبوذ خُلُقياً ومُشين، كذلك كان شأن النبلاء الذين زكوا هذه الجريمة(١٠٢). وكان موقف المؤرخ أمبرواز مشابهاً، حيث اعتبر همفري هو الزوج الحقيقي لإيزابيلا وأن أية زيجات

لها من بعده باطلة، وما وقع من كونراد لا يعد إلا إغتصاباً لسيدة أخذت من زوجها[١٠٣].

ولم يكن المؤرخون الإنجليز وحدهم المستاءين، إنما ردد أصحاب المصادر الأخري عبارات، تنم عن ضجرهم مما تعرض له همفري من غبن، حتي لو كان الغرض منه إنقاذ المملكة الصليبية، فيذكر المؤرخ الفرنسي صاحب ذيل وليم الصوري: "ليس من الممكن أن يبدأ عمل جليل بالزور والبهتان ثم ينتهي إلي خاتمة طيبة"، كما رأي أنه لو عرضت قضية الطلاق بشكل مجرد علي المندوب البابوي يوبالد لرفض تطليقهما، استناداً إلي الأسباب الدينية، ولم يتوقف هذا المؤرخ عند نقد كونراد وفريقه، وإنما شمل بنقده همفري ذاته، إذ اتهمه بالجبن والخنوع، وأنه وقف عاجزاً عن صد اللكمات التي كيلت إليه أو ردها، وأبدي نحوه قدراً من الإشفاق[١٠٤].

وما كادت القضية تصل إلي هذه النهاية حتي بادرت إيزابيلا فأمسكت في الحال بمقاليد أمور المملكة بيدها، واستدعت البارونات فوراً، وطلبت منهم حلف يمين الولاء لها، وبالفعل تعامل البارونات معها بصفتها الوريث الشرعي للعرش. وما لبثت أن وطدت موقفها مع النبلاء، وأعلنت في اجتماع عام ضمهم عن رغبتها في إعطاء همفري الحق في وراثتها، وردت إليه الأراضي كلها التي أعطاها لأخيها الملك بلدوين الرابع حين تزوجها، وهي تبنين وغيرها وكل ما يتعلق بها من امتيازات وكذلك ممتلكات أبيه وجده جميعاً، حتي ولو كانت- في ظل الأوضاع السياسية الجديدة- بأيدي المسلمين، علي أمل استردادها في مرحلة تالية، خاصة وأن همفرى فقد ممتلكاته الأخري أيضاً، وعلي رأسها قلعتا الكرك والشوبك، وأعلنت إيزابيلا مراراً أنها لم تكن راضية عن طلاقها من همفري ومن ثم عن زواجها من كونراد [١٠٥].

لكن ماذا عن الظروف التي جعلت شخصية همفري تتواري أمام شخصية المركيز كونراد علي هذا النحو؟ كانت الرؤية واضحة لدي المعاصرين حيال إتمام خطوة طلاق إيزابيلا من همفري الرابع، وأبرز الدوافع وراء ذلك؛ إذ نبه المؤرخ المجهول إلي أن يوبالد كان من أهل بيزا الذين وقفوا في بادئ الأمر إلي جانب المركيز كونراد، واستقدموه بأسطولهم إلي صور، وأعانوه في السيطرة عليها والاحتفاظ بها لنفسه(١٠٦)، وها هو رئيس أساقفتهم يعينه علي السيطرة علي ما هو أكبر وأعظم، ألا وهو عرش مملكة بيت المقدس، حتي ولو كان اسمياً، ولعل وعود كونراد بمنح أهل بيزا امتيازات تجارية في صور كانت وراء دعمهم له في هذه القضية(١٠٧)، ولم تكن هذه رؤية البيازنة آنذاك وحدهم بل لقي المركيز دعماً من معظم الصليبيين المحليين؛ إذ كان خصمًا قويا للمسلمين، رأوا فيه "رجل الفرنج رأياً وشجاعة، وكان ذا بأس شديد في دينه، وصرامة عظيمة(١٠٨) "، وبذلك تقف المصالح السياسية وحدها وراء ما تم من طلاق وزواج، وستدلل الأحداث التالية على أن طلاق إيزابيلا من همفري كان سبباً في إفساح المجال، لا لجعل كونراد ملكاً وحسب، بل منح الفرصة لآخرين لحمل لقب ملك بيت المقدس.

وكان الخلاف حول الأسلوب الذي طُلقت به إيزابيلا من همفرى، وزُوّجَت من المركيز مدعاة إلى مزيد من الشقاق في المعسكر الصليبي، وفي ذلك يقول ابن شداد: "اضطربت آراؤهم فيه، فخاف المركيز علي نفسه فأخذ زوجته وهرب تحت الليل إلي صور"(١٠٩)، وكان طبعياً أن تتدعم صلة همفري أكثر بالحزب الذي يقوده جاي أف لوزينان على الرغم من انقطاع صلة المصاهرة بينهما، وبينما توجه كونراد وحزبه إلي صور ذهب همفري مع جاي إلي طرابلس ولازماها، واكتفي كونراد في هذه المرحلة برفع دعوي للمطالبة بعرش المملكة، محتجاً بالزواج من إيزابيلا، وأن "الملك انتقل بها إليه، وأن أمر الفرنج بشرعهم في يديه"(١١٠). وبقي

الأمر عالقاً علي هذا النحو من الاضطراب، وأمام حرج الموقف بين الصليبيين في الشرق، وتربص المسلمين بهم، لم يجد الصليبيون بُداً من انتظار قدوم قادة الغرب الأوروبي فردريك الأول بربروسا إمبراطور ألمانيا وفيليب الثاني أغسطس Philipe II August ملك فرنسا (١١٨٠-١٢٢٣م.)، وريتشارد قلب الأسد، ليقرروا من ينبغي أن يعهد إليه أمر الحكم في الأرض المقدسة[١١١]. لقد كان الأمل يحدو جاي وكونراد كليهما في الحصول علي مساندة الغرب؛ إذ ارتكن جاي إلي ريتشارد باعتباره السيد الأعلي لبيت لوزينان في جيين Guienne، أما كونراد فكانت تربطه بأسرة الهوهنشتاوفن Hohenstaufen في ألمانيا وأسرة كابيه Capetians في فرنسا علاقات قرابة[١١٢]، أما همفري فلا حول له ولا قوة؛ إذلم يجد بداً من الانحياز إلي حزب جاي، الذي رأي فيه الشرعية في الحكم، التي أقر بها منذ سنوات.

تدويل قضية الخلاف علي العرش:

ويبدو أن همفري أدرك في المرحلة التالية ما بلغه من سوء حال وما لقيه من ضربات متوالية فكان أكبر المعارضين داخل الحزب المناوئ لكونراد[١١٣]؛ إذ وردت الأنباء في العام الجديد(١١٩١م.) إلى المعسكر الصليبي بقرب قدوم ملوك الغرب؛ فقد وصل الملك الفرنسي فيليب إلى قبالة عكا في العشرين من أبريل، وبمجرد وصوله أعلن ميله إلي المركيز[١١٤]، وجعله الناصح الأمين له، ومدبر أمره[١١٥]، وفي المقابل قرر همفري الرابع التوجه بصحبة جاي لوزينان وعدد آخر من النبلاء إلي معسكر ريتشارد في مدينة ليماسول Limasol القبرصية، وهو في طريقه إلي الشرق، والتقوا به هناك في الحادي عشر من مايو ليحظوا بمؤازرته ضد مخططات الملك الفرنسي الهادفة إلي الإطاحة بجاي وإحلال المركيز كونراد محله، وفي المقابلة قدموا لريتشارد فروض الطاعة والولاء، بعد أن رأوا فيه حليفاً

طبعياً ومدافعاً مخلصاً عن قضيتهم، ورحب ريتشارد بمساندتهم[١١٦]، وانعكس ذلك علي كتابات المؤرخين الإنجليز؛ فدأبوا علي الإشارة إلي جاي بملك بيت المقدس[١١٧]، ولم يصل الملك الإنجليزي إلى قبالة عكا إلا في الثامن من يونيو، لتنشب منازعات من نوع جديد بين الملكين الأوربيين، اللذين حرص كل منهما علي تدعيم فريقه بضم نفر من النبلاء المحليين إليه[١١٨]. فما كان من همفري إلا أن أعاد عرض مظلمته علي الملك الإنجليزي، الذى لام المركيز، مما جعله ينسحب من المعسكر الصليبي[١١٩]. وهكذا لم يجد همفري مخرجاً لأزمته وانحسار دوره الصليبي، إلا في اتباعه للملك ريتشارد وملازمته فى تحركاته.

وفي الواقع، هناك أمر يكتنفه الغموض، ويحتاج إلي تفسير؛ إذ ما الدافع وراء انضمام همفري إلي الملك جاي، وحرصه علي الذهاب معه حتي قبرص لتثبيت أحقيته في العرش؟ ألم تسنح له هو شخصياً الفرصة ثانيةً لاعتلاء العرش بدلاً من جاي عقب وفاة سيبيلا، وانفراد زوجته إيزابيلا بوراثة العرش؟ والمتأمل لاتجاهات همفري المحلل لأفكاره، يلحظ أمرين: أولهما أنه أظهر فى غير مرة عدم حرصه علي اعتلاء عرش المملكة، من منطلق عدم الرغبة في تحمل المسئولية، في وقت كان حكم المملكة فيه صعباً، ففي المرة الأولي كانت المؤشرات تنذر بأن البلاد في طريقها إلي هوة سحيقة، علي المستويين المحلي والإقليمي؛ فالصراع بين الأمراء علي العرش جد خطير، والمتنافسين عليه من ذوي البأس الشديد، وضربات صلاح الدين العسكرية تتوالى وتتجدد، وربما تكررت في العام الواحد أكثر من مرة. وفي المرة الثانية كانت الظروف أسوأ؛ إذ لم تقتصر الأطراف الصليبية المتنازعة علي المستوي المحلي بين نبلاء الشرق، وإنما كان تأثير ملوك الغرب علي الأحداث واضحاً في الأفق، من خلال أذرعهم الطويلة الممثلة في شخصيات لها وزنها، من أمثال المندوب البابوي يوبالد، هذا في وقت لم يكن همفري فيه

ناضجاً بما فيه الكفاية؛إذ كان صغيراً لم يبارح مرحلة الشباب الأولي. أما الملاحظة الثانية فهي تسليم همفري في الفرصة الأولي بأحقية سيبيلا في الملك، ومن ثم أحقية جاي فيه، وسعي للمحافظة علي هذه الحقوق، من منطلق أن وفاة الملكة لا تجرد زوجها من هذا الحق؛ لذا آثر همفري الانضمام إلي جاي وفريقه حين لجأوا للملك الإنجليزي، طمعاً فى تأييده، ومحاولةً لإعادة استقرار الأمور واستتبابها داخل المعسكر الصليبي.

وسرعان ما لاحت إشارات علي أن مساعي همفري ورفاقه لدي الملك الإنجليزي آتت أكلها، بإحباط محاولة المركيز كونراد استثمار زواجه من إيزابيلا لحمل لقب ملك بيت المقدس. ويتضح هذا من أنه بعد وصول الملك الإنجليزي، وبمجرد إسقاط عكا في الثاني عشر من يوليو ١١٩١م، بمساعدة الملك الفرنسي والقادة الصليبيين المحليين، تم التفاوض بين الأطراف المختلفة، وانتهت المفاوضات بالتوصل إلي اتفاق يقضى بأن يتولي جاي أف لوزينان عرش مملكة بيت المقدس الاسمية، علي ألا يورث الحكم لأبنائه، وأن ينتقل العرش إلي إيزابيلا وكونراد مع السماح لورثته بتسلم العرش من بعده[١٢٠]. وبالرغم من أن طرفي النزاع ارتضيا الحل المطروح، لم يكن في نظر البعض حلاً موفقاً[١٢١]. بيد أنه في ضوء ما التزم به ريتشارد في قضية الخلاف من احترام شرعية حكم جاي لها[١٢٢] يلاحظ أن موافقته علي تولي كونراد العرش بعد وفاته، تدلل علي حدوث تغير في مواقفه، والثابت أن هذا التغير جاء نتيجة للمتطلبات السياسية الواقعية في الأرض المقدسة آنذاك، فضلاً عن تنازل همفري ذاته عن أحقيته في الحكم حتي ولو كان مجبراً.

الدور الصليبي الجديد لهمفري الرابع:

وما لبث همفري الرابع أن ظهر مرة أخري في خدمة ريتشارد قلب الأسد، فبعد وصول الملك بعشرة أيام قام همفري بدور مهم في الأحداث؛ فبرز هذه المرة

رسولاً ومترجماً لملك إنجلترا، فى أثناء المفاوضات مع صلاح الدين وقادته؛ فبعد أن اشتد القتال بين المسلمين والصليبيين حول عكا(١٢٣)، اقترح القادة علي الملك الدخول في مفاوضات من أجل السلم(١٢٤)، ووافق صلاح الدين علي رغبتهم، ووقع اختياره علي أخيه العادل ليمثله في هذه المفاوضات، في حين سمح ريتشارد لرسوله – الذي لم تسجل المصادر اسمه – بالتوجه إلي العادل أولاً، الذى اصطحبه إلي صلاح الدين، ليبلغه الرسول برغبة ملك إنجلترا في الاجتماع به، فأجاب صلاح الدين دون تردد: "إن الملوك لا يجتمعون إلا على قاعدة" أى هدنة قبل الاجتماع، ومما أرسل به لريتشارد أيضاً: "أنا لا أفهم بلسانك، وأنت لا تفهم بلساني، ولابد من ترجمان بيننا تثق به، وأثق به، فليكن ذلك الترجمان رسولاً". وعاد الرسول إلي ريتشارد ثم عاد إلي العادل، وانتهي الأمر بالاتفاق علي اجتماع العادل مع ريتشارد في مرج عكا ومعهما ترجمان. هذا وقد سادت هذه الجولة من المفاوضات روح الدعابة وتبادل الهدايا(١٢٥)، لكن مع تأزم الوضع العسكري بين الطرفين حول عكا انقطع الاتصال بين المعسكرين لمدة شهرين، وربما ظل قائماً وصمتت المصادر عن ذكره (١٢٦). ولعله من المهم في هذا الموضع الإشارة إلي أنه علي الرغم من عدم ذكر المصادر اسم همفري رسولاً وترجماناً مقترحاً من قبل صلاح الدين، فإن دوره سيتضح في جولات المفاوضات التالية، مما يجعل منه الرسول المعنىّ .

واقتضت الجولة التالية من المفاوضات إظهار مزيد من الاهتمام والجهود من الطرفين الإسلامي والصليبي، ومع هذا التصعيد في الاهتمام برز دور همفري الرابع، الذي اختير ليقود فريق العمل الدبلوماسي الصليبي استجابة لطلب صلاح الدين الصريح بأن يكون من يقوم بهذا الدور موثوقاً فيه، ليكون مترجماً ورسولاً في آنٍ واحد، ففي الثالث من سبتمبر ١١٩١م. أي قبيل معركة أرسوف وأثناء

الإعداد لها أتت بعض رسل الصليبيين تطلب التحدث إلي العادل، وصرح صلاح الدين لأخيه العادل بإجراء المقابلة، في خيمة أُعدت لذلك في قرية دير الراهب قبالة أسوار أرسوف، وكان حاصل حديث رسل ريتشارد: "إنه قد طال القتال، وقُتل من الجانبين الرجال والأبطال، وإنا نحن جئنا في نصرة فرنج الساحل، فاصطلحوا أنتم وهم، وكل منا يرجع إلي مكانه"(١٢٧)، وحينما علم ريتشارد بوجود العادل شخصياً، اصطحب همفري معه في موكب مهيب، وطلب مقابلته، وتولي همفري الترجمة بين الطرفين، إلا أن ريتشارد أبدي عنجهية واضحة، حينما طالب العادل بأن يرد صلاح الدين له كل ما عدّه أراضيه التى استولي عليها صلاح الدين عقب حطين، وتسليم القدس إلى الصليبيين وتقسيم أراضي الساحل قائلاً: "القاعدة أن تعود البلاد كلها إلينا"، فرفض العادل ذلك(١٢٨) وتعثرت المفاوضات، ولم يبق أمام الطرفين سوي معاودة القتال، فخاضا معركة شرسة بعد أربعة أيام من بدء المفاوضات عُرفت بمعركة أرسوف، وكان النصر جزئياً فيها للصليبيين(١٢٩) وتجددت المفاوضات بعد المعركة بأسبوع واحد، بغرض وضع حدٍ للقتال ذى الآثار التدميرية على الطرفين، مقابل رد البلاد الساحلية كلها للصليبيين، فسمح صلاح الدين للعادل باستئناف المفاوضات، بيد أن الطرفين حاولا استثمار المفاوضات فى المناوراة العسكرية والسياسية، فمحاول ريتشارد توطيد أوضاعه في الساحل الفلسطيني، في حين سعي صلاح الدين إلى حرمانه من ذلك بتخريب المدن(١٣٠). ومن ثم فقدت المفاوضات جدواها، وتوقفت جهود الدبلوماسية.

وسرعان ما مهّد همفري الرابع لعقد جولة مفاوضات جديدة، بدأها في منتصف أكتوبر من العام ذاته (١١٩١م.) ممثلاً للجانب الصليبي، فتبادل الهدايا مع العادل ممثل الجانب الإسلامي ثانية، وبدا واضحاً أن القدس هدف زحف ريتشارد هذه المرة، في حين اهتم صلاح الدين بالاعداد للدفاع عنها، وانتهى الأمر بأن آثر

ريتشارد الصلح شريطة أخذ مدينة القدس سلماً[١٣١]. وفي يوم السبت التاسع من نوفمبر الذى كان من المفترض أن يقابل فيه همفري صلاح الدين قدم رينالد سيد صيدا السابق إلي معسكر المسلمين وفي جعبته رسائل رقيقة من كونراد أف مونتيفرات بادلهم المسلمون بمثلها، "حاصلها أنهم [المركيز وأعوانه] ينقطعون عن الفرنج ونصرتهم ويصيرون معنا [علي حد قول ابن شداد] عليهم بناء علي فتنة كانت قد جرت للمركيس مع الملوك بسبب امرأة تزوجها"، هي إيزابيلا كما هو واضح. ولما خاف المركيز علي نفسه لجأ إلي صلاح الدين للاعتضاد به وكان في ذلك مصلحة للمسلمين. وهكذا تسلم صلاح الدين عرضاً مميزاً من كونراد، بعد أن ضاق المركيز ذرعاً من هذا الملك المتعجرف ريتشارد، فغدا على استعداد للتحالف مع صلاح الدين من أجل طرد هذا الدخيل، في مقابل تنازل صلاح الدين عن مدينتي صيدا وبيروت، وأن يسلمه كونراد عكا حالما ينجح في الاستيلاء عليها من القوات الصليبية التي يقودها ريتشارد[١٣٢]، ولعل افصاح مبعوث كونراد بهذه الأفكار أمام الجانب الإسلامي أحدث شعوراً بالارتياح لدي صلاح الدين؛ إذ أصبح بإمكانه بث الفرقة والشقاق في صفوف الصليبيين: المحليين منهم والغزاة الأوربيين الجدد، ومن أجل إتمام ذلك سمح للعادل بمقابلة همفري في اليوم ذاته الذي قابل فيه مبعوث كونراد، فنقل عنه عروضاً جديدة للسلطان[١٣٣]، وما كان من صلاح الدين إلا أن أبدي اهتماماً بما طرحه الطرفان من آراء ونقاش، تاركاً باب المفاوضات مفتوحاً مع الجانب الصليبي.

ومن ناحية أخري يعكس وصول المندوبين همفري ورينالد، ممثلي الملك ريتشارد والمركيز كونراد إلي المعسكر الإسلامي في يوم واحد، حقيقة الشقاق والانقسام داخل ذلك المعسكر، كما كان في طرح عرضين للصلح فرصة كي يختار صلاح الدين أحدهما، وكان صلاح الدين يدرك أن كونراد "خبيث ملعون"[١٣٤]، وأنه

"كلما أبرم عهداً نقضه ونكثه"(١٣٥)، ومن ثم كان أولى اهتماماً أكبر بالمقترح الذي نقله همفري إليه بشأن تقسيم الأراضي، بيد أن هذا المقترح لم يكن واضح المعالم، وتنقصه الدقة(١٣٦)، فما كان من همفري إلا أن قدم توضيحاً لعرض ريتشارد، فاقترح أن يسلم صلاح الدين المدن الساحلية للصليبيين، وأن يحتفظ بالمناطق الداخلية، وحينئذٍ أوعز عدد من كبار الشخصيات حول صلاح الدين إليه بالموافقة علي هذا العرض، وبالفعل آثر صلاح الدين التعامل مع الملك والاتفاق معه دون كونراد، وأخذت "الرسل تتواصل لتقرير قواعد الصلح"(١٣٧)، ويبدو أن اقتراح همفري راق له في آخر الأمر؛ لأن الصليبيين كانوا قد استولوا بالفعل علي المدن الساحلية المهمة شمال يافا، كما أن صلاح الدين كان قد خرّب عسقلان خشية وقوعها مرة أخري في أيدي الصليبيين، ومن ثم لم يبق في المنطقة الجنوبية سوي حصني غزة والداروم. وهكذا أظهر همفري قدرة خاصة ومهارة بصفته مفاوضاً يعتمد عليه سعي إلي تقريب وجهات النظر، وتقصير المسافات، فكان جديراً لا بثقة الملك ريتشارد وحسب، وإنما بثقة صلاح الدين أيضاً، الذى تحقق ما كان قد اشترطه من شروط علي الملك الإنجليزي فى رسوله إليه عند البدء في المفاوضات، ويبدو أن السلطان حينما طالب بترجمان يوثق فيه، كان يعني همفري تحديداً، لأنه كان يعرفه منذ أن كان أسيراً عنده في سجون دمشق.

وما يهمنا من هذه الأحداث التي يطول شرحها، تتبع دور همفري الرابع ووضعه بين الصليبيين في ذلك الوقت، وهنا ما يشير أن همفرى تبوأ مكانة لدي ريتشارد، بحكم ما بلغه من تميز فى السفارة، ولخبرته وإتقانه للغة العربية(١٣٨)، ومع ذلك تلاحقت الأحداث سريعاً لتضعف وضعه داخل المعسكر الصليبي المحلي؛ إذ عقد ريتشارد في السادس عشر من أبريل عام ١١٩٢م مؤتمراً في عسقلان، لحل مشكلة النزاع علي عرش بيت المقدس حلاً مبرماً، وفيه تقرر اختيار كونراد ملكاً

متوجاً بإجماع الحاضرين، وأمام هذا الإجماع أذعن ريتشارد، على الرغم من تفاقم ما بينهما من سوء العلاقة(١٣٩)، في حين تهيأت الفرصة أمام الملك جاي لشراء جزيرة قبرص مقابل التنازل عن حقه في عرش بيت المقدس، وتم دفع مبلغ كبير يمثل القيمة الإجمالية للجزيرة بغرض امتلاكها قبل الرحيل إليها(١٤٠). بيد أن كونراد قُتل في الثامن والعشرين من الشهر ذاته، فكان لاختفائه عن المسرح الصليبي آثاره المهمة، ومن ذلك تركه إيزابيلا حاملاً في طفلة دُعيت بعد ولادتها بماريا(١٤١)، ولم يمض سوي أسبوع واحد حتي سعي ريتشارد قلب الأسد إلي تزويجها من ابن أخته هنري كونت شامباني Henry Count of Champagne، وقريب فيليب أغسطس ملك فرنسا فى الوقت ذاته، ليصبح هنري الملك الجديد لبيت المقدس (١١٩٢-١١٩٧م.) (١٤٢). وهكذا انتقلت إيزابيلا من زوج إلي زوج لمجرد منحه شرعية حكم بيت المقدس دونما اعتبار لأحكام الدين ولا لرغباتها الشخصية، في حين أخذ همفري يرقب عرش المملكة وهو ينتقل من نبيل أجنبي إلي نبيل أجنبي آخر، شاهداً علي تداعي سيادة نبلاء الشرق من الصليبيين، وكانت طامته الكبري: رحيل جاي إلي قبرص، ففقد همفرى أهم حلفائه من اللاتين المحليين.

ولم يطرأ تغيير علي دور همفري الرابع، فظل رسولاً من الملك ريتشارد إلى المسلمين، ففي الجولة التالية من مهمته السلمية التي امتدت حوالي خمسة أشهر استأنف همفري دوره ومساعيه لعقد الصلح. وبعد عدة معارك ومناوشات ومحاولات صليبية جديدة للزحف علي بيت المقدس في ربيع عام ١١٩٢م، وفي ظل انقسام الرأي حول الاستمرار فيها من عدمه، قرر الصليبيون عدم مهاجمة بيت المقدس، ومن الرملة "بعثوا رسلهم في طلب الصلح" في أواخر يوليو(١٤٣)، وكان همفري على رأس الوفد الصليبي، في حين تزعم الأمير سيف الدين علي بن أحمد المشطوب(١٤٤) الوفد المسلم، وتقدم همفري برسالة من الملك الإنجليزي تجمع

بين الوعد والوعيد، وتخلص إلي أن يحكم هنري أف شامباني مملكة بيت المقدس تحت حماية المسلمين، فلقي هذا المقترح استجابة من صلاح الدين؛ للهجة المعتدلة للجانب الصليبي، وبدا أن الصليبيين لم يكونوا حريصين على الاستحواذ علي مدينة القدس هذه المرة ، بل راغبين في التمسك بحقهم في حماية الأماكن المقدسة، وبخاصة كنيسة القيامة، فضلاً عن ضمان حرية الحج والعبادة[١٤٥]، وتدخل همفري مشترطاً على ابن المشطوب أن تكون الزيارة دون دفع أية رسوم، فوافق صلاح الدين علي ذلك أيضاً، كما وافق علي أن يكون للصليبيين ملك البلاد الساحلية من صور إلي يافا، لكن نظراً لإخفاق المفاوضات في تسوية جميع القضايا بين الطرفين استمرت الصدامات الحربية بينهما، ومرض ريتشارد بالحمي في الوقت الذي تصاعدت فيه رغبته في العودة إلي إنجلترا؛ إذ كان "مضطراً إلي الرواح" لكنه لا يستطيع أن يفعل ذلك إلا بعد أن يصل إلي اتفاق مع صلاح الدين؛ لذا سرعان ما أتي همفري بخبر تنازل ريتشارد عن مطالبته باستعادة عسقلان[١٤٦] وبذلك تم تذليل عقبة كبيرة فى سبيل إتمام الصلح.

وكان آخر ظهور لاسم همفري في أحداث الحملة الصليبية الثالثة حين وقّع علي صلح الرملة في الثاني من سبتمبر عام ١١٩٢م،على أنه أحد النبلاء الكبار، الذين مثّلوا ريتشارد قلب الأسد في الصلح، ذلك أن الملك الإنجليزي رفض التصديق علي الهدنة بقسم الولاء المألوف، معتذراً بأنه ليس بوسعه أن يقسم بصفته ملكاً؛ لذا أناب عنه ملك بيت المقدس هنري كونت شامباني والنبيل باليان أف إبلين، فضلاً عن همفري[١٤٧]. وفي المقابل أناب صلاح الدين عنه ولديه الأفضل والظاهر، وأخاه العادل، وعدداً آخر من الأمراء[١٤٨]، ويرجح أن ريتشارد لجأ إلي إنابة هؤلاء النبلاء عنه في التوقيع علي الصلح لشعوره بمهانة عجزه عن تحقيق هدفه الرئيس من حملته، وهو استعادة القدس[١٤٩]. ويبدو أن هذا الموقف كان

طبعياً؛ إذ ترك أولي الأمر من أصحاب القضية المباشرين أمراء الأرض المقدسة يتولون حل مشكلتهم بأنفسهم، واكتفي بالظهور مؤكدًا علي أن دوره اقتصر علي المؤازرة والدعم لهم، وأنهم أكثر المنتفعين – أو المتضررين – من أية اتفاقات تبرم، ومما يؤكد ذلك حرص الملك الإنجليزي علي الاستعانة بالأمير همفري في جُل مفاوضاته مع المسلمين.

هكذا تألق اسم همفري الرابع ما اقترن باسم ريتشارد قلب الأسد ومادام واحداً من أهم أعوانه وأتباعه بين اللاتين في الشرق، وكان رحيل الملك الإنجليزي إلي الغرب، في التاسع من أكتوبر من عام ١١٩٢م.[١٥٠]، بمثابة إسدال للستار علي دور همفري في الأحداث؛ إذ نسيته المصادر بعدها، إلى أن توفي في عام ١١٩٨م.[١٥١]، ولم يترك للورثة إلا لقبًا اسميا هو "سيد الشوبك والكرك"، وكانت وريثته أليس الأرمينية Alice of Armenia ابنة أخته إيزابيلا آخر من حمل هذا اللقب في الوثائق[١٥٢]، كما ظل اسمها يُقترن بسيادتها علي إقطاعية تبنين اسمياً حتي عام ١٢٢٨م. علي أمل أن يضع الصليبيون أيديهم علي هذه المناطق مرة أخري، وفي ذلك العام نفسه نجح الإمبراطور الألماني فريدريك الثاني Fredric II (١٢١٢– ١٢٥٠م.) في استعادتها من المسلمين، ومنحها لطائفة الرهبان التيوتون العسكرية The Order of Teutonic Knights بموجب اتفاقية يافا[١٥٣]. وظل لقب "سيد تبنين" مستخدماً معظم القرن الثالث عشر الميلادي مع استمرار السيادة الصليبية علي البلدة فى بعض الفترات المتقطعة، لكن لصالح أسرة إبلين أو من يرتبط بها عن طريق الزواج[١٥٤].

الخاتمـــة:

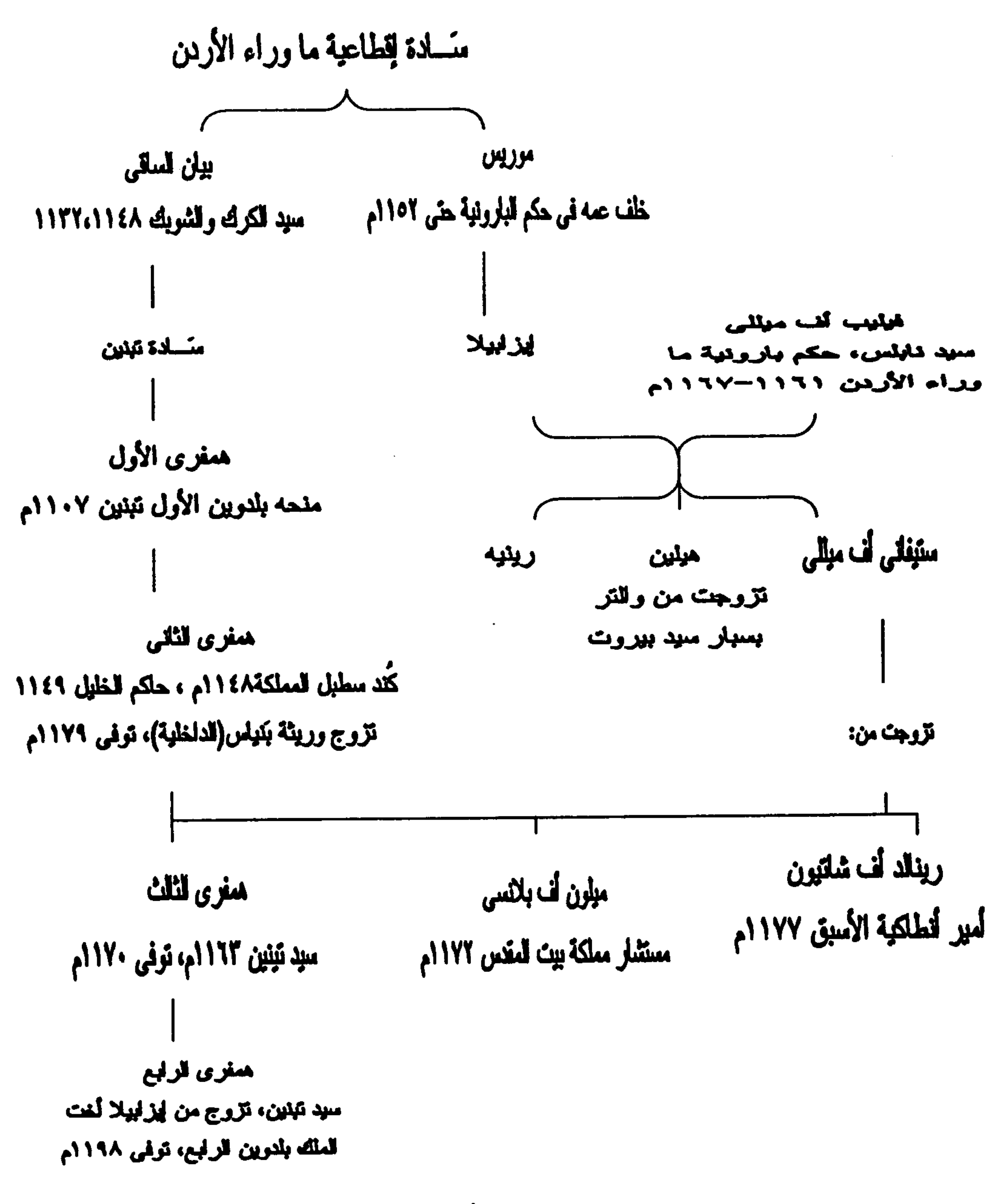
وفي ضوء ما تقدم، من الضروري تقييم شخصية همفري الرابع باعتباره شخصية صليبية، وسيداً إقطاعياً، أحاطت به ظروف غير عادية؛ إذ نشأ نشأة سياسية واجتماعية خاصة، وفقد أباه همفري الثالث في السنوات الأولي من حياته، وعندما تولت والدته الوصاية عليه وعلي ممتلكاته، كانت هي نفسها مطمعاً للطموحين من كبار نبلاء المملكة الصليبية، الراغبين في بلوغ منصب أو جاه أو مال، وأعني تحديدًا ميلون بلانسي ورينالد أف شاتيون، وفي هذه الأطوار كلها لم يجد همفري الرابع الطفل والصبي سوي جداً حنوناً قوياً يستطيع أن يوفر الحماية الكافية له ولممتلكاته، إلا أن هذه الحضانة لم تتعد هذا الجانب إلي الناحية التربوية التي لم تتوفر بالقدر الكافي عند الأم، وحين تدخل زوجها رينالد في هذا الأمر لم يعنه سوي أن يستغل هذا القاصر، فيما طمح إليه من شأو رفيع بين نبلاء المملكة، من خلال حكم ممتلكات الابن، ولم يكتف رينالد بذلك، وإنما سعي إلي التقرب للبيت الحاكم في القدس، بتزويج همفري لإيزابيلا أخت الملك بلدوين الرابع، التي قد تُرشح يوماً ما لخلافته علي العرش. لقد كان همفري طوال طفولته أشبه بالمَطيّة – أو الأداة – بيَدِ غيره من الطامحين الذين يكبرونه في السن والخبرة بمراحل.

ومن ناحية أخري كان همفري الرابع هدفاً لكل من ريموند الثالث أمير طرابلس وباليان إبلين، ومن ورائه أم زوجته ماريا كومنينا كي يعتلي عرش مملكة بيت المقدس في عام ١١٨٦م. بصفته زوجاً لإيزابيلا التي كانت ما تزال أيضاً في سن المراهقة، وذلك في إطار النزاع علي عرش المملكة الشاغر بوفاة الملك الطفل بلدوين الخامس، إلا أن المؤامرة لعبت دورها وتضافرت القوي العلمانية ممثلة في سيبيلا أخت الملك بلدوين الرابع و زوجها جاي، والقوي الدينية ممثلة في البطريرك هرقل، فضلاً عن رينالد نفسه الذي وجد مصلحته آنذاك في أن ينتمي

إلي هذا الفريق، وأمام هذا الانقسام فى صفوف كبار النبلاء غدت البلاد علي شفا حفرة من الاقتتال والحرب الداخلية، وحينئذٍ اتخذ همفري الرابع قراره الصعب بالانسحاب من فريق ريموند وباليان والانضمام إلي فريق سيبيلا وجاي، بغرض نزع فتيل الأزمة، والحيلولة دون نشوب هذه الحرب، خاصة وأنه اعتاد علي أن يكون ضحية أطماع الكبار، حتي لو ضحى بالعرش ذاته مفضلاً أن يظل تابعاً؛ إذ لم تترسخ فيه سمات القائد، ويجب ألا ننسي أن همفري لم يكن قد تخطى سن العشرين في تلك الآونة، وأن ربيبه رينالد ذو السبعين خريفاً كان من أقطاب الصف المقابل.

وتتبعت الدراسة الأطوار التي مر بها همفري الرابع، ومعاركه مع المسلمين ثم أسره، وكذلك استخدامه ورقة ضغط لحث فرسان قلعتي الكرك والشوبك علي التسليم، فضلاً عن الاستعانة به مترجماً بفضل إتقانه للغة العربية. وخلُص الباحث إلي أن همفري لم يكن بالشخصية العسكرية المتميزة أو الفذة، و في الوقت نفسه لم يكن بالشخصية المتخاذلة أو الضعيفة؛ إذ كان من الفرنج الذين وُلدوا في الشرق ونشأوا وترعرعوا بجوار المسلمين فتأثروا بهم ثقافياً، فكان شأنه شأن أبناء جيله جميعاً في أعين الأوروبيين الجدد، الذين كانوا أكثر غلظة وتعصباً ضد المسلمين؛ لذا بدا همفري ضعيفاً في نظرهم؛ لما كان يحمله من سمات شرقية. لكنه اتهم من قبل بعض المؤرخين الصليبيين المحليين أيضاً بالجبن والضعف، وتُرجع الدراسة ذلك إلي أنهم أحسوا بأن تخاذله عن استلام التاج وتركه لسيبيلا وجاي كان السبب الرئيس في هزيمة حطين. والواضح أن هذه الرؤية كانت سبباً أساسياً فى خفض أسهمه أمام القادة القادمين من الغرب مع الحملة الصليبية الثالثة ١١٨٩-١١٩٢ م.

كانت محصلة هذا كله: نبيل يُجبر علي تطليق زوجته لتكون سبباً في تمهيد الطريق لتتويج كونراد النبيل الإيطالي بديلاً عنه ملكاً علي عرش بيت المقدس. ولم يكن لهذا الطلاق وتلك الزيجة صدي لدي همفري الرابع وحسب، وإنما صبّ الحدثان في إناء واحد، فتركا آثارهما علي مجمل الساحة الصليبية، بل وخارجها فى أوروبا؛ لأن القضية سياسية من الطراز الأول، كما كان سقوط القدس كارثة صليبية ذات أبعاد دولية، ومن ثم كان علي البابوية ودول أوروبا الكبري: ألمانيا وفرنسا وإنجلترا، أن تتدخل لإنقاذ الكيان الصليبي في الشرق، وهذا يعني أن الأزمة التي تعرض لها همفري وتطليقه زوجته كانت أكبر بكثير من طاقته، يظهر هذا من أسماء منافسيه علي العرش: كونراد مونتفرات، ومن ورائه إمبراطور ألمانيا وملك فرنسا وأمراء إيطاليا، وجاي لوزينان ومن ورائه ملك إنجلترا والكنيسة الإنجليزية. بينما همفري فلم يتبق له سوى ألقاب بالية وذكريات غابرة، فهو سيد تبنين وشرق الأردن – وربما الخليل – الاسمي، أما زوجته إيزابيلا فقد انتُزعت منه، وقبل ذلك لم تكن مرشحة لتكون ملكة بيت المقدس الاسمية أيضاً. فأني له أن يناطح أولئك الكبار من حوله، وهو ما زال في الرابعة والعشرين من عمره، الأمر الذي جعله مثار عطفٍ من إيزابيلا زوجته السابقة، وريتشارد قلب الأسد الذي كان يتأهب للعودة إلي بلاده تاركاً همفري يجتر آلامه، ويتحسر علي أمجاد عائلته.



النسب الإقطاعي للأمير همفري الرابع

نقلاً بتصرّف عن: R. Grousset, op.cit., II, p. 58

الهوامش

(١) William of Tyre, A History of Deeds Done Beyond the Sea, (2 vols.), trans. by: Babcock and Krey, (New York, 1943), II, 19-20, 396-401; T. H. Archer, C. L. Kings Ford, The Crusades: The Story of the Latin Kingdom of Jerusalem, (London, 1919), p. 188;

أسس هذه الأسرة همفري العجوز المعروف بهمفري الأول أف تورون Humphrey I of Toron، الذى تمكن من تكوين إقطاعية صليبية علي حساب المناطق الشمالية الغربية من مملكة بيت المقدس الصليبية، القريبة من صور، وخلفه في حكم الإقطاعية سائر آل همفري. راجع:

Albert d'Aix, "Historia Hierosolymitana", en: RHC-HOcc., IV, (Paris, 1879), (pp. 265-713), p. 690; J. Prawer, The Latin Kingdom of Jerusalem: European Colonialism in the Middle Ages, (London: Weidenfeld and Nicolson, 1972), pp. 131- 132, 146, 188.

(٢) E.G. Rey, Les Familles d'Outre-mer de Ducange, (Paris, 1896), pp. 423, 470-471; J. L. La Monte, F. Monarchy in the Latin Kingdom of Jerusalem, 1100- 1291, (Cambridge: Kraus Reprint, 1932), p. 36.

(٣) William of Tyre, op. cit., II, p. 401.

والجدير بالذكر أن تحديد تاريخ وفاة همفري الثالث بعام ١١٧٠ م. بُني علي ما أوردته المصادر الإسلامية التى أسمته "ابن الهنفري" عند إشارتها إلي اشتراكه في معركة، انهزم فيها أمام نور الدين محمود، وهو يدافع عن الكرك، وهذا آخر ذكر له في المصادر المختلفة. راجع: العماد الأصفهاني (ت: ٥٩٧هــ/ ١٢٠٠م.) عماد الدين محمد بن محمد بن حامد، البرق الشامي، جــ ٥، تحقيق: د. مصطفي الحياري، (عمان – الأردن: ط١، ١٩٨٧م.)، ص ١٤٨- ١٤٩؛ ابن الأثير (ت: ٦٣٠هــ/ ١١٢٤م.) عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم ابن عبد الواحد الشيباني الجزري، الكامل في التاريخ، (١٢ جزء)، (بيروت، ١٩٧٩م.)، جــ ١١، ص ٣٥٣؛

Cf. also: R. Gronsset, Histoire des Croisades et du Royaume France de Jerusalem, 3vols., (Paris, 1948), II, p. 737.

(٤) تقع هذه القلاع شرق البحر الميت وجنوبه، وجاء بناؤها ليفى بمتطلبات المملكة، العسكرية منها والتجارية، وعن مشتملات إقطاعية شرق الأردن وقلاعها المذكورة ذات الأهمية الإستراتيجية؛ لتحكمها في الطرق والأمن، راجع:

E. G. Rey, Les Colonies Franques de Syrie aux XII[ne] et XIII[ne] Siedes, (Paris, 1883), pp. 155- 156; M. Benvenisti, The Crusaders in the Holy Land, (Jerusalem, 1976), pp. 317- 318.

(٥) William of Tyre, op. cit., II, pp. 265, 309, 401.

أبو شامة (ت: ٦٦٥هـ/ ١٢٦٧م.) شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن ابن إسماعيل، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، (جزءان)، (بيروت، د. ت)، جـ٢، ص ١٣٤- ١٣٥.

(٦) William of Tyre, op. cit., II, pp. 256, 309.

(٧) راجع الوثيقة المؤرخة بالعشرين من أبريل ١١٥٢م. التي ظهر فيها همفري الثاني شاهداً علي أحد العقود بصفته كندسطبل المملكة الصليبية، وهو أعلي منصب عسكري فيها، ومما أهله لذلك قربه الشديد من الملك بلدوين الثالث Baldwin III فحظي بثقته فيه، فضلاً عن مؤهلاته العسكرية المميزة:

R. Roehricht, Regesta Regni Hierosolimitani, (2 vols.), (Insbruck, 1893), Doc. No. 291; H. E. Mayer, "Studies in the History of Queen Melisende of Jerusalem" in: DOB, (XXVI, 1972), (pp. 93- 182), p. 170.

(٨) William of Tyre, op. cit., II, p. 451.

(٩) علي أحمد السيد، الخليل والحرم الإبراهيمي في عصر الحروب الصليبية ١٠٩٩- ١١٨٧م./ ٤٩٢- ٥٨٣هـ.، (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٨م.)، ص ١٥٦، ١٥٩، ١٦٠- ١٦١.

(١٠) العماد الأصفهاني (ت: ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م.) عماد الدين محمد بن محمد ابن حامد، الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق: محمد محمود صبيح، (القاهرة، ١٩٦٥م.)، ص ٨٠، ٢٠٥؛ ابن الأثير، مصدر سابق، جـ ١١، ص ٥٣٧؛ ابن واصل، (ت: ٦٩٧هـ/ ١٢٩٨م.) محمد بن سالم جمال الدين، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، جـ ١-٣، تحقيق: جمال الدين الشيال، (القاهرة، ١٩٥٣- ١٩٦٠م.)، جـ٢، ص ٧٢- ٧٣.

(١١) راجع علي سبيل المثال:

Ernoul, La Chronique d'Ernoul et de Bernard le Tresorier, ed. Mas Latrie, (Paris, 1871), p. 267; Roger of Hovden, Annals, Comprising History of England and Other Countries of Europe from 732- 1201 A. D., trans. from the Latin with notes by: Henry T. Riley, (2 vols.), (London, 1883), II, p. 172; Geoffrey de Vinsauf, "Itinerary of Richard and Others to the Holy Land", in: Chronicles of the Crusades, (London, 1848), p. 139.

مؤرخ مجهول، الحرب الصليبية الثالثة، صلاح الدين وريتشارد، ترجمة وتعليق: حسن حبشي، (جزءان)، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠م.)، جــ ١، ص ١٥٧.

(١٢) ابن شداد (ت: ٦٣٢ هــ/ ١٢٣٤م.) بهاء الدين بن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية أو سيرة صلاح الدين، تحقيق: جمال الدين الشيال، (القاهرة: الدار المصرية، ط ١، ١٩٦٤م.)، ص ١٨٢، ٢٠٢.

(١٣) Ernoul, op. cit., pp. 267-268.

(١٤) مؤرخ مجهول، الحملة الصليبية الثالثة، جــ ١، ص ١٥٨.

(١٥) S. Runciman, A History of the Crusades, (3 vols.), (Cambridge, 1951-1954), pp. 441-442.

(١٦) J. L. La Monte, op. cit., p. 39.

(١٧) R. Grousset, op. cit., p. 691.

(١٨) R. Roehricht, Regesta, Doc. No. 596.

الملاحظ أن الوثيقة المشار إليها قد ذكرت خطأً أن إيزابيلا زوجة لهمفري، في حين أن الزواج لم يتم إلا في مرحلة تالية. أما باليان (١١٤٣- ١١٩٣م.) فهو الابن الأصغر للنبيل الإيطالي باليان (باريسان أف إبلين Barisan of Ibelin) الأول، كبير سادة يبنه والرملة في جنوب المملكة، وعلي الرغم من أصلهم المتواضع، إلا أنهم أصبحوا أكثر الأسر شأناً فيها، وبرز من بينهم أخواه هيو Hugh وبلدوين Baldwin إبلين، وقد أهّل وضع باليان الأسري للزواج من ماريا طليقة الملك عموري الأول في عام ١١٧٧م. وشارك باليان في معظم الأحداث المهمة التي شهدتها مملكة بيت المقدس قبل سقوطها وبعده، وورد اسمه كثيراً في المصادر الإسلامية برسم باليان ابن بارزان. ولمعرفة المزيد عن هذه الشخصية راجع: ابن الأثير، مصدر سابق، جــ ١١، ص ٥٤٦- ٥٥٠، جــ ١٢، ص ٨٦؛ وعن جهود باليان وأسرته الصليبية تفصيلياً راجع:

H. E. Mayer, "Craving Up Crusaders: The Early Ibelins and Ramlas", in: Outremer: Studies in the History of the Crusading Kingdom of Jerusalem Presented to Joshua Prawer, (Jerusalem, 1982), (pp. 101- 118), pp. 113-118.

(١٩) William of Tyre, op. cit., II, pp. 401, 459; Ernoul, op. cit., pp. 81- 82.

العماد الأصفهاني، البرق الشامي، جـ ٣، تحقيق: د. مصطفي الحياري، (عمان- الأردن: ط ١، ١٩٨٧م.)، ص ١٥٩، ١٧٨؛ جـ٥، ص ١٤٨- ١٤٩؛ ابن الأثير، مصدر سابق، جـ ١١، ص ٤٥٣.

(٢٠) S. Runciman, op. cit., II, pp. 424-425.

(٢١) William of Tyre, op. cit., II, p. 459; B. Hamilton, "The Elephant of Christ, Reynald of Chatillon", in: Monastic Reform Catharism and the Crusades 900- 1300, (London, 1979), (pp. 97- 108), pp. 103- 104.

(٢٢) R. Roehricht, Regesta., Docs. No. 606, 615.

(٢٣) ذكر الرحالة المسلم ابن جبير الذي زار تبنين عام ١١٨٣م. أنها من ممتلكات الخنزيرة أم الخنزير صاحب عكا، يقصد أجنس وبلدوين الرابع، انظر: ابن جبير (ت: ٦١٤هـ/ ١٢١٧م.) أبو الحسن محمد بن أحمد الأندلسي، رحلة ابن جبير، تحقيق: حسين نصار، (ليدن: بريل، ١٩٠٨م.)، ص ٢٩١.

(٢٤) S. Runciman, op. cit., pp. 424, 425;

علي أحمد السيد، مرجع سابق، ص ١٦٠-١٦١.

(٢٥) Cartulaire General de L'Ordre des Hospitaliers de St. Jean de Jerusalem (1100- 1310), ed.: J. Delaville Le Roulx, (4 vols.), (Paris, 1894-1906), II, p. 146.

(٢٦) R. Roehricht, Regesta, Doc. No. 628.

(٢٧) Jean d'Ibelin, "Le Livre de Jean d'Ibelin", en: Ass. Jer., tome I, (Paris, 1881), (pp. 7-432), p. 402.

(٢٨) William of Tyre, op. cit., II, pp. 291- 293.

وردت عند وليم الصوري باسم جلبوع Gilboa وهو الاسم التوراتي للجبل، انظر: الكتاب المقدس صموئيل ٤٨: ٤، ويطلق عليه حالياً اسم جبل فقوع، وتقع بالقرب منه قرية جلبون التي تشبه الاسم القديم، شرقي وادي مرج أبي عامر جنوب الجليل، والجبل يعلو فوق سطح البحر بارتفاع حوالي خمسمائة متر، راجع: قاموس الكتاب المقدس، إعداد: بطرس عبد الملك، جون ألكسندر، إبراهيم مطر، (القاهرة: دار الثقافة، ١٩٩٥م.)، مادة: جلبوع.

(٢٩) ابن شداد، مصدر سابق، ص٦٢؛

Ernoul, op. cit., pp. 90- 102.

(٣٠) Idem.;

العماد الأصفهاني، البرق الشامي، جـ ٥، ص ١٥٠؛ ابن الأثير، مصدر سابق، جـ ١، ص ٥٠١.

(٣١) مؤرخ مجهول: الحرب الصليبية الثالثة، جـ ١، ص ١٣٣؛
Geoffrey de Vinsauf, op. cit., p. 126; Cf. also., J. Richard, The Crusades, C. 1071- c. 1291, trans. by: Jean Birrell, (Cambridge U. P., 1999), p. 197.

(٣٢) Ernoul, op. cit., pp. 102- 106.

(٣٣) Estoire d'Eracles, Empereur et de Conquest de la Terre d'Outre- Mer, en: RHC-Occ, tome II, (Paris, 1859), (pp. 1-481), p. 136

(٣٤) William of Tyre, op. cit., II, pp. 499- 503.
ابن شداد، مصدر سابق، ص ٦٣؛ ابن الأثير، مصدر سابق، جـ ١١، ص ٥٠٢، ٥٠٦، ٥٠٧.

(٣٥) ابن شداد، مصدر سابق، ص ٦٦، ١٠٨؛ أبو الفدا: (ت: ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م.)، إسماعيل بن علي محمود، الملك المؤيد صاحب حماه، المختصر في أخبار البشر، (٤ أجزاء في مجلدين)، (بيروت، د. ت)، جـ ٣، ص ١٨.

(٣٦) J. L. La Monte, op .cit., pp. 160- 165.

(٣٧) Ernoul, op. cit., pp. 131- 136; Cf. also; E. Hallam, Chronicles of the Crusades, eye-witness accounts of the wars between Christianity and Islam, (London, 1989), p. 152.
شهد جوسلين الثالث نهاية إمارة الرها الصليبية بصفته آخر سلالة أسرة كورتناي الحاكمة فيها، وهو أيضاً أخ للكونتيسة أجنيس زوجة الملك الصليبي عموري الأول. أما الشخصيات البارزة في النزاع فقد ضم الفريق الأول باليان إبلين وزوجته ماريا الأنطاكية والدة إيزابيلا، وبلدوين سيد الرملة، ووالتر سيد قيسارية، ورينالد سيد صيدا، وباقي النبلاء الإقطاعيين، وضم الفريق الثاني عموري شقيق جاي وكند سطبل المملكة وريد فورت مقدم الداوية، وأجنيس كورتناي والدة سيبيلا، مدعومين ببطريرك المملكة هرقل. انظر:
R. L. Nicholson, Joscelyn III and the Fall of the Crusader States 1134- 1199, (The University of Illinois, 1973), pp. 88-92, 117, 132.

(٣٨) Ernoul, op. cit., pp. 129- 131; Estoire d'Eracles, pp. 7,25-31

(٣٩) ذيل وليم الصوري، ترجمة وتعليق: حسن حبشي، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢م.)، ص ٢٠- ٢١، ٤٢؛ تنبه جانب من أصحاب المصادر الإسلامية إلي ما يجري

في داخل البيت الصليبي من منازعات وأحداث حول عرش المملكة والوصاية عليها، ومثالاً علي ذلك راجع: العماد الأصفهاني، الفتح القسي، ص ٦٧- ٦٨؛

J. Riley-Smith, The Feudal Nobility and the Kingdom of Jerusalem 1174-1277, (London, 1973), pp. 109- 110.

وقد أرجعت إحدي الدراسات انضمام رينالد إلي جاي في هذه المرحلة إلي ما كان بينهما من علاقة مبادلة الخدمات فيما بينهما وهي وضعية لم يكن ليبلغها إلا من خلال قرابته من همفري الرابع الذي كان أحد أفراد البيت الملكي. راجع:

B. Hamilton, op. cit., p. 104.

(٤٠) T. Jones and A. Ereira, The Crusades, (New York: Facts on file, 1995), p. 158.

(٤١) آثر الملك بلدوين الرابع تعيين هرقل بطريركاً لمملكة القدس عن تعيينه لوليم الصوري في عام ١١٨٠م.، وذلك بتأثير من والدته أجنس، ومنذ ذلك الوقت لعب البطريرك دوراً سياسياً كبيراً داخل المملكة بحكم منصبه مدفوعاً بالنبلاء من فريق أجنيس، ومن ذلك دوره في إقناع الملك بقبول جاي زوجا لأخته وإتمام هذا الزواج، وهناك من المؤرخين من يطعن في سلوكياته وأخلاقه. راجع:

William of Tyre, op. cit., II, pp. 451, 508- 509; Estoire d'Eracles, p.88.

(٤٢) ذيل وليم الصوري، ص ٤٣- ٤٨؛ راجع أيضاً:

M. W. Baldwin, "The Decline and Fall of Jerusalem 1174- 1189", in: History of the Crusades, ed. by: K. M. Setton, (6 vols.), (Pennsylvania, 1958), I, (pp. 590- 621), p.601.

(٤٣) R. Roehricht, Geschichte des KonigerichsJerusalem, (Innsbruck, 1898), pp. 446- 451.

(٤٤) Ernoul, op. cit., pp. 30- 31, 129- 136, Estoire d'Eracles, pp. 25- 31

(٤٥) ابن جبير، مصدر سابق، ص ٢٩٩.

(٤٦) أبو شامة، مصدر سابق، جـ ٢، ص ٧٤.

(٤٧) "Les Lignages d'Outre-Mer" in: Ass. Jer. , (2 vols.), (Diamond, 1983), II, p. 462.

(٤٨) ذيل وليم الصوري، ص ٤٨، ١٨٨- ١٨٩.

(٤٩) S. Runciman, op. cit., II, p. 449, n. 2., Cf. also, J. Richard, The Crusades, p. 205.

(٥٠) M. W. Baldwin, op. cit., p. 601; K. Armstrong, Holy War, The Crusades and their Impact on Today's World, (New York: Anchor Books, 1992), p. 247.

(٥١) ذيل وليم الصوري، ص ٤٩؛ وللوقوف علي تفاصيل الأحداث الخاصة بالمنازعات بين النبلاء وردود الفعل في هذه المرحلة راجع:

J. L. La Monte, op. cit., pp. 31- 33, 51- 54.

(٥٢) مؤرخ مجهول: الحرب الصليبية الثالثة، جـ ١، ص ١٥٩؛ ذيل وليم الصوري، ص ٤٨، ١٨٩، انظر أيضاً:

Estoire d'Eracles, p. 153.

(٥٣) S. Runciman, op. cit., II, p. 444.

(٥٤) Estoire de Eracles, p. 63.

(٥٥) Estoire d'Eracles, pp. 49- 51; William of Nebourgh, The Church Historians of England, IV, part II, trans. by: Joseph Stevenson, (London: Seeley's, 1861); The electronic form of this Presentation is (c) 1999, by: Scott Mcletchie, in: Internet Medieval Source book, bk. 3, ch. 17: 1-3.

ابن الأثير، مصدر سابق، جـ ١١، ص ٥٣٢- ٥٣٣.

(٥٦) المعروف أن موقعة حطين قد حظيت باهتمام معظم المؤرخين المعاصرين، وكذلك بعض الباحثين ومن أهم هؤلاء راجع: العماد الأصفهاني، الفتح القسي، ص ٧٦- ٨٠؛ ابن شداد، مصدر سابق، ص ٧٥- ٧٩، ١٢٣؛ ابن الأثير، مصدر سابق، جـ ١١، ص ٥٣٤- ٥٣٧؛

Estoric d'Eracles, pp. 63- 64; Ernoul, op. cit., pp. 170- 174, 232- 233; Cf. also, J. Richard, "An Account of the Battle of Hattin", in: Speculum XX VII, (Cambridge, 1952), repr. In: OOM, XIII, pp. 168- 177.

(٥٧) Benedicti of Petroburgensis, "Vita Henerici II, Angelicie Rogis", in: RHGF, XVII, (Paris, 1818), (pp. 406- 546), p. 470;

ذيل وليم الصوري، ص ٨٨، ٩٠؛ ابن الأثير، مصدر سابق، جـ ١١، ص ٥٣٧؛ راجع أيضاً: هادية دجاني- شكيل، القاضي عبد الرحيم البيساني العسقلاني، (٥٢٦- ٥٩٦هـ/ ١١٣١- ١١٩٩م.)، دوره التخطيطي في دولة صلاح الدين وفتوحاته، (بيروت: الدراسات الفلسطينية، ط ١، ١٩٩٣م.) ، ص ٢٦٥- ٢٦٦.

(٥٨) العماد الأصفهاني، الفتح القسي، ص ٨٠- ٨١، ٨٧؛ ابن شداد، مصدر سابق، ص ١٢٤- ١٢٥.

(٥٩) S. Runciman, op. cit., III, p. 19.

(٦٠) ذيل وليم الصوري، ص١٠٣- ١٠٤، ١٥٠- ١٥١؛
Roger of Hovden, op. cit., II, pp. 67, 126
(٦١) العماد الأصفهاني، الفتح القسي، ص ٢٠٦- ٢٠٧؛ أبو شامة، مصدر سابق،جـ ٢، ص ٩٦؛ انظر أيضاً:
J. Richard, "An Account of the Battle of Hattin", p. 170.
(٦٢) Ernoul, op. cit., pp.184, 187;
ذيل وليم الصوري، ص ١٥٠- ١٥١؛ ابن شداد، مصدر سابق، ص ٨١- ٨٢.
(٦٣) العماد الأصفهاني: الفتح القسي، ص ٢٦٦- ٢٦٧.
(٦٤) Ibid., p. 187;
ابن شداد، مصدر سابق، ص ٨١- ٨٢؛ العماد الأصفهاني، الفتح القسي، ص ٢٠٦- ٢٠٧.
(٦٥) J. L. La Monte, op. cit., p. 176, n. 1.
(٦٦) ذيل وليم الصوري، ص ١٣٠، ١٥٠- ١٥١.
(٦٧) العماد الأصفهاني، الفتح القسي، ٢٦٦- ٢٦٧؛ ابن الأثير، مصدر سابق، جـ ١٢، ص ٥-٦.
(٦٨) أبو شامة، مصدر سابق، جـ ٢، ص ١٣٤- ١٣٥؛
Ernoul, op. cit., p. 187; R. Grousset, op. cit., p. 827.
(٦٩) Ernoul, op. cit., p. 66; E. G. Rey, "Les Seigneur de Montreal",(Paris, in: ROL, IV, 1896), p. 22.
(٧٠) ذيل وليم الصوري، ص ١٨٧؛
Roger of Hovden, op. cit., II, p. 66; Cf. also, W. Stevenson, The Crusaders in the East, (Beirut, 1968), p. 241.
ما لبث الكيان الصليبي المضمحل في الشام أن اتخذ من صور قاعدة للانطلاق، ومن حين لآخر كان هذا الكيان يقوي أمام المسلمين حتي يكاد يشكل خطراً داهماً عليهم، خاصة في بلاد الشام وذلك وفقاً لأطوار المد الصليبي والدعم الأوروبي الذي لم ينقطع، وعن ذلك انظر علي سبيل المثال:
Geoffrey de Vinsauf, op. cit., pp. 218- 221; William of Newburgh, op .cit., bk. 3, Ch. 19: 2, ch. 20: 1.
(٧١) G. Regan, Saladin and the Fall of Jerusalem, (New York: Croom Helm, 1987), p. 161.

(٧٢) S. Runciman, op. cit., III, pp. 20, 21; J. Richard, The **Crusades**, p. 225.

(٧٣) ذيل وليم الصوري، ص ١٨٧؛

Estorie d'Eracles, p. 149.

وضع المؤرخ الصليبي صاحب الذيل تاريخ وفاة سيبيلا المذكور، ويخلص المؤرخ الحديث لامونت في مناقشته للحدث إلي أن الوفاة كانت قبل الأول من أكتوبر ١١٩٠م.، كما اختلف صاحب الذيل مع بعض أصحاب المصادر الصليبية الأخري بشأن عدد الأبناء، حيث عادت وذكرت أن عددهم أربعة.

Ernoul, op. cit., p. 267; Geoffry de Vinsauf, op. cit., pp. 125- 126;

مؤرخ مجهول: الحرب الصليبية الثالثة، جـ ١، ص ١٣٢.

cf. also, J. L. La Monte, op. cit., p. 39.

(٧٤) Jean Richard, the Crusades, p. 227.

(٧٥) Geoffrey de Vinsauf, op. cit., p. 139;

مؤرخ مجهول: الحرب الصليبية الثالثة، جـ ١، ص ١٥٨.

(٧٦) Ambroise, The Crusades of Richard Lion-Heart, trans. from Old French by: Merton Jerom, with notes and documentation by: J. L. La Monte, (New York, 1941), pp. 342- 343.

(٧٧) Geoffrey de Vinsauf, op. cit., p. 126; Roger of Hovden, op. cit., II, pp. 172- 173.

(٧٨) Geoffrey de Vinsauf, op .cit., p. 139;

مؤرخ مجهول: الحرب الصليبية الثالثة، جـ ١، ص ١٥٧.

(٧٩) Roger of Hovden, op. cit., II, p. 173;

مؤرخ مجهول: الحرب الصليبية الثالثة، جـ ١، ص ١٦١.

(٨٠) العماد الأصفهاني، الفتح القسي، ص ٤٩٤.

(٨١) Geoffrey de Vinsauf, op. cit., pp. 126, 139; Ernoul, op. cit., p. 267;

ذيل وليم الصوري، ص ١٨٨.

(٨٢) ذيل وليم الصوري، ص ١٨٨؛

Ernoul, op. cit., p. 167.

(٨٣) ورد في السجلات الباباوية التي ترجع لعام ١٢٠٠م. أن يوبالدو الذي كان يشغل منصب رئيس أساقفة بيزا Pisa ذهب إلي الأرض المقدسة في رحلة حج عادية في رفقة والد كونراد ويليام الأول مونتفيرت (١١٦٠ – ١٢١٤م.) إبان أعمال الحملة الصليبية الثالثة الحربية. راجع:

J.C. Moore, "Pope Innocent III, Sardinia, and The Papal State", Speculum, vol. 62, No. 1, ed. MAA (Jan., 1987), (pp. 81 – 101), p. 84.

أما عن فيليب أف درو أسقف بوفيه فهو حفيد الملك الفرنسي لويس السادس Louis VI وقريب المركيز كونراد وتُعد مشاركته في قضية تطليق إيزابيلا وزواجها من كونراد أكثر الأحداث التي اشتهر بها. راجع:

S. Painter, "The Third Crusade: Richard the Lion heart and Philip Augustus", in: A History of the Crusades, ed. by: K. M. Setton (USA: Wisconsin Press, 1969), II, (pp. 45- 86), pp. 50, 66, 80;

P.W. Edbury, ed. The Conquest of Jerusalem and The third Crusade, (London, 1998), p. 105.

(٨٤) هو الابن الأصغر للإمبراطور الألماني فريدريك الأول بربروسا Frederick I Barbarossa (١١٥٢- ١١٩٠م.) كان قد رافقه في الحملة الصليبية الثالثة وشهد وفاة والده في يونيو ١١٩٠م.، فتولي قيادة بقايا الجيش وتوجه به لحصار عكا، وسرعان ما توفي هو أيضاً في العشرين من يناير ١١٩١م.، وأثناء هذه الأشهر كان فريدريك دوق سوابيا يمثل الثقل الألماني في الحملة الثالثة بعد وفاة والده برغم أنه كان شاباً دون العشرين من عمره، كما كانت قواته تعد أهم الجيوش التي أتت من الغرب أمام عكا حتي ذلك الوقت، راجع:

Niketas Choniates, O City of Byzantium, Annals of Niketas Choniates, trans. by: Harry J. Magoulias, (Detroit, 1984), pp. 220, 222, 229.

مؤرخ مجهول: الحرب الصليبية الثالثة، جـ ١، ص ٥٧، ٦٥- ٦٦، ١٢٩- ١٣٠؛ راجع أيضاً: علي أحمد محمد السيد، "دور ليوبولد الخامس دوق النمسا في الحملة الصليبية الثالثة وتداعياتها (١١٨٩- ١١٩٤م.- ٥٨٥- ٥٩٠هـ)"، بحث منشور في: مجلة الإنسانيات، كلية الآداب بدمنهور، (العدد الثاني والعشرون، ٢٠٠٥م.)، ص (٢٤٩- ٣١٩)، ص ٢٥٨، ٢٦٥، ٢٧٠

(٨٥) Estoire d' Eracles, p. 149;

ذيل وليم الصوري، ص ١٨٨؛ مؤرخ مجهول: الحرب الصليبية الثالثة، جــ ١، ص ١٥٨، ١٦٠.

(٨٦) Roger of Hovden, op. cit., II, p. 173, also; B. Hamilton, op. cit., p. 150; Cf. also, Jean Richard, The Crusades, p. 203.

(٨٧) ذيل وليم الصوري، ص ١٨٩؛
Les Gestes des Chiproise, Livre I, Chronique de Terre Sainte (1132- 1224), in: RHC: Doc. Arm., vol. II, (Paris, 1906), II, pp. 141- 142.

(٨٨) Geoffrey de Vinsauf, op. cit., 140; Cf. also, R. L. Nicholson, op. cit., p. 190.

(٨٩) ذيل وليم الصوري، ص ١٨٩.

(٩٠) مؤرخ مجهول: الحرب الصليبية الثالثة، جـــ ١، ص ١٥٨.

(٩١) عُرف بلدوين بين الصليبيين بل وفي بلاده بتزمته الديني حتي أنه كان غير محبوب لدي الملك الإنجليزي ريتشارد قلب الأسد Richard the Lion Heart (١١٨٩- ١١٩٩م.)، ومن مواقفه المهمة بروزه في الدعايا للحملة الصليبية الثالثة وصلة الصليب واشتراكه فيها حيث كان من أكبر الزعماء الإنجليز وصولاً إلي فلسطين ومن أكثرهم حركة رغم كبر سنه، راجع:
S. Painter, op. cit., pp. 47, 64-66.

(٩٢) مؤرخ مجهول: الحرب الصليبية الثالثة، جـــ ١، ص ١٥٩.

(٩٣) ذيل وليم الصوري، ص ١٨٩؛
Ernoul, op. cit., pp. 267- 268; cf. also, T. Jones and A. Ereia, op. cit., p. 182.

(٩٤) ابن شداد، مصدر سابق، ص ١٩٩.

(٩٥) عرف بلدوين بين الصليبيين، بل وفي بلاده بتزمته الديني حتي أنه كان غير محبوب لدي الملك الإنجليزي ريتشارد قلب الأسد Richard the Lion Heart (١١٨٩- ١١٩٩م.)، ومن مواقفه المهمة بروزه في الدعايا للحملة الصليبية الثالثة وحمله الصليب واشتراكه فيها حيث كان من أكبر الزعماء الإنجليز وصولاً إلي فلسطين ومن أكثرهم حركة رغم كبر سنه، راجع:
S. Painter, op. cit., pp. 47, 64-66.

(٩٦) مؤرخ مجهول: الحرب الصليبية الثالثة، جـــ١، ص ١٦٠؛ ذيل وليم الصوري، ص ١٩١.

(٩٧) Estoire d' Eracles, pp. 151- 154;

والمقصود بها ثيودورا أنجيلوس Theodora Angelus أخت الإمبراطور إسحاق الثاني إنجليوس Isaac II Angelus (١١٨٥- ١١٩٥م.)، وكان كونراد قد تزوجها لبضعة أشهر خلال عام ١١٨٧م. راجع:

Niketas Choniates, op. cit., p. 210.

(٩٨) Les Gestes des Chiproise, I, p. 661.

(٩٩) Geoffrey de Vinsauf, op. cit., pp. 140- 141;

مؤرخ مجهول: الحرب الصليبية الثالثة، جـ١، ص ١٦٠- ١٦١.

(١٠٠) مؤرخ مجهول: الحرب الصليبية الثالثة، جـ ١، ص ١٥٨، ١٦٠؛

Ambroise, op. cit., p. 342.

(١٠١) ذيل وليم الصوري، ص ١٩١.

(١٠٢) Geoffrey de Vinsauf, op. cit., p. 140.

(١٠٣) Ambroise, op. cit., p. 342.

(١٠٤) ذيل وليم الصوري، ص ٤٨، ١٨٩- ١٩٠؛

Estoire d' Eracles, pp. 153- 154.

(١٠٥) ذيل وليم الصوري، ص ١٩١.

(١٠٦) ذيل وليم الصوري، ص ١٨٩.

(١٠٧) S. Runciman, op. cit., III, p. 31.

(١٠٨) ابن الأثير، مصدر سابق، جـ ١٢، ص ٧١؛ ابن شداد، مصدر سابق، ص ٩٨؛ وفي هذا الصدد تري دراسة حديثة أنه لو قُدر لكونراد أن يعيش أكثر مما عاش لحصلت مملكة بيت المقدس من الحقوق والممتلكات أكثر مما اكتسبته علي عهد الذين تولوا أمرها من بعده، وللمزيد راجع:

J. Reston Jr., Warriors of God, Richard the Lion.-Heart and Saladin in the Third Crusades, (New York: Anchor Books, 2001), p. 261.

(١٠٩) ابن شداد، مصدر سابق، ص ١٩٩.

(١١٠) العماد الأصفهاني، الفتح القسي، ص ٤٩٤.

(١١١) Roger of Hovden, op. cit., II, p. 173; Estoire d'Eracles, p. 153

(١١٢) J. Richard, The Crusades, p. 227, R. L., Nicholson, op. cit., p. 190;

وكان كونراد أف مونتيفرات مرتبطاً بعلاقات قرابة بعدد من الشخصيات اللامعة في أوروبا التي كان لها تاريخ عريض في السياسة والحرب الصليبية؛ فأمه جوديث Judith أخت غير شقيقة لفردريك دوق سوابيا والد فردريك الأول بربروسا، كما أن جوديث أخت غير شقيقة لهنري الثاني Henry II والد ليوبولد دوق النمسا Leopold Duke of Austria (١١٧٧-١١٩٤م.)، ومن ثم فكونراد ابن عمة كل من الإمبراطور الألماني ودوق النمسا، انظر:

Otto of Freising, The Deeds of Frederick Barbarossa, trans. by: C. C., Mierow, (New York, 1953), pp. 79-81, 102, 246; Geoffrey de Vinsauf, op. cit., pp. 124- 125.

ومن ناحية أخري كان كونراد ابن لوليم أف مونتيفرات الثالث ابن عمة الملك الفرنسي لويس السابع Louis VII (١١٣٧- ١١٨٠م.) والد فيليب أغسطس. انظر:

William of Tyre, op. cit., II, p. 415. cf. also: D. Jacoby, "The Kingdom of Jerusalem and the Collapse of Hoheusaufen Power in the Levant", in: DOP, XL, (Harvard, U. P., 1986), (pp. 83-101), pp. 83, 84.

(١١٣) Roger of Hovden, II, p. 206.

(١١٤) Ambroise, The Crusades Of Richard Lion- Heart, Translated From Old French By Hubert, Merton Monte, (New York, 1941), p. 123.

(١١٥) Roger of Hovden, op. cit., II, p. 208.

(١١٦) Ambroise, op. cit., pp. 93- 94; Geoffrey de Vinsauf, op. cit., p. 217.

(١١٧) Richard of Devizes, Crusade Coeur de Lion, (London, 1845), p. 39; Ambroise, op. cit., pp. 100, 121- 122.

(١١٨) ابن شداد، مصدر سابق، ص ١٥٦- ١٥٧؛ ابن الأثير، مصدر سابق، جـ ١٢، ص ٣٠- ٣١؛

Ambroise, op. cit., pp. 79- 92; Roger of Hovden, op. cit., II, p. 208.

(١١٩) العماد الأصفهاني، الفتح القسي، ص ٤٩٤.

(١٢٠) Ambroise, op. cit., pp. 210- 211. ويوضح المؤرخ أمبرواز أنه بموجب هذا الاتفاق يبسط كونراد سيادته علي صور وبيروت وصيدا، أما

جوفري Geoffrey شقيق جاي فيتولي حكم يافا وعسقلان عند الاستيلاء عليهما من قبضة صلاح الدين، علي أن يتم اقتسام موارد المملكة بين جاي وكونراد.

Rogre of Hovden, op. cit., II, p. 217.

(١٢١) سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطي، (جزءان)، (القاهرة: مكتبة الأنجلو، ١٩٦٣م.)، جـ٢، ص ٦٨٢.

(١٢٢) Richard of Divezes, op. cit., pp. 42- 43.

(١٢٣) تمكن القادة الصليبيون المحليون من حصار عكا بداية من أواخر أغسطس ١١٨٩م. وأضيفت إليهم طلائع جيوش الحملة الصليبية الثالثة ولم يتمكنوا من إسقاطها إلا في الثاني عشر من يوليو ١١٩١م. بمساهمة فعالة من جيوش أوروبا التي انخرطت في الحملة، راجع علي سبيل المثال: أبو شامة، مصدر سابق، جـ ٢، ص ١٤٣؛ مؤرخ مجهول "البستان الجامع لجمع تواريخ الزمان".

In: Bulletin d'Etudes Orientales, ed. by: Claude Cahen, tomes VII- VIII, (Le Caire, 1938), (pp. 113- 158), p. 149.

(١٢٤) Ambroise, op. cit., p. 399.

(١٢٥) ابن شداد، مصدر سابق، ص ٢٠١.

(١٢٦) محمود سعيد عمران، تاريخ الحروب الصليبية، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٠م.)، ص ١٧٥.

(١٢٧) أبو شامة، مصدر ساق، جـ ٢، ص ١٩١..

(١٢٨) ابن شداد، مصدر سابق، ص ١٨٢- ١٨٣؛ العماد الأصفهاني، الفتح القسي، ص ٥٤٢؛ P. Henderson, Richard Coeur de Lion, A Biography, (London: Robert Hale Limited, 1958), p. 131.

(١٢٩) ولمعرفة تفاصيل المعركة وملابساتها ونتائجها، راجع: محمد مؤنس، "معركة أرسوف ١١٩١م./ ٥٨٧هـ. ودورها في الصراع الإسلامي ــ الصليبي"، في: عصر الحروب الصليبية بحوث ومقالات، (القاهرة: عين الدراسات، ط ١، ٢٠٠٦م.)، ص ١٨٩- ٢٢٨.

(١٣٠) ابن واصل، مصدر سابق، جـ ٢، ص ٣٧٠- ٣٧١؛ المقريزي (ت: ٨٤٥هـ./ ١٤٤٢م.) تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، جـ ١-٢ نشر وتحقيق: مصطفي زيادة، (القاهرة، ١٩٣٦م.)، جـ ١، ص ١٠٦.

(١٣١) أبو شامة، مصدر سابق، جـ ٢، ص ١٩١- ١٩٣؛ راجع أيضاً: ستانلي لين بول، صلاح الدين وسقوط مملكة القدس، ترجمة: فاروق سعد أبو جابر، (القاهرة: الأهرام التجارية، ط ١، ١٩٩٥م.)، ص ٢٦٤.

(١٣٢) ابن شداد، مصدر سابق، ص ١٩٩؛ العماد الأصفهاني، الفتح القسي، ص ٥٦٠؛ راجع أيضاً: ستانلي لين بول، مرجع سابق، ص ٢٦٥.

(١٣٣) ابن شداد، مصدر سابق، ص ٢٠٢- ٢٠٣. وتتمثل أهم هذه العروض في إبداء همفري رغبة الجانب الصليبي في أن يتولي العادل السلطنة واقترح تزويجه من جوانا Joanna أخت الملك ريتشارد حلاً للصراع حول الأرض المقدسة، راجع: ستانلي لين بول، مرجع سابق، ص ٢٦٧- ٢٦٨.

(١٣٤) ابن شداد، مصدر سابق، ص ٢٠٢.

(١٣٥) العماد الأصفهاني، الفتح القسي، ص ٥٦٠.

(١٣٦) Jr. Reston, op. cit., pp. 260- 261.

(١٣٧) ابن شداد، مصدر سابق، ص ٢٠٢- ٢٠٣.

(١٣٨) P. L., Williams, Complete idiot's Guide to the Crusades, (U. S. A: Alpha books, 2002), pp. 198- 199.

(١٣٩) Ambroise, op. cit., cols. 225- 231.

(١٤٠) Geoffrey de Vinsauf, op. cit., pp. 283- 284.

ولمعرفة المزيد عن القضايا الخاصة بجزيرة قبرص وعلاقتها بالقيادات الصليبية منذ قدوم ريتشارد إلي الشرق، انظر:

Roger of Hovden, op. cit., II, p. 267; G. F. Hill, A History of Cyprus, (4 vols.), (Cambridge, 1940- 1941), II, pp. 36- 41, 67- 70.

(١٤١) Richard of Divezes, op. cit., p. 61.

(١٤٢) Estoire d' Eracles, pp. 192- 193, 195; Geoffrey de Visauf, op. cit., p. 277; Roger of Hovden, op. cit., II, p. 267.

وعندما توفي هنري في عام ١١٩٧م. تزوجت إيزابيلا من إيميري لوزجنان Aimery of Lusignan ملك قبرص في العام ذاته ليجمع في آنٍ واحد بين عرشي قبرص وبيت المقدس، واستمر زواجهما حتي توفيت في غالب الظن عام ١٢٠٥م.

Ernoul, op. cit., p. 286, 407; Estoire d'Eracles, pp. 189- 190, 191.

وجدير بالذكر أن تاريخ وفاة إيزابيلا يكتنفه الغموض شأن معظم حياتها، علي الرغم من الأهمية القصوي لزيجاتها وإنجابها للأطفال ممن ارتبطت بهم، وهم: ماريا أف مونتيفرات، وأليس وفيليبا أف شامباني، وسيبيلا وميلسند أف لوزجنان. ولمعرفة المزيد راجع:

S. Runciman, op. cit., III, p. 159; Cf. also, M. N. Hardwick, "The Crusader States, 1192- 1243", in: A History of the Crusades, ed. by: K. M. Setton, (vol. 2), (U. S. A.: Wisconsin Press, 1969), (pp. 522- 556), pp. 522-532.

(١٤٣) ابن شداد، مصدر سابق، ص ٢٢٠؛ المقريزي، مصدر سابق، جـ ١، ص ١٠٩.

ويلاحظ في هذا الموضع أن ابن شداد أورد اسم همفري خطأ برسم "جُفري".

(١٤٤) هو أبو العباس أحمد بن الأمير سيف أبي الحسن علي بن أحمد بن أبي الهيجاء ابن عبد الله بن أبي الخليل بن مرزبان الهكاري المعروف بابن المشطوب والملقب عماد الدين، والمشطوب لقب والده، وإنما قيل له ذلك لشطبه بوجهه، وكان من أجّل الأمراء الهكارية، وله لفيف من الأمراء والأكابر وله حرمة وافرة عند الملوك. وكان صلاح الدين الأيوبي قد أقطعه ثلثي نابلس بعد وفاة والده بطل الدفاع عن عكا عام ١١٩١م. عن ذلك انظر: ابن خلكان (ت: ٦٨٨هـ/ ١٢٨٢م.) شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، (٦ أجزاء)، (بيروت، ١٩٦٧- ١٩٦٨م.)، جـ١، ص ٨١؛ العماد الأصفهاني، الفتح القسي، ص ٥٠٥، ٥١٣.

(١٤٥) أبو شامة، مصدر سابق، جـ٢، ص ٢٠٠؛ ابن واصل، مصدر سابق، جـ ٢، ص ٣٩٠- ٣١؛ راجع أيضاً: سعيد عاشور، مرجع سابق، جـ ٢، ص ٧٠٣.

(١٤٦) ابن شداد، مصدر سابق، ص ٢٢٠- ٢٢١؛ العماد الأصفهاني، الفتح القسي، ص ٦٠٣، ٦٠٨.

(١٤٧) Geoffrey de Vinsauf, op .cit., p. 385; Gervase of Canterbury, "The Historical Works of Gervase of Canterbury", ed. by: W. Stubbs, in: RS, (2 vols.), (London, 1879- 1886), II, p. 89; Estoire d' Eracles, p. 200; Richard of Devizes, op. cit., pp. 55- 60; Ambroise, op. cit., p. 431.

وتتمثل أهم بنود الصلح في استحواذ الصليبيين علي الساحل من صور حتي يافا، وتسليم عسقلان للمسلمين، في حين تكون اللد والرملة مناصفة مع المسلمين، وأقر الصلح حرية الحج إلي بيت المقدس، وحدد مدة الصلح، وتنظيم التعامل بين الصليبيين والمسلمين في الشام. وللوقوف علي

تفاصيل الصلح وبنوده راجع: ابن شداد، مصدر سابق، ص ٢٣٤- ٢٣٥؛ أبو شامة، مصدر سابق، جـ ٢، ص ٢٠٣؛

Abmroise, op. cit., p. 431; Richard of Devizes, op. cit., pp. 56- 60.

(١٤٨) أبو شامة، المصدر السابق، جـ ٢، ص ٢٠٣؛ ابن واصل، مصدر سابق، جـ ٢، ص ٤٠٣- ٤٠٤؛ المقريزي، مصدر سابق، جـ ١، ص ١١٠.

(١٤٩) G. Tyerman, England and the Crusades 1095- 1588, (Chicago, 1988), p. 58.

(١٥٠) Roger of Hovden, op. cit., II, p. 269; Niketas Choniates, op. cit., p. 229.

(١٥١) Ernoul, op.cit., p.124

(١٥٢) "Fragment d'un Cartulaire de L'ordre de Saint-Lazare en Terre-Saint", A. de Marsy, en: A.O.L., II, (Paris, 1884), p. 153; E. G. Rey, Les Familles, p. 423.

(١٥٣) John of Ibelin, Le Livre de Assises, ed. by: Peter, W. Edbury (Brill, 2003), p. 688; J, Riley Smith, Feudal Nobility, pp. 171- 172.

(١٥٤) D. Jacoby, "The Kingdom of Jerusalem and the Collapse of Hohenstaufen Power in the Levant", in: DOP, XL, (U. P., 1986), (pp. 83-101), pp. 86, 88, 93; cf. also, J. de La borde, Layettes du Trésor de Chortes, (3 vols.), (Paris, 1873), III, p. 456, no. 4476.

بيان بأهم المختصرات الواردة في البحث

- **AOL:**
Les Archives de l'Orient Latin

- **Ass. Jer. :**
Les Assises de Jerusalem

- **DOP:**
Dumbarton Oaks Papers

- **MAA:**
Medieval Academy of America

- **RHC Doc. Arm.:**
Recueil des Historiens des Croisades: Documents Arméniens

- **RHC-HOcc:**
Recuiel des Historiens des Croisades, Historiens Occidentaux

- **RHGF:**
Recueil des Historiens des Gaules et de la France

- **ROL:**
Revue de l'Orient Latin

- **RS:**
Rolls Series

المصادر ومراجـــع

أولاً: المصادرالأجنبية:

- Albert d'aix, Historia Hierosolymitana, en: RHC-H Occ., IV, (PARIS, 1879), (pp. 265-713).
- Ambroise The Crusades Of Richard Lion- Heart, Translated From Old French By: Merton Mont Hubert, Merton Monte, (New York, 1941).
- Benedicti of Petroburgensis, Vita Henerici II, Angelicie Rogis, in: RHGF, XVII, (Paris, 1818), (pp. 406- 546).
- Cartulaire General del'Ordre des Hospitaliers de St. Jean de Jerusalem (1100- 1310), ed.: J. Delaville Le Roulx, (4 vols.), (Paris, 1894-1906).
- La Contintuation de Guillaume de tyre (1184- 1197), par Margaret Ruth Morgan. (Paris, 1952).

و قد اعتمد الباحث علي الترجمة العربية لهذا المصدر، راجع:

ذيل وليم الصوري، ترجمة وتعليق: حسن حبشي، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢م.).

- E. Hallam, Chronicles of the Crusades, eye-witness accounts of the wars between Christianity and Islam, (London, 1989).
- Ernoul, La Chronique d'Ernoul et de Bernard le Tresorier, ed. Mas Latrie, (Paris, 1871).
- Estoire d'Eracles, Empereur et de Conquest de la Terre d'Outre-Mer, en: R HC-H Occ, tome II, (Paris, 1859)
- "Fragment d'un Cartulaire de L'ordre de Saint-Lazare en Terre-Saint", ed: A. de Marsy, en: AOL, III, (Paris, 1884), (pp. 121-158).
- Geoffery de Vinsauf, Itinerary of Richard and Others to the Holy Land, in: Chronicles of the Crusades, (London, 1848).
- Gervase of Canterbury, "The Historical Works of Gervase of Canterbury", ed. by: W. Stubbs, in: RS, (2 vols.), (London, 1879- 1886).

- Itinerarium Peregrinorum et Gesta Regis Ricardi

وقد اعتمد الباحث علي الترجمة العربية للمصدر تحت عنوان: الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد)، ٢ ج.، ترجمة وتعليق: حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة تاريخ المصريين، رقم ١٨١، (القاهرة، ٢٠٠٠م.)

كما أفاد الباحث من حواشي المصدر ذاته في طبعة مختلفة، انظر:

- Das Itinerarium Peregrinorum, Eine Zeitgenssiche Enguche Chronik zum dritten Kreuzzug in ursprünglicher Gestalt, by: Hans Eberhard Mayer, Stuttgard, 1962.
- Jean d'Ibelin, Le Livre de Jean d'Ibelin, en: Ass. Jer., tome I, (Paris, 1881), reprinted and ed. by: Peter, W. Eddbury, (Brill, 2003), (pp. 7-432).
- Les Gestes des Chiporis, Livre I, Chronique de Terre Sainte (1132- 1224), in: RHC: Doc. Arm., vol. II, (Paris, 1906).
- "Les Lignages d'outre-Mer" in: Ass. Jer., (2 vols.), (Diamond, 1983).
- Niketas Choniatés, O City of Byzantium, Annals of Niketas Choniates, trans. by: Harry J. Magoulias, (Detroit, 1984).
- Otto of Freising, The Deeds of Frederick Barbarossa, trans. by: C. C. Mierow, (New York, 1953).
- Richard of Devizes, Crusade Coeur de Lion, (London, 1845).
- Rogger of Hovden, Annals, Comprising History of England and Other Countries Of Europe from 732 – 1201 A.D., trans. from the Latin with notes By: Henry T. Riley, (2 vols.), (London, 1883).
- R. Roehricht, Regesta Regni Hierosolimitani, (2 vols.), (Insbruck, 1893).
- William of Nebourgh, The Church Historians of England, IV, part II, trans. by: Joseph Stevenson, (London: Seeley's, 1861), The electronic form of this Presentation is (c) 1999, by: Scott Mcletchie, in: Internet Medieval Source book, bk. 3, ch. 17: 1-3.
- William of tyre, a history of deeds done beyond the sea, (2 vols.), trans. By: babcock and krey, (new York, 1943)

ثانياً: المصادر العربيـة :

- العهدان القديم والجديد.
- ابن الأثير (ت: ٦٣٠هـــ/ ١٢٣٣م.) عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم ابن عبد الواحد الشيباني الجزري، الكامل في التاريخ، (١٢ جزء)، (بيروت، ١٩٧٩م.).
- ابن جبير (ت: ٦١٤هـــ/ ١٢١٧م.) أبو الحسن محمد بن أحمد الأندلسي، رحلة ابن جبير، تحقيق: حسين نصار، (ليدن: بريل، ١٩٠٨م.).
- ابن خلكان (ت: ٦٨٨هـــ/ ١٢٨٢م.) شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، (٦ أجزاء)، (بيروت، ١٩٦٧- ١٩٦٨م.)، جـــ١.
- أبو شامة (ت: ٦٦٥هـــ/ ١٢٦٧م.) شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن ابن إسماعيل، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، (جزءان)، (بيروت، د. ن)، جـــ٢.
- ابن شداد (ت: ٦٣٢ هـــ/ ١٢٣٤م.) بهاء الدين ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية أو سيرة صلاح الدين، تحقيق: جمال الدين الشيال، (القاهرة: الدار المصرية، ط ١، ١٩٦٤م.).
- العماد الأصفهاني (ت: ٥٩٧هـــ/ ١٢٠٠م.) عماد الدين محمد بن محمد ابن حامد، البرق الشامي، جـــ ٥، تحقيق: مصطفي العياري، (عمان – الأردن: ط١، ١٩٨٧م.).
- أبو الفدا: (ت: ٧٣٢هـــ/ ١٣٣١م.)، إسماعيل بن علي محمود، الملك المؤيد صاحب حماه، المختصر في أخبار البشر، (٤ أجزاء في مجلدين)، (بيروت، د. ت)، جـــ ٣.

- ابن واصل، (ت: ٦٩٧هـ./ ١٢٩٨م.) محمد بن سالم جمال الدين، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، جـ ١-٣، تحقيق: جمال الدين الشيال، (القاهرة، ١٩٥٣- ١٩٦٠م.)، جـ٢.

ثالثاً: المراجع الأجنبية :

- T. H. Archer, V. L. Kings Ford, The Crusades: The Story of the Latin Kingdom of Jerusalem, (London, 1919).
- K. Armstrong, Holy war, The Crusades and their Impact on Today's World, (New York: Anchor Books, 1992).
- M. W. Baldwin, "The Decline and Fall of Jerusalem 1174- 1189", in: History of the Crusades, ed. by: K. M. Setton, (6 vols.), (Pennsylvania, 1958- 1989).
- R. Grousset, Histoire des Croisades et du Royaume France de Jerusalem, (3 vols.), (Paris, 1948).
- B. Hamilton, "The Elephant of Christ, Reynald of Chatillon", in: Monastic Reform Catharism and the Crusades 900- 1300, (London, 1979).
- M. N. Hardwick, "The Crusader States, 1192- 1243", in: A History of the Crusades, ed. by: K. M. Setton, (vol. 2), (pp. 522- 556).
- G. F. Hill, A History of Cyprus, (4 vols.), (Cambridge, 1940-1941).
- D. Jacoby, "The Kingdom of Jerusalem and the Collapse of Hohenstaufen Power in the Levant", in: DOP, XL, (Harvard U. P., 1986), (pp. 83- 101).
- H. E. Mayer, "Craving Up Crusaders: The Early Ibelins and Ramlas", in: Outremer: Studies in the History of the Crusading Kingdom of Jerusalem Presented to Joshua Prawer, (Jerusalem, 1982), (p.p. 101- 118).
- J. L. La Monte, Feudal Monarchy in the Latin Kingdom of Jerusalem: 1100- 1291, (Cambridge: Kraus Reprint, 1932).
- R. L. Nicholson, Joscelyn III and the Fall of the Crusader States 1134- 1199, (the University of Illinois, 1973).

- S. Painter, "The Third Crusade: Richard the Lion heart and Philip Augustus", in: **A History of the Crusades**, ed. by: K. M. Setton, II, (pp. 45- 86).
- J. Prawer, The Latin Kingdom of Jerusalem: European Colonialism in the Middle Ages, (London: Weidenfeld and Nicolson, 1972).
- J. Reston, Tr., Warriors of God, Richard the Lion Heart and Saladin in the Third Crusades, (New York: Anchor Books, 2001).
- E.G. Rey, Les Colonies Franques de Syrie aux XII[ne] et XIII[ne] Siedes, (Paris, 1883).
- ___, Les Familles d'Outre-mer de Ducange, (Paris, 1896).
- ___, "Les Seigneur de Montreal", in: ROL, IV, (Paris, 1896).
- J. Riley Smith, The Feudal Nobility and the Kingdom of Jerusalem 1174- 1277, (London, 1973).
- R. Roehricht, Geschichte des Konigerichs Jerusalem, (Innsbruck, 1898)
- S. Runciman, A History of the Crusades, (3 vols.), (Cambridge, 1951- 1954).
- W. Stevenson, the Crusaders in the East, (Beirut, 1968).
- G. Tyerman, England and the Crusades 1095- 1588, (Chicago, 1988).
- P. L. Williams, Complete idiot's Guide to the Crusades, (U. S. A: Alpha books, 2002).

رابعاً: المراجع العربية و المعربة :

- ستانلي لين بول، صلاح الدين وسقوط مملكة القدس، ترجمة: فاروق سعد أبو جابر، (القاهرة: الأهرام التجارية، ط ١، ١٩٩٥م.).
- سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطي، (جزءان)، (القاهرة: مكتبة الأنجلو، ١٩٦٣م.).
- علي أحمد السيد، الخليل والحرم الإبراهيمي في عصر الحروب الصليبية ١٠٩٩- ١١٨٧م./ ٤٩٢- ٥٨٣هـ.، (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٨م.).

- ـــــ ، "دور ليوبولد الخامس دوق النمسا في الحملة الصليبية الثالثة وتداعياتها (١١٨٩- ١١٩٤م.- ٥٨٥- ٥٩٠هـ.)"، بحث منشور في: مجلة الإنسانيات، كلية الآداب بدمنهور، (العدد الثاني والعشرون، ٢٠٠٥م.).
- قاموس الكتاب المقدس، إعداد: بطرس عبد الملك، جون ألكسندر، إبراهيم مطر، (القاهرة: دار الثقافة، ١٩٩٥م.).
- محمد مؤنس عوض ، "معركة أرسوف ١١٩١م./ ٥٨٧هـ. ودورها في الصراع الإسلامي ـ الصليبي"، في: عصر الحروب الصليبية بحوث ومقالات، (القاهرة: عين الدراسات، ط ١، ٢٠٠٦م.).
- هادية دجاني- شكيل، القاضي عبد الرحيم البيساني العسقلاني، (٥٢٦- ٥٩٦هـ./ ١١٣١-١١٩٩م.)، دوره التخطيطي في دولة صلاح الدين وفتوحاته، (بيروت:الدراسات الفلسطينية، ط ١، ١٩٩٣م.).

الكوليرا (الهيضة) في الخليج فى القرن التاسع عشر وآثارها الاجتماعية والاقتصادية

(١٢١٥ – ١٣١٨ هـ)

د. علي بن دخيل الله الحازمي
جامعة طيبة

تمهيد

لقد اجتاحت الخليج العربي وعلى فترات متفاوتة فى القرن التاسع عشر الميلادي موجات من الأمراض الوبائية التي خلفت وراءها الكثير من الآثار الاجتماعية والاقتصادية وكان مرض الهيضة (الكوليرا) من أشدها فتكاً وأبعدها أثراً بعد أن ظل الخليج مسرحاً لموجات متلاحقة من الكوليرا التي اجتاحت المنطقة مثيرة حالة من الخوف والهلع والفزع فكان الناس يفرون من مكان الوباء في مجموعات متتالية مما أدى إلي اتساع دائرة إنتشاره حتى أصبح الخليج موطناً من المواطن الموبوءة مما أثر على الحياة الاجتماعية والاقتصادية فيه نتيجة للجهل ولانعدام وسائل السلامة في المجتمع مما زاد في سوء الأوضاع ، ولعل نظرة على تاريخ مرض الكوليرا يعطى صورة واضحة للآثار التي خلفها.

ماهية المرض:

ظهرت الكوليرا في الهند عام ١٨١٧م / ١٢٣١هـ ، واستمر ثلاث سنوات عمت خلالها القارة الهندية بأسرها ، ثم امتدت إلي سيلان وبعض الجزر الغربية من سواحل الهند حتى وصلت إلي الخليج عام ١٨٢١م / ١٢٣٦هـ ، وانتشرت في أر جاء المنطقة الخليجية ، ونظراً لجهل الناس به فقد اختلفت المصادر المعاصرة

في اسمه لهذا عرف عند أهل الخليج بأسماء متعددة منها : الهيضة و أبو زرعه والهواء الأصفر والقعاص والطاعون ، ولكن بالرغم من اختلافهم حول اسم الوباء إلا أن المصادر أجمعت على وصف أعراضه فقد وصفه ابن سند وكان معاصراً له حيث كان في البصرة عندما وقع الوباء فقال[١] :(وفي تلك السنة (١٢٣٦هـ/١٨٢١م) حصل وباء عظيم كاد أن يفني أهل ا لبصرة ،وهو طاعون كالذي ذكره الإمام النووي وإن من علاماته القيء والإسهال ، وهذا الوباء كان يبتلي صاحبه بالقيء والإسهال المفرط وصاحبه لا يبول فإذا بال سلم..........) ووصفة ابن بشر[٢] بقوله: (أن الذي يحدث في البطن ويسهله ويقيء الكبد ويموت الإنسان من يومه ذلك أو بعد يومين أو ثلاثة ، ولا يعرف أنه حدث قبل هذه في الدنيا. ...) وأطلق عليه ابن رزيق اسم الطاعون ولكنه قال بأنه يختلف عن الطاعون الذي يأتي من استانبول ، فهذا يصهر بطن الإنسان ، فيخرج القيء من فمه ، والسلح من دبره حتى يموت[٣]. ووصفه الكركوكلى بأوصاف قريبة من هذا[٤]. وإذا كان الاختلاف قد حصل في اسمه لعجز الأطباء عن معرفته لا نهم لم يستطيعوا أن يجدوا له الدواء يقول ابن سند (... وتحيرت الأطباء وما علموا له الدواء أصلاً ، كما أنهم لم يتحققوا من أسبابه على اليقين ، بل كان كل من الحكماء يبدى سبباً للوباء يخالف ما يقول الحكيم الآخر ، وما هذا إلا لكون آرائهم ظنية[٥])) ولكنهم مع ذلك لم يختلفوا في وصفه، فهو عندهم عبارة عن قيء وإسهال يحدث في البطن فيهلك الإنسان، وقد ظل الوباء مجهولاً ولم يعرف إلا في عام١٨٨٤م/١٣٠٠هـ عندما اكتشف علي يد العالم الألماني روبرت كوخ حيث عرف بعد ذلك باسم الكوليرا .[٦]

وبوصول الكوليرا إلى الخليج في١٨٢١م/ ١٢٣٦ هـ وانتشرها في أرجائه ظلت تعاود الظهور في الخليج بين الحين والأخر في موجات متلاحقة طوال القرن

التاسع عشر الميلادي ويمكننا تمييز موجات منها كانت لها آثارها البعيدة المدى على المنطقة ، وقد ظهرت الكوليرا لأول مرة فى الخليج فى عام ١٨٢١م/ ١٢٣٦ هـ في عمان وامتدت إلى البحرين فالبصرة ثم حلت ضيفاً ثقيلاً على بغداد ثم انتقلت إلي الساحل الإيراني ووصلت من هناك إلى آسيا الصغرى ثم روسيا.(٧)

وفى عام ١٨٣٠م / ١٢٤٥هـ هاجمت الكوليرا شمال إيران ثم انتقلت إلي بحر قزوين وعبرت إلي روسيا ثم وصلت إلي أوروبا وتسببت في موت ٥٠٠٠٠ الف في بريطانيا (٨)، وقد انتقلت عن طريق الحجاج الهنود إلي مكة المكرمة ، وحملها الحجاج معهم إلي مصر وتركيا والعراق التى انتشرت في مدنها وقراها الجنوبية ومات من جرائها خلق كثير .(٩)

وفى عام ١٨٤١م/١٢٥٧ هـ ظهر وباء الكوليرا في الهند ثم انتقل إلى العراق وقاست منه بغداد في عام ١٨٤٦م/١٢٦٢ هـ كما عانت منه الحجاز ثم وصل إلى بوشهر عام ١٨٥١م/١٢٦٨ هـ وفي عام ١٨٥٣م/ ١٢٧٠ هـ وصل إلى فارس وأنتشر في أرجائها ثم انتقلت العدوى إلى روسيا ومنها إلى أوروبا (١٠)

وفى عام ١٨٦٣م/ ١٢٨٠هـ ظهر الوباء في البنغال ثم انتقل إلى بومباي فى عام١٨٦٤م/١٢٨١هـ وامتد إلى الخليج وكان من أطول الموجات التي اجتاحت المنطقة بعد الوباء الأول إذ استوطنت الكوليرا المنطقة وظلت تظهر بين الحين والآخر حيث بدأت بالانتشار في مكران فقشم فبندر عباس فلنجة فشيراز، ثم انتقلت إلي الساحل الغربي للخليج حيث ظهرت في مسقط بالساحل العماني(١١)، فى الوقت الذى كانت فيه هناك موجة أخرى عبرت الجزيرة العربية من الحجاز إلي عنيزة فالدرعية فالجهرة قرب الكويت حيث انتشر بين قبائل مطير وبني خالد (١٢) ثم ظهرت في شط العرب وامتدت إلي بغداد .

وظل الوباء يختفي ويظهر بين حين وأخر متنقلاً بين العراق وإيــران ففــي عام١٨٦٦م/١٢٨٢هـ انتقل من بغداد إلى فارس[١٣] ثم أرمينيا فتبريــز فطهــران عام١٨٦٧م/١٢٨٣هـ حيث اجتاحت الكوليرا إيران ثــم عــادت إلــي العــراق عام١٨٦٩م /١٢٨٥هـ عن طريق الزوار الإيرانيين وفى عام ١٨٧١م/١٢٨٧هـ وصل الوباء إلي ميناء بو شهر ثم انتقل مع الزوار الإيرانيين إلى النجف ثم انتشر في العراق بأسرها، ثم انتقل الوباء إلى الكويت فالبحرين حيث فشا فــي قــوارب اللؤلؤ ثم عبر الصحراء إلى حائل.[١٤]

وفى الفترة ١٨٨٩/ ١٣٠٥هـ - ١٨٩٣م/ ١٣٠٩هـ عــادت الكــوليرا الظهور مرة أخرى في العراق حيث انتشرت بين قبائل المنتفق ثــم امتــدت إلــى البصرة فى أغسطس والناصرة ثم انتقل المرض إلى بغداد في الثالث عــشر مــن أغسطس فكربلاء والنجف [١٥] ثم انتقلت العدوى إلى الساحل الإيراني حيث أصيبت عربستان ثم فارس ثم انتقل علي طول امتداد الطريق بين بو شهر وشيراز، كمــا قاست منه قرية الأحمدي في إقليم الداستشتان ثم عبرت الكوليرا إلي الساحل العربي من الخليج حيث انتشرت في البحرين والقطيف وضرب الساحل المتصالح بــشكل وبائي كبير.[١٦]

وفى أواخر القرن التاسع عشر وتحديداً فى عام ١٨٩٩م/١٣١٥هـ تعــرض الخليج للكوليرا حيث وصل الوباء إلى عمان من كراتشي عن طريق جــوادر ثــم ظهر في العراق وانتشر في مدينة العمارة[١٧] وظل يتنقل بــين القــرى والمــدن العراقية حتى بلغ البصرة عام ١٩٠٢م/١٣١٨هـ و منها امتد إلي الساحل الشرقي للخلــيج حيــث ظهــر فــي جاشــك [١٨]، ثــم عــاد للظهــور فــي البــصرة عام١٩٠٤م/١٣٢٠هـ ثم انتقل إلي بغداد و منها اخذ طريقة إلــى إيــران عــن طريقين : الطريق البري إلى أصفهان والطريق البحري إلى بو شهر فعــم إيــران

بأسرها ، ثم داهم المرض البحرين والساحل المتصالح وعمان حيث اجتاح وادي سمايل والرستاق والباطنة ومطرح مخلفاً وراءه الكثير من المآسي(١٩).

موقف أهل الخليج من مرض الكوليرا:

يتبن من خلال ما سبق مدى المآسي والويلات التي تقترن بظهور الهيضة في الخليج فقد كان ظهورها يهز المجتمع ويحصد النفوس حصداً حتى لا تفارق المنطقة إلا بعد أن تكون قد قضت على معظم الحياة فيها لاسيما في ظل انعدام الرعاية الصحية وعدم توفر الخدمات الطبية إضافة إلي أن الحكومات الخليجية في ذلك الوقت لم تكن تهتم بجانب التوعية الصحية علماً بأن الإسلام قد وضع أساس نظام الحجر الصحي ففي حديث أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله ﷺ قال : (لا يورد مُمْرِض علي مُصح (٤٣)) كما جاء ت أحاديث عدة عن الطاعون ، وهو أحد أهم الأمراض الوبائية التي عرفت في عهده صلي الله عليه وسلم فحذر أمته منه وبين لهم كيفية التعامل معه وإن كان التوجيه النبوي خاص بالطاعون إلا أنه يمكن تعميمه علي كل مرض وبائي يأخذ نفس الصفة ، ففي الحديث الصحيح يقول عبد الرحمن بن عوف (سمعت رسول الله ﷺ يقول :إذا سمعتم به (الطاعون) بأرض فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه (٤٤)) وعن أسامة بن زيد عن رسول الله ﷺ أنه قال (إن هذا الوجع والسقم (الطاعون) رجز عذب به بعض الأمم قبلكم ثم بقي بعد بالأرض فيذهب المرة ويأتي الأخرى، فمن سمع به بأرض فلا يقدمن عليه ومن وقع بأرض وهو بها فلا يخرجنه الفرار منه (٤٥)) فالإسلام يأمر بعدم الفرار من الوباء أو القدوم عليه وهذا هو نظام الحجر الصحي ، ولكن انتشار الجهل ، وانعدام التوعية الصحية كان وراء انتشار الوباء في كل مكان حيث كان الناس يفرون هرباً من المرض وطلباً للنجاة فيؤدي ذلك إلي اتساع رقعة انتشاره حتى يعم المنطقة بأسرها.

وقد ظلت الهيضة في الخليج تحصد النفوس دون أن يكون هناك حل إلا الفرار من هذا الوباء ، ولكن وصول الكوليرا إلي أوربا ١٨٦٦م/ ١٢٨٢هـ دفع بالدول الأوربية إلي التحرك لمنع وصوله إليها مرة أخري فدعت إلي عقد أول مؤتمر في اسطنبول لاتخاذ الإجراءات الصحية المناسبة للدفاع عن أوروبا من هذا المرض وقد شارك في المؤتمر ممثلون عن كل من تركيا وإيران والنمسا وفرنسا ودول أوروبية أخرى ولقد توصل المؤتمرون إلى استنتاجات علمية أساسية منها أن الهند هي مصدر هذا الوباء، وأن الاختلاط بين الشعوب هو السبب لانتشار المرض ، وقد أوصي المؤتمرون ببذل كل جهد للقضاء على المرض في موطنه الأساسي ، كما يجب تنظيم الحجر الصحي بطريقة علمية في البحر والبر لمنع تقدمه نحو الغرب ، كما أوصي بضرورة الإشراف الدقيق عند الفاو والبصرة على القادمين إلى العراق من الخليج ، في حين أوجب وضع القادمين المشتبه بحالاتهم في الحجر الصحي المناسب ، وتزويد جميع السفن العابرة للخليج بأوراق صحيحة(٤٦) .

ولكن لم يمض وقت طويل بعد المؤتمر حتى اجتاحت الكوليرا أوروبا قادمة من إيران والعراق مما يدل على فشل الإجراءات الصحية لعدم تطبيقها التطبيق المطلوب فساد شعور بأن الوقت قد حان لإعادة النظر في كيفية مقاومة هذا الوباء فعقد مؤتمر فينا عام ١٨٧٤م الذي أعاد التأكيد على أن الهند هي مصدر هذا الوباء الذي ينتقل عادة عن طريق الملابس ، أو البضائع أو الهواء ، وأوصى المؤتمر بالتخلي عن الحجر الصحي البرى لكونه ضاراً بالمصالح التجارية من جهة ، ولأن العمل به غير ممكن ولا فائدة منه بينما أكد المؤتمر على ضرورة الحجر البحري خارج أوروبا.(٤٧)

وبالرغم من ذلك فإن الوباء ضرب أوروبا عام ١٨٨٤م وقضى على ربع مليون من سكانها فكان ذلك سبباً كافياً لانعقاد مؤتمر روما عام ١٨٨٥م والذي تقرر فيه بأن تحسين الأحوال الصحية والعزل الكامل للمرضى هما الأمان ضد مرض الهيضة ، كما تقرر تقسيم السفن إلى ثلاثة أقسام ، موبوءة وتحتجز مدة خمسة أيام كحد أدنى، بينما تحتجز السفن المشتبه بها وهى السفن السليمة القادمة من أماكن موبوءة بين ٣-٦أيام. أما السليمة فيتم احتجازها ٢٤ ساعة يتم خلالها تغير البيانات وكل الأشياء الشخصية .(٤٨)

لم تنجح الإجراءات التي اتخذت لمنع ظهور الهيضة وانتشارها في الخليج ووصولها إلى أوروبا عن طريق البر بسرعة فائقة فكان ذلك سبباً في انعقاد مؤتمر البندقية عام ١٨٩٢م ، ثم تلاه انعقاد مؤتمر درزدن عام ١٩٨٣م وقد أوصى المؤتمر باستمرار تقسيم السفن إلى ثلاثة مجموعات المصابة والمشكوك فيها والسليمة وأمر بوجوب عدم حجز المسافرين أكثر من خمسة أيام حتى لو وصلوا على سفن موبوءة ، وتقرر أيضاً عدم حجز السلع التجارية الشديدة القابلية لنقل العدوى ، وفرض التزام على الحكومات بأن تعلم كل منها الأخرى عن أماكن تجمع جرثومة الهيضة في أراضيها . ثم عقد مؤتمر باريس عام ١٨٩٤م بدعوة من فرنسا وتقرر في هذا المؤتمر إقامة مستشفى عائم للإمراض الوبائية علي شط العرب عند مدخل نهر قارون للمسافرين القادمين من المحمرة والبصرة، وأن تكون الإدارة الصحية في الخليج كله في مركز الحجر الصحي قرب الفاو علي أن يجهز تجهيزاً كاملاً من جميع النواحي، مع الإبقاء على المركز الصحي في البصرة، وأوصى بإدخال نظام الرقابة الصحية في الخليج، وتأسيس مراكز صحية جديدة في كل من بوشهر، المحمرة، بندر عباس، وجوادر، والكويت، والبحرين، ومسقط، وقد وقعت الدول المشاركة على هذه الشروط مع تحفظ بريطانيا على المواد المتعلقة

بالخليج، على أساس أن السفن البريطانية هي التي ستتحمل المتاعب والتأخير والنفقات الباهظة،لمرور سفنها علي مراكز تخضع لأربع حكومات مختلفة من جهة،وخشية بريطانيا أن تثير تركيا ادعاءاتها لفرض سيادتها على البحرين والمحمرة،من جهة ثانية(٤٩) ، وكان من نتيجة الشكوك المتبادلة بين بريطانيا وتركيا وإيران دوره البارز في عدم تطبيق المواد المتعلقة بالخليج، فبقي مركز البصرة المركز الصحي الوحيد في الخليج وظل الخليج بسبب ذلك عرضة لموجات الكوليرا القادمة من الهند بسبب تضارب مصالح الدول السياسية والتجارية حتى تم اكتشاف علاج الكوليرا علي يد العالم الألماني روبرت كوخ فخفت بذلك وطأة الوباء وإن لم تنتهي .

الآثار الاجتماعية والاقتصادية:

خلف انتشار وباء الكوليرا في المنطقة وراءه أثارا مدمرة على الحياة الاجتماعية والاقتصادية ،فكثيراً ما اقترن تفشي هذا الوباء بالمآسي والويلات ، لأنه كان يقضي علي أعداد كثيرة من الناس في أيام معدودة في ظل انعدام وسائل الوقاية ، بشكل أدى إلي توقف الحياة بكافة جوانبها ، وتصور المصادر المعاصرة حالة الرعب والخوف والهلع التي كانت تسيطر علي الناس إبان انتشار الوباء فتجعلهم يفرون في كل اتجاه طلباً للنجاة ، وبلغ هذا الهلع حداً دفع الأحياء إلى الابتعاد عن الموتى ، وعدم المجازفة بدفنهم مما أدى إلى انتشار الجثث في الشوارع والطرقات ، إصابة الحياة بالركود والكساد فى المدن والقرى المنكوبة ، يقول ابن بشر (٢٠) (إن الوباء العظيم فى سنة (١٢٣٦هـ) " افني الخلائق في جميع الآفاق ولم اعلم انه حدث قبل هذه في الدنيا....) وتحدث ابن سند عن أثره في البصرة – وكان موجوداً بها إبان اجتياح الوباء لها: (وفي تلك السنة (١٢٣٦هـ) حصل وباء عظيم في البصرة ، كاد أن يفني أهل البصرة، وكثير من

البيوتات مات أهلها جميعاً وقفلت بالضبة ، وكثير من الأموات يجدونهم في الطرقات لا يعلمون من أي الجهات هم ،واغلب الناس فر إلى البادية [٢١]..) ويشير الكركوكلى إلى انه مات في البصرة وحدها ١٥٠٠٠ ألف من ٥٠٠٠٠هـم سكان البصرة في ذلك الوقت[٢٢] ، ويذكر ابن رزيق إنه مات من عمان خلق لا يعلم عددهم غير[٢٣] الله ") وإبان هذا الوباء تناثرت الجثث على طول الطريق بين بوشهر وشيراز، ومات من جرائه المستر ريج القنصل البريطاني في بغداد وكان في زيارة لشيراز[٢٤] ، ولما انتشرت الكوليرا في البحرين والقطيف والإحساء والكويت فى ذات السنة قال الفاخري : (في آخر رمضان من سنة (١٢٣٦هـ) وقع الطاعون بالبحرين فافني خلقاً ثم بالقطيف ثم بالحساء ، ثم وقع بالبادية ؛ ثم وقع بساحل الكويت .[٢٥]..) وما تبع هذه الحالة من الخوف والفزع أدت إلى تدهور اقتصاد الخليج فتعطلت الزراعة بالقرى التى خلت من سكانها وتوقفت التجارة وأقفلت المتاجر مما أدى إلى انخفاض الميزان التجاري للخليج بنسبة ٨٦% عام ١٨٢١م/١٢٣٧هـ حيث سجل عجزاً مقداره ٣،٠٨٧،٨٧٠ روبية مع انخفاض الصادرات من ١٢،٤٥٣،٦٨١ إلى ٧،١٠٣،٢٣٧ روبية .[٢٦]

وزاد من خطورة وباء الكوليرا، تزامنه مع أوبئة أخرى ، كالطاعون فعندما تزامنا فى ١٨٣١/١٢٤٧هـ ازدادت معاناة أهل الخليج ففي الوقت الذي كانت الكوليرا تنتشر في إيران[٢٧] وتحصد النفوس كان الطاعون يجتاح العراق مما أدى إلى هلاك الآلاف في بغداد ثم اشتد الطاعون ليعم العراق فهلك من جرائه خلق كثير فمات من أهل بغداد حوالي الخمسين ألفاً بعد أن كان عددهم في حدود مئة وخمسين ألفاً [٢٨] ، ثم جاء الفيضان ليجهز على ما بقى من وسائل الحياة فعندما اكتسح أحياءً بأكملها ، وكان الموت في هيلا والهنداوية والبصرة وغيرها في غاية الارتفاع وفر الناس في كل مكان يقول الفاخري : (... ثم حل الوباء في البصرة

والعراق ثم باقي القرى وبواديها من والمنتفق وفرق الخزاعل وما حولها حتى انتهي إلي سوق النواشي (الشيوخ) فمات به ثلاثة آلاف نفس[٢٩]) ويصف ابن بشر المأساة بقوله[٣٠] : (... وحل بهم الفناء العظيم الذي انقطع منه قبائل وحمائل وخلت من أهلها منازل ، وإذا دخل في بيت لم يخرج منه وفيه عين تطرف ، وجثي الناس في بيوتهم لا يجدون من يدفنهم وأموالهم عندهم ليس لها والي ، وأنتنت البلدان من جيف الإنسان وبقيت الدواب والأنعام سائبة في البلدان ليس عندها من يعلفها ويسقيها حتى مات أكثرها ، ومات بعض الأطفال عطشاً وخر أكثرهم في المساجد صريعاً لأن أهاليهم إذا أحسوا بالألم رموهم في المساجد رجاء أن يأتيهم من ينقذهم فيموتون فيها لأنه لا يقام فيها جماعة ، وبقيت البلدان خالية لا يأتي إليها أحد وفيها من الأموال ما لا يحصى عده إلا الله) وقد أدى ذلك الوضع المتردي إلى توقف تجارة العراق ، وامتناع السفن من القدوم إلى بوشهر بسبب الكوليرا والى البصرة بسبب الطاعون فانهارت تجارة الخليج حيث لم تزد صادرات الخليج عن ٣،٣٢١،٣٧٧ روبية ، وبلغ العجز في الميزان التجاري ٥٢،٩٢١، روبية بينما انخفضت تجارة بوشهر والبصرة إلى مقدار النصف وكانت الأوبئة من أهم أسباب الانهيار .[٣١]

ولم يمض وقت طويل على اختفاء الكوليرا حتى عادت للظهور للمرة الثالثة عام ١٨٤٦م/ ١٢٦٢ هـ وقد استمرت هذه الموجة حتى عام ١٨٥٦م/١٢٧٢هـ فظلت تظهر حيناً وتختفي حيناً أخر، فانتشرت في العراق أولاً وبخاصة البصرة ، كما امتدت إلي إيران وفشت في ميناء بوشهر،[٣٢] وعبرت إلي الحجاز وقد صاحب انتشارها مرض الجدري والسعال وقد هلك بسببها كثير من الأطفال والحجاج [٣٣] ، وقد نتج عن هذا ركود في تجارة البصرة وأبو شهر حتى أن السفن القادمة لاتجد حمولتها من البضائع المحلية .[٣٤]

ولما أصابت الكوليرا الخليج فى منتصف ستينيات القرن التاسع عشر وذلك عام ١٨٦٥م/ ١٢٨١هـ ذهبت بأرواح أعداد كبيرة من سكان مسقط ، ولما زحفت إلى الجانب الشرقي من الخليج وانتشرت في بندر عباس ثم لنجة حتى عمت إيران بأسرها، وأدت إلى انتشار السجاعة فى إيران بشكل زاد من معاناة السكان لاسيما بعد أن ازدحمت بوشهر بالمرضى والجوعى الذين فروا من الداخل فنتج عن ذلك موت أكثر من نصف مليون[٣٥] ، ثم انتقلت الكوليرا عن طريق الزوار الإيرانيين القادمين إلي العراق عن طريق خانقين فوصلت إلى بغداد ثم إلى الفرات الأوسط ثم امتدت إلي الجنوب ، وبقيت تفتك بالناس لمدة شهرين بالرغم من المحاولات التي بذلت لإيقافها،[٣٦] وقد أثر انتشار المرض في العراق وإيران علي تجارة البصرة بوشهر حيث انخفضت صادرات تجارة بوشهر وتجارة البصرة إلي النصف وبخاصة صادرات البصرة من التمور[٣٧].

وعندما اجتاحت الكوليرا العراق بأسره عام ١٨٨٩م / ١٣٠٥هـ ، راح ضحيتها ١٥٠٠حالة في بغداد و٤٠٠ حالة في الناصرة وكربلاء و٣٠٠٠حالة في البصرة وكان من ضمن ضحاياها المستر روبرتسون،القنصل البريطاني ووالداه في بغداد[٣٨] ، ثم انتقل الوباء إلي إيران حيث ، انتشر في عربستان والمحمرة وششتر والساحل الفارسي ولكن الوضع لم يكن خطيراً كما كان في العراق الذي شهد عودة الكوليرا عام ١٨٩٣م/١٣٠٩ هـ حيث بلغت الوفيات ٧٥٠حالة ، ثم وصل الوباء بغداد فأحال تجارة المدينة إلى الركود ثم انتقل المرض مرة أخري إلى إيران عبر عربستان وكانت الخسائر فادحة وبخاصة في قرية الأحمدي في الدا شتستان ، ثم انتقل الوباء إلي الساحل الغربي فوصل إلى البحرين عام ١٨٩٣م/١٣٠٩هـ حيث سجل ٧٠٠٠حالة وفاة ثم انتشر في القطيف ، وفي نهاية الصيف ضرب الوباء ساحل عمان المتصالح بشكل شديد ثم انتهى في نوفمبر.[٣٩]

ومرت فترة قصيرة قبل أن تعاود الكوليرا الظهور في الخليج قادمة من كراتشي عن طريق جوادر في موجتها السادسة عام ١٨٩٩م/ ١٣١٥ هـ حيث انتشر الوباء في عمان فقضي على ٧٠٠ شخص في مسقط بينما تجاوزت الوفيات في عمان ١٢٠٠٠حالة ، ثم أمتد المرض إلى العراق وتفشى في مخيمات تعبئة التمور في البصرة و التي دائماً ما كانت فريسة سهلة لوباء الكوليرا ، ثم انتقل إلي الساحل الشرقي من الخليج حيث هلك في جوادر ٥٠ شخص وقضى على ٣٠ شخصاً في جاشك(٤٠) ، ثم عاد الوباء إلي البصرة في عام ١٩٠٤م/١٣٢٠هـ ثم انتقل إلي بغداد متسبباً في توقف التجارة لما يقرب من ثلاثة أشهر، ثم انتقل الوباء من العراق إلي إيران عن طريقين الطريق البري الذي يمر من كرمن شاه وأصفهان ، والطريق البحري من بوشهر إلى شيراز حيث لقي ما بين ٧٠٠٠ـ١٠٠٠٠شخص حتفهم من جرائه بينما كان وقع الوباء ضعيفاً في كل من الأهواز وشت ستر ودزفول، ثم ظهر الوباء علي (٤١) الجانب الآخر من الخليج حيث داهم المرض البحرين في مايو حيث هلك أكثر من١٢٠٠ شخص مما نتج عنه فرار الناس من الجزيرة فتسبب ذلك في تفشى المرض في ساحل عمان المتصالح حيث بلغ عدد الضحايا ٨٠٠٠ حالة ثم عادة الكوليرا إلى عمان فكانت اشد فتكاً حيث هلك أكثر من ١٤٠٠٠في وادي سمايل ووادي الفرع و الباطنة.(٤٢)

الهوامش

(١) ابن سند ، عثمان ، مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود ، القــاهرة ، ١٣٧١هـــ ، ص ١٤٤ .

(٢) ابن بشر ، عثمان ، عنوان المجد في تاريخ نجد ، ج١ ، الرياض ، (بدون) ، ص ٢٣١ .

(٣) ابن رزيق ، حميد بن مجمد ، الفتح المبين فـــي ســيرة الــسادة البورســعيديين، القــاهرة ١٣٩٧هـ ، ص ٥٣٦ .

(٤) الكركوكلى ، رسول ، دوحة الوزراء في وقائع بغداد الزوراء ، ترجمة : موســي كــاظم ، بيروت ، (بدون) ، ص ٢٩٨ .

(٥) ابن سند ، مرجع سابق ، ص ١٤٤ .

(٦) الموسوعة العربية الميسرة ، حرف الراء : (روبرت كوخ) ، ج٢ ، بيروت ، ١٤٠١ هـ ، ص ١٤٩٨ .

(٧)ابن سند ، مرجع سابق ، ص ١٤٤ . ابن بشر ، مرجع سابق ، ج٢ ، ص ٢٣١ . ابن رزيق ، مرجع ســابق ، ص ٥٣٦ . IOR Report on the Admin. No CCLXXIV , for (the year 1889-90 , nctes on Cholera in Persian 1821- 1889) Appendix C

(٨)لوريمر ، دليل الخليج ، القسم التاريخي ، ج٦ ، ص ٣٦٤٧ .
IOR Report on the Admin. No CCLXXIV , Op. Cit . , Appendix C .

(٩)الفاخري ، محمد بن عمر ، الأخبار النجدية ، تحقيق : غبد الله الشبل ، الرياض ، (بدون) ، ص ١٦٩- ١٧٠ . ابن بشر ، مرجع سابق ، ص ٤٩ . الوردي ، علي ، لمحات اجتماعيــة من تاريخ العراق الحديث ، ج٢ ، العراق ، ١٩٦٩ م ، ص ٨٥ ، ٨٩ .

(١٠)الفاخري ، مرجع سابق ، ص ١٧٨ . لوريمر ، مرجع سابق ، ج٦ ، ص ٣٦٤٨ .

(١١) IOR Report on the Admin. No CCLXXIV , Op. Cit. , Appendix C .

(١٢)لوريمــر، مرجع سابق ، ج٦ ، ص ٣٦٤٩-٣٦٥٠ .

(١٣)خياط ، جعفر ، صور من تاريخ العراق في العصور المظلمة ، ج١ ، بيروت ، ١٩٧٦م ، ص ٢٠١-٢٠٢ .
IOR Report on the Admin. On CCLXXIV , Op. Cit . Appendix C .

(١٤) جريدة الزوراء ، العدد ١٢٩ ، ٤محرم ، ١٢٨٨هـ / ١٨٧١م ، والعدد ١٣٠ ، ٧ محرم ، ١٢٨٨هـ/١٨٧١م ،

IOR Report on the Admin. on CCLXXIV , Op. Cit ., Appendix C.

(١٥)القهواتى ، حسين محمد ، دور البصرة التجاري في الخليج العربي ، بغداد ، ١٩٨٠ م ، ص ٥٧ .

(١٦) IOR Report on the Admin. On the Persian Gulf Political Residency for 1893-94 , No CCCXV , PP. 7-13 .

(١٧) IOR report on the Admin. On the Persian Gulf Political Residency for 1899-1900, Part 1, pp 22-35 .

(١٨) IOR Report on the Admin. on the Persian Gulf Political Residency for 1902-3, P.1-2.

(١٩) IOR Report on the Admin. On the Persian Gulf Political Residency , for 1904-5 , p. 2-3 .

لوريمر ؛ مرجع سابق ، ج٦ ، ص ٣٦٦٦-٣٦٦٧ . القهواتى ، مرجع سابق ، ص ٥٩ .

(٢٠) ابن بشر ، مرجع سابق ، ج٢ ، ص ٢٣١ .

(٢١) ابن سند ، مرجع سابق ، ص ١٤٤ .

(٢٢) الكركوكلى ، مرجع سابق ، ص ٢٩٨ .

(٢٣) ابن رزيق ، مرجع سابق ، ص ٥٣٦ .

(٢٤) IOR Admin. Report On the Persian Gulf Political Residency ,for 1889-90, Op. Cit , Appendix C .

لوريمر ، مرجع سابق ، ج٦ ، ص ٣٦٤٧ . الوردي ، مرجع سابق ، ج١ ، ص ٢٤٣-٢٤٤ .

(٢٥) الفاخري ، مرجع سابق ، ص ١٥٧ .

(٢٦) IOR V/4/Parl. Papers , Vol. VI (1821)Paper 746 , Appendix. H .

(٢٧) لوريمر ، مرجع سابق ، ج٦ ، ص ٣٦٤٨.

(٢٨) لونكريك ، ستيفن همسلى ، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ترجمة : جعفر خياط ، ط٣ ، بغداد ، ١٩٦٢ ، ٢٦٧-٢٦٩ . الوردي ، مرجع سابق ، ج٢ ، ص ص ٨٥-٨٦ .

(٢٩) الفاخري ، مرجع سابق ، ص ١٦٩.

(٣٠) ابن بشر ، مرجع سابق ، ج٢ ، ص

(٣١) IOR L/P&S/20/C.248 A., Commerce, PP. 6-8 . and IOR R/15/1/63, Letter from Mr. Blan to Political Department , Bushier, 16th Oct. 1833

(٣٢) دى فوصل ، بير ، الحياة في العراق منذ قرن (١٨١٤-١٩١٤) ، ترجمة : أكرم فاضل ، بغداد ، ١٩٦٨، ص ص ٤٩-٥١ . لونكريك ، مرجع سابق ، ص ص ٢٩٤-٢٩٧ .

(٣٣) الفاخري ، مرجع سابق ، ص ١٧٨-١٧٩ .

(٣٤) لوريمر ، القسم التاريخي ، ج٤ ، ص ٢٠٤١-٢٠٤٢ .

IOR Admin. Report on the Persian Gulf 1889-1890, Op. Cit. , Appendix C.

(٣٥) IOR L/P&S/20/C.248 , Precise of the Affairs of the Persian Coast and Islands , 1854-1905 , By Saldanha, PP.6-8 .and IOR Admin. Report on the Persian Gulf , No CCLXXIV , Op. Cit ., Appendix C.

(٣٦) جريدة الزوراء ، العدد ١٢٩ ، ٤ محرم ١٢٨٨هـ/١٨٧١م ، والعدد ١٣٠ ، ٧ محرم ١٢٨٨هـ / ١٨٧١م

لوريمر ، مرجع سابق ، ج٦ ، ص ص ٣٦٤٩-٣٦٥٠ .

(٣٧) IOR L/P&S/20/C.248A,Commerce, Appendix C. القهواتى ، مرجع سا بق ، ص ٥٧ .

(٣٨) لوريمر ، مرجع سابق ، ج٦ ، ص ٣٦٥٦ . خياط ، مرجع سابق ، ص ص ٢٨٢-٢٨٣.

(٣٩) IOR Admin. Report on the Persian Gulf , No CCCXV , 1893-4 , PP 7-13 .

لوريمر ، مرجع سابق ، ج٦ ؛ ص ص ٣٦٥٩-٣٦٦١ .

(٤٠) IOR Admin. Report on the Persian Gulf , No CCCLXXIX , 1899-1900 , Part 1, PP 22-35

(٤١) IOR Admin. Report on the Persian Gulf , No 1904-5 , P2-3 .

لوريمر ، مرجع سابق ، ج٦ ، ص ص ٣٦٦٥-٣٦٦٦ .

(٤٢) لوريمر ، مرجع سابق ، ج٦ ، ص ص ٣٦٦٥-٣٦٦٧ .

(٤٣) مختصر صحيح مسلم ، الإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري ، أختصره عبد العظيم المنذري ، حققه :محمد ناصر الدين الألباني ، ط٤ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٢هـ ، حديث ١٤٨٧ ، ص ٣٩١ .

(٤٤) نفسه ، حديث ١٤٨٥ ، ص ٣٩٠ .

(٤٥) مختصر صحيح مسلم ، مرجع سابق ، حديث رقم ١٤٨٤ ، ٣٩٠ .

(٤٦) لوريمر ، مرجع سابق ، ج٦ ، ص ص ٣٦٥٠-٣٦٥٢ .

(٤٧) لوريمر ، مرجع سابق ، ج٦ ، ص ص ٣٦٥٣.

(٤٨) لوريمر ، نفسه ، ص ص ٣٦٥٤ - ٣٦٥٦.

(٤٩) لوريمر ، مرجع سابق ، ج٦ ، ص ص ٣٦٥٧- ٣٦٦٧ .

المصادر والمراجع العربية والمعربة

(١) ابن سند ، عثمان ، مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود ، القاهرة ، ١٣٧١هـ

(٢) ابن بشر ، عثمان ، عنوان المجد في تاريخ نجد ، ج١ ، الرياض ، (بدون) .

(٣) ابن رزيق ، حميد بن مجمد ، الفتح المبين في سيرة السادة البورسعيديين، القاهرة ،١٣٩٧هـ .

(٤) الكركوكلى ، رسول ، دوحة الوزراء في وقائع بغداد الزوراء ، ترجمة : موسي كاظم ، بيروت ، (بدون).

(٥) الموسوعة العربية الميسرة ، حرف الراء : (روبرت كوخ) ، ج٢ ، بيروت ، ١٤٠١ هـ.

(٦) لوريمر ، دليل الخليج ، القسم التاريخي ، ج٦ .

(٧)الفاخري ، محمد بن عمر ، الأخبار النجدية ، تحقيق : عبد الله الشبل ، الرياض ، (بدون) .

(٨) الوردي ، علي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، ج٢ ، العراق ، ١٩٦٩ م .

(٩)خياط ، جعفر ، صور من تاريخ العراق في العصور المظلمة ، ج١ ، بيروت ، ١٩٧٦م .

(١٠)جريدة الزوراء ، العدد ١٢٩ ، ٤محرم ، ١٢٨٨هـ / ١٨٧١م ، والعدد ١٣٠ ، ٧ محرم ، ١٢٨٨هـ/١٨٧١م (١١)القهواتى ، حسين محمد ، دور البصرة التجاري في الخليج العربي ، بغداد ، ١٩٨٠ م .

(12) لونكريك ، ستيفن همسلى ، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ترجمة : جعفر خياط ، ط٣ ، بغداد ، ١٩٦٢م .

(١٣) دى فوصل ، بير ، الحياة في العراق منذ قرن (١٨١٤-١٩١٤) ، ترجمة : أكرم فاضل ، بغداد ، ١٩٦٨

(١٤) مختصر صحيح مسلم ، الإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري ، أختصره عبد العظيم المنذري ، حققه :محمد ناصر الدين الألباني ، ط٤ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٢هـ ، حديث ١٤٨٧ .

المصادر والمراجع الأجنبية :

IOR R/15/1/63 Letter from Mr. Blan to Political Department, Bushier, 16th Oct. 1833

IOR Report on the Admin. No CCLXXIV, for the year 1889-90, notes on Cholera in Persian 1821- 1889) Appendix C

IOR Report on the Admin. On the Persian Gulf Political Residency for 1893-94, No CCCXV

IOR report on the Admin. On the Persian Gulf Political Residency for 1899-1900, Part 1

IOR Report on the Admin. on the Persian Gulf Political Residency for 1902-3,

IOR Report on the Admin. On the Persian Gulf Political Residency, for 1904

IOR V/4/Parl. Papers, Vol. VI (1821)Paper 746, Appendix. H.

IOR L/P&S/20/C.248, Precise of the Affairs of the Persian Coast and Islands, 1854-1905, By Saldanha,

IOR Admin. Report on the Persian Gulf, No CCCLXXIX, 1899-1900, Part 1

IOR L/P&S/20/C.248A,Commerce, Appendix C .

مصر ومشروع الحزام الافريقى ١٩٥٤-١٩٥٨

(دراسة وثائقية)

د.أحمد عبدالدايم محمد حسين
معهد البحوث والدراسات الافريقية - جامعة القاهرة

تبدو فكرة الأحزمة الدفاعية التى لجأت لها القوى الغربية بعد الحرب العالمية الثانية لصد الخطر الشيوعى كفكرة مبهرة للغاية . فلا شك أن تخطيط الدفاع على مستوى العالم بهذا الشكل الهندسى الدقيق هو أمر غير مسبوق . إلا أن المستفحص لها يرى أنها فكرة تقليدية مأخوذة من أفكار المعارك المحلية بين سكان الحارات بعضهم البعض ، ومن صورة المتاريس التى كان يقيمها السكان المحليون فى وجه العدوان الخارجى . لكن أهم ما يلفت النظر فى الطرح الجديد لها بعد الحرب العالمية الثانية هو سعى القوى الخارجية - فيما يمكن تشبيهه بالحرب الاستباقية الآن - لدى القوى المحلية لتنفيذها ، وانقسام القوى الأخيرة ما بين رافض لها ومستفيد منها . ومن ثم فإن ورقتنا " مصر ومشروع الحزام الافريقى ١٩٥٤ - ١٩٥٨ " جاءت لتقدم المثال المصرى كأنموذج للقوى المحلية الرافضة لتلك الفكرة بل والمحرضة عليها .

ومشروع الحزام الافريقى هو مشروع لمد حزام دفاعى عرضى يمتد من اثيوبيا شرقاً إلى ساحل الاطلسى غرباً ، وهذا يعنى أنه يمتد فى المنطقة التى شهدت نفوذاً تاريخياً لانجلترا وفرنسا فيما عدا اثيوبيا . ولما كانت الدراسة تعتمد بشكل أساسى على الوثائق المصرية ، فإن المشروع فى نظرها هو مشروع له ارتباط وثيق بين الرفض المصرى للحزام الشمالى (تطور لحلف بغداد فيما بعد)، والإصرار الامريكى على استخدام الحزام كورقة ضغط عليها لتغيير موقفها . ومن

ثم فإن التعرف على ملامح المشروع يقتضى فهم القوى المحركة فى شطريه ؛ الشرقى (اثيوبيا والسودان) والغربى (منطقة غرب افريقيا) . ويقتضى أيضا تقديم اجابات لتلك الاسئلة التى تطرح نفسها : هل كل المشروع مشروعا للتقارب بين القوى الغربية أم مشروعا للتنافس ؟ وما مدى ارتباط المشروع بمصر ؟ وهل كان لها يد فى افشاله ؟ وإذا كان قد فشل فى جانبه العسكرى ، فهل حقق نجاحاً فى جانبه الثقافى والسياسى ؟

وهناك دافعين رئيسيين لكتابة هذه الورقة ، **الأول عام** يرتبط بسياسة مصر الافريقية وصعوبة تصديق ما روجته بعض الكتابات السياسيه (*) بأن اتجاه مصر الافريقى قد أرتبط فى أساسه بمسئولية مصر التاريخية فى افريقيا وعودة الفريق العامل فى ملف السودان . وكأن مصر لم تجد عملاً لهؤلاء فأوكلت لهم هذه المهمة. والتركيز بهذا الشكل يدلل على أن العمل الافريقى كان عملاً فردياً فى بدايته ، وهو أمر يخالف السياق التاريخى . فإذا قبلنا بتلك الحجة فسنجد أنفسنا فى النهاية أمام اتجاه ارتجالى جاء دون تخطيط أو دراسة . ومع ذلك فإن الورقة لم تكن مهمتها هى القدح فى هذا الطرح ، بقدر ما هى محاولة للقول بأن المصالح الاستراتيجية والأمنية والاقتصادية المصرية كانت هى الأساس التى بنيت عليه تلك السياسة ، وأن أمور الدول ومصالحها الحيوية لا تدار بتلك الصورة العشوائية .

والثانى خاص يرتبط بموضوع الدراسة نفسه ، فحينما كنت أبحث فى موضوع " مصر ومشروع حلف الدفاع الافريقى " لمست اهتماماً كبيراً من جانب وثائق الخارجية المصرية بمشروع الحزام الافريقى (**) ، وأكتشفت أن هذا الاهتمام من جانب الوثائق لم يحظ بالمقابل باهتمام من جانب الدراسات ، اللهم إلا اشارات مسته عن بعد (***). ومن ثم فإن الدراسة تدور حول محاور خمسة ، فى المحور الأول تتناول مصر والترتيبات العسكرية الأمريكية- الاثيوبية قبل سنة ١٩٥٥ . وفى

الثانى تناقش طرح المشروع والموقف المصرى منـــه . وفـــى الثالـــث تتعــرض لمشروع الكتلة الافريقية ومحاولة جر مصر للدخول فيها . وفى الرابـــع تـــدرس العودة لمشروع الحزام ومحاولة استكمال حلقاته . وفـــى الأخيـــر تتنـــاول نهايـــة المشروع والدور المصرى فى ترتيب هذه النهاية .

المحور الأول : مصر والترتيبات العسكرية الأمريكية - الاثيوبية قبل سنة ١٩٥٥ :

لقد ثبت بالفعل أن فكرة مد حزام عرضى بين اثيوبيا والسنغال لم تكن بجديـــدة على القارة الافريقية . إلا أنها حينما ولدت فى نهاية القرن التاسع عـــشر ، كانـــت مشروعاً توسعياً لفرنسا لمحاصرة النفوذ الانجليزى فى مصر قبل أن يجد له طريقاً للجنوب [١] . ومع أن الفكرة لم تكتمل إلا أن فشلها لم يقترن بالرفض المحلى لها . بل استمرت تصورات القوى الثلاث (بريطانيا وفرنسا وايطاليا) ، المسيطرة على تلك المنطقة فيما بعد (خلال الحرب العالمية الاولى) تدور حول نفـــس الاتجـــاه التوسعى [٢]. وهذا يعنى أن فشل الفكرة قد ارتبط بالعامل الخارجى .

أما مشروع "الحزام الافريقى المطروح قبيل منتصف الخمسينيات ، والذى يهدف هو أيضا لربط المنطقة من اثيوبيا شرقاً الى السنغال غرباً ، فقد ولد بـــديلا لعـــدم قبول مصر الدخول فى مشروع الدفاع عن الشرق الأوسط . وجـــاء فـــى اطـــار ترتيبات الدفاع الامريكية – الاثيوبية بعد الحرب العالمية الثانية . ومن ثم فإن فهم تلك الترتيبات يعد مقدمة لفهم مشروع الحزام الافريقى [٣]. فتركيز الولايات المتحدة على اثيوبيا – كمركز مهم للامداد – جاء لأسباب ثلاثة : أولها ، نجـــاح تجربـــة ادخالها الفعلى فى منظومة الشرق الأوسط خلال الحرب العالمية الثانية [٤] وحدوث تقارب بين الطرفين لعبت فيه مجموعة الافرو – أمريكان دوراً مهماً [٥]. ثانيهـــا ، سلوك مصر الرافض لترتيبات الدفاع عن الشرق الاوسط حتم بوجـــوب توظيـــف

اثيوبيا كورقة ضغط عليها . ثالثها ، أن فكرة الحزام جاءت مرتبطة بسياسة الولايات المتحدة فى فكرة الدفاع الاقليمى ، فعدم نشأة أنظمة دفاع جديدة - لبقاء السلطات الاستعمارية مسئولة عن مستعمراتها - تحل محل الترتيبات القديمة ، لم يطرح أمام الولايات المتحدة إلا اثيوبيا باعتبارها الدولة الوحيدة المستقلة فى تلك المنطقة [٦].

وفى تقديرى أن لجوء الولايات المتحدة لهذا البديل هو الذى فرض على الادارة المصرية أن تولى أهمية خاصة للترتيبات بين الطرفين . فلم تكن الادارة غافلة عن التحركات الامريكية داخل اثيوبيا وايطاليا . فمن خلال خطاب سفارتها فى روما فى ١٦ يونيو ١٩٥٠ نتعرف على أن أهم هدف لتلك التحركات تمثل فى اتخاذ ارتيريا كنقطة للدفاع ضد الشيوعية [٧]. وفى الخوف من التوجة السوفيتى نحو اثيوبيا بعد الحرب العالمية الثانية . وبالتالى انعكست مخاوف الغرب من النفوذ السوفيتى فى اجراءات ثلاثة اتخذت لمقاومة هذا النفوذ :

الاجراء الاول ، تمثل فى اتجاه الغرب لمنع وقوع المستعمرات الايطالية - الصومال وارتيريا- فى يد السوفيت ، وبالتالى كان طرحهم لادماج ارتيريا باثيوبيا - لتصبح المنطقة خط دفاع ثان - يهدف الى تأمين البحر الاحمر والاقاليم البريطانية المجاورة [٨]. وهذا ما يوضح تبنى أمريكا لخيار الاتحاد بين ارتيريا واثيوبيا فى ذلك التوقيت ، ويفسر أيضا أن تبادل الادوار بينها وبين جنوب افريقيا لصالح اثيوبيا ، قد جاء فى اطار التنسيق بين الغرب وهاتين القوتين الافريقيتين للدفاع عن افريقيا [٩]. ومن ثم كانت للغرب مصلحة حقيقية فى انشاء هذا الاتحاد.

الاجراء الثانى ، ارتباط تأييد الولايات المتحدة الامريكية لسياسة بريطانيا فى دعم الحكم الذاتى واستقلال السودان ، وفى احتفاظها بتسهيلات عسكرية فيه ، بالحفاظ على أمن الشرق الاوسط [١٠]. ومن ثم فإن نمو تيار الاستقلال منذ أواخر

الاربعينيات كان لاهداف استراتيجية غربية لجر السودان بعيداً عن مصر التى رفضت الاحلاف العسكرية .

الاجراء الثالث ، الشروع – منذ سنة ١٩٥٠ – فى بناء قواعد عسكرية وفق السياسة الامريكية الداعمة لسياسة المناطق فى شرق افريقيا . بحيث تصبح اثيوبيا قاغدة الانطلاق نحو القارة الافريقية ، وهذا ما يفسر الاستجابه الأمريكية لمطالب اثيوبيا فى ضم الصومال فى ذلك الوقت (١١). وتفيدنا التقارير المصرية فى تلك الفترة بأن الترتيبات الامريكية – الاثيوبية كانت تتسم بطابع عسكرى حتى وان بدت ذات ملمح اقتصادى . **فالطابع العسكرى** ظهر فى وجهين : **الأول** ، مشاركة اثيوبيا سنة ١٩٥١ فى الحرب الكورية (١٢). وحصولها على فوائد تلك المشاركة منذ يونيو ١٩٥١ متمثلا فى اعادة تنظيم وتدريب جيوشها وتزويدها بأسلحة وطائرات حديثة ، وانشاء ثلاث مطارات مع التصريح لقوات الطيران الامريكية باستخدامها (١٣). **الثانى** حضور موتمر نيروبى (عقد فى ٢١ اغسطس ١٩٥١) لمناقشة خطط الدفاع عن أفريقيا (١٤). بل إن البيان المرسل من قبل بريطانيا للخارجية المصرية فى ١٥ يوليو ١٩٥١ يدلل على أنها دخلت فى استراتيجية الغرب للمشاركة فى تسهيلات الدفاع الخاصة بمنطقة شرق افريقيا (١٥). ونخلص من ذلك إلى أن اثيوبيا دخلت عمليا داخل المنظومة العسكرية الغربية .

أما **الملمح الاقتصادى** فقد ظهر بوضوح فى توظيف ورقة النيل ، ومن ثم فإن متابعة المخططات الغربية مع اثيوبيا يجد أنها كانت مرتبطة بعلاقة الغرب مع مصر . فالرفض المصرى للدفاع المشترك عن الشرق الأوسط جعل الولايات المتحدة تحاول – عبر مشروع النقطة الرابعة – دراسة المشروعات التى يمكن اقامتها حول بحيرة تانا فى أبريل ١٩٥٢ كورقة للضغط على مصر (١٦). إلا أن الادراك الواعى لقادة ثورة يوليو للقصد الحقيقى من تلك المشروعات ، جعلهم

يعرضون فى نوفمبر ١٩٥٢ – أى بعد ثلاثة أشهر فقط من قيام الثورة – التعاون مع اثيوبيا فى مشروع خزان تانا [١٧]. واستطاعت مصر أن تجعل مشروع تانا مشروعاً للتعاون بين البلدين (مصر واثيوبيا) . إلا أن عدم وصول البعثة المصرية المكلفة بدراسته حتى يوليو عام ١٩٥٣ عطل المشروع [١٨]. ومن ثم استغل من جديد كورقة سياسية ضد مصر . ومذكرة مدير المخابرات العامة فى ١٩٥٣/٩/١٤ تشير إلى أن سياسة امبراطور الحبشة كانت ترمى لهدم وحدة وادى النيل ، فوطد علاقته بالسيد عبدالرحمن المهدى ، وراح السلك السياسى الحبشى يروج لاستقلال السودان . حيث كان هذا الأمر يتسق مع سياسة الحبشة فى تكوين اثيوبيا الكبرى ، بل إن قيام خارجيتها بتوزيع آلاف النشرات التى تضم خريطة الحبشة وارتيريا والسودان [١٩] ووصول بعثة عسكرية أمريكية إلى الخرطوم فى١٩٥٣/١٠/٣ ، وطلبها معرفة الأحوال العامة للسودان ، واستفسارها عن شعور السودانيين نحو مصر الثورة ، وعما تحتاجه الفكرة الاستقلالية من معونة لانجاحها[٢٠] يدلل بوضوح على أن الترتيبات بين اثيوبيا والولايات المتحدة بدت تتخذ منذ أواخر سنة ١٩٥٣ منحاً جديداً ، وإن كانت لكل منهما لها أهدافها الخاصة.

والغريب فى الأمر أن الترتيبات العسكرية وضح أثرها سنة ١٩٥٤ فى سلوك اثيوبيا تجاه السودان وقلق الادارة المصرية من هذا السلوك . ففى رسالة بعث بها صلاح سالم (وزير الدولة لشئون السودان) للسيد وزير الخارجية فى ١٤ فبراير ١٩٥٤ يطلب تقارير منتظمة عن سياسة حكومة الحبشة تجاه السودان.[٢١] بيد أن ارتباط الترتيبات العسكرية بالمزايا الاقتصادية أدى بها أن تكون لها الأولوية الأولى بين الولايات المتحدة واثيوبيا . فبعد ستة أشهر فقط من اعلان الاتحاد بين اثيوبيا وارتيريا تم توقيع اتفاقية مساعدات عسكرية بين الطرفين فى مايو ١٩٥٣ ، بأن

تستمر تلك المساعدات لمدة ٢٥ سنة فى مقابل حصولها على قواعد عسكرية ، وتم تأسيس قاعدة كاجينو Kagnew لتكون حلقة اتصال بين الشرق الأوسط وأفريقيا(٢٢). إلا أن غموض تلك الترتيبات قد انعكس على الادارة المصرية . فإحدى الوثائق تقول بأن الخارجية المصرية لم تستطع حتى نهاية ١٩٥٤ أن تتوصل ما إذا كانت اثيوبيا قد أرتبطت بأية اتفاقية دفاعية مع الولايات المتحدة أم لا ، رغم اعترافها بالمركز الخاص الذى تحتله هناك (٢٣). وهذا يناقض ما قالت به أخرى فى مارس ١٩٥٤ بعدم امكانية قيام تحالف عسكرى بين الطرفين لأن معاهدة الصداقة والمعونة العسكرية التى عقدت فى مايو ١٩٥٣ قد منحت الولايات المتحدة كل ما تطمح فيه من امتيازات عسكرية فى اثيوبيا ، وليس هنالك ما يدعو لإقامة هذا الحلف الجديد (٢٤). ومع ذلك نخلص الى أن اهم ما كان يعنى الادارة المصرية هو عدم وجود حلف عسكرى بين اثيوبيا والولايات المتحدة ، ومن ثم فإنها لم تربط بينها وبين الترتيبات المتخذة فى منطقة غرب افريقيا فى تلك السنة ، بل ربطتها بتقديم تسهيلات للشرق الاوسط .

واذا كان الجانب الشرقى من المنطقة المفترضة للحزام قد شهد ترتيبات أمريكية – اثيوبية ، فإن الجانب الغربى منه شهد ترتيبات عسكرية موازية بين فرنسا وبريطانيا . ومع أن الادارة المصرية لم تتوصل للعلاقة بين تلك الترتيبات العرضية ، إلا أن وثائقها أشارت بأن مؤتمر داكار (عقد فى مارس ١٩٥٤) الذى نسق للتعاون بين بريطانيا وفرنسا فى منطقة غرب افريقيا (٢٥). كان هدفه دراسة سبل المواصلات العسكرية عبر المنطقة باتجاه الشرق الاوسط (٢٦). وتوصلت فى قراءتها الى وجود نوع من التنسيق بين القوى الغربية ، أشارت اليه فى صورة التسهيلات المالية التى قدمها البنك الدولى للانشاء والتعمير لمعالجة مشاكل المواصلات وطرق الاتصال العسكرية بين مناطق هذا الجزء من افريقيا (٢٧).

ونخلص من ذلك الى ان الترتيبات العسكرية شملت جل منطقة الحزام عدا السودان ، لهذا كان من الطبيعى ان تسعى القوى الغربية لسحب السودان بعيداً عن مصر . ومن ثم يمكن القول بأن الرفض المصرى القاطع للدخول فى الأحلاف العسكرية وخشية الغرب من نفوذ السوفيت الى مصر ، كانت له صلة مباشرة بالترتيبات العسكرية فى منطقة الحزام ، وتصاعد تيار الاستقلال فى السودان [٢٨]. بل إن مشهد ما جرى للرئيس نجيب عند ذهابه للسودان فى مارس ١٩٥٤ للمشاركة فى الاحتفالات بافتتاح البرلمان يختزل الدور البريطانى الواضح فى تصعيد تيار الاستقلال .[٢٩]

وترتب على شكوك الادارة المصرية فى الصلة المباشرة بين تلك الترتيبات ومشروع الشرق الاوسط ، اتجاهها للتعرف أكثر على ملامح القوى المؤثرة فى الطرف الشرقى من منطقة الحزام وفى هذا الاطار سلكت سبل ثلاثة : **السبيل الاول** ، تقصيها لدوافع اثيوبيا من الارتماء فى أحضان القوى الغربية بصفة عامة وأمريكا بصفة خاصة ، فقدمت إحدى الوثائق سبباً مهماً يتلخص فى سعيها لزعامة افريقيا وتكوين الحبشة العظمى.[٣٠] وأخرى قالت بأن شعورها بأنها محاطة بدول اسلامية هو الذى دفعها للارتماء فى أحضان الدول الاستعمارية (انجلترا وفرنسا وبلجيكا) . ومن ثم فإن تحليل وكيل وزارة الخارجية فى مذكرته لوزير الارشاد القومى فى فبراير ١٩٥٤ ونصحه " بالتودد للسياسة الاثيوبية والتخفيف من قلقها وعدم اثارة شكوكها ، والحذر من النتائج التى قد تنشأ من هذه السياسة الجديدة لها " يشير الى أن خيار التعاون معها كان هو الخيار الأول . وأن الخيار الثانى بإمكانية توظيف الشعوب الاسلامية التى ترنو إلى مصر لتكون وسيلة ضغط على اثيوبيا هو خيار لا يتم طرحه إلا عندما يتم التأكد من عدم نجاح سياسة التعاون.[٣١] وهذا يدلل على أن مصر – بحكم جوارها قبل استقلال السودان – كان فى امكانها تأليب

واحداث قلاقل لاثيوبيا ، إلا أن مسلك اثيوبيا وقف حائلا لاضعاف مصر فى هذا الجانب .

ويتضح هذا فيما أشار إليه تقرير سفارة مصر بواشنجتون من أن الحبشة قدمت كل أوراقها لاثبات أنها ضمن منظومة الغرب ثقافياً وعسكرياً لتستأثر بمساعدته . فاستشهاد التقرير بحديث الأمبراطور فى الكونجرس الامريكى فى ٢٥ مايو ١٩٥٤ عن " أن الحبشة أكبر بلد مسيحى فى الشرق الاوسط ، وأنها الصلة بين الشرق الأوسط والغرب ، وأن بلاده الوحيدة التى أرسلت قوات فى الحرب الكورية فى المنطقة ، اذا أخرجنا اليونان وتركيا باعتبارهما من دول حلف الاطلنطى ".(٣٢) يدلل دلالة واضحة على سعى اثيوبيا بقوة للاستقواء بالولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا ، لإفقاد مصر أية امكانية لتحريك الشعوب الاسلامية التى تخشى منها اثيوبيا ، وفى نفس الوقت الاستناد عليهما فى تحريك العناصر المناوئة لمصر داخل السودان .

السبيل الثانى رصدها لتصاعد النفوذ الامريكى فى اثيوبيا . فحسبما تشير إحدى الوثائق بأن السبب الرئيسى لخشيتها من زيارة امبراطور اثيوبيا لأمريكا هو إقامة حلف بين الدولتين . وهذا ما جعل سفارتها فى أديس أبابا تستوضح فى مارس ١٩٥٤ من السفير الامريكى هناك أمر الحلف العسكرى الذى نشرت أخباره فى بعض الصحف المصرية ، لكنها لم تتلق اجابة شافية.(٣٣) وفى هذا الإطار أشارت إحدى وثائق السفارة المصرية فى أديس أبابا فى ٢٩ مايو ١٩٥٤ إلى تراجع النفوذ البريطانى وتزايد النفوذ الامريكى . وبررت هذا التفوق الامريكى بانفاقاتهم المالية فى الاصلاحات المختلفة للحصول على قاعدة ثابتة لقواتهم الجوية. لكن ما رآه السفير المصرى بنفسه بأن الانجليز ينقلون جميع مصانعهم من هناك إلى كينيا والصومال البريطانى ، وتحليله بأن الجهود المصرية هى التى كان لها الأثر

الظاهر فى إضعاف مجهود الانجليز [٣٤] كان ينقصها العمق والتحليل اللازم ، فرغم أن هذه الجهود قد جاءت - على حد قوله - نتيجة وقوف الانجليز ضد مصر هناك ، إلا أن كراهية الامبراطور الاثيوبى لبريطانيا - فى تقديرى - ليس لها صلة بالتحريض المصرى عليهم ، وانما بالضغوط الشديدة التى تعرض لها خلال ادارتهم العسكرية لاثيوبيا بعد طرد الايطاليين منها سنة ١٩٤١ .

ودلل قيام الولايات المتحدة الامريكية بمنح اثيوبيا قروضا تقدر بـ٥٠٠ مليون دولار (صرفت منها ١٠٠ مليون فى سبتمبر ١٩٥٤) ، وشروعها فى انشاء نواة لاسطول حربى وتجارى ومدرسة بحرية فى ميناء مصوع واعداده كميناء حربى[٣٥] على اهتمام مصرى واضح باثيوبيا ، لهذا كان من الطبيعى أن تستوضح من سفارتها بواشنجتون فى يونيو ١٩٥٤ عن دوافع الولايات المتحدة لتقديم كل هذه التسهيلات ، فوجدتها مرتبطة بحلول اثيوبيا محل مصر لاكمال المثلث الدفاعى (أركانه باكستان وتركيا ومصر) لتغطية الشرق الاوسط ، وحصولها من اثيوبيا على قواعد عسكرية.[٣٦] وهذا ما دفعها لمتابعة التحركات الامريكية فى السودان واستبيان ما تهدف اليه ، ومن ثم قادت للتعرف على مشروع الحزام .

السبيل الثالث متابعة التأثير البريطانى فى المنطقة ، فقد كان اهتمام بريطانيا بمناقشة مسألة الاعتماد على اثيوبيا فى الترتيبات الدفاعية فى شرق افريقيا خلال مؤتمر رؤساء أركان حرب دول الكمنولث (عقد فى لندن شهر سبتمبر ١٩٥٤) ومطالبته بضرورة جر السودان اليها ، هو الذى أثار اهتمام الادارة المصرية لمتابعة قوة التأثير البريطانى داخل اثيوبيا . وترتب على هذا الأمر معرفتها بأن تلك الترتيبات العسكرية التى كانت مثار حديث بين الامبراطور هيلاسلاسى ومسئولى لندن خلال زيارته اليها فى اكتوبر ١٩٥٤ ، كانت مدفوعة بمخاوفه من الاتحاد بين مصر والسودان ونشأة قوة اسلامية بافريقيا تجذب إليها مسلمى اثيوبيا .

ومن ثم فإن أهم هدف سعى له الامبراطور خلال تلك الفترة هو تشجيع العناصر السودانية المناوئة للاتحاد مع مصر.[٣٧] وفى هذا السياق يمكن أن نفهم تلهف تلك العناصر للإستفادة من هذا الأمر . فطلب عبدالله خليل فى اكتوبر ١٩٥٤ للامبرطور هيلاسلاسى - فى مقابلة تمت بينهما فى وادى حلفا - أن يؤيد وجهة نظره عند زيارته للندن بأن الاتجاه الاتحادى معناه تقوية لمصر والسودان أمام اثيوبيا.[٣٨] ليدلل على أن تلك العناصر قد وجدت فى اثيوبيا فرصة للاستفادة من اللعب على وتر الاحلاف العسكرية . ومن ثم كانت تلك العناصر هى المدخل الرئيسى لمفاتحة السودان للدخول فى مشروع الحزام الافريقى . ومع ذلك يمكن القول بأنه رغم وعى الادارة المصرية السابق بالأطراف التى يمكن أن توظف لتسويق المشروع داخل السودان ، إلا أنها لم تسع بالمقابل لتحريك العناصر المناوئة للحكم الاثيوبى خشية التصادم مع الغرب .

واذا كانت الادارة المصرية على علم بتلك التفاصيل فلماذا لم تحاول الاستفادة منها قبل أن تتطور تلك الترتيبات إلى مشروع الحزام وقبل أن يستفحل الأمر فى السودان .فقد كان فى إمكانها استغلال مسألة القواعد العسكرية فى مهاجمة الترتيبات العسكرية بين اثيوبيا والولايات المتحدة ، وكان فى امكانها أن تستغل الانتقادات التى وجهها السكرتير العام للامم المتحدة فى الأول من نوفمبر ١٩٥٤ عبر خطابه لسفارة مصر بلندن ، بمناسبة تقديم التهانى باتفاقية الجلاء ، لفضح تلك الترتيبات والتعريض باثيوبيا . فتعبيره عن مخاوف الأمم المتحدة من الخطر الذى أحدثته اثيوبيا بموافقتها على منح الولايات المتحدة قواعد عسكرية بها ، واعتباره أن هذه الموافقة تعد خيانة اجرامية من جانبها لافريقيا باعتبارها ضد القومية الافريقية ، ليدلل دلالة واضحة على استنكار الهيئة الدولية لهذا الأمر . بل إن تشكيكه فى امكانية أن يؤثر هذا فى ايقاف حركات التحرر الافريقية ، وقوله " بأن

المقاومة للأوروبيين والامبريالية الأمريكية ستشتد ".[٣٩] يقطع بأن الادارة لم توظف هذا الخطاب لتعرية الموقف الاثيوبى . لكن فى تقديرى هناك اعتبارين مهمين يزول معهما الاندهاش من عدم استفادة الادارة من هذا الأمر : أولهما ، عدم رغبة الادارة المصرية فى لفت نظر بريطانيا إلى أن الشرط الذى قبلته فى معاهدة الجلاء - بقبولها عودة القوات البريطانية اذا تعرضت تركيا للهجوم - بأنه شرط ليس له قيمة . ثانيهما ، رغبة مصر فى عدم اعطاء اثيوبيا فرصة للتدخل فى الوقوف ضد الوحدة بين مصر والسودان .

واذا كان الاعتبار الأول قد أثر بطريقة غير مباشرة ، إلا أن الاعتبار الثانى ظهر واضحاً فى مسلك الادارة المصرية . فالمقدمة التى كتبها جمال عبدالناصر لإحدى كتب سلسة اخترنا لك ، والتى جاءت تحت عنوان " اثيوبيا .... دولة شقيقة " واختياره للتمثيل بالثيران الثلاث فى مواجهة الاستعمار ، وأنه إذا أُكل ثور تبعه ابتلاع الثورين الأخرين ، ليدلل دلالة واضحة إلى اعلانه لمشاعر أخوة وادى النيل ، وفى نفس الوقت تحذير بعدم الوقوع فى شرك الاستعمار.[٤٠] بل إن محاولة مصر تحسين علاقاتها مع اثيوبيا ، حين عرضت فى نوفمبر ١٩٥٤ إرسال خبراء مصريين لمعاونتها فى مراقبة بناء خزان كوكا وموافقة اثيوبيا على المبدأ حتى موافاتها باسماء المهندسين المصريين المرشحين للمهمة[٤١] لهو عامل مهم فى أن مصر تسعى للتعاون .

ونخلص مما سبق بنتائج ثلاث : أولها ، أن منطقة الحزام نفسها كانت جزءا من ترتيبات عسكرية متكاملة عبر القارة الافريقية ، وأن القوى الغربية (أمريكا وانجلترا وفرنسا) تسيطر تماماً على تلك المنطقة . ثانيها ، أن اثيوبيا - باعتبارها الدولة المستقلة الوحيدة فى منطقة الحزام - لها موقف مختلف عن مصر التى تسيطر على السودان ؛ نقطة الفصل وحلقة الوصل بين طرفى الترتيبات العسكرية

فى اثيوبيا وغرب افريقيا . فمصر ترفض التعاون مع الغـرب فـى مـشروعات الاحلاف فى حين ترتمى اثيوبيا فى تلك الترتيبات . ثالثها ، أن ملامـح مـشروع الحزام الافريقى لم تظهر حتى بداية ١٩٥٥ ربما للنجاحات المصرية التي حققتهـا مصر في السودان فى العامين الأولين للحكم الذاتى ، وربمـا لأن سـعى اثيوبيـا وتوظيفها لمنع الاتحاد بين مصر والسودان كان يحتاج إلى مزيد من الجهد خاصة مع تقديم مصر للتعاون معها على الشقاق .

المحورالثانى مصر وبروز مشروع الحزام الافريقى :

رغم أن عام ١٩٥٥ أطل حاملاً معه تحولات سياسية كبيرة عبر منطقة الشرق الأوسط وافريقيا ، فقد كان لدخول العراق داخل منظومة الدفاع عن الشرق الأوسط واعلان ما سمى بحلف بغداد ، ثم محاولة تنفير الدول العربية من مصر ؛ بمحاولة التضييق عليها من جهة الغرب والجنوب عبر جر ليبيا والسودان لهذا الحلـف (٤٢) إلا أن موقف القوى الغربية من مؤتمر باندونج ؛ الذى رأوا فيه مظاهرة عالميـة ضد الاستعمار(٤٣) ، كانت أول اشارة للإعلان عن مشروع الحزام الافريقى . ومع ذلك يمكن القول بأن بروز المشروع قد مر بمرحلتين هامتين :

المرحلة الاولى ، تبدأ بمؤتمر باندونج وتنتهى باستقلال السودان ، ويمكن تـسميتها بالمرحلة الصحفية ، حيث لعبت الصحافة دوراً أساسياً فى تقـديم بعـض ملامـح المشروع للادراة المصرية ، فبالرغم من وجود شكوك حول وجـود حلـف سـنة ١٩٥٤ ، الا أنها اقتصرت على وجود حلف بين الولايات المتحدة واثيوبيا ، ومـن ثم فإن التطور الذى أحدثته مذكرة قسم اوروبا بالخارجية المصرية فى ١٤ مارس ١٩٥٥ يعد أول اشارة – وان كانت غير مباشرة – عن وجود مـشروع افريقـى هدفه تطويق مصر بين الحزام الشمالى وحزام افريقى جنوبى . فقد كـان تـشكك الادارة المصرية فى هذا الأمر قد جعلها تطلب جمـع المعلومـات مـن مختلـف

المصادر حتى لا تواجه بسياسة متفق عليها بين الدول ذات المصلحة .[٤٤] وبالتالى كان من الطبيعى أن تتحرك فى اتجاهين :

الاتجاه الاول القيام بحملة صحفية تستهدف الحصول على معلومات بشأن ما أسمته حلف وسط افريقيا ، بحيث كان لردود فعل اثيوبيا على تلك الحملة دور مهم فى الكشف عن بعض ملامح المشروع ، وأن أولى خطواته ارتبطت بالتحضير لمؤتمر باندونج والخشية من حدوث اتصالات بين الافارقة والروس . فما أشارت إليه سفارة مصر بأديس أبابا فى ٢٠ مايو ١٩٥٥ عن مقابلة السيد بلاتا داود H.E.Blatta Davit نائب وزير خارجية اثيوبيا للقائم بالاعمال المصرى بالنيابة فى ١٩ مايو ١٩٥٥ ، وانزعاجه مما نشرته مجلة روزا اليوسف فى ١٩٥٥/٥/٢ تحت بعنوان " حلف عسكرى جديد فى وسط افريقيا ، امبراطور الحبشة يعرض على السودان الاشتراك فيه ، انجلترا وأمريكا تؤيدان المشروع المقترح " يدلل على أن الادارة المصرية قد بدأت تتكشف لها بعض خيوط المشروع . وأن هذه الخيوط بدأت فى المحادثات التى جرت بين الامبراطور واسماعيل الازهرى خلال زيارته لاثيوبيا (فى طريقه لحضور مؤتمر باندونج) فيما بين ١٠-١٤ ابريل ١٩٥٥ . لهذا يمكن القول بأن ضيق اثيوبيا بالمقال السابق وبما نشرته أيضا مجلة الثورة الاسبوعية تحت بعنوان " هل يلعب هيلاسلاسى دور نورى السعيد " ، وتفصيلها بأن هناك تفكير فى انشاء حلف دفاعى برعاية انجليزية- امريكية يتكون من اثيوبيا والسودان كنواة تنضم اليه الدول الافريقية فيما بعد ، ثم قيام سفير اثيوبيا بالقاهرة بالاحتجاج لدى وزارة الخارجية المصرية على ما نشر ومطالبته بمعاقبة الجريدة طبقا للقانون ، يدلل على أن هذين المقالين قد كانا لهما دور كبير فى الالمام ببعض الخيوط المهمة للمشروع . وهذا ما ينعكس فى تأكيد نائب وزير الخارجية الاثيوبية من أن سياسة اثيوبيا لاتزال واضحة فى عدم الارتباط بأى أحلاف عسكرية ، فقد

ذاقت هوان الاستعمار وأيدت قرارات باندونج وانها حريصة على التعاون مع مصر.[٤٥] ونخلص من ذلك بحقيقتين : الأولى ، أن معالم المشروع بدأت بزيارة الازهرى لاثيوبيا فى ابريل ١٩٥٥ رغم أن ظاهر الوثيقة يقول بأنها بدأت فى مايو ١٩٥٥. الثانية ، التباين بين نوايا اثيوبيا وسلوكها العملى ، فمن ناحية ذهبت الى باندونج ووافقت على قراراته ، ومن ناحية أخرى هدفت إلى اعداد ترتيبات حلف دفاعى مع السودان مسايرة للقوى الغربية فى ابطال مفعول القرارات التى ستتخذ فى باندونج ، وهذا مع يفسر ذلك العزوف الذى جرى على أرض الواقع بين الوفد السودانى والوفد المصرى أثناء المؤتمر ، بما يوحى بأن خيار الاستقلال قد أصبح هدفاً للسودانيين .

لذا فإن مدافعة القائم بالاعمال المصرى عن الاتهامات السابقة بأن تأويل الصحافة لهذا الامر ناتج عن عدم قيام الحكومة الاثيوبية بتصحيح الاشاعات التى ترددت عن الحلف ، ودعوته الادارة المصرية لقبول التصريح الاثيوبى بأن سياستهم الخارجية تركز على الصداقة مع الجميع دون الارتباط بحلف أو ميثاق.[٤٦] يعكس احتمال أن تكون الحكومة المصرية هى المسئولة عن تسريب الخبر للصحافة بقصد استطلاع رأى اثيوبيا بشأن ما أوردته تقارير المخابرات الحربية المصرية فى السودان عن هذا الأمر . خصوصاً وأن الخبر المنشور فى روزا اليوسف قد ربط بين نصيحة الامبراطور للأزهرى بترك مشاكل النقد والمياة معلقة حتى انتهاء السودان من معركة تقرير المصير ، وبين حديث الامبراطور عن الحلف ودعمه بالأسلحة من قبل انجلترا وامريكا ، وعن تأييد انجلترا لتوسيع نطاقه بإشراك مستعمراتها فى وسط افريقيا فيه.[٤٧] وهذا يدلل على أن ما رفضت الادارة المصرية استغلاله سنة ١٩٥٤ بدأت تستفيد منه سنة ١٩٥٥ ، لتشكل ضغطا على اثيوبيا أمام الرأى العام الاثيوبى والافريقى .

ويبدو أن التحركات المصرية فى السودان وسوء الموقف المصرى هناك يشير إلى أن المعلومات الواردة فى المقالين تم تسريبها ، فما جاء فى مجلة الثورة الاسبوعية تحت عنوان " هل يلعب هيلاسلاسى دور نور السعيد فى العالم العربى " يلمح بأن هدف هيلاسلاسى كان يتركز فى ضرب الاتحاد بين مصر والسودان ، وأنه يريد أن يلعب دوراً فى افريقيا كدور نورى السعيد فى العالم العربى . لكنها قالت بأنه لا يمكنه تسويق عرضه لانشاء حلف مع السودان باستخدم نفس التبرير – وهو الخشية من روسيا – الذى قدمه نورى السعيد ، فاثيوبيا أبعد ما تكون عن الاتحاد السوفيتى . لذا استنتجت هدف الامبراطور بأن قالت " بأن ما يمكن تصوره هو أنه قد أحس بأن ما قدمه لانجلترا وامريكا من خدمة ، بوضع بلاده تحت تصرفها لم يكفل له ما يبغى من أموال ، فحاول زيادة ما يقدم من خدمات ، وذلك بتوسيع رقعة التحالف فى افريقيا بضم السودان إلى هذا الحلف ، ظاناً أنه بذلك قد يحصل على هبات أكبر من سادته الانجليز والأمريكان " . واختتمت المجلة مقالها بأن حرضت السودان على عدم مسايرة رغبة اثيوبيا فى سياستها التى تخالف ما يبغيه من استقلال.(٤٨) لذا يمكن القول بأن هذين المقالين لعبا دوراً فى التعريض بهذا المشروع ، من خلال عملية الربط بين نورى السعيد وهيلاسلاسى ، والوعود بتقديم الأسلحة عبر الدولتين اللتين تقفان وراء حلف بغداد ، وهذا يعنى أن الهدف كان اثارة القوى الشعبية ضد المشروع .

وفى هذا السياق يمكن فهم تصرفات اثيوبيا تجاه الملحق العسكرى المصرى – باعتبار أن تقاريره قد تكون السبب فى الرفض لمشروعها – بأن ضيقت على تحركاته خارج أديس أبابا ، وتعقبت الأشخاص الذين يتصلون به من المصريين وغيرهم ، بل وطلبت من بعض المتصلين به مغادرة البلاد . ويدعم هذا أن العلاقة بين السفارة الامريكية والملحق العسكرى كانت غير ودية ، الأمر الذى كان له أثره

فى توجيه سياسة الحكومة الاثيوبية ضده.[٤٩] فراحت تبرر سياستها تجاه الملحق العسكرى بالترويج بأنه كان يقوم باتصالات مع ضباط الجيش الإثيوبى لمحاربة النفوذ الامريكى وضد الامبراطور هيلاسلاسى نفسه.[٥٠] ومن ثم فإن اليد الامريكية كانت واضحة فى عرض المشروع ، وأن الصحافة المصرية تم توظيفها لاستجلاء بعض الحقائق عنه .

الأتجاه الثانى تمثل فى متابعة الادارة المصرية لخطواته فى السودان ، ويمكن القول بأن تقارير المخابرات الصحفى عن الصحافة السودانية قد كان لها الدور الأهم فى هذه المتابعة ، حيث قدمت لنا خيوطاً أخرى ترتبط بأصحاب المصالح فى عرض المشروع ، فقالت بأن بريطانيا لم تكن ببعيدة عنه ، إلا أن رؤيتها تختلف عن الرؤية الأمريكية ، فى كونها جاءت فى اطار الترتيبات الدفاعية التى اتخذتها عبر مستعمراتها . فقد أرادت أن تعود لمشروعها القديم فى ضم جنوب السودان إلى وسط وشرق افريقيا . وفى هذا الاطار أشارت جريدة الامة فى ١٩٥٥/٩/١ بأن غرض بريطانيا من استقطاب اسماعيل الازهرى ما هو إلا محاولة لاستخدام نفوذها فى حل المشاكل التى تنشأ فى الدول المجاورة للسودان.[٥١] وأنه طبقا لما أشارت له جريدة الميدان السودانية فى ١٩٥٥/٩/٨ قامت باشعال أحداث الجنوب حتى ترغم الحكومة السودانية على الارتباط معها بحلف بعد انتهاء الفترة الانتقالية ، وذلك بإظهارها عاجزة عن السيطرة على الأحداث دون معونتها.[٥٢]

ومع ذلك كان التنسيق واضحاً بين بريطانيا والولايات المتحدة فى هذا المشروع . فقد أشارت جريدة الميدان فى ١٩٥٥/٩/٨ بأن أحداث الجنوب هى التى أجبرت رئيس وزراء السودان للاستعانة بالجيش البريطانى وبالحبشة زعيمة الحلف الافريقى المقترح لحل أزمة الاغتيالات التى دبرتها فى الجنوب . وأشارت أنها بهذا تقترب من ذلك الحلف الذى تتزعمه بريطانيا وتشترك فيه الحبشة وأوغندا وكينيا

لإبعاد السودان عن دول الشرق الاوسط المناهضة للاحلاف . وأشارت نفس الجريدة فى ١٩٥٥/٩/١٣ إلى أن المعونة المقدمة للاحزاب السودانية هدفها الموافقة على الاحلاف العسكرية . وأن جريدة الصراحة أشارت فى نفس اليوم إلى عرض اثيوبيا إيواء الأورطة العسكرية البريطانية التى ستجلو من السودان ، ناهيك عن إيوائها ثلاث أورط امريكية وقوات وبعثات عسكرية أخرى معظمها يرابض فى ارتيريا التابعة للحبشة.(٥٣) وبالتالى لعبت تلك التقارير دور مهم فى الادراك بأن السودان كان البوابة الرئيسية التى بدونها لا يتم تنفيذ المشروع ، وأن المشروع الامريكى هدفه إقامة حلف بين الحبشة والسودان ، فى حين كان الهدف البريطانى هو إقامة تحالف بين السودان وكينيا وأوغندا والحبشة .

ومن ثم فإن الوجود المصرى فى السودان قد لعب دوراً فى التصدى لقبول مشروعات الاحلاف بصفة عامة ومشروع الحزام بصفة خاصة ، وبالنظر لحملة الصحافة السودانية ضد المشروع يتضح مدى التأثير المصرى فيها ، بل يمكن التمييز من خلالها بين الاتجاهات السودانية المعارضة للمشروع وتلك التى تروج له . فقد أشارت جريدة الميدان فى ١٩٥٥/٩/١٥ إلى أن مؤامرة الجنوب أظهرت بأن هناك اتصالا بين مسئول بريطانى (المستر لوسى مستشار الحاكم العام للشئون الخارجية) وحزب الامة للانسحاب من الحكومة القائمة - لأنها تقاوم الاحلاف - وتنصيب حكومة تدعو للاحلاف ، وأنه بقدر ما استغلت مشكلة كشمير بين الهند وباكستان لجر باكستان للدخول فى حلف عسكرى ، سيجرى الآن خلق مشكلة الاتحاد والمياة مع مصر لتعظيم النزاع لقبول السودان فى النهاية الدخول فى حلف عسكرى " ودعت فى النهاية الى رفض دخول الاحلاف.(٥٤) ويمكن قرءاة التأثير المصرى أيضا فيما أشارت إليه جريدة الصراحة فى ١٩٥٥/١٠/٧ إلى اعلان الحزب الوطنى الاتحادى بأنهم ضد الاحلاف العسكرية وأنهم متقيدون

بمقررات مؤتمر الدول الاسيوية – الافريقية (باندونج).[٥٥] وأيضا فـي وقـوف الجبهة المعادية للاستعمار ضد مشروع الحزام الافريقى الذى كان يلقـى رعايـة حزب الامة والحبشة ، فأحد تقارير المخابرات الحربية يتحدث عن الدور الخطيـر الذى تلعبه الحبشة فى هذا المشروع ، وبأنها تعتبر نفسها حلقـة الاتـصال بـين السودانيين والمستعمرين لافريقيا ، وأن الادراك المصرى لميزة الموقع الجغرافـى للسودان الجنوبى لكل من الحبشة وكينيا وأوغندا والكونغو الفرنسى جعلها تركـز سياستها على انقاذ السودان من المؤامرات الاسـتعمارية.[٥٦] إذاً لعبـت التقـارير الصحفية الدور الأهم فى الكشف عن ملامح المشروع ، ومن ثم يمكن القول بـأن الاتجاه نحو الاستقلال بدأت تزداد وتيرته منذ مؤتمر باندونج ، وأن المشروع لعب دوراً مهماً فى محاولة الانتصار لهذا الاتجاه . وبالتالى فإن مسألة الاستقلال لـيس لها علاقة بعزل نجيب أو بالاخطاء التى ارتكبها صلاح سالم . ففـى تقـديرى أن رفض الادارة المصرية لسياسة الاحلاف قد لعب دوراً مهماً فى اصرار الولايـات المتحدة وبريطانيا بضرورة سحب السودان عن مصر ، وأن قبول مصر لاستقلال السودان كان تحدياً بأن يقوم السودان المستقل بتعزيـز هـذا الموقـف الـرافض للاحلاف .

المرحلة الثانية وتبدأ باستقلال السودان وتنتهى بحرب السويس ، وقد لعبت فيهـا تقارير المخابرات الحربية الدور الأهم فى تقديم بعض التفاصيل الدقيقة عن أطراف المشروع الخارجية والداخلية وعن الشخصيات المحركة له .

وفيما يتعلق بالأطراف الخارجية ؛ فقد أشارت التقارير بأن استقلال الـسودان قـد وفر لأطراف عديدة فرصة الاتصال بالسودانيين لتـصبح هنـاك امكانيـة لتنفيـذ المشروع على أرض الواقع ، حيث قالت بوجود تنسيق بـين بريطانيـا وأمريكـا (كطرف خارجى) واثيوبيا (كطرف محلى) . وأول طرف خـارجى رصـدته

تقارير المخابرات الحربية تمثل فى الولايات المتحدة الامريكية ، فمع أن أهتمامها بالمشروع جاء مع الترتيبات العسكرية التى أسستها فى اثيوبيا ، إلا أن الجديد الذى حملته تلك التقارير هو دخولها فى محاولة جر السودان إليه . فإحدى الوثائق تتحدث عن سياسة الترهيب والترغيب التى استخدمها السفير الامريكى لتحذير شخصيات سودانية - فى يوليو ١٩٥٦ - من تغلغل الشيوعية فى بلادهم عن طريق مصر ، ونصحهم - ضماناً لتلقى المساعدات الامريكية - بضرورة التعاون مع اثيوبيا فى حلف الحزام الافريقى . ووعد بضمان وقوف الازهرى بجانبهم فى موضوع الحزام ، إلا أنهم لم يقطعوا معه برأى صريح فى هذه المسألة.[٥٧] ومن ثم بدا واضحاً بأن تسمية المشروع بالحزام الافريقى قد قفزت صراحة فى تلك المرحلة ، وهو أمر مهم فى التمييز بينه وبين مشروع الكتلة الافريقية الذى قدم فيما بعد .

أما الطرف الخارجى الثانى الذى رصدته تلك التقارير فهو بريطانيا . فقد دعت السودان - خلال تسليمها وثيقة الاعتراف بالاستقلال فى يناير ١٩٥٦ - على لسان المستر باركر (الوكيل البرلمانى بوزارة الخارجية البريطانية) لحلف بغداد والتعاون صراحة فى مشروع الحزام الافريقى.[٥٨] ورصدت الدور الذى لعبته السفارة البريطانية فى مايو ١٩٥٦ فى توجيه حملة صحفية بقيادة أحمد يوسف هاشم وبشير محمد سعيد لتنفير السودان من الانضمام لمعاهدة الضمان الجماعى العربى (مصر وسوريا والسعودية) باظهار عبدالناصر بمظهر المحب للسيطره ، وتحويل الاثر الايجابى بين افراد الجيش السودانى بهدية الاسلحة المصرية الى اثر سلبى.[٥٩] ومن ثم فإن الشهور الاولى لاستقلال السودان لم تشهد أقصى أساليب الاستقطاب لمشروع الحزام فحسب ، بل شهدت اشتداد عملية التنفير ضد مصر وعبدالناصر أيضاً . وفى هذا الاطار رصدت التقارير دخول اسرائيل - كطرف

ثالث – فى الموضوع ، ومحاولتها الاستفادة من توظيف اثيوبيا لتقوم بدور فى سحب السودان واستخدامه كورقة للضغط على مصر.(٦٠)

وقدمت تقارير المخابرات تفاصيل مهمة عن أهم شخصيتين – السفير الامريكى والبريطانى – لعبا دوراً مهماً فى عرض المشروع وتنفيذه ، فقد ربطت التقارير بين تعيين تشابمان اندروز (*) سفيرا لبريطانيا ، وبين اهتمام أمريكا بتعيين سفير لها فى السودان بعد مرور شهر من الاستقلال ، وبين عملهما على توحيد السياسة الحبشية – السودانية للتمهيد فى تنفيذ الحزام.(٦١) ناهيك عن الدور الذى لعبه التجار اليهود فى تمويل الاحزاب السودانية المؤيدة للابتعاد عن مصر.(٦٢) ومن ثم نخلص من ذلك الى نتائج ثلاث : أولها ، أن تركيز القوى الخارجية على الطرف الشرقى فى منطقة الحزام (اثيوبيا والسودان) يشير الى أن الطرف الغربى لا توجد به مشاكل كتلك التى تعترض القوى الغربية فى طرفه الآخر ، ومن ثم فإن التحريض المصرى فى تلك الجهات سيقود الى تغيير النظرة للطرف الغربى سنة ١٩٥٧ . ثانيها ، أن شخصيات رسمية وتجارية أصبح يعتمد عليها لتنفيذ المشروع . ثالثها ، أن الظروف الاقتصادية لكل من اثيوبيا والسودان كانت هى المدخل المناسب لطرح المشروع عليهما .

أما الاطراف الداخلية فقد أشارت تقارير المخابرات الحربية الى أن اثيوبيا والسودان هما ركيزتا المشروع ، ومن ثم ركزت على دورهما والشخصيات التى تم توظيفها لتحريك المشروع . **فبالنسبة لاثيوبيا** ، فإن تقارير المخابرات الحربية بعيد أيام من استقلال السودان وبعد استقراءها للقوى المؤثرة التى تقف خلف المشروع ، تقول بأن اثيوبيا هى الضلع الرئيسى فيه ، بل إن إحدى الوثائق اعتبرتها بأنها العميل الاستعمارى الوسيط بين السودان والمستعمرين لافريقيا لربط السودان بالحزام الافريقى . وخلصت فى النهاية الى القول بأن قوة اثيوبيا فى

السودان نابعة لأن لديها عملاء من السودانين ولها مركز قوى فى السودان ، وأن سياستها قد تكون مرتكزة على فصل السودان الجنوبى.[٦٣] ومن ثم فإن اثارة مسألة الجنوب كانت مطلوبة للضغط لاجبار السودان على قبول المشروع . وفى هذا الاطار أشار أحد التقارير – فى يناير ١٩٥٦ – الى الدور المهم الذى لعبته اثيوبيا فى محاولة استقطاب السودانيين – مستقلين أكانوا أم اتحاديين – للموافقة على المشروع.[٦٤]

وتمدنا الوثائق المصرية بمعلومات غاية فى الأهمية عن الشخصية الأثيوبية الرئيسية التى ارتبط اسمها بمشروع الحزام ، ألا وهى شخصية ملس عندوم [*] . فلم يمر أكثر من ثلاثة أسابيع على الاستقلال إلا ونجد إحدى التقارير تتحدث عن محاولته التأثير على الفريق المؤيد لمصر ، بتقديمه للاموال والرشاوى ليس فقط لاعضاء حزب الامة – كما كان يحدث من قبل – بل لاعضاء الحزب الوطنى الاتحادى.[٦٥] بل ربطت التقارير بين تعيين السيد ميخائيل بخيت [*] سفيراً للسودان فى اثيوبيا سنة ١٩٥٦ ، وبين الدور الذى لعبه ملس عندوم فى هذا التعيين ، بحيث تتاح له الفرصة – على حد قولها – لأن يلعب دوراً فى سياسة السودان الخارجية وربطه بالحزام الافريقى والأحلاف العسكرية . وفى هذا الاطار وجه لوما للسودان لاسراعه بدخول الجامعة العربية ، وبذل جهداً كبيراً لإبعاد سياسة السودان عن سياسة مصر الخارجية لإحداث جفاء بين البلدين.[٦٦] وبالتالى فإن فصل السودان عن الهوية الثقافية العربية كانت أحد أهم ملامح المشروع ، بل إن تسميته باسم " الحزام الافريقى" تحمل توجها صريحاً نحو الهوية الافريقية ، ومن ثم فإن المشروع فى أحد أركانه يعمل على تكريس الحد الفاصل بين افريقيا شمال الصحراء وافريقيا جنوب الصحراء .

وإذا كانت تقارير المخابرات المصرية فى السودان قد نجحت فى رصد ومتابعة تلك الشخصية على أنها المحرضة والمحركة الرئيسية للمشروع ، فإن ما أرسله السفير المصرى بأديس أبابا فى ٣٠ مارس ١٩٥٦ محذراً من عزم اثيوبيا إرسال بعثة صداقة اثيوبية إلى السودان لإستكمال نجاحات ملس عندوم فى توثيق العلاقات الثنائية بين الطرفين ، ونصيحته بضرورة العمل على وقف نشاطه الضار بالاستعانة بالسودانيين فى هذا الأمر ، وتوحيد السياسة المصرية السودانية تجاة اثيوبيا لسد الطريق أمام محاولاتها لإيجاد الفرقة بين مصر والسودان[٦٧] يصب فى التأكيد على أن التنسيق والمتابعة من قبل الادارة المصرية للمشروع والشخصيات المحركة له كانت تتم على قدم وساق فى تلك الفترة .

ويبدو أن الادارة المصرية قد أخذت بالنصيحة لتحجيم نشاط ملس عندوم ، ويتضح هذا فى تعبيره عن غضب اثيوبيا لمحاولة التقارب المصرى السودانى ، فقد صرح فى اغسطس ١٩٥٦ بأن حكومة عبدالله خليل [*] بتصريحاتها التى تصب فى صالح مصر تستفز الحبشة ، وأنها يجب أن تراعى أن للحبشة مصالح هى الأخرى فى السودان وأنها لن تقف مكتوفة الايدى.[٦٨] ويتضح أيضا فى لجوءه لتقديم الرشاوى، حيث ترددت الأنباء أنه جلب من الحبشة فى إحدى المرات (فى نوفمبر ١٩٥٦) مبلغ ٥٠ الف دولار أمريكى صرفها بواسطة بعض التجار اليهود ، حيث كان صرف النقد الاجنبى لا يتم إلا من خلالهم ، لتمويل أحد الاحزاب السياسية السودانية.[٦٩] وهذا يدلل على أن الادارة المصرية كانت واعية تماماً بكل الأطراف والشخصيات المحركة للمشروع .

وبالنسبة للسودان ، فيبدوا أن تركيز الأطراف الخارجية على حزب الامة سهل من مهمة الادارة المصرية فى متابعة المشروع بتحديد اتجاهات الرأى عنه ، ثم القيام برصد الشخصيات المروجة له وتلك المدافعة عنه . فأحد تقارير المخابرات

الحربية يشير إلى انقسام الصحفيين السودانيين فى الرأى الى فريقين : فريق يؤيد مصر فى اتجاهها للوقوف ضد التيار الاستعمارى فى السودان ، وفريق آخر يخشى مطامعها فى السودان . وانتهى الفريقان - فى إحدى نقاشاتهم - إلى أن الولايات المتحدة وانجلترا والدول الموالية لهما سينتصرون على مصر فى ربط السودان فى حزام افريقى ، وابعادها عن كتلة مصر داخل الجامعة العربية كما فعلوا بالعراق والاردن.(٧٠)

وفيما يتعلق بالشخصيات السودانية التى ارتبط اسمها بالمشروع ، تأتى شخصية مبارك زروق (وزير الخارجية) على رأس هذه الشخصيات ، حيث قامت ادارة المخابرات الحربية بمتابعة تحركاته فى هذا الاتجاه . ففى أحد التقارير - فى مايو ١٩٥٦ - تشير إلى تردده على السفارة الاثيوبية ، بل الاغرب من ذلك أنها رصدت تردده اليومى على ملس عندوم خلال زيارة أحد الموظفين الامريكيين (المستر بيتس) ، وذكرت بأن العلاقات كانت قد فترت بين الرجلين بعد زيارة مبارك زروق ليوغسلافيا فى أبريل ١٩٥٦ ، وأضافت بأن خطة المعسكر الغربى قد تركزت على ضم السودان لحلف بغداد وعقد تحالف مع الحبشة ، وأنهم سخروه لتبنى هذه الخطة واقناع الازهرى بها.(٧١) وهذا ما يفسر ذلك الموقف المتذبذب لعبدالله خليل ومبارك زروق من حلف بغداد.(٧٢) ونخلص من ذلك إلى أنه كان هناك تنسيقا أمريكيا - اثيوبيا داخل السودان للترويج للمشروع ، وأن مبارك زروق أصبح طرفاً رئيسياً فى هذا الترويج . وهذا ما يفسر تسليط الأضواء على ابراز رفضه لهدية الاسلحة التى عزمت مصر تقديمها بعد أربعة اسابيع من الاستقلال ، وترويج الأمريكان بأن مصر هدفها السيطرة على السودان.(٧٣) ومن ثم فإن هذا الرصد لتحركاته حتى الاشاعات عن اجتماعات مستمرة بين سفير الحبشة والسيد

ابراهيم جبريل ومبارك زروق بهدف الترتيب لابعاد السودان عن مصر.(٧٤) كلهـا تدلل على أنه كان شخصية محورية فى تنفيذ المشروع .

ولم تقتصر التقارير على رصد تحركات الشخصية الرئيسية بل تابعت شخـصيات أخرى ارتبطت بطريقة أو بأخرى بالمشروع . وفى هذا الاطار رصـدت النـشاط الذى قام به ميخائيل بخيت فى هذا الأمر ، وقالت بأن ملس عندوم قد سعى لتوظيفة سفيراً فى اثيوبيا ، للعمل على ربط السودان بمشروع الحزام الافريقى والأحـلاف العسكرية.(٧٥) ورصدت أيضا الدور الذى قام به كل من عبـدالله خليـل وصـديق المهدى . فرصدت فى يوليو ١٩٥٦ لقاءهما مع السفير الامريكى فى منزل صديق المهدى ، وعرضه لهما بضرورة تعاون السودان مع اثيوبيا لتكوين حلف الحـزام الافريقى مقابل تقديم المساعدات المطلوبة ، ضامناً لهم وصـول الـدعم ووقـوف الازهرى بجانبهم ، إلا أنهما رفضا الاتفاق معه على شئ.(٧٦) ونخلص من ذلك إلى نتيجتين : الأولى ، أن تنسيق الأطراف الخارجية مع اثيوبيا لتنفيذ المـشروع قـد ظهر بوضوح فى توظيف العديد من الشخصيات السودانية . الثانية ، أن الحضور المصرى فى السودان قد أحبط الاقتراب الأثيوبى – السودانى حول المـشروع ، وأفشل خطة الأطراف الخارجية فى امكانية تنفيذه .

ويتضح مما سبق بأن المشروع كان فى امكانه أن يحقق نجاحاً ، إلا أن الموقف المصرى منه كان له القول الفصل فى تعطيل هذا النجاح ، ويمكن استيضاح هـذا الأمر فى ثلاثة مسائل : **المسألة الاولى** ، اعلان الادارة المصرية – رغم تصريح الرئيس عبدالناصر لاسماعيل الازهرى عند زيارته لمصر فى أبريل ١٩٥٦ بـأن مصر تلتزم الحياد تجاه الاحزاب السياسية السودانية ما داموا يسيرون فى طريـق الاستقلال – بأنها لن تقف مكتوفة الأيدى إذا رأت فريقاً من السودانيين يعمل علـى

التمكين للنفوذ الاجنبى ، بل راحت من خلال البعثات السورية والسعودية تحذر السودانيين بضرورة الوقوف بعيداً عن الأحلاف والتزام الحياد الايجابى.(٧٧)

المسألة الثانية ، تركيز الاستراتيجية المصرية فى تقوية جبهه الممانعة لمشروع الحزام الافريقى بأن يدخل السودان فى المنظومة الدفاعية المصرية ، حفاظاً على الأمن القومى المصرى وخشية أستخدامه طريقاً لعودة الاستعمار الاوروبى.(٧٨) وفى هذا الاطار ركزت على التحريض ضد سياسة الأحلاف بصفة عامة وضد مشروع الحزام بصفة خاصة ، وهذا ما يفسر قيام الحزب الوطنى الاتحادى برفض محاولة الحبشة بناء مطار قرب الروصيرص ، بعد معرفتهم بأن هذا المطار يأتى تنفيذاً لمشروع الحزام.(٧٩)

المسألة الثالثة ، التوجه نحو افريقيا وتقديم الدعم لحركات التحرر الافريقى فى منطقة الحزام ، ويمكن تلمس هذا بوضوح فى خطاب محمود سيف اليزل خليفة – سفير مصر فى الخرطوم – بمناسبة احتفال السفارة بعيد الجلاء ، بأن مصر انتهت من جلاء الانجليز وستبدأ فى زيادة دعايتها ونشاطها ضدهم فى افريقيا ، وبأن بريطانيا تعمل الآن على كسب السودان فى اطار تكتيل الجهود فى المستعمرات البريطانية مع المستعمرات البلجيكية والفرنسية والايطالية ضد هذا النشاط .(٨٠) ويفهم من ذلك بأن ترتيبات الحزام كانت تتم فى تلك المناطق ، وأن الدعم المصرى لحركة التحرر الافريقى فى تلك الجهات كان أحد الوسائل لافشال المشروع الغربى.

ورغم الجهد المصرى لتقوية جبهة الممانعة ضد المشروع ، إلا أن حرب السويس سنة ١٩٥٦ قد مثلت علامة فارقة فى النظرة لمشروع الحزام الافريقى . ففى الوقت الذى راحت اثيوبيا تغير اتجاهها للتعاون مع مصر ، راحت قوى محلية أخرى هى جنوب افريقيا تدعو له على لسان حاكمها العام.(٨١) مدعية بأن الخطر

الشيوعى المتمثل فى مصر يطرح بوجوب تكوين حلف يبدأ بخط دفاعى من الحبشة شرقا ويمتد عبر القارة غربا الى حوض الكونغو.(٨٢) ومن ثم نستطيع القول بأن مشروع الحزام الافريقى لم يسقط بتحول اثيوبيا عنه لمشروع الكتلة الافريقية ، بل استمر طرحه من خلال جنوب افريقيا ، إلا أن التغير الذى شهده هو منطقة الامتداد ، فبعدما كان يهدف الى ربط المنطقة ما بين اثيوبيا والسنغال ، نراه يقتصر على المنطقة ما بين اثيوبيا وحوض الكونغو .

المحور الثالث – الكتلة الافريقية :

لم يكن من المتصور أن الأطراف التى تجمعت من قبل فى مشروع الحزام الافريقى أن تقدم مشروعاً يهدف للدخول فى حلف مع مصر . فلا شك أن تغيير خطة اثيوبيا يدلل على أن يد الغرب كان لها دور كبير وراء هذا التحول فى سياستها . إلا أن اختبار توقيت عرض المشروع لهو أمر مهم فى معرفة وفهم آلية الغرب فى توظيف القوى المحلية الافريقية فى اطار مشروعه العام . وفى هذا الاطار يمكننا أن نفهم أهمية هذا المحور فى كونه يفض الاشتباك حول شبهتين روجت لهما دراستين مستا الموضوع : **الشبهة الأولى** ، أن الكتلة جاءت رداً على مشروع الحزام ، فما قالت به احدى الدراسات من أن القاهرة استغلت مرحلة العلاقات الجيدة مع عبدالرحمن المهدى فى تمديد تأمين عمقها الاستراتيجى حتى اثيوبيا ، وأنها نجحت فى ابرام اتفاقية الكتلة الافريقية مع اثيوبيا فى مواجهة التحديات الغربية بخلق مشروع الحزام الافريقى ، وذلك بعد جهود سياسية قام بها عبدالرحمن المهدى فى هذا المجال.(٨٣) هو قول يجانبه الصواب ، لأنه لا توجد اتفاقية قد عقدت بشأن الكتلة الافريقية ، ولم يكن الطرح الاثيوبى للكتلة الافريقية صداماً مع مشروع الحزام الذى تفضله على غيره من مشروعات .

الشبهة الثانية ، تتمثل فى الخلط بين الكتلة والحزام ، فالشرح الذى خلطت فيه احدى الدراسات ما بين الكتلة الافريقية والحزام ، حين قالت بأن مقترح ضم الاردن لحلف بغداد كان هدفه بأن لا يصبح أمام مصر إلا الاتجاه ناحية المغرب العربى ؛ وانه جاء طبقا للامانى الامريكية فى ايجاد رافد للحلف يتمثل فى انشاء حزام افريقى يمتد من القاهرة غربا حتى شاطئ المحيط الاطلنطى (*) وجنوبا ليشمل السودان والحبشة ؛ حيث توجد قواعد عسكرية امريكية ، ليمتد جناح آخر من القاهرة شرقا ليشمل السعودية ؛ حيث قاعدة الظهران العسكرية ، ثم ايران عبر الخليج العربى ، لم يكن تقديرها فيه موفقاً خصوصاً أنها لم تعتمد على وثائق تسند هذا الشرح . لهذا يمكن توصيف ما جرى استعراضه بأنه ما هو إلا عملية استكمال للحزام الشمالى بإيجاد رافد افريقي . بل يمكن القول بأنها حين قالت بأن تنفيذ خطة الحزام الافريقى يترتب عليها عدة اعتبارات استراتيجية منها ، أن الحزام يكون بمثابة عمق استرتيجى لكل الاحلاف العسكرية الامريكية ، فضلا عن اقامة هذا الحزام حول القارة الافريقية كان لمنع تسرب الشيوعية اليها.[٨٤] قد جانبها الصواب فى هذا القول ، فالحزام الافريقى الذى تحدثنا عنه فى المحور السابق لم يكن رافدا افريقيا لحلف بغداد ولم يكن غرضه اقامة حزام كامل حول القارة ككل ، بل كان فى صميمه مشروعاً تطويقيا لمصر والدول العربية التى رفضت الدخول فى حلف بغداد .

ولتصحيح هاتين الشبهتين لابد من الاجابة على السؤالين الآتيين : لماذا تم تحوير مشروع الحزام الافريقى من مشروع تطويقى لمصر لمشروع تعاونى معها ؟ ولماذا تم عرض مشروع الكتلة الافريقية فى النصف الثانى من عام ١٩٥٦ ، وما الهدف من عرضه ؟

هناك رأيين حول هذه المسألة : **الرأى الاول** ، يدور حول أن الرفض المصرى لدخول حلف بغداد وقيامها بتأليب الدول العربية ضده كان له يد فى طرح مسألة الكتلة ، والغريب أن هذا الرأى ورد فى نفس الدراسة التى خلطت بين الكتلة والحزام ، حيث قالت بأن الرفض المصرى للانضمام لحلف بغداد وتوقيعها اتفاقية التضامن العربى اكتوبر ١٩٥٥ ،[*] يقود الى ضرورة الايحاء بأن مصر تعمل على الاتحاد مع السودان والحبشة . وبدأت هذه الخطة متماشية مع نجاحهم فى قبول الأردن للانضمام لحلف بغداد رسميا فى نوفمبر ١٩٥٥ ، ومتماشية أيضا مع الشائعات التى وصلت لمصر فى مستهل سنة ١٩٥٦ بأن انجلترا تعمل على عزل القاهرة عن الشرق الأوسط بالتعجيل فى إقامة حلف بين مصر والسودان والحبشة . ورغم نفى انجلترا لهذه الشائعات إلا أن خطتها من استقطاب الأردن لعزل سوريا عن مصر حتى لا يصبح أمامها إلا خيار واحد وهو الكتلة الافريقية ، وتدخل عبدالناصر فى حوادث الاردن التى انتهت بطرد جلوب باشا فى مارس ١٩٥٦ وعدم انضمام الاردن لحلف بغداد.[٨٥] يدلل على أن مشروع الكتلة كان سابقاً لحرب السويس وأنه يرتبط بحلف بغداد ، لذا لم تكن الكتلة مظهراً للتعاون بل كانت بمثابة خطة لجر مصر بعيداً عن الدول العربية .

الرأى الثانى ، يشير إلى أن عرض مشروع الكتلة (فى سبتمبر ١٩٥٦) له علاقة مباشرة بتوابع تأميم قناة السويس ، فاستعراض الوثائق المصرية لمشروع الكتلة الافريقية مهم فى كونه يحدد الأطراف المشتركة ، ومن ثم يقدح فى نواياها ، حيث يحدد بأن الطرف الراعى للمسألة هو الولايات المتحدة ، والساعى لانشاء الكتلة هو اثيوبيا ، والوسيط هو السودان ، والهدف تمثل فى مصر . وبالنظر لتلك الأطراف وتوقيت العرض نكتشف التناقض بين مشروعى الكتلة والحزام . حيث تشير مذكرة مستشار السفارة المصرية بالخرطوم إلى أنه مشروع اثيوبى ، بدأ عبر

توسيط الامبراطور هيلاسلاسى لعبد الرحمن المهدى - الذى يرتبط معه بصداقة ترجع الى وقت التجاء الامبراطور الى السودان اثناء الاحتلال الايطالى للحبشة - بأن يفهم مصر بأن الكتلة الافريقية لا دخل للدول الغربية فيها بل هى لصالح البلاد الافريقية ذاتها ، وانه لابد من تعاون السودان على ازالة الجفاء بين مصر واثيوبيا، وأن موافقة مصر وعبدالناصر الذى يعمل لصالح العرب وتحرير شعوب افريقيا لهى مهمة فى تشكيل كتلة افريقية حرة بعيدة كل البعد عن الاستعمار والمستعمرين مخلصة لافريقيا ، إذ أن افريقيا للافريقيين (انظر الخريطة رقم ١) . وهذا يشير إلى أن المشروع فى ظاهره مشروعاً اثيوبياً خالصاً ، إلا أن تعليق السفارة لهو فى غاية الاهمية لمعرفة موقف الادارة المصرية من العرض . فحين قالت " بأن انشاء كتلة افريقية بزعامة مصر يتمشى مع خطة مصر نحو تحرير الشعوب الافريقية ، ولن يكون ذلك إلا إذا تخلص الامبراطور من النفوذ الامريكى " ، وحين أضافت " بأن السودان لن ينضم الى حلف بغداد أو الحزام الافريقى لأنه حريص على العلاقة مع مصر ".[٨٦] كان من الواضح بأنه لم يكن من السهل أن تنطلى حجج اثيوبيا على الادارة المصرية لقبول مشروع الكتلة ، فالوثيقة تقطع تماماً بأن الادارة المصرية كانت على وعى كامل باليد الامريكية التى تحركه .



خريطة رقم (١) مشروع الكتلة الافريقية

ويأتى خطاب الملحق العسكرى المصرى بالخرطوم ليكشف هذا التنسيق الكامل بين تيار حزب الامة والجانب الاثيوبى ، فيشير بأن المهدى قبل سفره لعرض المشروع على مصر تلقى رسالة من الامبراطور تتضمن بأنه مشروع لارتباط البلاد الافريقية المتشابهه فى المصالح والظروف ، وبأن نجاحه يعتمد على شخصية السيد عبدالرحمن ، وأنه رشح السودان لزعامة هذه الكتلة.(٨٧) وهذا ما يفسر التغطية التى قام بها المهدى خلال زيارته لمصر اول سبتمبر ١٩٥٦ حينما أرسل نجله الصديق المهدى إلى اثيوبيا بحجة العمل على محو الجفاء بين مصر واثيوبيا ، فى حين استخدم نفس الحجة وفى طيها عرض مشروع الكتلة بين البلدان الثلاث ، على أن تنضم لها الدول الافريقية مستقبلاً.(٨٨) والموقف المصرى كان واضحاً فى رفضه لمضمون الرسالة التى حملها المهدى من الامبراطور لعبدالناصر . فمذكرة ادارة الشئون الافريقية تشير بوضوح إلى صعوبة تصور اشتراك اثيوبيا فى الكتلة الافريقية التى تضم الشعوب الافريبية المتحررة وعلى رأسها مصر ؛ زعيمة العالم الاسلامى والعربى والعدو الاول للاستعمار ، والكتلة الغربية التى تقع اثيوبيا تحت نفوذها ، وأن مصر التى تدافع عن حق تحرير شعوب الصومال وارتيريا لا يمكن أن تلتقى سياستها مع اثيوبيا.(٨٩) ونحن ندعم هذا الرأى لأسباب ثلاث : أولها ، صعوبة تصور أن تنقلب سياسة اثيوبيا ما بين عشية وضحاها إلى انسجام وتعاون لصالح افريقيا ، وهى التى قبلت باعطاء قواعد عسكرية للغرب وكانت إلى وقت قريب على رأس المنادين بالحزام الافريقى . ثانيها ، ربما يكون لاشتراك اثيوبيا فى لجنة منزيس التى نشأت عقب مؤتمر لندن الاول لمعالجة مشكلة تأميم قناة السويس قد تم بالتنسيق مع الغرب لمعرفة الاتجاهات المصرية .ثالثها ، أن الرأى الأول الذى يطرح بأن مشروع الكتلة كان قبل التأميم لا يدلل على أن المشروع قد

عرض بالفعل على مصر ، حيث لم يزد عن كونه وضع مصر فى ظروف تدفعها باتجاه قبول المشروع عند عرضه .

ولما كان الرفض المصرى – كما تظهره الوثائق – واضحاً لمشروع الكتلة ، فإن الاستناد على ما نشرته مجلة أخر ساعة فى ١٠ اكتوبر ١٩٥٦ علـــى أن محـــور افريقى يتم بين مصر والسودان والحبشة بعد أن تم التمهيد له الشهر الماضى فـــى عواصم الدول الثلاث.[٩٠] لا يعتد به بل هو الذى تسبب فى هذا الالتباس . فمذكرة الادارة الافريقية فى ١٩٥٦/١٠/٢٤ تقول بأن انضمام مصر للكتلة الافريقية ، مع علمها بمطامع اثيوبيا فى ضم ارتيريا والصومال ، سوف يفقدها الكثير مما لها بين الشعوب المكافحة من أجل الحرية خاصة فى هاتين الدولتين ، حتى وإن اســتفادت مصر اقتصادياً ووقفت اثيوبيا بجانبها فى الامم المتحدة فى الحالات الدولية . لــذا استبعدت انضمام مصر للكتلة إلا فى حالة اخراج اثيوبيا من دائرة النفوذ الامريكية الأمر الذى يستبعد احتماله . وأنه إذا تم انشائها ستعمل على تدعيم نفوذ الأمريكان فى السودان وسترتمى الاحزاب السودانية فى أحضان اثيوبيا مما يــساعدها فـــى تحقيق مشروعها التوسعى . لذا ليس من صالح مصر الدخول مع اثيوبيا فى مثـــل هذا الحلف.[٩١] ومن ثم فإن الاسراع المصرى فى تقديم هدية من الاسلحة – يقـــدر ثمنها بمليون جنية – للسودان فى اكتوبر ١٩٥٦ ، يأتى فى إطـــار عـــدم اعطـــاء السودان ذريعة للدخول فى مشروع الحلف الذى تهدف له اثيوبيا ، وهو ما يفـــسر قيام حزب الامة برفضها ، لرفض وساطته فى مشروع الكتلة الافريقية.[٩٢] وثمـــة نتيجتين يمكن أن نخلص إليهما : الأولى ، أن القراءة المصرية الصحيحة للمشروع قد جعلها تحافظ على مؤيديها فى السودان بغض النظر عن تغير مواقف معارضيها باتجاه التعاون ، وهذا ما وفر وذرع الثقة لدى قطاع كبير مـــن الـــسودانيين فـــى السياسة المصرية تجاههم . الثانية ، أن هذا المشروع يأتى فى اطـــار المحـــاولات

التى قام بها الغرب للتحايل على مصر بجرها للاحلاف بطريقة غير مباشرة ، إلا أن يقظة الادارة المصرية ومعرفتها بالقوى المحركة له أسقط المشروع .

المحور الرابع- محاولة استكمال حلقات الحزام الافريقى :

يمكن القول بأنه بفشل مشروع الكتلة الافريقية لم يكن هناك بد من الرجوع لمشروع الحزام ومحاولة استكمال حلقاته ، وجرت فى هذا الأمر محاولات ثلاث كلها كانت سنة ١٩٥٧ :

المحاولة الاولى ، وكانت برعاية أمريكية – بريطانية بهدف استكمال الحلقة ما بين ساحل الذهب واثيوبيا . ولما كان معروفا بأن مشروع الحزام الافريقى يلقى هوى لدى اثيوبيا أكثر من مشروع الكتلة ، لكونه يتماشى مع طموحات ومطامع الامبراطور فى تكوين اثيوبيا الكبرى (تضم ارتيريا والسودان والصومال) ، فقد جعلها تدرك بأن مصر وامكانياتها وبتأثيراتها فى السودان تقف العقبة الحقيقية أمام حلمها ، ومن ثم لجأت الولايات المتحدة تحت حجة رعاية مصالح تلك الدول والمساعدة فى تحرير الشعوب الافريقية لمحاولة انشاء حلف افريقى بين اثيوبيا والسودان وساحل الذهب ، إلا أنه باشتراط عبدالرحمن المهدى اشتراك مصر فيه ، أمكن القضاء على الهدف الأصلى الذى كان يرمى الى عزل مصر وجذب السودان إلى تيار اثيوبيا وامريكا.[٩٣] وهذا لا يعنى تغيراً فى سياسة المهدى بقدر ما هو تخوف من تفسير سرعة تحوله من مشروع الكتلة التعاونى إلى مشروع الحزام تفسيراً خاطئاً يسئ إلى مركزه الداخلى .

وبالتالى فإن العقبات التى تقف ضد المشروع كانت تقضى تعاوناً بريطانياً أمريكياً وممارسة كافة أنواع الضغوط لخلخلة السودان عن موقفه . فراحت بريطانيا تلجأ لأسلوب التهديد بالترويج عن طريق أحد عسكرييها فى السودان فى سبتمبر ١٩٥٦ – خلال أزمة السويس – بأنهم لايمكنهم غزو مصر مباشرة ، لكن يمكنهم غزو

السودان من الجنوب عبر أوغندا ، وأنه فى هذه الحالة سينضم لواء عدن إلى المائة ألف جندى الموجودون على حدود السودان الأوغندية (فى حين قـدرتهم الوثيقـة بحوالى ١٩ الاف جندى).[٩٤] وبالمقابل راحت الولايات المتحدة الامريكية تعرض فى يناير ١٩٥٧ على رئيس وزراء السودان عبر سفيرها هناك اسـتعداد أمريكـا لتسليح الجيش السودانى وانشاء سلاح جوى بأحدث الطائرات ، بهدف واحـد هـو خلق سودان قوى يعتد به فى افريقيا يساند اثيوبيا ويقـف بجوارهـا جنبـاً إلـى جنب.[٩٥] إلا أن التقارير المصرية أشارت إلى أن تطور الظروف داخل الـسودان وضغط الرأى العام قد دفع الحكومة والمعارضة إلى الأخذ بسياسة خارجية واحـدة تتمشى إلى حد كبير مع أسس السياسة المصرية ، وأهم شئ هـو معارضـة كـل الأحلاف العسكرية العدوانية كحلف بغداد والحزام الافريقى.[٩٦] وهذا ما يفسر بأن نتائج حرب السويس كان لها دور كبير فى إصرار الغرب على قطع الشوط النهائى فى مشروع الحزام .

وبالمثل فإن اثيوبيا لم تتردد لحظة فى العودة لمشروع الحزام ، فأحـد تقـارير المخابرات الحربية يشير فى فبراير ١٩٥٧ بأن السفارة الاثيوبية فى السودان كانت تعمل بنشاط على تحقيق اتحاد بين اثيوبيا والسودان ، وأنها تعتمد على عبدالرحمن المهدى وميخائيل نجيب – أصبح نائبا لمدير وزارة الحكومـات المحليـة – فـى الدعاية لهذا الاتحاد ، تحت حجة تعرض استقلال اثيوبيا للتهديد إذا تمت وحدة بين مصر والسودان ، مما سيجعل مصر تصل ثانية لحدود كسلا.[٩٧]

بل إن أحد تقارير المخابرات الحربية يشير إلى أنه اذا كانت الرياضة قد تم توظيفها لخدمة الأهداف السياسية الخاصة بمشروع الكتلة الافريقية متمثلة فى الاتفاق علـى إقامة أول كأس لافريقيا فى كرة القدم ، فإن مباريات البطولة نفسها حملـت معهـا ملامح العودة لمشروع الحزام . فحينما جرت مباريات البطولة بين الدول الـثلاث

(السودان ، مصر ، اثيوبيا)على أرض السودان فى مارس ١٩٥٧ ، صحب الفريق الاثيوبى أمان عندوم (*)- شقيق ملس عندوم سفير اثيوبيا فى السودان والمحرض على مشروع الحزام - بوصفه رئيساً لاتحاد كرة القدم فضلا عن كونه من كبار ضباط الجيش وبصحبة عدد من الضباط الاثيوبيين . فحفل العشاء الذى أقامته سفارة اثيوبيا فى السودان للفريق الاثيوبى يختزل عملية العودة من جديد لمشروع الحزام، فقد دعى للحفل ١٣ ضابطاً سودانياً ، ودار حديثه معهم حول تكوين صلات وثيقة بين الجيش الاثيوبى والسودانى عقب عودته ، وأن الجيش الاثيوبى أحبط محاولة المصريين لقلب نظام الحكم فى اثيوبيا والاتيان بحكومة اسلامية.(٩٨) وبهذا يمكن القول بأن شهر مارس ١٩٥٧ شهد العودة من جديد لمشروع الحزام الافريقى ، وحسب تقدير إحدى الوثائق أن العودة للمشروع قد أرتبطت بظهور غانا كدولة غالبيتها من المسيحيين لتكون خير حلقة تستكمل بها اثيوبيا حزامها الافريقى.(٩٩) ومع كل ذلك ظل السودان هو الحلقة الأهم لاستكمال وصل طرفى الحزام اثيوبيا وغانا . ونخلص إلى أن التعاون والتنسيق الأمريكى البريطانى فى مشروع الحزام هو الذى عجل بظهور غانا ، ومن ثم فان الدراسة تلفت النظر الى أن التنسيق الاثيوبى - الغانى فيما بعد كان من نتائج مشروع الحزام ، وبالتالى فإن الاقتراب الغانى - المصرى فى فترة من الفترات لا يمكن تصوره بأنه جاء فى إطار حركة التحرر الافريقى بقدر ما جاء فى ظل اعتماد الغرب على هاتين الدولتين (اثيوبيا وغانا) فى توجية السياسة الافريقية نحو الوجهه التى يرونها ، وهذا ما يفسر اشتراكهما فيما بعد فى محاولة تحجيم الدور المصرى فى افريقيا .

وما ذهب اليه أحد تقارير المخابرات عن قيام بريطانيا بتمويل وكالة الاخبار الافريقية - التى ستفتتح فى ٥ يونيو ١٩٥٧ - لمنافسة وكالة الانباء السودانية (تمولها مصر) ولمقاومة نفوذها فى افريقيا ، ولنشر الاخبار والتعليقات المؤيدة

للكتلة الغربية ، ومهاجمة مصر بدس الاخبار الكاذبة عليها[١٠٠] يؤكد نجاح الدعاية المصرية المضادة ضد الحزام الافريقى وأنها قد أتت بثمارها . بل إن تفضيل الادارة المصرية لزيادة التبادل التجارى بين البلدين.[١٠١] كان أحد الوسائل لضمان عدم استقطاب السودان لأى أحلاف .

ومن ثم فإن الادارة الافريقية بالخارجية المصرية لم تكن أمامها إلا أن تحلل أسباب الاصرار والتقارب الامريكى الاثيوبى حول المشروع ، وخلصت بالنسبة لأمريكا بأن هدفها يتمحور حول التحكم فى مدخل البحر الأحمر لحراسة مصالحها فى حقول البترول وانشاء قاعدة عسكرية بعيدة عن مدى طائرات أعدائها ، تعتمد عليها فى القيام بعملياتها الحربية فى آسيا وشرق أوربا والاشراف على قواتها فى الشرق الأوسط . أما بالنسبة لاثيوبيا ، فقد أوردت عدة أسباب تجعلها تشترك فى أى حصار على مصر ، منها تأمين نظام الحكم خشية تأثير النظام الجمهورى ضد الاستبداد الملكى ، وتخوفها من الدعاية المصرية ضد معاهداتها العسكرية مع أمريكا ، وتحقيق أطماع الامبراطور التوسعية ، ومنع تغلغل نفوذ مصر والقومية العربية بين شعوب منطقة شرق افريقيا.[١٠٢]

وفى هذا الاطار يمكن فهم ما ركزت عليه سفارة مصر بأديس أبابا فى خطابها للخارجية المصرية فى ٢٨مايو ١٩٥٧ فى أمور ثلاثة : أولهما ، عدم الانسياق وراء السياسة الامريكية فى إيجاد عدم الثقة بين مصر واثيوبيا والمضى فى سياسة الحياد الايجابى . ثانيها ، تقوية الجبهة العربية خصوصا السودانية وتطمين اثيوبيا بأن دعوة مصر للحياد الايجابى بين الشرق والغرب هى لضمان الاستقلال والسيادة . ثالثها ، أن يعرف الامبراطور خلال زيارته القادمة لمصر أن الثورة تركز على بناء جبهة عربية وافريقية قائمة على

التعاون المشترك.(١٠٣) ومن ثم فإن ما طرحه سفير اثيوبيا فى الهند على سفير مصر هناك فى اغسطس ١٩٥٧ عن رغبة اثيوبيا فى توحيد السياسة الخارجية للدول الثلاث مصر واثيوبيا والسودان - كمقدمة للحلف الافريقى دون أن يقف مشروع ايزنهاور الذى قبلته اثيوبيا تحت ضغط ظروفها الاقتصادية الخاصة - عقبة فى سبيل هذا التعاون ، يعد من باب المجاملة الدبلوماسية ، فنهاية الخطاب تشير إلى تركيزه على يشيعه ما الغرب عن أهداف مصر التوسعية فى افريقيا.(١٠٤)

وتطورت أهداف المشروع فلم يعد مقتصراً فى هدفه على خلق دول افريقية تعارض النفوذالشيوعى أو مركزاً للقواعد العسكرية الغربية فحسب ، بل لتحجيم النفوذ المصرى الذى وصل لشرق ووسط افريقيا ، وأصبح يهدد مناطق الثروة المعدنية فى الكونغو البلجيكى أيضا . ومن ثم فإن المساعدات العسكرية الأمريكية لاثيوبيا قد زادت لتتواكب مع هذا التطور . فمنذ اكتوبر ١٩٥٦ - حينما وضع برنامج سنوى للمساعدات العسكرية - ليصل فى سنة ١٩٥٨ الى مبلغ ٥ مليون ومنحها ١٢ طائرة F ٨٦ ، ناهيك عن الاهتمام بالسلاح الجوى(١٠٥). لذا كان من الطبيعى ان تتقصى الادارة المصرية تلك المساعدات العسكرية كجزء من تقصيها لمشروع الحزام ، فقد جرت عملية متابعة لحركة السفن البريطانية والفرنسية والامريكية والاسرائيلية فى ميناء جيبوتى على البحر الاحمر ، بل إن تقريراً واحداً رصد الدعم الامريكى لاثيوبيا سنة ١٩٥٧ ، وقدره بـ ٣٥٠٠٠ قطعة سلاح ، ٢٠٠ مصفحة ، ١٥٠ دبابة ، ١٥٠ سيارة جيب ، ٧٥ سيارة نقل كبيرة ، ١٦ مدفع هاون و١٥ مدفع ميدان.(١٠٦)وهذا ما يفسر ذلك الدور الكبير الذى لعبته الادارة المصرية - حسب ما قالت به مذكرة ادارة الشئون الافريقية فى سبتمبر

١٩٥٧ - فى وقوفها ضد محاولات الاستقطاب الامريكى للصوماليين (الايطـالى والانجليزى) حتى لا يكونا مركزاً لقواعد عسكرية تنضم لمنطقة الحزام الافريقى ، فقامت بدعم الاتجاهات الصومالية التى تقاوم النفوذ الغربى ، وفضحت المؤامرات لتحويل بعض مناطق الصومال إلى قواعد جويـة ومحاولـة ضـمه إلـى حلـف بغداد.(١٠٧) وعلى الجبهة الاثيوبية ركزت الادارة المصرية بألا يقف مشروع الحزام حجر عثرة بين الطرفين ، بل راحت تنسق مع الروس - فى سنة ١٩٥٧ - فـى اثيوبيا فى تتبع نشاط الجبهة الغربية فى افريقيـا سياسـياً وعـسكرياً وتجاريـاً ، والاستفادة من تصريح الروس للمسئولين الاثيوبين بـأنهم يعارضـون الأحـلاف لعسكرية وإقامة أى قواعد حربية.(١٠٨) حيث رأت أن هذا يصب فى مصلحتها فـى إبقاء التعاون بين الطرفين موجوداً .

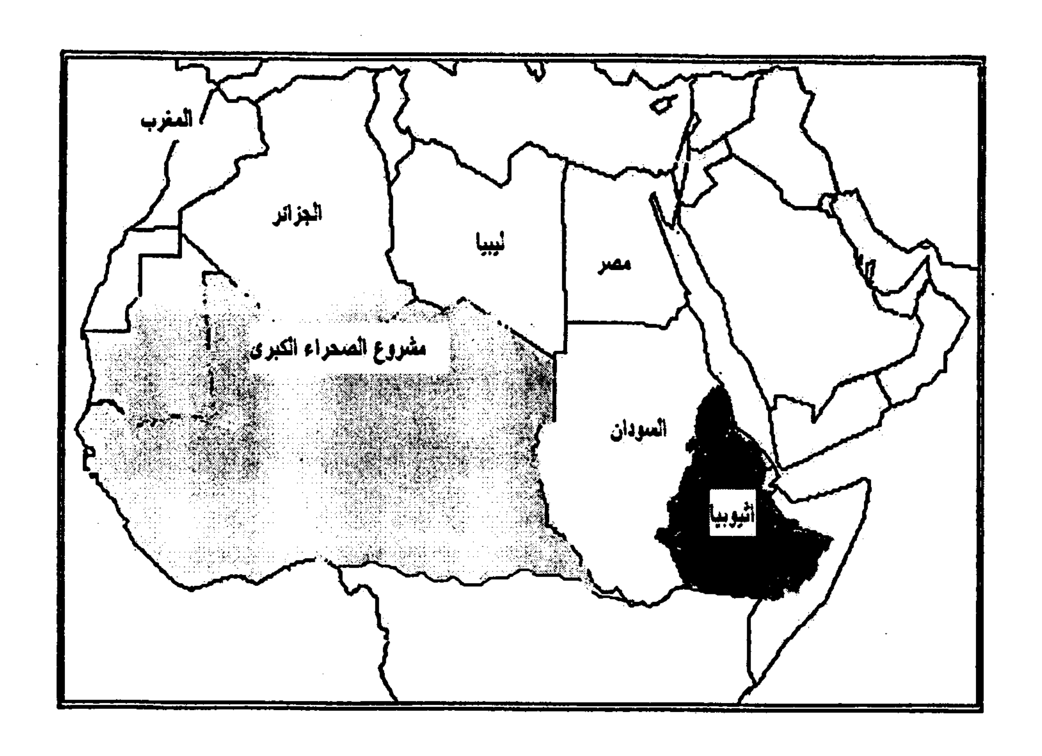
المحاولة الثانية بإثارة أطراف عربية(السودان والسعودية) ضد مصر ، فحينما لم يحدث تقدم فى مسألة الحزام الافريقى بالفشل فى جر الـسودان إليـه ، وتنـامى التعاون المصرى السوفيتى(١٠٩) وقيام السوفيت بتحريض مصر والدول العربية ضد إقامة كتلة عسكرية فى افريقيا سنة ١٩٥٧ ؛ بالترويج بأنها ضد مـصالح الـدول العربية وأنها أداة الاستعمار لاستغلال الشعوب.(١١٠) بحيث لم يعد بمقدور الأطراف الغربية السكوت علية ، من ثم لجأت الولايات المتحدة الـى وسـيلتين : **الوسـيلة الاولى** ، البدء فى إثارة ملف الحدود المصرية السودانية ، بعرض أمريكـى فـى مارس ١٩٥٧ للحكومة السودانية بانشاء قواعد عسكرية بمنطقـة (مهـد قـول) المتعارف عليها باسم (حلايب) ضمن استراتيجية أمريكية بتدشـين عـدة قواعـد عسكرية فى شرق افريقيا على البحر الاحمر ، ووجود اتصالات بين عبدالله خليل والولايات المتحدة واثيوبيا لاثارة هذا الملف.(١١١)

الوسيلة الثانية ، اثارة السعودية ضد مصر ، فبعد الرفض المصرى لمشروع ايزنهاور والهجوم عليه صراحة فى المؤتمر الافريقى الاسيوى (عقد بالقاهرة ١٩٥٧) اعتبرت الولايات المتحدة أنها تواجه خطرين ؛ الخطر الشيوعى والخطر الناصرى ، فشرعت فى إحداث تنافس بين السعودية ومصر عن طريق عقد المؤتمر الاسلامى واستغلال المكانة الدينية للسعودية كأداة لمواجهة الشيوعية ، وحدث تقارب فيما سمى بحلف الملوك راح يصب جام غضبه على مصر(١١٢). بل، إن الزيارة التى قام الملك سعود لاثيوبيا (وصل الجمعة ١٩ يونيو ١٩٥٧) رغم أن ظاهرها كانت لابعاد اسرائيل عن السوق الاثيوبى ، كانت تصب فى هذا الاتجاه ، ويظهر هذا فى تشكيك سفير الهند فى أديس أبابا فى أهداف الزيارة ، لإيجاد نوع من التناسق فى السياسة الخارجية بين البلدين.(١١٣) ومن ثم فإن توظيف السعودية للتنسيق مع اثيوبيا يمكن اعتباره مقدمة لما أصبح يتعارف عليه سنة ١٩٥٨ بحلف البحر الاحمر .

المحاولة الثالثة ، وتمت برعاية فرنسية بهدف إقامة مشروع الصحراء الكبرى فى الجناح الغربى للحزام الافريقى ؛ فى المنطقة الممتدة ما بين جنوب الصحراء الكبرى ومنطقة غرب افريقيا . فمنذ الترتيبات العسكرية الى قررها مؤتمر داكار سنة ١٩٥٤ ، لم يحدث تغيير إلا مع بروز مشروع الصحراء . بحيث ظل الجناح الشرقى من مشروع الحزام فقط هو الذى يرتبط بالشرق الاوسط ، فى حين أصبح الجناح الغربى مع حلول هذا المشروع مرتبطا بالبحر المتوسط ومشروع حلف شمال افريقيا (*) (انظر الخريطة رقم ١) . فقد رأت فرنسا أن انتصار عبدالناصر فى تأميم القناة وازدياد نفوذه فى اذكاء روح الوطنية فى الشعوب العربية سيشجع شمال افريقيا على المطالبة بالتحرر التام من الاستعمار الفرنسى وما يعقب ذلك من تشجيع لسكان غرب افريقيا الفرنسى على التحرر والعصيان . وهذا ما يفسر تزايد

التأثير المصرى عبر وبعد أزمة السويس فى كلا المنطقتين.(١١٤) لذا وضعت كتيبات فرنسية هدفها مهاجمة النفوذ المصرى فى افريقيا ، مروجة بأن عبد الناصر هدفه السيطرة على تلك الشعوب ، بل قاموا بطبع كتاب فلسفة الثورة ووزعوه على اعتبار أنه انذار للشعب الفرنسى عن الاستعمار الناصرى.(١١٥)

ورغم أن هذه المحاولة قد أرتبطت ظاهرياً بهدف اقتصادى ، بحيث كانت تقضى باستقطاع الصحراء الجنوبية لدول المغرب العربى لتضاف لصحراء غرب افريقيا الفرنسية لاستغلال مواردها ، إلا أن هدفها السياسى والعسكرى كان واضحاً . فتكامل هذه الحلقات كان غرضه توطيد أقدام المستعمرين فى افريقيا . لذا اعتبرته ادارة الشئون الافريقية بأنه ضد القومية العربية والتأثير المصرى (انظر الخريطة رقم ٢) . وقالت بأن هناك اتفاق بين الدول الغربية لتمويل المشروع الذى اتخذ مسميين " مشروع الصحراء " أو " وحدة أوروبا وصحراء افريقيا " ، ومن أهم الاسماء التى وضعت له " أورو- افريكا Euro-Africa " وربطت بينه وبين دخول المنطقة من السلوم وحتى المحيط فى حلف عسكرى لتعزيز مركز فرنسا فى حلف الاطلنطى.(١١٦) وحتى يمكنها عمل عمق داخلى لحلف شمال افريقيا بحيث يصبح لها امتداد رأسى من البحر المتوسط إلى وسط افريقيا .



خريطة رقم (٢) مشروع الحزام الافريقى

من إعداد الباحث توضح المحاولات التى جرت لاستكمال حلقات مشروع الحزام الافريقى

وما أشارت إليه مجلة نهضة افريقيا سنة ١٩٥٧ بأن المنطقة لم تقتصر أهميتها على مواردها الاقتصادية فحسب ، بل على أهميتها الاستراتيجية أيضاً. (*) وأن الهدف الأساسى من المشروع كان ربط هذه المنطقة بالأحلاف الغربية حتى تتصل حلقات الاحلاف كحاجز عن المناطق الافريقية . وهذا ما جعل فرنسا مهتمة بمقاومة تيار القومية وطرحت وضعها تحت سلطة عسكرية.(١١٧) لهذا نبه تقرير إدارة الشئون الافريقية بأنه إذا أصبح مشروع الصحراء حقيقة واقعة فإن الحلقات ستترابط ، لتصبح مصر بين فكى حلف شمال افريقيا وحلف بغداد . وتصبح من وجهة نظر أوروبا عازلاً مانعاً من مواصلة استكمال حلقات السلسلة . ويشتد الضغط الاقتصادى من جهة وحرب الاعصاب من جهه أخرى . وهو فى رأيهم سيدفع لحلين إما اندفاع مصر للكتلة الشيوعية ، أو إلى الكتلة الغربية ، وفى كلا الحالتين تأثير على القومية العربية التى كافحت مصر لابرازها طوال السنين الأربعة الماضية (قبل سنة ١٩٥٧) بالجهد والدم.(١١٨) وبالتالى يمكن القول بأن مشروع الحزام فى طرفه الغربى كان يهدف لنفس ما كان يهدف اليه فى طرفه الشرقى ؛ وهو وضع مصر كماشة بين حلف بغداد من ناحية والحزام الافريقى من ناحية أخرى .

وقدرت الادارة المصرية بأن مشروع الصحراء يفوق كل المشروعات السابقة خطورة ، حيث يشكل ضربة لحركة التحرر الافريقى ، بما يهدف إليه من استقطاع الصحراء الجنوبية من المغرب والجزائر وربطها بموريتانيا والسنغال وداهومى والنيجر والسودان الفرنسى وغينيا وساحل العاج ، ولتعمل فيه شركات فرنسية والمانية وبلجيكية وهولندية . وربما تأتى مبالغة الادارة فى تقديرها لخطورة المشروع ناتجة من أن ممثل شركة قناة السويس المنحلة كان يصحب الداعية الفرنسى للمشروع فى المفاوضات حوله ، وأن البنك الدولى للانشاء والتعمير

سيموله ، وأنه كان يلقى تأييداً تونسياً وامريكياً ، فشعرت بأن هناك تنسيقاً بين المشروع الجديد ومشروع حلف شمال افريقيا ، لذا راحت تقدر بأن أسوأ ما في المشروع ما سيلحق بمحانة مصر المرموقة فى افريقيا السوداء خصوصاً فى غربها. فنجاح المشروع سيضعف مركزها بمنع دعوتها بحرية الشعوب من الوصول الى هناك ، وأن هذا سيأمن الغرب من زحف التيار الوطنى المتحرر . ويخلص التقرير إلى أن مصر بهذا المشروع تواجه ضغطاً شديداً من جانب فرنسا هو فى الواقع أضعاف الضغط البريطانى . ويمكن لمصر إذا التزمت الحيطة والحذر – خاصة وأن المشروع فى دور الاعداد – أن تنجح فى ألا يخرج إلى عالم التنفيذ بخطورته.(١١٩) ونخلص من ذلك إلى أن دعم مصر لحركات التحرر فى منطقة الغرب الافريقى لم يكن بسبب العامل الدينى فقط ، بل إن المصالح الاستراتيجية كانت تقضى بوجوب تقديم هذا الدعم ، ومن ثم فإن الوعى المصرى بمشروعات الدفاع الغربية حتم عليها ولوج كافة السبل لرعاية مصالحها .

المحور الخامس – مصر ونهاية مشروع الحزام الافريقى :

لقد توافقت سياسة القوى الدولية والاقليمية سنة ١٩٥٨ على أن الخطر لم يعد متمثلاً فى الاتحاد السوفيتى بقدر ما هو متمثل فى مصر . فقد تسبب التقارب المصرى الروسى فى إحداث تخوف غير مسبوق من قبل الحكومات الغربية على نفوذها واستثمارتها فى افريقيا.(١٢٠) ولهذا تبنى الغرب فى تلك السنة سياسة تهدف الى ضرورة عزل مراكش وتونس وليبيا عن مصر ، واستمرار الخلافات بينها وبين السودان ، وايقاع الخلاف مع العراق والروس ، والرجوع إلى سياسة عزل مصر حتى يتم التفاهم مع الغرب على قاعدة تضمن مصالحة فى المنطقة . وهذا ما يفسر التركيز المصرى على تصفية الخلافات مع الدول العربية لتفويت الفرصة على الغرب.(١٢١) ومن ثم فان حصار مصر وتطويقها أصبح هدفا للغرب . لذا

يعتبر عام ١٩٥٨ هو عام التحول الحقيقى لمصر فى افريقيا ، فقد بلغ التأثير المصرى حداً لا نظير له من قبل . وحينما لم يعد بمقدور الولايات المتحدة وبريطانيا استكمال الحلقة الأخيرة من حلقات الحزام الافريقى ، كان لابد من اعادة صياغته ، بحيث يتم استبعاد فكرة استقطاب دول افريقية لاثيوبيا – كما حدث من قبل فى مشروع الكتلة الافريقية – وضم دول عربية بدلاً منها لإحكام الحصار حول مصر ، ومن ثم خرج حلف البحر الاحمر. إلا أن الدعوة لهذا الحلف لم تستمر طويلاً ، فأعيد التفكير من جديد فى مشروع الحزام . ومن ثم يمكن القول بأن نهاية المشروع قد اتخذت شكلين :

الشكل الاول ، تمثل فى التحايل على مشروع الحزام بإعادة صياغته تحت مسمى حلف البحر الاحمر . فيبدو أن النجاحات التى حققتها الادارة المصرية فى غانا سنة ١٩٥٨ قد أحدثت ارتباكا لخطط الغرب(١٢٢) بحيث شكلت ضربة قوية لأهدافهم التى يبغونها من استقلال غانا فى انجاح مشروع الحزام ، لذا عملت الولايات المتحدة على ضرورة جذب السودان للمشروع تحت أية صيغة اخرى . وعملت على تحريضه للمناداة بحلف البحر الاحمر ، بأن سعت للترويج لاثارة التناقض بين الدول العربية بأن مصر أصبحت تأتمر بأمر السوفيت ، معتمدة فى ذلك على نفوذها الواضح فى اثيوبيا والسعودية.(١٢٣)

ويشير خطاب سفارة مصر بالخرطوم فى ١٠ مارس ١٩٥٨ الى أن الدعوة لحلف البحر الاحمر هى دعوة سودانية . فرغم أن السفارة سمعت بأخبارها لأول مرة من الشيخ عبدالرحمن الحليسى سفير السعودية فى السودان إلا أن الخطاب أشار إلى أن تصريح عبدالله خليل لمندوب رويتر عن أمله فى عقد معاهدة دفاعية اقتصادية مع السعودية واثيوبيا ، على أن تنضم لها العراق وليبيا كبلاد تشاطره وجهة النظر فى تفضيل المعسكر الغربى مستقبلا ، كان مقدمة لتكوين هذا الحلف.(١٢٤) وتأكد هذا

فيما بعد عندما نشرت جريدة الرأى العام السودانية فى عددها الصادر فى ٣ مـايو ١٩٥٨ ترجمة لمُقال نشرته مجلة نيوزويك الامريكية فحواه " أن وزارة الخارجية البريطانية تدرس اقتراحاً تقدم به رئيس وزراء السودان لعقد حلف يضم السـودان واثيوبيا والسعودية ، وذلك لأن احساس هذه الدول الـثلاث بالتوسـع السـوفيتى والمصرى نحو البحر الاحمر والصومال قد قرب بينها ".[١٢٥] ومن ثم يعـد هـذا تطوراً جديداً فى الموقف السودانى ، فاذا كانت لم تستطع فى مـسألة الحـزام أن تجهر بها من قبل ، فإنها فى هذا المشروع الجديد هى التى نادت به .

لذا اهتمت الادارة المصرية بالدوافع من وراء محاولة تكـوين هـذا الحلـف فوجدتها فى أربع : أولها ، انه جاء رداً على انضمام اليمن للجمهوريـة العربيـة المتحدة . ثانيها ، أن هدفه تمثل فى عزل مصر بعمل عمق جنوبى لحلـف بغـداد لرفضها اعطائه هذا العمق ، والسعى لضم العراق من جهة الشرق ، وليبيـا مـن جهة الغرب ، ثم اثيوبيا والسودان والسعودية . ثالثها ، أن حجة السودان لـدخول الحلف – حسب ما ذكره عبدالله خليل – أنه ضعيف عسكرياً ، وأن ماليته لا تسمح بتكوين جيش وطنى للدفاع عن أراضيه الشاسعة لذا يحتاج الدخول مع قوى كبرى لها امكانيات عسكرية واقتصادية يعتمد عليها.[١٢٦] رابعها ، أن دعـوة الـسودان للحلف تعد مبرراً للابتعاد عن مصر . فالحكومة الائتلافية بـين حـزب الـشعب الديقراطى وحزب الأمة رغم اعلانها بأنها ضد سياسةالاحلاف ، إلا أن قولها بأن جميع الدول المحيطة بالسودان ، وهى أوغندة وارتيريا واثيوبيا والكونغو البلجيكى والسودان الفرنسى وليبيا ومصر، والتى يخشى السودان من الاعتداء عليـه مـن قبلها، تسير فى فلك الغرب عدا مصر ، وانه اذا حدث واعتدت احدى هذه الـدول على السودان فهل سيقبل الدخول فى حلف عسكرى مع الشرق ؟ وحتى اذا قبل فهل توجد أحلاف شرقية فى افريقيا ؟ لذا رأوا فى مشروع ايزنهاور الضمان الكافى لهم

. لذا لم يكن مطروحاً الدخول فى حلف ثنائى مع مصر مثلما يطالب الحزب الوطنى الاتحادى.(١٢٧) ومن ثم تأكدت الادارة المصرية أن السودان هذه المرة هو الذى يسعى لاقامة حلف ضدها .

ورغم ما أشار اليه الملحق العسكرى المصرى بالسودان فى ٢٩ مارس ١٩٥٨ بأن عملية دخول السودان الى الحلف الافريقى أو حلف البحر الاحمر قد هبطت بعد الاحداث التى جرت فى السعودية.(١٢٨) إلا أن الحكومة السودانية استمرت فى طرحه ، ومن ثم راحت التقارير المصرية ترصد الميول غير العربية لحزب الامة ، وانه لو اتيح لها الأمر لانسحبت من الجامعة العربية واتجهت لافريقيا . وقالت بأن مؤتمر أكرا (ابريل ١٩٥٨) لعله فرصة طيبة ليصول فيها الحزب ليؤكد اتجاهه الافريقى وذلك بدعم من الولايات المتحدة الامريكية. (١٢٩) واستنكرت مصر هذا الحلف ، وبدا هذا الاستنكار واضحا فيما ذكره عبدالله خليل للملحق العسكرى بالسفارة المصرية بالخرطوم ، بأنه لم يقصد بتصريحه عن حلف البحر الاحمر كلمة حلف ، لأن سياسته ضد الاحلاف ولكن ما يعنيه هو الدخول فى اتفاقيات ومعاهدات مه الدول المجاورة .(١٣٠)

وكان هذا التحول من مشروع الحزام لمحاولة تكوين حلف البحر الاحمر قد أدى بالادارة المصرية للاهتمام بالاسترتيجية الغربية فى افريقيا بصفة عامة والبحرالاحمر بصفة خاصة ، فعلى المستوى الافريقى راحت تعيد ترتيباتها لبحث التطورات الأخيرة فى افريقيا فى ضوء استعداد بلاد كثيرة فى طريقها للاستقلال ، ومن ثم بحثت فى وجوب تنظيم سياسة ثابتة واضحة المعالم.(١٣١) وعلى مستوى البحر الأحمر راحت تستطلع مركز القوات الغربية عند مدخل هذا البحر.(١٣٢) وفى هذا السياق مثلت تقارير مكتب الجمهورية العربية المتحدة بالصومال مصدراً مهماً لمتابعة التحركات البريطانية . فتابعت فى يونيو ١٩٥٨ وصول بارجة عليها

١٦٠٠ جندى لميناء ممبسة ، وتابعت عملية انشاء القواعد العسكرية فى كينيا فى كهاوة ونيروبى.[١٣٣] ولكن عدم امكانية تكوين حلف البحر الاحمر أدى الى العودة من جديد لطرح مشروع الحزام الافريقى .

الشكل الثانى ، تمثل فى فشل عملية احياء مشروع الحزام الافريقى من جديد . حيث لعبت المعونة الأمريكية الدور الأساسى فى محاولة احياءه سنة ١٩٥٨ . فما أثير خلال القراءة الثالثة لاتفاقية المعونة الأمريكية للسودان فى البرلمان فى يوليو ١٩٥٨ بشأن رغبة أمريكا فى إنشاء مطار ذرى فى حلايب على ساحل البحر الاحمر ، طرح من جديد مسألة الحزام الافريقى ، ذلك الحلم الذى ساور رجال الحرب فى الكتلة الافريقية . إلا أنه لقى معارضة كبيرة داخل البرلمان ، لعل أشهرها ما أثاره البكباشى أحمد مختار بقوله " بأن الحزام تم بالفعل ولم يبق منه الا الجزء الذى يربط طرفيه ، وأن السودان هو هذا الجزء " وذكره " بأنه إن رضينا لانفسنا أن نكون جزءا من هذا الحزام نكون قد جعلنا سوداننا جزءا من أرض المعركة المرتقبة ،حيث تصبح خط المؤن الحربية الرئيسى ".[١٣٤] واذا كان هذا الرجل العسكرى يعترف صراحة بأن المشروع قد نفذ على أرض الواقع (انظر الخريطة رقم ٢) ، فإن نجاح مصر فى افشاله داخل السودان قد قضى تماماً على امكانية تنفيذه ، ومن ثم كان إسقاط حكومة عبدالله خليل بمثابة رصاصة الرحمة الأخيرة فى جسد المشروع .

ومع أن تشديد مؤتمر الأمن القومى فى واشنطن – عقد فى نوفمبر ١٩٥٨ – وتأكيده على ضرورة إبعاد السودان عن سيطرة مصر ، ودفعها بضرورة توثيق علاقاتها بالدول الافريقية وخاصة اثيوبيا.[١٣٥] يصب فى الاصرار الامريكى على إحياء مشروع الحزام ، إلا أن المشروع لم تكتمل أطرافه ، ولهذا راح البعض يقول بوجود أصابع مصرية فى الانقلاب العسكرى الذى تم فى السودان فى ١٧ نوفمبر

١٩٥٨. فشكوك الادارة المصرية فى توجهات حكومة عبدالله خليل طرح بامكانيـة أن يكون لها يد فى انقلاب عبود ، للقضاء نهائياً على احتمالية عودة التفكير مـن جديد فى مسألة الحزام الافريقى .

على أية حال يمكن القول بأنه رغم المحاولات التى بذلت لاحياء مشروع الحـزام الافريقى من جديد ، الا أن المشروع لم تواتية الفرصة للظهور مرة ثانية لأسـباب ثلاثة : **أولها** ، سقوط حكومة عبدالله خليل ، وما يعنينا هنا ، هـل كـان لـلادارة المصرية صلة بهذا السقوط ؟ وللاجابة يمكن القول بأن تخوفها من قبول الحكومـة السودانية لمشروع الحزام بعد فشل دعوتها فى تكوين حلف البحر الاحمر هو الذى قاد الى ضرورة اسقاطها . وفى هذا الاطار يمكننا النظر فـى موقـف الحكومـة السودانية المتعنت ضد مصر ، فقيامها بطرد الملحق العسكرى السابق على خـشبة – أرسلته القاهرة ليعمل مستشاراً مدنياً بعد نقله لوزارة الخارجية فـى أول يوليـو ١٩٥٨ – بعد أربعة أيام من وصوله.[١٣٦] يدلل على تخوف الحكومة من أن يكلف هذا الملحق بمهام أخرى ضدها . ومن ثم يمكننا أن نفهم لماذا فسر عبدالله خليـل مقابلة عبدالناصر لاسماعيل الازهرى والشيخ على عبدالرحمن فى نوفمبر ١٩٥٨ على أنها تنسيقا مع مصر لتغيير نظام الحكم ، فسلم الحكم للعسكريين بقيادة ابراهيم عبود . ورغم أن البعض قال بأن تحرك العسكر قد جاء من وحى انفسهم.[١٣٧] إلا أن إرسال خطة الثورة للادارة المصرية ، وقيامها بتأييد الانقلاب العسكرى يـشير إلى دورها فى سقوط عبدالله خليل وحكومته.[١٣٨] وبالتالى لم تعد هناك أى فرصة لإحياء مشروع الحزام مرة ثانية .

ثانيها ، تغير وضع أمريكا فى الصومال منـذ سـنة ١٩٥٨، فزيـادة مـصالحها الاقتصادية والعسكرية وزيادة عدد الامريكان جعلها تتخلى عـن دعمهـا لتكـوين اثيوبيا الكبرى ، فقد أصبحت الصومال تمثل مع كينيا وعدن أهمية عسكرية كبيرة

لامريكا.[١٣٩] وظهر هذا بوضوح فى الاقتراب الاثيــوبى الــسوفيتى منــذ ســنة ١٩٥٩[١٤٠]. ومن ثم فإن ابتعاد أهم ركنين أساسين عن مشروع الحزام الافريقــى (السودان واثيوبيا) ، قد أنهى تماماً أية امكانية لعودته ، ومن ثم ركزت الولايــات المتحدة على أن تتمركز استراتيجيتها العسكرية فى منطقة القرن الافريقى ومــدخل البحر الاحمر .

ثالثها ، اهتمام الرأى العام الاثيوبى بتصاعد القومية العربية ، فقــد كــان اعــلان الوحدة المصرية مع سوريا ، ثم سقوط حلف بغداد بقيام الثورة العراقيــة فــى ١٤ يوليو ١٩٥٨ ، مصدر قلق لاثيوبيا ، فاحساسها بأنها محاطــة ببحــر اســلامى ، ومهددة بزحف عربى إن لم يبدأ من الداخل ؛ حيث الغالبية مسلمة ، فقد يبدأ مــن الخارج ؛ حيث الغالبية عربية فى ارتيريا والصومال.[١٤١] قد جعلها تنزعج مــن تخلى مصر فى تلك السنة عن اسمها التاريخى لتصبح الجمهورية العربية المتحــدة لتعلن بوضوح هويتها العربية . وبالتالى تمثلت الخشية من أن طرح المشروع من جديد قد يتسبب فى قيام مصر بتقديم الدعم للارتيريين والــصوماليين باعتبــارهم عرب.[١٤٢] وبالتالى لعبت هذه الشكوك دوراً مهماً فى إبطال أية امكانيــة لإحيــاء المشروع من جديد .

خاتمــة :

تخلص الدراسة الى عدد من النتائج أهمها :-

* أثبتت الدراسة بأن المصالح الأمنية والاستراتيجية والاقتصادية المصرية هي التى فرضت الاتجاه المصرى الواضح منذ منتصف الخمسينيات نحو افريقيا ، وأن مشروع الحزام الافريقى بأبعاده الأيديولوجية والثقافية والعسكرية المتسقة مع رؤية القوى الغربية ، كان أحد الدوافع الرئيسية لهذا التوجه . وأن ذات المصالح هى التى أوجبت على مصر متابعته ، فحينما فشلت القوى الغربية فى اقناع مصر بإمكانية التنازل لها عن السودان مقابل موافقتها على مشروع الشرق الاوسط ، راحت توظف السودان نفسه ضد مصر بسحبه للحزام الافريقى ، وفى هذا السياق قدمت لنا الدراسة فهماً جديداً لتصاعد تيار الاستقلال فى السودان .
* قالت الدراسة بأن مصر كانت محوراً للتطورات التى لحقت بمشروع الحزام بداية من فكرة الترتيبات العسكرية مروراً بمشروع الحزام ثم تحويره إلى الكتلة الافريقية ثم الرجوع لمشروع الحزام ثانية . وقالت بأن فشل القوى الغربية فى تكوين حزام افريقى ضد مصر جاء بسبب الوعى المصرى بالمخططات الغربية وقيامها بربط مقاومتها لتلك المشروعات بمجتمعات محلية رافضة ، ولهذا استطاعت افشاله فى السودان وفى غرب افريقيا .
* طرحت الدراسة بوجوب اعادة النظر فى الدور الاثيوبى والغانى فى توجيه سياسة افريقيا بمباركة من القوى الغربية ، وبوجوب اعادة قراءة المشروعات الغربية المشتركة مع هاتين الدولتين وأثرها على مجرى العلاقات المصرية الافريقية منذ نهاية الخمسينيات . بل إن الدراسة لا ترى غضاضة فى القول بأن الدور الاثيوبى المرتبط بالاستراتجية الغربية لم يتغير حتى الآن ، متمثلاً فى

سعيها الدائم لاحداث قلاقل بين مصر والسودان ، وفى نجاح سياستها فى مسألة جنوب السودان وفى الصومال .

* أثبتت الدراسة أن مصر لم تستسلم للحصار المفروض عليها عبر تطورات مشروع الحزام ، فقد كان فى امكانها أن تنفذ خلف خطوط الحصار هذه ، ومن ثم فإن ارتباطها بالقضايا الافريقية جاء ارتباطاً صادقاً نابعاً من مصالح حقيقية وليست مصطنعة .

* تدعى الدراسة بأن المشروع إذا كان قد فشل فى جانبه العسكرى ، فإنه حقق نجاحاً فى جانبه الثقافى والسياسى ، بتكريسه حداً فاصلاً بين افريقيا شمال الصحراء وافريقيا جنوب الصحراء ، لا زال إلى الآن يشكل عائقاً أمام المحاولات العربية المستمرة لمد جسور التواصل الذى كان مستديماً مع تلك المنطقة فى فترات تاريخية سابقة .

الهوامش

(*) للمزيد انظر ، حلمى شعراوى :- فى ثقافة التحرر الوطنى ، مكتبة مـدبولى ، ٢٠٠١ ، ص ص ١٧٧ ، ١٧٨ ، وكذلك انظر ، محمد فائق :- عبدالناصر والثورة الافريقيـة ، مطبوعـات ثورة يوليو (٥)، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، ، ط ٥ ، القـاهرة ، ٢٠٠٢ ، ص ص٢٩ -٣١، وكذلك ، محمد عبدالعزيز اسحق :- نهضة افريقية ، الهيئة المصرية العامة للكتـاب ، ١٩٧١ ، ص ص ١٥ ، ١٦ ، وكذلك ما قال به فى اعداد متفرقة من مجلة نهضة افريقية .

(**) هناك اهتمام كبير لقيه المشروع من قبل جهات مصرية عديدة ممثلة فـى ادارة المخـابرات الحربية وادارة افريقيا (تحولت فيما بعد لادارة الشئون الافريقية) ، وادارة شئون السودان (الغيت سنة ١٩٥٦) ، هذا بالاضافة الى جهود السفارتين المصريتين باثيوبيا والسودان ، فقـد شـكلت تقارير هذه الجهات مادة كبيرة لرصد ذلك المشروع .

(***) فقد وردت فقرة فى دراسة أمانى محمد كمال الدين احمد :- العلاقات المصرية الـسودانية ١٩٥٣ - ١٩٦٩ ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، كلية البنات ، جامعة عين شمس ، ص ١٥٨ ، واشارات عابرة فى دراسة عبدالرؤوف احمد عمرو :- تاريخ العلاقات المـصرية الامريكيـة ١٩٣٩ - ١٩٦٣ ، سلسلة تاريخ المصريين ، العدد ٤٦ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩١ ، ص ص ٢٥٠ - ٢٥٤ ، واشارات لحلف البحر الاحمـر فـى دراسـة ، عبدالحميـد عبدالجليل شلبى :- مصر فى العلاقات العراقية السودانية ١٩٥٥ - ١٩٥٨ " دراسة وثائقية " ، مصر الحديثة ، العدد الاول ، مركز تاريخ مصر المعاصر ، دار الكتـب والوثـائق القوميـة ، القاهرة ، ٢٠٠٢ ،ص ص ٢٢٠ - ٢٢٢ .

(١) فحسب الاتفاق الذى تم بين منليك الثانى وفرنسا فى نهاية العقد الاخير من القرن ١٩ برسـم حزام عرضى من حدود المستعمرات الفرنسية فى الغرب يمتد حتى اثيوبيا فى الشرق ، مقابـل حصول الامبراطور على الاراضى التى تقع حتى النيل الابيض . وبالفعل خرج جـيش اثيـوبى بقيادة ضابط فرنسى فى ديسمبر ١٨٩٧ ولم يتقابل مع الجيش الفرنسى بقيادة مارشان الذى وصل فى يوليو ١٨٩٨ إلى فاشودة للوقوف ضد الامتداد البريطانى للجنوب ، انظر ، زاهر رياض :-

مصر وافريقيا ، الطبعة الاولى ، مكتبة الانجلو المصرية ، القــاهرة ، ١٩٧٦ ، ص ص ١٧٨ ، ١٧٩ .

(٢) كانت هناك ثلاث مشروعات استراتيجية تدور حولها الدول الثلاث ، فقد كان هناك مــشروع توسعى ايطالى يستهدف وصل المستعمرات الايطالية فى منطقتى البحر الاحمر والبحر المتوسط ، على غرار مشروع بريطانيا الطولى بين القاهرة فى الشمال والكيب فى الجنوب ، ومــشروع فرنسا العرضى للربط بين جيبوتى فى الشرق والسنغال فى الغرب . إلا أنــه خــلال الحــرب العالمية الأولى وضع تصور جديد لسيطرة بريطانيا على ارتيريا والسودان واعادة بعض مناطق من اثيوبيا إلى السودان وقبول حماية ايطاليا على الحبشة وجيبوتى والصومال البريطــانى مــع تعويض فرنسا فى اوربا ، للمزيد انظر ، السيد فليفل :- تصور بريطانى للخريطــة الــسياسية للقرن الافريقى والسودان والحبشة بعد الحرب العالمية الاولى – وثيقة جديدة – ، فــى اعمــال الندوة الدولية للقرن الافريقى ١-٧ يناير ١٩٨٥ ، الجزء الثانى ، معهــد البحــوث والدراســات الافريقية ، مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعى ، ١٩٨٧ ، ص ص ٥٤٩ ، ٥٥٨ .

(٣) فقد كانت الولايات المتحدة تدرك بسابق خبرتها لاستخدام القواعد المصرية خــلال الحــرب الثانية بأن أهميتها الاستراتيجية لا تقارن بأى مكان آخر، وتدرك أنها ملتقى لقارتى آسيا وافريقيا وملتقى للطرق الجوية والبرية والبحرية المؤدية إلى مناطق النحاس واليورانيوم فى افريقيا وآبار الزيوت فى الجزيرة العربية وايران ، للمزيد انظر ، النشرة السرية رقم ٢ الى البعثات التمثيليــة بالخارج وادارات اقسام الوزارة ، ادارة الشئون العربيــة ،وزارة الخرجيــة ، ملــف ٤ رقــم ٤٦/٤٠/٩ النشرة السرية للادارة العربية ، محفظة ٢٨٣ .

(٤) اتسع مفهوم الشرق الاوسط نفسه بعد الحرب العالمية الثانية بحيــث شــمل العــالم العربــى وافغانستان واثيوبيا وتركيا وايران و Smith C.G. :- The Emergence of The Middle East, Journal of Contemporary History ,Vol.3,No.3,The Middle East (Jul.1968)PP.7,8.

(٥) فهى التى كانت مسئولة عن تدريب الاثيوبيين خلال تلك الحرب فى مجال الاســلحة الجويــة والطيران ، للمزيد انظــر ، Shack William A :- Ethiopia and Afro-American : Some Historical Notes ,1920-1970, Phylon (1960-)2ND Qut.1974, Vol.35, (Oct.1971) No.2,PP.150,151.

(6) حيث نجحوا فى اقامة عدة تحالفات عسكرية المعروفة بالناتو (1949) وانــزوس ANZUS (1951) وسياتو (جنــوب شــرق اســيا) SEATO (1954) وســينتو CENTO (حلــف بغداد1955)حيث غطت هذه التحالفات معظم العالم غير الشيوعى ، للمزيد انظــر ، Lawrie Gordon :- Britain's Obligations Under The Simonstown Agreements : A Critique of The Opinion of The Law Officers off The Crown, International Affairs (Royal Institute of International Affairs 1944) Vol.47, (Oct.1971) No.4,P.709.

(7) خطاب السفير محمد عبدالعزيز بمفوضية مصر بروما الى حضرة صاحب المعــالى وزيــر الخارجية بخصوص حديث مع سعادة السكرتير الدعائى لوزارة الخارجية الايطالية ، فــى 16 يونيو 1950، ملف 7 محفظة 205 ، سرى جديد ، خارجية ، ص 3 .

(8) أحمد الشربينى :- مصر والغرب فى المشروع الاقليمى للدفاع عن الشرق الاوسط " اعقــاب الحرب العالمية الثانية " ، فى عبادة كحيلة (محرر) مصر والوطن العربــى ...تواصــل ام انقطاع ، ندوة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية فى ابريــل 2006، مطبوعــات مركــز البحوث والدراسات الاجتماعية ، كلية الاداب ، جامعــة القــاهرة ، 2008، ص ص 262 ، 263 .

(9) Haile Samere:-The Origins and Demise of The Ethiopia- Eritrea Federation ,Issue :Journal of Opinion, Vol.15, (1987)PP.10,11.

(10) أحمد الشربينى :- المرجع السابق ، ص 262 .

(11) خطاب محمد حسن الزيات ممثل الجمهورية العربية المتحدة لدى المجلس الاستــشارى فــى الصومال ، ملف 2 ، محفظة 77 ، فيلم 49 الصومال ، أرشيف البلدان ، خارجية ، ص 1.

(12) أرسلت وحدة من قواتها العسكرية يقدر عدد جنودها بــ1150 جندى ، وقد ســافرت إلــى هناك على ظهر ناقلة جنود امريكية ، للمزيد انظر ، خطاب من حسن مظهر سفير مصر باديس ابابا الى حضرة صاحب السعادة وكيل الخارجية بشأن الاحتفال بسفر الوحــدة العــسكرية الــى كوريا، 16 ابريل 1951 ، ملف3 رقم 225/7 /1ج2 التقارير الــسياسية للــسفارة المــصرية باديس ابابا ، فيلم 50 اديس ابابا ، محفظة 79 ، ارشيف البلدان ، خارجية .

(١٣) خطاب من حسن مظهر سفير مصر باديس ابابا الى حضرة صاحب السعادة وكيل الخارجية، فى ١٦ يونيو ١٩٥١ ، ملف٣ رقم ٧/٢٢٥ /١ج٢ التقارير السياسية للسفارة المصرية باديس ابابا ، فيلم ٥٠ اديس ابابا ، محفظة ٧٩ ، ارشيف البلدان ، خارجية .

(١٤) حلف الدفاع عن الافريقى ، ملف ٦ رقم ٢٠/١٤٢/٤ مؤتمر نيروبى ، فيلم ٣٨ ، محفظة ٧٩ ، سرى جديد ، خارجية .

(١٥) تقرير رئيس قسم افريقيا سعيد لطفى الغمراوى عن تطور فكرة الدفاع عن افريقيا ، ٢١ يوليو ١٩٥٥ ، ملف ٦ رقم ٢٠/١٤٢/٤ مؤتمر نيروبى ، فيلم ٣٨ ، محفظة ٧٩ ، سرى جديد ، خارجية ، ص ص ١ ، ٢ .

(١٦) أمين شاكر ، سعيد العريان ، مصطفى امين :- اضواء على الحبشة ، سلسلة اخترنا لك ، العدد ٦ ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ١٩٥٤ ، ص ص ١٦٢ ، ١٦٤ ، ١٦٧ .

(١٧) فقد كانت هناك وجهتى نظر ، فاثيوبيا تريد مشروع يخزن ٢ مليار متر مكعب من المياة ، اما مصر فتريد تخزين ١٠ مليار ، انظر ، تنفيذ مشروع خزان تانا ، جريدة الاهرام ، ١٩٥٢/١٢/١ .

(١٨) مشروع خزان تانا : هل ذهب مع النسيان ، آخر ساعة ، العدد ٩٧٥ ، يوليو ١٩٥٣ ، ص ١٦ .

(١٩) مذكرة مدير المخابرات العامة عن امبراطور الحبشة وعلاقته بالسيد عبدالرحمن المهدى ، فى ١٩٥٣/٩/١٤ ، ملف ٢ ، رقم ٧ سرى ج١ عام ١٩٥٣ ، المخابرات الحربية ، معلومات عامة عن السودان ، محفظة ٧٣٦ (كود ٩٣٤) سرى جديد ، خارجية .

(٢٠) مذكرة مدير ادارة المخابرات العامة عن زيارة بعثة عسكرية امريكية للسودان، فى٦/١٠/١٩٥٣ ، ملف ٢ ، رقم ٧ سرى ج١ عام ١٩٥٣ ، المخابرات الحربية ة ، معلومات عامة عن السودان ، محفظة ٧٣٦ (كود ٩٣٤) سرى جديد ، خارجية .

(٢١) خطاب صلاح سالم وزير الدولة لشئون السودان الى وكيل وزارة الخارجية ،فى ١٤ فبراير١٩٥٤، ملف ٣ رقم ٣/٧/٢٢٥ج١ التقارير المختلفة للسفارة المصرية باديس ابابا عن اثيوبيا ، فيلم ٥٠ اديس ابابا ، محفظة ٧٨ ، ارشيف البلدان ، خارجية

(٢٢) Lefebvre Jeffery A:-The United States, Ethiopia and The 1963 Somali-Soviet Armies Deal : Containments and The Balance of Power Dilemma in

The Horn Africa :Journal of Modern African Studies, Vol.36,No.4 (Dec.1998)P.616.

(٢٣) مذكرة قسم افريقيا عن الدول الافريقية واشتراكها فى مؤتمر جاكرتا ، فى ٢١ ديسمبر ١٩٥٤ ، ملف ٣ رقم ١/٧/٢٢٥ج٢ التقارير السياسية للسفارة المصرية باديس ابابا عن اثيوبيا ١٩٥١ – ١٩٥٦ ، فيلم ٥٠ اديس ابابا ، محفظة ٧٩ ، ارشيف البلدان ، خارجية .

(٢٤) خطاب من القائم بالأعمال بالنيابة فى سفارة مصر بأديس أبابا إلى السيد وكيل الخارجية (الادارة السياسية) فى ٢٣ مارس ١٩٥٤ ، ملف ٣ رقم ٣/٧/٢٢٥ج١ التقارير المختلفة للسفارة المصرية بأديس أبابا عن اثيوبيا ، فيلم ٥٠ اديس ابابا ، محفظة ٧٨ ، أرشيف البلدان ، خارجية ، ص ١ .

(٢٥) تقرير رئيس قسم افريقيا سعيد لطفى الغمراوى : التقرير السابق ، ص ص ٣، ٤.

(٢٦) خطاب عادل فاضل الملحق بسفارة مصر بباريس الى سفير مصر بلندن عن مؤتمر داكار ، ١٦ ابريل ١٩٥٤ ، ملف١ رقم ٢٤/١٤٢/٤ ج١ ، المؤتمر الخاص بانشاء حلف للدفاع الافريقى داكار مارس ١٩٥٤ ، فيلم ٣٨ ، محفظة ٨٠ ، سرى جديد ، خارجية ، ص ١.

(٢٧) تقرير رئيس قسم افريقيا سعيد لطفى الغمراوى :- التقرير السابق ، ص ص ٣- ٥ .

(٢٨) محمد نجيب :- كلمتى للتاريخ ، دار الكتاب النموذجى ، مطابع سجل العرب ، ١٩٧٥ ، ص ١١٩ .

(٢٩) يظهر هذا فى تعامل الحاكم العام البريطانى معه ، وفى المظاهرات التى قوبل بها عقب وصوله للمطار والتى اطلقها حزب الامة تهتف ضد مصر وبريطانيا ، ومنع من الاتصال بالمهدى تسع مرات من تليفون قصر الحاكم العام لقطع الخط بعد تبادل التحية ، وعندما خرج نجيب يخطب فى الجماهير من شرفة القصر فوجئت الجماهير بهراوات الجنود ، أحمد حمروش: عبدالناصر والعرب ، مطبوعات ثورة يوليو (٤) ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٢ ، ص ص ٣١٢ ، ٣١٣ ، وكذلك انظر ، محمد نجيب :- المرجع السابق ، ١٩٧٥ ، ص ١١٩ .

(٣٠) مرفقات تقرير الصحف والاذاعة ، ملف ٤ الصحافة السودانية ١٩٥٥، فيلم ٧ السودان ، محفظة ١٠ ، أرشيف البلدان ، خارجية.

(٣١) مذكرة وكيل وزارة الخارجية الى السيد وزير الارشاد القومى عن بعض الاتجاهات لحكومة اثيوبيا فى السياسة الافريقية ، فباير ١٩٥٤، ملف ٢ رقم ٣/٧/٢٢٥ج١ التقارير المختلفة للسفارة المصرية بأديس أبابا عن اثيوبيا ، فيلم ٥٠ أديس أبابا ، محفظة ٧٨ ، ارشيف البلدان ، خارجية ، ص ٢ .

(٣٢) تقرير سفارة مصر بواشنجتون عن زيارة امبراطور الحبشة للولايات المتحدة ، فى ١٥/يونيو /١٩٥٤ ، ملف ٣ رقم ٣/٧/٢٢٥ج١ التقارير المختلفة للسفارة المصرية بأديس أبابا عن اثيوبيا ، فيلم ٥٠ أديس أبابا ، محفظة ٧٨ ، أرشيف البلدان ، خارجية ، ص ٥ .

(٣٣) خطاب من القائم بالعمال بالنيابة فى سفارة مصر بأديس أبابا الى السيد وكيل الخارجية (الادارة السياسية) فى ٢٣ مارس ١٩٥٤ ، ملف ٣ رقم ٣/٧/٢٢٥ج١ التقارير المختلفة للسفارة المصرية بأديس أبابا عن اثيوبيا ، فيلم ٥٠ أديس أبابا ، محفظة ٧٨ ، ارشيف البلدان ، خارجية، ص ١ .

(٣٤) خطاب من سفارة مصر باديس ابابا الى حضرة صاحب السعادة وكيل الخارجية بشأن رأى وزير المانيا الغربية فى النفوذ البريطانى فى اثيوبيا فى ٢٩ مايو ١٩٥٤ ، ملف٣ رقم ٢٢٥/٧/١ج٢ التقارير السياسية للسفارة المصرية بأديس أبابا ، فيلم ٥٠ أديس أبابا ، محفظة ٧٩، ارشيف البلدان ، خارجية .

(٣٥) أمين شاكر ، سعيد العريان ، مصطفى امين :- المرجع السابق ، ص ص ١٦٢ ، ١٦٤ .

(٣٦) تقرير سفارة مصر بواشنجتون عن زيارة امبراطور الحبشة للولايات المتحدة :- التقرير السابق ، ص ٤.

(٣٧) خطاب من سفارة مصر بلندن الى حضرة صاحب السعادة وكيل الخارجية بشأن زيارة امبراطور اثيوبيا للندن ، فى ٢٥/١٠/١٩٥٤ ، ملف٣ رقم ٢٢٥/٧ /١ج٢ التقارير السياسية للسفارة المصرية بأديس أبابا ، فيلم ٥٠ أديس أبابا ، محفظة ٧٩ ، أرشيف البلدان ، خارجية .

(٣٨) ولقد استاء الامبلاراطور من طلب عبدالله خليل ودهش ان يزج به فى نزاع داخلى ضد الحكومتين المصرية والسودانية دون مراعاة للاعتبارات التى تربط بلاده معهما ، هيلاسلاسى يستنكر تصرفات عبدالله خليل ، انظر ، جريدة التحرير ، العدد ٧٩ ، ١٩ اكتوبر ١٩٥٤ ، ص٥.

(٣٩) Dispatch From T.J.Wellings Longmore (Secretary General) to The Egyptian Ambassador, London ,African League 1st November 1954, وخطاب سفير لندن لوكيل الخارجية بهذا الخصوص فى ١٩٥٤/١١/٨ ، ملف ١ رقم ١/٧/٢٠٠ج٨ التقارير السياسية لسفارة مصر بلندن ، محفظة ٥٩٥(كود ٥٩٤) سرى جديد ، خارجية .

(٤٠) امين شاكر ، سعيد العريان ، مصطفى امين :- المرجع السابق ، ص ص ٥ - ٨ .

(٤١) خطاب من وكيل الخارجية لسفير مصر بأديس أبابا ، فى ديسمبر ١٩٥٤ ، ملف٣ رقم ٧/٢٢٥ /١ج٢ التقارير السياسية للسفارة المصرية باديس ابابا "مختلف " ١٩٥١-١٩٥٦ ، فيلم ٥٠ أديس أبابا ، محفظة ٧٩ ، أرشيف البلدان ، خارجية .

(٤٢) خطاب السفير ا.ح أحمد حسن بسفارة مصر بليبيا إلى السيد السفير وكيل وزارة الخارجية عن معاهدة الصداقة الليبية التركية فى ٣ يناير ١٩٥٦ ، ملف٢ رقم ١٧/٢٧/٣٨ ج٣ الاتفاقات التركية - العراقية ، محفظة ٢٤٩ (كود ارشيفى ٢٤٨) ، سرى جديد ، خارجية .

(٤٣) نورى السعيد يقاطع المؤتمر الاسيوى الافريقى ، جريدة التحرير ، عدد ٩٦ ، ١٥ فبراير ١٩٥٥ ، ص ١١ .

(٤٤) الدول ذات المصلحة هى انجلترا ، جنوب افريقيا ، اثيوبيا ، ايطاليا ، بلجيكا ، البرتغال ، الولايات المتحدة ، استراليا وليبيا ، والهند ، مذكرة رئيس قسم اوروبا محمود معبد فى ١٤ مارس ١٩٥٥ ، ملف ١ ، فيلم ٣٨ ، محفظة ٨٠ ، سرى جديد ، خارجية .

(٤٥) خطاب من القائم بالاعمال بالنيابة ابراهيم الدسوقى امام بسفارة مصر بأديس أبابا الى السيد السفير وكيل الخارجية بشان ملاحظات الحكومة الاثيوبية على ما نشر فى الصحف المصرية اخيرا عن جلالة الامبراطور هيلاسلاسى ، ملف٣ رقم ٧/٢٢٥/١ج٢ التقارير السياسية للسفارة المصرية باديس ابابا "مختلف " ١٩٥١-١٩٥٦ ، فيلم ٥٠ أديس أبابا ، محفظة ٧٩ ، ارشيف البلدان ، خارجية ، ص ص ١ ، ٢.

(٤٦) خطاب من القائم بالاعمال بالنيابة ابراهيم الدسوقى :- الخطاب السابق ، ص ص ٢ ، ٣.

(٤٧) مقال روزاليوسف المرفق حول حلف عسكرى جديد وسط افريقيا ، العدد ١٤٠٣ ، ملف٣ رقم ٧/٢٢٥ /١ج٢ التقارير السياسية للسفارة المصرية باديس ابابا "مختلف " ١٩٥١-١٩٥٦ ، فيلم ٥٠ اديس ابابا ، محفظة ٧٩ ، ارشيف البلدان ، خارجية .

(٤٨) هل يلعب هيلاسلاسى دور نورى السعيد فى العالم العربى ، ملف٣ رقم ٧/٢٢٥ /١ج٢ التقارير السياسية للسفارة المصرية بأديس أبابا "مختلف " ١٩٥١-١٩٥٦ ، فيلم ٥٠ أديس أبابا ، محفظة ٧٩ ، أرشيف البلدان ، خارجية .

(٤٩) مذكرة مدير ادارة الابحاث عن تصرفات الحكومة الاثيوبية حيال الملحق العسكرى المصرى، فى ١٩٥٥/٨/١٣ ، ملف٢ رقم ٧/٢٢٥ /٣ج٢ التقارير السياسية للسفارة المصرية بأديس أبابا عن اثيوبيا ١٩٥٤- ١٩٥٦ ، فيلم ٥١ أديس أبابا ، محفظة ٨٠ ، ارشيف البلدان ، خارجية ، ص ص ١ ، ٢.

(٥٠) خطاب من الملحق العسكرى بالنيابة الى السيد السفير وكيل الخارجية بخصوص تقرير عام ، فى ١٩٥٦/١٢/٢١ ، ملف٣ رقم ٤١ سرى لعام ١٩٥٧/٥٦ ج٣ ملخصات تقارير سياسية للسفارة المصرية بالخرطوم ، ، محفظة ٩٢١ (كود ارشيفي ٧٢٧) سرى جديد ، خارجية .

(٥١) وهى مصر والحبشة والسودان الغربى واوغندا وكينيا والكونغو البلجيكى ، انظر ، تقرير المخابرات الصحفى عن الصحافة السودانية من ٩/٩/ الى ١٩٥٥/٩/١٠ مرسل فى ١٩٥٥/٩/١٣ من ادارة المخابرات الحربية لادارة المخابرات العامة ، ملف ٤ الصحافة السودانية ١٩٥٥، فيلم ٧ السودان، محفظة ١٠ ، ارشيف البلدان ، خارجية ، ص ٢.

(٥٢) تقرير المخابرات الصحفى عن الصحافة السودانية من ٩/٤/ الى ١٩٥٥/٩/٨ مرسل فى ١٩٥٥/٩/١٥ من ادارة المخابرات الحربية لادارة المخابرات العامة ، ملف ٤ الصحافة السودانية ١٩٥٥، فيلم ٧ السودان ، محفظة ١٠ ، ارشيف البلدان ، خارجية ، ص ص٨ ، ٩.

(٥٣) تقرير المخابرات الصحفى عن الصحافة السودانية من ٩/١٤/ الى ١٩٥٥/٩/١٦ مرسل فى ١٩٥٥/٩/١٩ من ادارة المخابرات الحربية لادارة المخابرات العامة ، ملف ٤ الصحافة السودانية ١٩٥٥، فيلم ٧ السودان ، محفظة ١٠ ، ارشيف البلدان ، خارجية .

(٥٤) تقرير المخابرات الصحفى عن الصحافة السودانية من ١١/٩/ الى ١٩٥٥/٩/١٣ مرسل فى ١٩٥٥/٩/١٩ من ادارة المخابرات الحربية لادارة المخابرات العامة ، ملف ٤ الصحافة السودانية ١٩٥٥، فيلم ٧ السودان، محفظة ١٠ ، ارشيف البلدان ، خارجية .

(٥٥) تقرير المخابرات الصحفى عن الصحافة السودانية من ١٠/٥/ الى ١٩٥٥/١٠/٩ مرسل فى١٩٥٥/١٠/١٧ من ادارة المخابرات الحربية لادارة المخابرات العامة ، ملف ٤ الصحافة السودانية ١٩٥٥، فيلم ٧ السودان ، محفظة ١٠ ، ارشيف البلدان ، خارجية .

(٥٦) ملخص عن الفترة من ١/١٧ الى ١/١٤ /١٩٥٦ مرسل من قائد جناح عصام الدين محمود خليل مساعد مدير المخابرات الحربية للقوات الجوية الي السيد اليوزباشى محمد ابونار مدير مكتب وزير الدولة لشئون السودان، ملف٢ رقم ٤١ سرى جدا لعام ١٩٥٧/٥٦ ج١ ملخصات تقارير المخابرات الجوية، محفظة ٩٢٦ (كود ارشيفى ٧٣١) سرى جديد، خارجية، ص ص ٦٣، ٨٥ .

(٥٧) وفى هذا الاطار هددهم بأن سياسة مصر الخارجية هى السبب فى سحب الولايات المتحدة لتمويل السد العالى ، ومن ثم عليهم الوقوف ضد مشروع السد ، للمزيد انظر ، خطاب من سفارة جمهورية مصر بالخرطوم الى السيد وكيل الخارجية فى ١٩٥٦/٧/٢٩ ، ملف ٢ رقم ١ سرى لعام ١٩٥٧/٥٦ ج٢ تقارير سياسية للسفارة المصرية بالخرطوم ، محفظة ٩٢١ (كود ارشيفى ٧٢٧) سرى جديد ، خارجية ، ص ١.

(٥٨) التقرير رقم ١ بتاريخ ١٩٥٦/١/٥ مرسل من قائد جناح عصام الدين محمود خليل مساعد مدير المخابرات الحربية للقوات الجوية الى السيد اليوزباشى محمد ابونار مدير مكتب وزير الدولة لشئون السودان ، فى ١/٧/ ١٩٥٦ ، ملف١رقم ٤٠ سرى جدا لعام ١٩٥٧/٥٦ ج١ ملخصات تقارير المخابرات الجوية ، محفظة ٩٢٣ (كود ارشيفى ٧٢٨) سرى جديد ، خارجية ، ص ٥٥ .

(٥٩) الملخص ٤٥ عن الفترة من ٣٠ ابريل الى ٩ مايو ١٩٥٦ مرسل من قائد جناح عصام الدين محمود خليل مساعد مدير المخابرات الحربية للقوات الجوية الى السيد اليوزباشى محمد ابونار مدير مكتب وزير الدولة لشئون السودان ، فى ١/٣٠/ ١٩٥٦ ، ملف١ رقم ٤١ سرى لعام ١٩٥٧/٥٦ ج٣ ملخصات تقارير المخابرات الجوية ، ، محفظة ٩٢٧ (كود ارشيفى ٧٣٢) سرى جديد ، خارجية ، ص ص ٣٢ ، ٤١، ٤٧ .

(٦٠) ملخص عن الفترة من ١/١٥ الى ١/٢٣ /١٩٥٦ مرسل من قائد جناح عصام الدين محمود خليل مساعد مدير المخابرات الحربية للقوات الجوية الى السيد اليوزباشى محمد ابونار مدير مكتب وزير الدولة لشئون السودان ، فى ١/٣٠/ ١٩٥٦ ، ملف٢ رقم ٤١ سرى جدا لعام ١٩٥٧/٥٦ ج١ ملخصات تقارير المخابرات الجوية ، ، محفظة ٩٢٦ (كود ارشيفى ٧٣١) سرى جديد ، خارجية ، ١٢٦ .

(*) بحكم أنه كان مستشاراً للامبراطور خلال فترة اقامته فى السودان (قضى الامبراطور سبعة اشهر للاشراف على العودة مرة ثانية لاثيوبيا بعد هروبه سنه ١٩٣٦ الى انجلتراوظل هناك حتى سنة ١٩٤٠) الامر الذى مكنه من التعرف على مختلف الشخصيات السودانية ناهيك عن ادراج اسماء ٢٠٠ شخص للعمل فى السفارة سبق لهم العمل فى السودان .

(٦١) ملخص عن الفترة من ٢/٣ الى ١٩٥٦/٢/١٥ مرسل من قائد جناح عصام الدين محمود خليل مساعد مدير المخابرات الحربية للقوات الجوية الى السيد اليوزباشى محمد ابونار مدير مكتب وزير الدولة لشئون السودان ، فى ١٦ فبراير١٩٥٦ ، ملف٢ رقم ٤١ سرى جدا لعام ١٩٥٧/٥٦ ج١ ملخصات تقارير المخابرات الجوية ، ، محفظة ٩٢٦ (كود ارشيفى ٧٣١) سرى جديد ، خارجية ، ص ص ١٥٠ ، ١٧٣ ، ١٧٥.

(٦٢) الملخص ٥٩ عن الفترة من ١١/١٣ الى ١٩٥٦/١١/٢٤ مرفوع من ادارة المخابرات الحربية الى مدير ادارة الشئون الافريقية ، ملف ٣رقم ٤١سرى لعام ١٩٥٧/٥٦ ج٥ ، محفظة ٩٢٧ (كود ارشيفى ٧٣٢) ، سرى جديد ، خارجية ، ص ١٦٥ .

(٦٣) التقرير رقم ٧ بتاريخ ١٩٥٦/١/٤ مرسل من قائد جناح عصام الدين محمود خليل مساعد مدير المخابرات الحربية للقوات الجوية الى السيد اليوزباشى محمد ابونار مدير مكتب وزير الدولة لشئون السودان ، فى١/٩/ ١٩٥٦ ، ملف١رقم ٤٠ سرى جدا لعام ١٩٥٧/٥٦ ج١ ملخصات تقارير المخابرات الجوية، محفظة ٩٢٣ (كود ارشيفى ٧٢٨) سرى جديد ، خارجية ، ص ٥٥ .

(٦٤) ملخص عن الفترة من ١/١٥ الى ١/٢٣ /١٩٥٦ :- الملخص السابق ، ١٢٦ .

(*) ملس عندوم هو ضابط الاتصال الاثيوبى فى السودان ، وهو ابن ميكائيل عندوم أحد الاسر الاثيوبية العريقة التى عاشت فى السواد ان ، وهو أول سفير لاثيوبيا فى السودان (١٩٥٤- ١٩٦١) ثم اصبح سفيراً بمصر حتى نهاية حكم هيلاسلاسى ١٩٧٤ ، للمزيد انظر : صالح

محمد على عمر :- الدور السودانى فى تحرير اثيوبيا وارجاع الامبراطور هيلاسلاسى الى عرشه ١٩٣٥ – ١٩٤١ ، اصدلرة رقم ٥٣ ، مركز البحوث والدراسات الافريقية ، جامعة افريقيا العالمية ، السودان ، ٢٠٠٥ ، ص ص ١٩ ، ١٧٩ .

(٦٥) ولم تقتصر تسميته على أنه ضابط الاتصال الاثيوبى ، بل اطلق عليه مسمى القائم بأعمال سفارة اثيوبيا فى الخرطوم ، للمزيد انظر ملخص عن الفترة من ١/١٥ الى ١/٢٣ /١٩٥٦ :- الملخص السابق ، ١٢٦ .

(*) سودانى من أصل اثيوبى تجنس بالجنسية السودانية وعاش بالسودان ، وكان من الموظفين المرموقين بقسم الترجمة بالادارة البريطانية بالسودان وعمل لفترة طويلة بوزارة الدفاع (قسم السجلات والمصروفات) وعمل أحيانا مترجما للامبراطور لاجادته اللغة العربية والامهرية والانجليزية ، وعمل بمكتب السكرتير الادارى للسودان فى عقد الاربعينيات ، للمزيد انظر : صالح محمد على عمر :- المرجع السابق ، ص ص ١٢٣ ، ١٧٩ .

(٦٦) الملخص ٤٠ للفترة من ١٢ مارس الى ١٩ مارس /١٩٥٦ مرسل من قائد جناح عصام الدين محمود خليل مساعد مدير المخابرات الحربية للقوات الجوية الى السيد اليوزباشى محمد ابونار مدير مكتب وزير الدولة لشئون السودان ، فى ٢/٤/ ١٩٥٦ ، ملف٣ رقم ٤١ سرى جدا لعام ١٩٥٧/٥٦ ج٢ ملخصات تقارير المخابرات الجوية ، ، محفظة ٩٢٦ (كود ارشيفى ٧٣١) سرى جديد ، خارجية ، ص ٩٥ .

(٦٧) خطاب من سفارة جمهورية مصر بالخرطوم الى السيد السفير وكيل الخارجية عن موقف مصر فى السودان ، ملف٣ رقم ٤١ سرى لعام ١٩٥٧/٥٦ ج٣ ملخصات تقارير سياسية للسفارة المصرية بالخرطوم ، ، محفظة ٩٢١ (كود ارشيفى ٧٢٧) سرى جديد ، خارجية ، ص ١ .

(*) عبد الله خليل ولد سنة ١٨٨٨ وخدم بالجيش المصرى ١٩١٠ – ١٩٢٤ والجيش السودانى حتى ١٩٤٤ ، وهو أحد مؤسسى حزب الامة سنة ١٩٤٥ ، وعين رئيسا للوزارة الائتلافية التى اعقبت وزارة الازهرى فى نهاية سنة ١٩٥٦ ، وهو كما تشير الوثائق لا يميل الى التعاون مع مصر ويميل مع الغرب ، انظر ، عبدالحميد عبدالجليل شلبى :- المرجع السابق ، ص ص ٢١٦ ، ٢٤٣ .

(٦٨) الملخص ٥١ عن الفترة من ٧/٩ الى ١٩٥٦/٧/٢٩ مرفوع من ادارة المخابرات الحربية الى مدير ادارة الشئون الافريقية فى ١٩٥٦/٨/٩ ، ملف ٢رقم ٤١سرى لعام ١٩٥٧/٥٦ ج٤ ، محفظة ٩٢٧ (كود ارشيفى ٧٣٢) ، سرى جديد ، خارجية ، ص ٣٢.

(٦٩) الملخص ٥٩ عن الفترة من ١١/١٣ الى ١٩٥٦/١١/٢٤ مرفوع من ادارة المخابرات الحربية إلى مدير ادارة الشئون الافريقية ، ملف ٣رقم ٤١سرى لعام ١٩٥٧/٥٦ ج٥ ، محفظة ٩٢٧ (كود ارشيفى ٧٣٢) ، سرى جديد ، خارجية ، ص ١٦٥ .

(٧٠) ملخص عن الفترة من ١/١٥ الى ١/٢٣ /١٩٥٦ :- الملخص السابق ، ١٠٩ .

(٧١) الملخص ٤٦ عن الفترة من٢٣ اغسطس الى ٢٠ سبتمبر ١٩٥٦ مرسل من قائد جناح عصام الدين محمود خليل مساعد مدير المخابرات الحربية للقوات الجوية إلى السيد اليوزباشى محمد ابونار مدير مكتب وزير الدولة لشئون السودان ، فى ٥/٣١/ ١٩٥٦ ، ملف٢ رقم ٤١ سرى لعام ١٩٥٧/٥٦ ج ٣ملخصات تقارير المخابرات الجوية ، ، محفظة ٩٢٧ (كود ارشيفى ٧٣٢) سرى جديد ، خارجية ، ص ص ٥٩ ، ٦٧ .

(٧٢) عبدالحميد عبدالجليل شلبى :- المرجع السابق ، ص ص ٢١٢ ، ٢١٣.

(٧٣) الملخص ٤٥ عن الفترة من ٣٠ ابريل الى ٩ مايو ١٩٥٦ مرسل من قائد جناح عصام الدين محمود خليل مساعد مدير المخابرات الحربية للقوات الجوية إلى السيد اليوزباشى محمد ابونار مدير مكتب وزير الدولة لشئون السودان ، فى ١/٣٠/ ١٩٥٦ ، ملف١ رقم ٤١ سرى لعام ١٩٥٧/٥٦ ج٣ ملخصات تقارير المخابرات الجوية ، ، محفظة ٩٢٧ (كود ارشيفى ٧٣٢) سرى جديد ، خارجية ، ص ٤٧ .

(٧٤) الملخص ٥٦ عن الفترة من ٢١ سبتمبر الى ١٠ اكتوبر ١٩٥٦ ، مرفوع من ادارة المخابرات الحربية الى مدير ادارة الشئون الافريقية فى ٣٠ /١٠ /١٩٥٦ ، ملف ٣رقم ٤١سرى لعام ١٩٥٧/٥٦ ج٥ ، محفظة ٩٢٧ (كود ارشيفى ٧٣٢) ، سرى جديد ، خارجية، ص ٣٠ .

(٧٥) الملخص ٤٠ للفترة من ١٢ مارس الى ١٩ مارس /١٩٥٦ مرسل من قائد جناح عصام الدين محمود خليل مساعد مدير المخابرات الحربية للقوات الجوية الى السيد اليوزباشى محمد ابونار مدير مكتب وزير الدولة لشئون السودان ، فى ٢/٤/ ١٩٥٦ ، ملف٣ رقم ٤١ سرى

جدا لعام ١٩٥٧/٥٦ ج٢ ملخصات تقارير المخابرات الجوية ، ، محفظة ٩٢٦ (كود ارشيفى ٧٣١) سرى جديد ، خارجية ، ص ٩٥ .

(٧٦) خطاب من سفارة جمهورية مصر بالخرطوم الى السيد وكيل الخارجية فى ١٩٥٦/٧/٢٩ ، ملف ٢ رقم ١ سرى لعام ١٩٥٧/٥٦ ج٢ تقارير سياسية للسفارة المصرية بالخرطوم ، محفظة ٩٢١ (كود ارشيفى ٧٢٧) سرى جديد ، خارجية ، ص ١.

(٧٧) خطاب من عثمان توفيق سفير مصر باديس ابابا الى السيد السفير وكيل الخارجية الدائم عن ايفاد بعثة صداقة اثيوبية الى السودان ، ملف٢ رقم ١/٧/٢٢٥ التقارير السياسية للسفارة المصرية باديس ابابا عن اثيوبيا ١٩٥٦ ، محفظة ٧٩ ، فيلم ٥٠ ، ارشيف البلدان خارجية .

(٧٨) Ismael Tareq Y:- The United Arab Republic in Africa, Canadian Journal of African Studies , Vol.2,No.2, (Autumn ,1968),P.176.

(٧٩) الملخص ٤٩ عن الفترة من ١٣ يونيو الى ٢٧ يونيو ١٩٥٦ مرسل من قائد جناح عصام الدين محمود خليل مساعد مدير المخابرات الحربية للقوات الجوية الى مدير ادارة الشئون الافريقية ، فى ١٩٥٦/٧/٩ ، ملف٢ رقم ٤١ سرى لعام ١٩٥٧/٥٦ ج٤ ملخصات تقارير المخابرات الجوية ، ، محفظة ٩٢٧ (كود ارشيفى ٧٣٢) سرى جديد ، خارجية ، ص ١٤٦ .

(٨٠) نفسه .

(٨١) خطاب من مفوضية بريتوريا الى السيد وكيل الخارجية بشان افتتاح الدورة الخامسة للبرلمان الحادى عشر لاتحاد جنوب افريقيا فى ١٩٥٧/١/٢٥، ملف ٧ ، فيلم ٥٤ بريتوريا ، محفظة ٨٤ ، ارشيف البلدان ، خارجية ، ص ص١ ، ٦.

(٨٢) مذكرة من مدير ادارة الشئون الافريقية الى السيد الوكيل المساعد للشئون السياسية فى ١٩٥٧/٨/١٥، ملف ٢ ، فيلم ٣٨ ، محفظة ٨٠ ، سرى جديد ، خارجية ، ص ٢.

(٨٣) امانى محمد كمال الدين احمد :- المرجع السابق ، ص ١٥٨ .

(*) ورغبت الدول الغربية فى اقامة حزام افريقى شمالى يمنع تسرب الشيوعية لافريقيا من جهة الشمال ليشكل الجناح الغربى لحلف بغداد ويشمل كل من ليبيا وتونس والجزائر والمغرب وتونس ، واصبح هذا الحزام مرتبطا بدخول القاهرة فيه معتمدة على القواعد العسكرية المنتشرة غرب مصر .

(٨٤) عبدالرؤوف احمد عمرو :- المرجع السابق ، ص ص ٢٥٠ ، ٢٥٣ .

(*) كانت مصر قد ردت على قيام حلف بغداد فى ٢٤ فبراير ١٩٥٥ بانشاء الحزام الجنوبى بعقد حلف عسكرى مع سوريا والسعودية واليمن بعقد اتفاقية الدفاع العربى المشترك بين الاطراف بصفة ثنائية وثلاثية فى اكتوبر ١٩٥٥

(٨٥) عبدالرؤوف احمد عمرو :- المرجع السابق ، ص ص ٢٥٠ - ٢٥٤ .

(٨٦) مذكرة مستشار سفارة مصر بالخرطوم يحيى عبدالقادر عن استعراض عام للموقف السياسى فى السودان ، ملف ٣رقم ١ سرى لعام ١٩٥٧/٥٦ ج٣ تقارير سياسية للسفارة المصرية بالخرطوم، محفظة ٩٢١ (كود ارشيفى ٧٢٧) ، سرى جديد ، خارجية ، ص ٣.

(٨٧) خطاب من الملحق العسكرى الصاغ جمال شقير الى السيد وكيل الخارجية ، فى ١٩٥٦/٩/٨ ، ملف ٢رقم ١ سرى لعام ١٩٥٧/٥٦ ج٢ تقارير سياسية للسفارة المصرية بالخرطوم، محفظة ٩٢١ (كود ارشيفى ٧٢٧) ، سرى جديد ، خارجية .

(٨٨) تقرير عام من سفارة جمهورية مصر بالخرطوم إلى السيد وكيل الخارجية (ادارة الشئون الافريقية) ، فى ١٩٥٦/١٠/١ ، ملف ٢رقم ١ سرى لعام ١٩٥٧/٥٦ ج٢ تقارير سياسية للسفارة المصرية بالخرطوم ، محفظة ٩٢١ (كود ارشيفى ٧٢٧) ، سرى جديد ، خارجية .

(٨٩) تقرير ادارة الشئون الافريقية سنة ١٩٥٧ عن اثيوبيا " سياستها الخارجية وعلاقة مصر بها" ، ملف ٣ ج١ رقم ٣٠/٤٠/٤٦ ، محفظة ٢٧٨ (كود ارشيفى ٢٧٧) سرى جديد ، خارجية ، ص ص ١٧، ٢٠ .

(٩٠) سر سياسى ، اَخر ساعة تذيع أول تفصيلات عن محور افريقيا ، مجلة اَخر ساعة ، العدد ١١٤٦ ، ١٠ اكتوبر ١٩٥٦ ، ص ١١ .

(٩١) مذكرة طه فتح الدين مدير ادارة الشئون الافريقية إلى السيد وكيل وزارة الخارجية المساعد للشئون السياسية فى ١٩٥٦/١٠/٢٤ ، ملف٤ رقم ٧/٢٢٥ /١ج٣ التقارير السياسية للسفارة المصرية بأديس أبابا "مختلف " ١٩٥٦ ، فيلم ٥٠ أديس أبابا ، محفظة ٧٩ ، ارشيف البلدان ، خارجية ، ص ص ١ ، ٢.

(٩٢) كتاب سفارة جمهورية مصر بالخرطوم عن هدية الاسلحة للسودان ، مطبعة مصر ، الخرطوم، ملف ٥ رقم ١ سرى لاعوام ٥٦ ، ٥٧ ، ١٩٥٨ ج٨ ملخصات تقارير سياسية للسفارة المصرية بالخرطوم ، ، محفظة ٩٣٧ (كود ارشيفى ٧٣٨) سرى جديد ، خارجية

(٩٣) مذكرة مدير ادارة الشئون الافريقية الى السيد ا وكيل وزارة الخارجية المساعد للشئون السياسية فى ١٩٥٦/١٠/٢٤ ، ملف٤ رقم ٧/٢٢٥ /١ج٣ التقارير السياسية للسفارة المصرية بأديس أبابا "مختلف " ١٩٥٦ ، فيلم ٥٠ أديس أبابا ، محفظة ٧٩ ، ارشيف البلدان ، خارجية ، ص ١.

(٩٤) الملخص ٥٤ عن الفترة من ٢٣ اغسطس الى ٢٠ سبتمبر ١٩٥٦ مرسل من قائد جناح عصام الدين محمود خليل مساعد مدير المخابرات الحربية للقوات الجوية الى مدير ادارة الشئون الافريقية ، فى ١٩٥٦/١٠/١٠ ، ملف٢ رقم ٤١ سرى لعام ١٩٥٧/٥٦ ج٤ ملخصات تقارير المخابرات الجوية ، ، محفظة ٩٢٧ (كود ارشيفى ٧٣٢) سرى جديد ، خارجية ، ص ص ١٦٥ ، ١٦٦ .

(٩٥) خطاب من سفارة جمهورية مصر بالخرطوم الى السيد وكيل الخارجية بخصوص اسلحة امريكية للسودان فى ١٦ يناير ١٩٥٧ ، ملف ٣رقم ١ سرى لعام ١٩٥٧/٥٦ ج٣ تقارير سياسية للسفارة المصرية بالخرطوم ، محفظة ٩٢١ (كود ارشيفى ٧٢٧) سرى جديد ، خارجية .

(٩٦) خطاب من سفارة جمهورية مصر بالخرطوم الى السيد السفير وكيل الخارجية بخصوص السياسة الخارجية للحكومة السودانية ، فى ٥ يناير ١٩٥٧ ، ملف٣ رقم ٤١ سرى لعام ١٩٥٧/٥٦ ج٣ ملخصات تقارير سياسية للسفارة المصرية بالخرطوم ، ، محفظة ٩٢١ (كود ارشيفى ٧٢٧) سرى جديد ، خارجية .

(٩٧) الملخص ٦٤ للفترة من١٨ يناير الى اول فبراير ١٩٥٧ ، مرسل من قائد جناح عصام الدين محمود خليل مساعد مدير المخابرات الحربية للقوات الجوية الى السيد مدير ادارة الشئون الافريقية، فى ١٢/٢/ ١٩٥٧ ، ملف٣ رقم ٤١ سرى جدا لعام ١٩٥٧/٥٦ ج٢ ملخصات تقارير المخابرات الجوية ، ، محفظة ٩٢٦ (كود ارشيفى ٧٣١) سرى جديد ، خارجية ، ص٢٠٨٦ .

(*) هو شقيق ملس عندوم سفير اثيوبيا فى السودان وهو أحد الاثيوبين الذين تدربوا فى كلية سوبا العسكرية فى السودان بعد غزو ايطاليا لاثيوبيا ، ثم تولى مهمة قيادية فى الحرس الامبراطورى وبالمؤسسة العسكرية الاثيوبية وقد اشترك فى حرب تحرير اثيوبيا من ايطاليا ، وقاد الكتيبة الاثيوبية التى اشتركت فى الحرب الكورية (١٩٥٠ – ١٩٥٣) ، واشتهر خلال حرب

الاوجادين ، وأصبح وزيرا للدفاع سنة ١٩٧٤ ، ورأس لجنة الدرج (المجلس العسكرى المؤقت) فى سنة ١٩٧٤ حيث أصبح أول رئيس للدولة بعد هيلاسلاسى فى ١٢ سبتمبر ١٩٧٤ ولكنه أبعد وقتل بمنزله فى ٢٣ نوفمبر ١٩٧٤ خلال التحرك الذى قاده منجستو هايلى ماريام ، للمزيد انظر : صالح محمد على عمر :- المرجع السابق ، ص ١٧٨.

(٩٨) الملخص ٦٦ عن تقدير موقف لاالحالة السياسية فى السودان (الجزء الاول) مرسل من قائد جناح عصام الدين محمود خليل مساعد مدير المخابرات الحربية للقوات الجوية إلى مدير ادارة الشون الافريقية ، فى ١٩٥٧/٣/٢٠ ، ملف رقم ٤١ سرى لعام ١٩٥٧/٥٦ ج٦ ملخصات تقارير المخابرات الجوية ، ، محفظة ٩٢٨ (كود ارشيفى ٧٣٣) سرى جديد ، خارجية ، ص ٢١٦١ .

(٩٩) خطاب من سفارة جمهورية مصر بالخرطوم الى السيد وكيل الخارجية عن نشاط السفارات الاجنبية والنشاط المضاد لها ، فى ١٩٥٧/٣/٢٥ ، ملف ٣رقم ١ سرى لعام ١٩٥٧/٥٦ ج٣ تقارير سياسية للسفارة المصرية بالخرطوم ، محفظة ٩٢١ (كود ارشيفى ٧٢٧) سرى جديد ، خارجية ، ص ٢.

(١٠٠) التقرير رقم ١ فى ١٩٥٧/٦/٦ ، تقارير المجموعة الاولى رقم (١٠٧) الخاصة بالسودان مرسل من ادارة المخابرات الحربية الى السيد مدير ادارة الشئون الافريقية ، ملف١ رقم ٤٠ سرى لعام ١٩٥٧/٥٦ ج٩ ملخصات تقارير المخابرات الجوية ، ، محفظة ٩٢٦ (كود ارشيفى ٧٣١) سرى جديد ، خارجية ، ص ٥ .

(١٠١) مذكرة المستشار التجارى بسفارة جمهورية مصر بالخرطوم فى ١٧ مارس ١٩٥٧ بشان بذرة القطن السودانى المطلوب شرائها لوزارة التموين ، ملف٨ رقم ١/٧/١٣١ مؤقت ، محفظة ٤٥١ سرى جديد ، خارجية .

(١٠٢) فكانت تخشى من تغلغل النفوذ المصرى فى ارتيريا واثر الاذاعة المصرية الموجهه باللغتين التجرينية والامهرية ، واشراف مصر على تعليم مئات من الارتيريين فى المدارس والمعاهد المصرية وأثر ذلك فى خلق القومية العربية مع علمها بأن القبائل الارتيرية تعتز بعروبتها كقبائل الساهو والدناكل والبنى عامر والحباب وغيرها ، للمزيد انظر ، تقرير ادارة الشئون الافريقية سنة ١٩٥٧ عن اثيوبيا " سياستها الخارجية وعلاقة مصر بها " ، ملف ٣ ج١ رقم

٣٠/٤٠/٤٦ ، محفظة ٢٧٨ (كود ارشيفى ٢٧٧) سرى جديد ، خارجية ، ص ص ٣ ، ١٢ ، ١٣ .

(١٠٣) خطاب من سفارة مصر باديس ابابا بشان دراسة تحليلية لاثيوبيا ، ٢٨ مايو ١٩٥٧ ، ملف٢ رقم ٢/٨١/٧٤١ التقارير السياسية للسفارة المصرية بأديس أبابا عن اثيوبيا ١٩٥٧-١٩٥٨ ، فيلم ٥١ أديس أبابا ، محفظة ٨٠ ، ارشيف البلدان ، خارجية .

(١٠٤) مذكرة مدير ادارة الشئون الافريقية بشأن زيارة امبراطور اثيوبيا لمصر والمسائل المعلقة التى يهمه بحثها ، ١٩٥٧/٨/١٣ ، ملف٧ رقم ١/٨١/٧٤١م التقارير السياسية للسفارة المصرية بأديس أبابا عن اثيوبيا ١٩٥٧ ، فيلم ٥٠ أديس أبابا ، محفظة ٧٩ ، ارشيف البلدان ، خارجية .

(١٠٥) Lefebvre Jeffery A:-The United States, Ethiopia and The 1963 Somali-Soviet Armies Deal : Containments and The Balance of Power Dilemma in The Horn Africa :Journal of Modern African Studies, Vol.36,No.4 (Dec.1998)P.615.

(١٠٦) خطاب من سفارة مصر باديس ابابا الى السيد السفير وكيل الخارجية بشان معلومات من القنصلية اليمنية بجيبوتى عن الصومال الفرنسى ، ملف٤ رقم ٢/٨١/٧٤١ التقارير السياسية للسفارة المصرية بأديس أبابا (مختلف) ١٩٥٧ ، فيلم ٥٠ أديس أبابا ، محفظة ٧٨ ، ارشيف البلدان ، خارجية .

(١٠٧) مرفقات مذكرة ادارة الشئون الافريقية بشان انتخاب الحاج محمد حسين رئيسا لحزب وحدة الشباب الصومالى ، موضوع كتاب السيد قنصل مصر فى مقديشيو رقم ٨٧ سرى فى ١٩٥٧/٨/٨ ، القاهرة فى ١٩٥٧/٩/٣ ، ملف ٥ ، محفظة ٧٦ ، فيلم ٤٩ الصومال ، ارشيف البلدان ، خارجية .

(١٠٨) خطاب من سفارة مصر باديس ابابا الى السيد السفير وكيل الخارجية بشان نشاط السفارة الروسية باديس ابابا فى ٢٠ يونيو ١٩٥٧ ، ملف٤ رقم ٢/٨١/٧٤١ التقارير السياسية للسفارة المصرية بأديس أبابا (مختلف) ١٩٥٧ ، فيلم ٥٠ أديس أبابا ، محفظة ٧٨ ، ارشيف البلدان ، خارجية.

(١٠٩) فقد بلغ التلاقى بين مصر والسوفيت منذ صفقة الاسلحة (سنة ١٩٥٥) مرورا بحرب السويس ثم بهجوم الروس على مبدأ ايزنهاور و تقديم السلاح وبرامج مساعدات فنية وتقنية لكل

من مصر وسوريا واليمن، للمزيد انظـــر ، Smolansky M. Oles . :- Moscow-Cairo Crisis ,1959 , Slavic Review ,Vol.22,No.4, (Dec.1963)PP.713,714.

(١١٠) خطاب من السكرتير الثالث بسفارة مصر بموسكو نبيل الدســوقى إلـــى الـــسيد وكيـــل الخارجية بخصوص تداعيات إقامة كتلة عسكرية فى افريقيا ، فى ١٩٥٧/٩/٢٧ ، ملـــف ٢ ، فيلم ٣٨ ، محفظة ٨٠ ، سرى جديد ، خارجية .

(١١١) أمانى محمد كمال الدين احمد :-المرجع السابق ، ص ١٧٤ .

(١١٢) كانت خطة مشروع ايزنهاور هى تقديم مساعدات اقتصادية وعسكرية للدول العربية قبلتها ليبيا ولبنان والعراق ورفضها عبدالناصر ، أما بالنسبة لحلف الملوك فيضم ملك السعودية وليبيـــا والمغرب والعراق والاردن ، للمزيد انظر ، عبدالرؤوف احمد عمرو :- المرجع الـــسابق ، ص ص ٤٤٠ - ٤٥٠ .

(١١٣) فقد أبدى السفير الهندى مخاوفه من أن يكون لأمريكا صلة بالزيارة ، وأن الملـــك ســـعود جاء ليلعب على الوتر الحساس ؛ وهو خطر الشيوعية على بلاده وبلاد أخـــرى مثـــل اثيوبيـــا ، للمزيد انظر ، خطاب من سفارة مصر باديس ابابا الى السيد السفير وكيل الخارجية بحول زيارة الملك سعود لاثيوبيا ، فى ٢٨ يونيو ١٩٥٧ ، ملف٤ رقـــم ٢/٨١/٧٤١ التقـــارير الـــسياسية للسفارة المصرية باديس ابابا (مختلف) ١٩٥٧ ، فيلم ٥٠ اديس ابابا ، محفظة ٧٨ ، أرشيف البلدان ، خارجية .

(*) هو حلف سعت الدول الغربية لانشائه منذ سنة ١٩٥٦ وهو يرتبط أشد الارتبـــاط بالأحـــداث المصرية ، وسيكون موضوع لورقة لاحقة بمشيئة الله .

(١١٤) خطاب سفارة مصر بمركش الى السيد وكيل وزارة الخارجية ، فى ٢٨ ابريل ١٩٥٨ ، ملف٣رقم ٣/٧/٢٠١ التقرير المختلفة للسفارة فى باريس ، محفظة ٥٩٩ (كـــود ارشـــيفى ٥٩٨) ، سرى جديد ، خارجية .

(١١٥) خطاب سفارة مصر بباريس إلى السيد السفير وكيل وزارة الخارجية عن الاتحـــاد لانقـــاذ وتجديد الجزائر الفرنسية ، فى ١٣ يونيو ١٩٥٦ ، ملف٣رقـــم ٣/٧/٢٠١ التقريـــر المختلفـــة للسفارة فى باريس ، محفظة ٥٩٩ (كود ارشيفى ٥٩٨) ، سرى جديد، خارجية، ص ص٢،٣ .

(١١٦) تقرير ادارة الشئون الافريقية سنة ١٩٥٧ عن خطر استعمارى جديد يهدد افريقيا ، ملف ٣ ج١ رقم ٣/٤٠/٤٦ ، محفظة ٢٧٨ (كود ارشيفى ٢٧٧) سرى جديد ، خارجية ، ص ص ١، ٢ .

(*) بحيث تمر من خلالها خطوط المواصلات التى تربط افريقيا الشمالية بالوسطى ، كما أنه يمكن انشاء قواعد عسكرية تستخدم فى أى صراع قد يقوم فى منطقة البحر المتوسط ، بل يمكنها اقامة صناعات عسكرية بعيدا عن خطر وسائل الحرب المعادية اذا قامت الحرب بين الكتلتين .

(١١٧) وهذا ما يفسر دفاع الحبيب بورقيبة ضد فكرة الحياد وتصدره فى فبراير ١٩٥٧ لعقد اجتماع افريقي يجمع اسبانيا وليبيا وتونس ومراكش وايطاليا لمحاولة التوفيق بين فرنسا والجزائر ، للمزيد انظر ابراهيم صقر :- مشروع الصحراء الكبرى الفرنسى ، مجلة نهضة افريقية ، السنة الثانية ، العدد الرابع عشر ، يناير ١٩٥٧ ، ص ص ٣٢، ٣٤ ، ٣٦ .

(١١٨) تقرير ادارة الشئون الافريقية سنة ١٩٥٧ عن خطر استعمارى جديد يهدد افريقيا :- التقرير السابق ، ص ص ٢، ٣ .

(١١٩) نفسه ، ص ص ٩- ١٩ .

(١٢٠) خطاب من سفير مصر ببودابست إلى السيد السفير وكيل الخارجية عن احداث الشرق الاوسط والتوتر الدولى ، فى ١٩٥٨/٧/٣١ ، ١٩ نوفمبر ١٩٥٨ ، ملف ١ رقم ١٠٣٧/٣٠٠/٥ج٥ احداث الشرق الاوسط ١٩٥٨ ، فيلم ٤٨ الشرق الاوسط ، محفظة ٧٥ ، ارشيف البلدان ، خارجية ، ص ص٢ ، ٣.

(١٢١) خطاب من سفير مصر بواشنطون الى السيد السفير وكيل الخارجية عن الموقف فى الشرق الاوسط وتعليق السفارة عليه ، ١٩ نوفمبر ١٩٥٨ ، ملف ١ رقم ١٠٣٧/٣٠٠/٥ج٥ احداث الشرق الاوسط ١٩٥٨ ، فيلم ٤٨ الشرق الاوسط ، محفظة ٧٤ ، ارشيف البلدان ، خارجية ، ص ص ١ ، ٢.

(١٢٢) للمزيد انظر ملف ٢ محفظة ٤٥٠ ، ارشيف سرى جديد ، الخارجية المصرية ، وكذلك ملف ٣ ج١ رقم ٣/٤٠/٤٦ ، محفظة ٢٧٨ (كود ارشيفى ٢٧٧) سرى جديد ، خارجية ، وكذلك ملف ٢ تقارير اكرا السياسية ، محفظة ٨٢ ، فيلم ٥٣ ، ارشيف البلدان ، الخارجية المصرية .

(١٢٣) خطاب سفارة مصر بالسودان الى السيد السفير وكيل الخارجية بشان تصريح عبدالله خليل وحلف البحر الاحمر وعزل مصر ، فى ١٠ مارس ١٩٥٨ ، محفظة ١٥ ، ملف ٢ رقم ٢/٨١/٧٤٤ ج٦ ، سرى جديد ، خارجية .

(١٢٤) نفسه .

(١٢٥) عبدالحميد عبدالجليل شلبى :- المرجع السابق ، ص ٢٢٠ .

(١٢٦) خطاب سفارة مصر بالسودان الى السيد السفير وكيل الخارجية :- الخطاب السابق.

(١٢٧) خطاب سفارة الجمهورية العربية المتحدة بالسودان الى السيد السفير وكيل الخارجية بشان السياسة الخارجية للحكومة الائتلافية الجدية ، فى ٢٠ مارس ١٩٥٨ ، محفظة ١٥ ، ملف ٢ رقم ٢/٨١/٧٤٤ ج٦ ، سرى جديد ، خارجية ، ص ص ٢ ، ٣.

(١٢٨) خطاب مكتب الملحق العسكرى بالسودان الى السيد السفير المصرى بالخرطوم ، فى ٢٩ مارس ١٩٥٨ ، محفظة ١٥ ، ملف ٢ رقم ٢/٨١/٧٤٤ ج٦ ، سرى جديد ، خارجية.

(١٢٩) خطاب سفارة الجمهورية العربية المتحدة بالسودان الى السيد السفير وكيل الخارجية بشان اتجاهات السياسة المصرية ، فى ١٤ ابريل ١٩٥٨ ، محفظة ١٥ ، ملف ٢ رقم ٢/٨١/٧٤٤ ج٧ ، سرى جديد ، خارجية.

(١٣٠) وكذلك فى البيان الذى نشرته الصحف فى ٤ مايو ١٩٥٨ يرد فيه على ما نشرته مجلة نيوزويك الامريكية ، بأن الصحيفة التى ترجمت الخبر (يقصد صحيفة الرأى العام) قد أخطأت فى كلمة حلف التى يفهم منها على انه حلف عسكرى مقابل Coalition التى لا تعنى أكثر من ائتلاف أو تآلف . وأن سياسة السودان تبتعد عن الاحلاف والمحافظة على الحياد ، وأن العلاقات بين الدول الثلاث (السعودية واثيوبيا والسودان) تقوم على اساس التفاهم الودى وحسن الجوار تقتضيها مصلحة البلاد . وكذلك فى البيان الذى أصدره وزير الخارجية السودانية ينفى ما جاء بالمجلة الامريكية ، للمزيد انظر ، عبدالحميد عبدالجليل شلبى :- المرجع السابق ، ص ص ٢٢٠ ، ٢٢١ .

(١٣١) اجتماعت هامة فى القاهرة لبحث تنظيم سياسة ثابتة تجاة افريقيا ، آخر ساعة ، العدد ١٢٣٠ ، فى ٢١ مايو ١٩٥٨ ، ص ٢ .

(١٣٢) ففى مايو ١٩٥٨ كانت التقارير تشير الى نية بريطانيا فى تركيز قواتها فى عدن وكينيا والتخلى عن قواعدها فى الأردن وقبرص ، ولكنها كانت تخشى على قاعدتها فى عدن من جراء

انضمام اليمن فى اتحاد مع الجمهورية العربية المتحدة وما يتبع ذلك من تسليح واعداد عسكرى يجعلها شوكة فى جنب الانجليز ومصدرا للتيارات التحررية ، وفى هذا الاطار اشارت احدى الوثائق الى قيام بريطانيا بمحاولة كسر اليمن بين يوم واخر ، فنصحت بالحذر والاستعداد لمجابهة الموقف سياسيا وعسكريا ، للمزيد انظر مذكرة مدير الادارة العربية بوزارة الخارجية عن حوادث فى عدن بمناسبة الكتاب رقم ٤٨ من مكتب الجمهورية الدئم بالصومال ، ملف ٢ ، محفظة ٧٦ ، فيلم ٤٩ الصومال ، ارشيف البلدان ، خارجية .

(١٣٣) حيث ذكرت بأن بناء قاعدة كهاوة سيبدأ سنة ١٩٥٩ ليتم استكمالها سنة ١٩٦١ ، انظر ، خطاب محمد حسن الزيات ممثل الجمهورية العربية المتحدة لدى المجلس الاستشارى للصومال الى السيد السفير وكيل الخارجية فى ١٩٥٨/٦/١٠ ، القاهرة فى ١٩٥٧/٩/٣ ، ملف ، محفظة ٧٦ ، فيلم ٤٩ الصومال ، ارشيف البلدان ، خارجية .

(١٣٤) خطاب من سفارة جمهورية مصر بالخرطوم الى السيد وكيل الخارجية عن المعونة الامريكية فى ١٠/يوليو ١٩٥٨ ، ملف ٣رقم ١ سرى لعام ١٩٥٧/٥٦ ج٧ تقارير سياسية للسفارة المصرية بالخرطوم ، محفظة ٩٢٣ (كود ارشيفى ٧٢٨) سرى جديد ، خارجية ، ص ص ٢ ، ٣.

(١٣٥) عبد الحميد عبدالجليل شلبى :- المرجع السابق ، ص ص ٢٢٢ ، ٢٤١ .

(١٢٦) أحمد حمروش :- عبدالناصر والعرب ، مطبوعات ثورة يوليو (٤) ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٢ ، ص ٣٢٥

(١٣٧) استجابة للضغوط الشعبية حسب اعلان العسكر انفسهم يوم ١٧ نوفمبر ١٩٥٨ بانهم تحركوا لوضع حد لحالة الفوضى التى تجتاح البلاد ، للمزيد انظر ، احمد حمروش : المرجع السابق ، ص ص ٣٢٥ ، ٣٢٦ .

(١٣٨) فكانت على علم باشتداد المعارضة ضدها ، وبأن اسقاطها سيكون دستوريا من خلال البرلمان ، وهذا يفسر لماذا أصدرت الحكومة قرارا بتعطيل البرلمان واصدر اوامره للجيش باتخاذ الاحتياطات اللازمة ، للمزيد انظر ، عبود يبعث بخطة الثورة فى رسالة واخرى مع اوامر عبدالله خليل ، اخر ساعة ، العدد ١٢٥٧ ، ٢٦ نوفمبر ١٩٥٨ ، ص ص ٣ ، ٤ .

(١٣٩) خطاب محمد حسن الزيات ممثل الجمهورية العربية المتحدة لدى المجلس الاستشارى فى الصومال ، ملف ٢ ، محفظة ٧٧ ، فيلم ٤٩ الصومال ، ارشيف البلدان ، خارجية ، ص ٣.

(١٤٠) متمثلا فى حصول هيلاسلاسى على درجة الدكتوراة الشرفية من جامعة موسكو سنة ١٩٥٩ ، للمزيد انظر Yakobson Sergius:-The Soviet Union and Ethiopia : A Case of Traditional Behavior , Vol.25, (Jul.1963) No.3,P.332.

(١٤١) خطاب من عثمان توفيق سفير الجمهورية العربية المتحدة باديس ابابا الى السيد السفير وكيل الخارجية عن رد فعل احداث الشرق الأوسط فى الصحافة الاثيوبية والرأى العام الاثيوبى ، فى ٢١ يوليو ١٩٥٨ ، ملف ارقم ١٠٣٧ /٣٠٠/٥ ج١ احداث الشرق الأوسط ١٩٥٨ ، محفظة ٧٥ ، فيلم ٤٨ الشرق الاوسط ، ارشيف البلدان ، خارجية .

(١٤٢) Erlich Haggai :-Identity and Church : Ethiopian –Egyptian Dialogue,1924-1959 : International Journal of Middle East Studies, Vol.32,No.1 (Feb.2000)PP.38-40.

المصادر والمراجع

أولاً - الوثائق غير المنشورة :

أ- الوثائق العربية :-

- النشرة السرية رقم ٢ الى البعثات التمثيلية بالخارج وادارات اقسام الوزارة ، ادارة الشئون العربية ،وزارة الخرجية ، ملف ٤ رقم ٩/٤٠/٤٦ النشرة السرية للادارة العربية ، محفظة ٢٨٣ .

- خطاب السفير محمد عبدالعزيز بمفوضية مصر بروما الى حضرة صاحب المعالى وزير الخارجية بخصوص حديث مع سعادة السكرتير الدعائى لوزارة الخارجية الايطالية ، فى ١٦ يونيو ١٩٥٠، ملف ٧ محفظة ٢٠٥ ، سرى جديد ، خارجية

- خطاب محمد حسن الزيات ممثل الجمهورية العربية المتحدة لدى المجلس الاستشارى فى الصومال ، ملف ٢ ، محفظة ٧٧ ، فيلم ٤٩ الصومال ، ارشيف البلدان ، خارجية .

- خطاب من حسن مظهر سفير مصر باديس ابابا الى حضرة صاحب السعادة وكيل الخارجية بشأن الاحتفال بسفر الوحدة العسكرية الى كوريا ، ١٦ ابريل ١٩٥١ ، ملف٣ رقم ٧/٢٢٥ /١ج٢ التقارير السياسية للسفارة المصرية بأديس أبابا ، فيلم ٥٠ أديس أبابا ، محفظة ٧٩ ، ارشيف البلدان ، خارجية .

- خطاب من حسن مظهر سفير مصر باديس ابابا الى حضرة صاحب السعادة وكيل الخارجية ، فى ١٦ يونيو ١٩٥١ ، ملف٣ رقم ٧/٢٢٥ /١ج٢ التقارير السياسية للسفارة المصرية بأديس أبابا ، فيلم ٥٠ أديس أبابا ، محفظة ٧٩ ، ارشيف البلدان ، خارجية .

- حلف الدفاع عن الافريقى ، ملف ٦ رقم ٢٠/١٤٢/٤ مؤتمر نيروبى ، فيلم ٣٨ ، محفظة ٧٩ ، سرى جديد ، خارجية .

- تقرير رئيس قسم افريقيا سعيد لطفى الغمراوى عن تطور فكرة الدفاع عن افريقيا ، ٢١ يوليو ١٩٥٥ ، ملف ٦ رقم ٢٠/١٤٢/٤ مؤتمر نيروبى ، فيلم ٣٨ ، محفظة ٧٩ ، سرى جديد ، خارجية .

- مذكرة مدير المخابرات العامة عن امبراطور الحيشة وعلاقته بالسيد عبدالرحمن المهدى ، فى ١٩٥٣/٩/١٤ ، ملف ٢ ، رقم ٧ سرى ج١ عام ١٩٥٣ ، المخابرات الحربية ، معلومات عامة عن السودان ، محفظة ٧٣٦ (كود ٩٣٤) سرى جديد ، خارجية .

- مذكرة مدير ادارة المخابرات العامة عن زيارة بعثة عسكرية امريكية للسودان ، فى٦/١٠ /١٩٥٣ ، ملف ٢ ، رقم ٧ سرى ج١ عام ١٩٥٣ ، المخابرات الحربية، معلومات عامة عن السودان ، محفظة ٧٣٦ (كود ٩٣٤) سرى جديد ، خارجية.

- خطاب صلاح سالم وزير الدولة لشئون السودان الى وكيل وزارة الخارجية، فى ١٤ فبرير ١٩٥٤، ملف ٣ رقم ٣/٧/٢٢٥ج١ التقارير المختلفة للسفارة المصرية بأديس أبابا عن اثيوبيا ، فيلم ٥٠ أديس أبابا ، محفظة ٧٨ ، ارشيف البلدان ، خارجية .

- مذكرة قسم افريقيا عن الدول الافريقية واشتراكها فى مؤتمر جاكرتا ، فى ٢١ ديسمبر ١٩٥٤ ، ملف ٣ رقم ١/٧/٢٢٥ج٢ التقاريرالسياسية للسفارة المصرية بأديس أبابا عن اثيوبيا ١٩٥١ – ١٩٥٦ ، فيلم ٥٠ أديس أبابا ، محفظة ٧٩ ، ارشيف البلدان ، خارجية .

- خطاب من القائم بالعمال بالنيابة فى سفارة مصر باديس ابابا الى السيد وكيل الخارجية (الادارة السياسية) فى ٢٣ مارس ١٩٥٤ ، ملف ٣ رقم

٣/٧/٢٢٥ج١ التقارير المختلفة للسفارة المصرية بأديس أبابا عن اثيوبيا ، فيلم ٥٠ أديس أبابا ، محفظة ٧٨ ، ارشيف البلدان ، خارجية .

- خطاب عادل فاضل الملحق بسفارة مصر بباريس الى سفير مصر بلندن عن مؤتمر داكار ، ١٦ ابريل ١٩٥٤ ، ملف١ رقم ٢٤/١٤٢/٤ ج١ ، المؤتمر الخاص بانشاء حلف للدفاع الافريقى داكار مارس ١٩٥٤ ، فيلم ٣٨ ، محفظة ٨٠ ، سرى جديد ، خارجية .

- مرفقات تقرير الصحف والاذاعة ، ملف ٤ الصحافة السودانية ١٩٥٥، فيلم ٧ السودان ، محفظة ١٠ ، ارشيف البلدان ، خارجية .

- مذكرة وكيل وزارة الخارجية الى السيد وزير الارشاد القومى عن بعض الاتجاهات لحكومة اثيوبيا فى السياسة الافريقية ، فباير ١٩٥٤ ، ملف ٢ رقم ٣/٧/٢٢٥ج١ التقارير المختلفة للسفارة المصرية بأديس أبابا عن اثيوبيا ، فيلم ٥٠ أديس أبابا ، محفظة ٧٨ ، ارشيف البلدان ، خارجية .

- تقرير سفارة مصر بواشنجتون عن زيارة امبراطور الحبشة للولايات المتحدة ، فى ١٥/يونيو /١٩٥٤ ، ملف ٣ رقم ٣/٧/٢٢٥ج١ التقارير المختلفة للسفارة المصرية بأديس أبابا عن اثيوبيا ، فيلم ٥٠ أديس أبابا ، محفظة ٧٨ ، ارشيف البلدان ، خارجية .

- خطاب من القائم بالعمال بالنيابة فى سفارة مصر باديس ابابا الى السيد وكيل الخارجية (الادارة السياسية) فى ٢٣ مارس ١٩٥٤ ، ملف ٣ رقم ٣/٧/٢٢٥ج١ التقارير المختلفة للسفارة المصرية بأديس أبابا عن اثيوبيا ، فيلم ٥٠ أديس أبابا ، محفظة ٧٨ ، ارشيف البلدان ، خارجية .

- خطاب من سفارة مصر باديس ابابا الى حضرة صاحب السعادة وكيل الخارجية بشأن رأى وزير المانيا الغربية فى النفوذ البريطانى فى اثيوبيا فى ٢٩ مايو ١٩٥٤

، ملف٣ رقم ٧/٢٢٥ /١ج٢ التقارير السياسية للسفارة المصرية بأديس أبابا ، فيلم ٥٠ أديس أبابا ، محفظة ٧٩ ، ارشيف البلدان ، خارجية .

- خطاب من سفارة مصر بلندن الى حضرة صاحب السعادة وكيل الخارجية بشأن زيارة امبراطور اثيوبيا للندن ، فى ١٩٥٤/١٠/٢٥ ، ملف٣ رقم ٧/٢٢٥ /١ج٢ التقارير السياسية للسفارة المصرية باديس ابابا ، فيلم ٥٠ اديس ابابا ، محفظة ٧٩ ، ارشيف البلدان ، خارجية

- خطاب سفير لندن لوكيل الخارجية فى ١٩٥٤/١١/٨ ، ملف ١ رقم ٢٠٠/٧/١ج٨ التقارير السياسية لسفارة مصر بلندن ، محفظة ٥٩٥(كود ٥٩٤) سرى جديد ، خارجية .

- خطاب من وكيل الخارجية لسفير مصر باديس ابابا ، فى ديسمبر ١٩٥٤ ، ملف٣ رقم ٧/٢٢٥ /١ج٢ التقارير السياسية للسفارة المصرية بأديس أبابا "مختلف ١٩٥١-١٩٥٦ " ، فيلم ٥٠ أديس أبابا ، محفظة ٧٩ ، ارشيف البلدان ، خارجية .

- خطاب السفير ا.ح احمد حسن بسفارة مصر بليبيا الى السيد السفير وكيل وزارة الخارجية عن معاهدة الصداقة الليبية التركية فى ٣ يناير ١٩٥٦ ، ملف٢ رقم ١٧/٢٧/٣٨ ج٣ الاتفاقات التركية - العراقية ، محفظة ٢٤٩ (كود ارشيفى ٢٤٨) ، سرى جديد ، خارجية .

- مذكرة رئيس قسم اوروبا محمود معبد فى ١٤ مارس ١٩٥٥ ، ملف ١ ، فيلم ٣٨ ، محفظة ٨٠ ، سرى جديد ، خارجية .

- خطاب من القائم بالاعمال بالنيابة ابراهيم الدسوقى امام بسفارة مصر باديس ابابا الى السيد السفير وكيل الخارجية بشان ملاحظات الحكومة الاثيوبية على ما نشر فى الصحف المصرية اخيرا عن جلالة الامبراطور هيلاسلاسى ، ملف٣ رقم

٧/٢٢٥ /١ج٢ التقارير السياسية للسفارة المصرية بأديس أبابا "مختلف " ١٩٥١- ١٩٥٦ ، فيلم ٥٠ أديس أبابا ، محفظة ٧٩ ، ارشيف البلدان ، خارجية .

- مقال روزاليوسف المرفق حول حلف عسكرى جديد وسط افريقيا ، العدد ١٤٠٣ ، ملف٣ رقم ٧/٢٢٥ /١ج٢ التقارير السياسية للسفارة المصرية بأديس أبابا "مختلف " ١٩٥١-١٩٥٦ ، فيلم ٥٠ أديس أبابا ، محفظة ٧٩ ، ارشيف البلدان ، خارجية .

- هل يلعب هيلاسلاسى دور نورى السعيد فى العالم العربى ، ملف٣ رقم ٧/٢٢٥ /١ج٢ التقارير السياسية للسفارة المصرية بأديس أبابا "مختلف " ١٩٥١- ١٩٥٦ ، فيلم ٥٠ أديس أبابا ، محفظة ٧٩ ، ارشيف البلدان ، خارجية .

- مذكرة مدير ادارة الابحاث عن تصرفات الحكومة الاثيوبية حيال الملحق العسكرى المصرى ، فى ١٩٥٥/٨/١٣ ، ملف٢ رقم ٧/٢٢٥ /٣ج٢ التقارير السياسية للسفارة المصرية بأديس أبابا عن اثيوبيا ١٩٥٤- ١٩٥٦ ، فيلم ٥١ أديس أبابا ، محفظة ٨٠ ، ارشيف البلدان ، خارجية .

- خطاب من الملحق العسكرى بالنيابة الى السيد السفير وكيل الخارجية بخصوص تقرير عام ، فى ١٩٥٦/١٢/٢١ ، ملف٣ رقم ٤١ سرى لعام ١٩٥٧/٥٦ ج٣ ملخصات تقارير سياسية للسفارة المصرية بالخرطوم ، محفظة ٩٢١ (كود ارشيفى ٧٢٧) سرى جديد ، خارجية .

- تقرير المخابرات الصحفى عن الصحافة السودانية من ٩/٩/ الى ١٩٥٥/٩/١٠ مرسل فى ١٩٥٥/٩/١٣ من ادارة المخابرات الحربية لادارة المخابرات العامة ، ملف ٤ الصحافة السودانية ١٩٥٥، فيلم ٧ السودان ، محفظة ١٠ ، ارشيف البلدان ، خارجية .

- تقرير المخابرات الصحفى عن الصحافة السودانية من ٩/٤/ الـــى ١٩٥٥/٩/٨ مرسل فى ١٩٥٥/٩/١٥ من ادارة المخابرات الحربية لادارة المخابرات العامـــة ، ملف ٤ الصحافة السودانية ١٩٥٥، فيلم ٧ السودان ، محفظة ١٠ ، ارشيف البلدان ، خارجية .

- تقرير المخابرات الصحفى عن الصحافة السودانية من ٩/١٤/ الى ١٩٥٥/٩/١٦ مرسل فى ١٩٥٥/٩/١٩ من ادارة المخابرات الحربية لادارة المخابرات العامـــة ، ملف ٤ الصحافة السودانية ١٩٥٥، فيلم ٧ السودان ، محفظة ١٠ ، ارشيف البلدان ، خارجية .

- تقرير المخابرات الصحفى عن الصحافة السودانية من ٩/١١/ الى ١٩٥٥/٩/١٣ مرسل فى ١٩٥٥/٩/١٩ من ادارة المخابرات الحربية لادارة المخابرات العامـــة ، ملف ٤ الصحافة السودانية ١٩٥٥، فيلم ٧ السودان ، محفظة ١٠ ، ارشيف البلدان ، خارجية .

- تقرير المخابرات الصحفى عن الصحافة السودانية من ١٠/٥/ الى ١٩٥٥/١٠/٩ مرسل فى ١٩٥٥/١٠/١٧ من ادارة المخابرات الحربية لادارة المخابرات العامة ، ملف ٤ الصحافة السودانية ١٩٥٥، فيلم ٧ السودان ، محفظة ١٠ ، ارشيف البلدان ، خارجية .

- ملخص عن الفترة من ١/١٧ الى ١/١٤ /١٩٥٦ مرسل من قائد جناح عصام الدين محمود خليل مساعد مدير المخابرات الحربية للقوات الجويـــة الـــى الـــسيد اليوزباشى محمد ابونار مدير مكتب وزير الدولة لشئون السودان ، ملف٢ رقـــم ٤١ سرى جدا لعام ١٩٥٧/٥٦ ج١ ملخصات تقـــارير المخـــابرات الجويـــة ، ، محفظة ٩٢٦ (كود ارشيفى ٧٣١) سرى جديد ، خارجية .

- خطاب من سفارة جمهورية مصر بالخرطوم الى السيد وكيل الخارجية في ١٩٥٦/٧/٢٩ ، ملف ٢ رقم ١ سرى لعام ١٩٥٧/٥٦ ج٢ تقارير سياسية للسفارة المصرية بالخرطوم ، محفظة ٩٢١ (كود ارشيفى ٧٢٧) سرى جديد ، خارجية .

- التقرير رقم ١ بتاريخ ١٩٥٦/١/٥ مرسل من قائد جناح عصام الدين محمود خليل مساعد مدير المخابرات الحربية للقوات الجوية الى السيد اليوزباشى محمد ابونار مديبر مكتب وزير الدولة لشئون السودان ، فى ٧/١/ ١٩٥٦ ، ملف١رقم ٤٠ سرى جدا لعام ١٩٥٧/٥٦ ج١ ملخصات تقارير المخابرات الجوية ، ، محفظة ٩٢٣ (كود ارشيفى ٧٢٨) سرى جديد ، خارجية .

- الملخص ٤٥ عن الفترة من ٣٠ ابريل الى ٩ مايو ١٩٥٦ مرسل من قائد جناح عصام الدين محمود خليل مساعد مدير المخابرات الحربية للقوات الجوية الى السيد اليوزباشى محمد ابونار مديبر مكتب وزير الدولة لشئون السودان ، فى ٣٠/١/ ١٩٥٦ - ملف١ رقم ٤١ سرى لعام ١٩٥٧/٥٦ ج٣ ملخصات تقارير المخابرات الجوية ، ، محفظة ٩٢٧ (كود ارشيفى ٧٣٢) سرى جديد ، خارجية .

- ملخص عن الفترة من ١/١٥ الى ١/٢٣ /١٩٥٦ مرسل من قائد جناح عصام الدين محمود خليل مساعد مدير المخابرات الحربية للقوات الجوية الى السيد اليوزباشى محمد ابونار مديبر مكتب وزير الدولة لشئون السودان ، فى ١/٣٠/ ١٩٥٦ ، ملف٢ رقم ٤١ سرى جدا لعام ١٩٥٧/٥٦ ج١ ملخصات تقارير المخابرات الجوية ، ، محفظة ٩٢٦ (كود ارشيفى ٧٣١) سرى جديد ، خارجية .

- ملخص عن الفترة من ٢/٣ الى ١٩٥٦/٢/١٥ مرسل من قائد جناح عصام الدين محمود خليل مساعد مدير المخابرات الحربية للقوات الجوية الى السيد اليوزباشى محمد ابونار مدير مكتب وزير الدولة لشئون السودان ، فى ١٦ فبراير ١٩٥٦ ، ملف٢ رقم ٤١ سرى جدا لعام ١٩٥٧/٥٦ ج١ ملخصات تقارير المخابرات الجوية ، ، محفظة ٩٢٦ (كود ارشيفى ٧٣١) سرى جديد ، خارجية .

- التقرير رقم ٧ بتاريخ ١٩٥٦/١/٤ مرسل من قائد جناح عصام الدين محمود خليل مساعد مدير المخابرات الحربية للقوات الجوية الى السيد اليوزباشى محمد ابونار مدير مكتب وزير الدولة لشئون السودان ، فى٩/١/ ١٩٥٦ ، ملف١رقم ٤٠ سرى جدا لعام ١٩٥٧/٥٦ ج١ ملخصات تقارير المخابرات الجوية ، ، محفظة ٩٢٣ (كود ارشيفى ٧٢٨) سرى جديد ، خارجية .

- الملخص ٤٠ للفترة من ١٢ مارس الى ١٩ مارس /١٩٥٦ مرسل من قائد جناح عصام الدين محمود خليل مساعد مدير المخابرات الحربية للقوات الجوية الى السيد اليوزباشى محمد ابونار مدير مكتب وزير الدولة لشئون السودان ، فى ٢/٤/ ١٩٥٦ ، ملف٣ رقم ٤١ سرى جدا لعام ١٩٥٧/٥٦ ج٢ ملخصات تقارير المخابرات الجوية ، ، محفظة ٩٢٦ (كود ارشيفى ٧٣١) سرى جديد ، خارجية .

- خطاب من سفارة جمهورية مصر بالخرطوم الى السيد السفير وكيل الخارجية عن موقف مصر فى السودان ، ملف٣ رقم ٤١ سرى لعام ١٩٥٧/٥٦ ج٣ ملخصات تقارير سياسية للسفارة المصرية بالخرطوم ، ، محفظة ٩٢١ (كود ارشيفى ٧٢٧) سرى جديد ، خارجية .

- الملخص ٥١ عن الفترة من ٧/٩ الى ١٩٥٦/٧/٢٩ مرفوع من ادارة المخابرات الحربية الى مدير ادارة الشئون الافريقية فى ١٩٥٦/٨/٩ ، ملف ٢رقم ٤١سرى

لعام ١٩٥٧/٥٦ ج٤ ، محفظة ٩٢٧ (كود ارشيفى ٧٣٢) ، سرى جديد ، خارجية .

- الملخص ٥٩ عن الفترة من ١١/١٣ الى ١٩٥٦/١١/٢٤ مرفوع من ادارة المخابرات الحربية الى مدير ادارة الشئون الافريقية ، ملف ٣رقم ٤١سرى لعام ١٩٥٧/٥٦ ج٥ ، محفظة ٩٢٧ (كود ارشيفى ٧٣٢) ، سرى جديد ، خارجية.

- الملخص ٤٦ عن الفترة من٢٣ اغسطس الى ٢٠ سبتمبر ١٩٥٦ مرسل من قائد جناح عصام الدين محمود خليل مساعد مدير المخابرات الحربية للقوات الجوية الى السيد اليوزباشى محمد ابونار مديبر مكتب وزير الدولة لشئون السودان ، فى ٣١/٥/ ١٩٥٦ ، ملف٢ رقم ٤١ سرى لعام ١٩٥٧/٥٦ ج ٣ملخصات تقارير المخابرات الجوية ، ، محفظة ٩٢٧ (كود ارشيفى ٧٣٢) سرى جديد ، خارجية .

- الملخص ٤٥ عن الفترة من ٣٠ ابريل الى ٩ مايو ١٩٥٦ مرسل من قائد جناح عصام الدين محمود خليل مساعد مدير المخابرات الحربية للقوات الجوية الى السيد اليوزباشى محمد ابونار مديبر مكتب وزير الدولة لشئون السودان ، فى ٣٠/١/ ١٩٥٦ ، ملف١ رقم ٤١ سرى لعام ١٩٥٧/٥٦ ج٣ ملخصات تقارير المخابرات الجوية ، محفظة ٩٢٧ (كود ارشيفى ٧٣٢) سرى جديد ، خارجية .

- الملخص ٥٦ عن الفترة من ٢١ سبتمبر الى ١٠ اكتوبر ١٩٥٦ ، مرفوع من ادارة المخابرات الحربية الى مدير ادارة الشئون الافريقية فى ٣٠ /١٠ /١٩٥٦، ملف ٣رقم ٤١سرى لعام ١٩٥٧/٥٦ ج٥ ، محفظة ٩٢٧ (كود ارشيفى ٧٣٢)، سرى جديد ، خارجية .

- خطاب من سفارة جمهورية مصر بالخرطوم الى السيد وكيل الخارجية فى ١٩٥٦/٧/٢٩ ، ملف ٢ رقم ١ سرى لعام ١٩٥٧/٥٦ ج٢ تقارير سياسية للسفارة

المصرية بالخرطوم ، محفظة ٩٢١ (كود ارشيفى ٧٢٧) سرى جديد ، خارجية .

- خطاب من عثمان توفيق سفير مصر باديس ابابا الى السيد السفير وكيل الخارجية الدائم عن ايفاد بعثة صداقة اثيوبية الى السودان ، ملف٢ رقم ١/٧/٢٢٥ التقارير السياسية للسفارة المصرية بأديس أبابا عن اثيوبيا ١٩٥٦ ، محفظة ٧٩ ، فيلم ٥٠ أديس أبابا ، ارشيف البلدان خارجية .

- الملخص ٤٩ عن الفترة من ١٣ يونيو الى ٢٧ يونيو ١٩٥٦ مرسل من قائد جناح عصام الدين محمود خليل مساعد مدير المخابرات الحربية للقوات الجوية الى مدير ادارة الشئون الافريقية ، فى ١٩٥٦/٧/٩ ، ملف٢ رقم ٤١ سرى لعام ١٩٥٧/٥٦ ج٤ ملخصات تقارير المخابرات الجوية ، ، محفظة ٩٢٧ (كود ارشيفى ٧٣٢) سرى جديد ، خارجية .

- خطاب من مفوضية بريتوريا الى السيد وكيل الخارجية بشان افتتاح الدورة الخامسة للبرلمان الحادى عشر لاتحاد جنوب افريقيا فى ١٩٥٧/١/٢٥ ، ملف ٧ ، فيلم ٥٤ بريتوريا ، محفظة ٨٤ ، ارشيف البلدان ، خارجية .

- مذكرة من مدير ادارة الشئون الافريقية الى السيد الوكيل المساعد للشئون السياسية فى ١٩٥٧/٨/١٥ ، ملف ٢ ، فيلم ٣٨ ، محفظة ٨٠ ، سرى جديد ، خارجية .

- مذكرة مستشار سفارة مصر بالخرطوم يحيى عبدالقادر عن استعراض عام للموقف السياسى فى السودان ، ملف ٣رقم ١ سرى لعام ١٩٥٧/٥٦ ج٣ تقارير سياسية للسفارة المصرية بالخرطوم ، محفظة ٩٢١ (كود ارشيفى ٧٢٧) ، سرى جديد ، خارجية.

- خطاب من الملحق العسكرى الصاغ جمال شقير الى السيد وكيل الخارجية ، فى ١٩٥٦/٩/٨ ، ملف ٢رقم ١ سرى لعام ١٩٥٧/٥٦ ج٢ تقارير سياسية للسفارة المصرية بالخرطوم ، محفظة ٩٢١ (كود ارشيفى ٧٢٧) ، سرى جديد ، خارجية .

- تقرير عام من سفارة جمهورية مصر بالخرطوم الى السيد وكيل الخارجية (ادارة الشئون الافريقية) ، فى ١٩٥٦/١٠/١ ، ملف ٢رقم ١ سرى لعام ١٩٥٧/٥٦ ج٢ تقارير سياسية للسفارة المصرية بالخرطوم ، محفظة ٩٢١ (كود ارشيفى ٧٢٧) ، سرى جديد ، خارجية .

- تقرير ادارة الشئون الافريقية سنة ١٩٥٧ عن اثيوبيا " سياستها الخارجية وعلاقة مصر بها " ، ملف ٣ ج١ رقم ٣٠/٤٠/٤٦ ، محفظة ٢٧٨ (كود ارشيفى ٢٧٧) سرى جديد ، خارجية .

- مذكرة طه فتح الدين مدير ادارة الشئون الافريقية الى السيد وكيل وزارة الخارجية المساعد للشئون السياسية فى ١٩٥٦/١٠/٢٤ ، ملف٤ رقم ٧/٢٢٥ /١ج٣ التقارير السياسية للسفارة المصرية بأديس أبابا "مختلف " ١٩٥٦ ، فيلم ٥٠ أديس أبابا ، محفظة ٧٩ ، ارشيف البلدان ، خارجية .

- كتاب سفارة جمهورية مصر بالخرطوم عن هدية الاسلحة للسودان ، مطبعة مصر ، الخرطوم ، ملف٥ رقم ١ سرى لاعوام ٥٦ ، ٥٧ ، ١٩٥٨ ج٨ ملخصات تقارير سياسية للسفارة المصرية بالخرطوم ، ، محفظة ٩٣٧ (كود ارشيفى ٧٣٨) سرى جديد ، خارجية

- مذكرة مدير ادارة الشئون الافريقية الى السيد ا وكيل وزارة الخارجية المساعد للشئون السياسية فى ١٩٥٦/١٠/٢٤ ، ملف٤ رقم ٧/٢٢٥ /١ج٣ التقارير

السياسية للسفارة المصرية بأديس أبابا "مختلف " ١٩٥٦ ، فيلم ٥٠ أديس أبابا ، محفظة ٧٩ ، ارشيف البلدان ، خارجية .

- الملخص ٥٤ عن الفترة من ٢٣ اغسطس الى ٢٠ سبتمبر ١٩٥٦ مرسل من قائد جناح عصام الدين محمود خليل مساعد مدير المخابرات الحربية للقوات الجوية الى مدير ادارة الشئون الافريقية ، فى ١٩٥٦/١٠/١٠ ، ملف٢ رقم ٤١ سرى لعام ١٩٥٧/٥٦ ج٤ ملخصات تقارير المخابرات الجوية ، ، محفظة ٩٢٧ (كود ارشيفى ٧٣٢) سرى جديد ، خارجية .

- خطاب من سفارة جمهورية مصر بالخرطوم الى السيد وكيل الخارجية بخصوص اسلحة امريكية للسودان فى ١٦ يناير ١٩٥٧ ، ملف ٣رقم ١ سرى لعام ١٩٥٧/٥٦ ج٣ تقارير سياسية للسفارة المصرية بالخرطوم ، محفظة ٩٢١ (كود ارشيفى ٧٢٧) سرى جديد ، خارجية .

- خطاب من سفارة جمهورية مصر بالخرطوم الى السيد السفير وكيل الخارجية بخصوص السياسة الخارجية للحكومة السودانية ، فى ٥ يناير ١٩٥٧ ، ملف٣ رقم ٤١ سرى لعام ١٩٥٧/٥٦ ج٣ ملخصات تقارير سياسية للسفارة المصرية بالخرطوم ، ، محفظة ٩٢١ (كود ارشيفى ٧٢٧) سرى جديد ، خارجية .

- الملخص ٦٤ للفترة من١٨ يناير الى اول فبراير ١٩٥٧ ، مرسل من قائد جناح عصام الدين محمود خليل مساعد مدير المخابرات الحربية للقوات الجوية الى السيد مدير ادارة الشئون الافريقية ، فى ١٢/٢/ ١٩٥٧ ، ملف٣ رقم ٤١ سرى جدا لعام ١٩٥٧/٥٦ ج٢ ملخصات تقارير المخابرات الجوية ، ، محفظة ٩٢٦ (كود ارشيفى ٧٣١) سرى جديد ، خارجية .

- الملخص ٦٦ عن تقدير موقف لاالحالة السياسية فى السودان (الجزء الاول) مرسل من قائد جناح عصام الدين محمود خليل مساعد مدير المخابرات الحربية

للقوات الجوية الى مدير ادارة الشون الافريقية ، فى ١٩٥٧/٣/٢٠ ، ملف رقم ٤١ سرى لعام ١٩٥٧/٥٦ ج٦ ملخصات تقارير المخابرات الجوية ، ، محفظة ٩٢٨ (كود ارشيفى ٧٣٣) سرى جديد ، خارجية .

- خطاب من سفارة جمهورية مصر بالخرطوم الى السيد وكيل الخارجية عن نشاط السفارات الاجنبية والنشاط المضاد لها ، فى ١٩٥٧/٣/٢٥ ، ملف ٣رقم ١ سرى لعام ١٩٥٧/٥٦ ج٣ تقارير سياسية للسفارة المصرية بالخرطوم ، محفظة ٩٢١ (كود ارشيفى ٧٢٧) سرى جديد ، خارجية .

- التقرير رقم ١ فى ١٩٥٧/٦/٦ ، تقارير المجموعة الاولى رقم (١٠٧) الخاصة بالسودان مرسل من ادارة المخابرات الحربية الى السيد مدير ادارة الشئون الافريقية ، ملف١ رقم ٤٠ سرى لعام ١٩٥٧/٥٦ ج٩ ملخصات تقارير المخابرات الجوية ، ، محفظة ٩٢٦ (كود ارشيفى ٧٣١) سرى جديد ، خارجية .

- مذكرة المستشار التجارى بسفارة جمهورية مصر بالخرطوم فى ١٧ مارس ١٩٥٧ بشان بذرة القطن السودانى المطلوب شرائها لوزارة التموين ، ملف ٨ رقم ١/٧/١٣١ مؤقت ، محفظة ٤٥١ سرى جديد ، خارجية .

- تقرير ادارة الشئون الافريقية سنة ١٩٥٧ عن اثيوبيا " سياستها الخارجية وعلاقة مصر بها " ، ملف ٣ ج١ رقم ٣٠/٤٠/٤٦ ، محفظة ٢٧٨ (كود ارشيفى ٢٧٧) سرى جديد ، خارجية .

- خطاب من سفارة مصر باديس ابابا بشان دراسة تحليلية لاثيوبيا ، ٢٨ مايو ١٩٥٧ ، ملف٢ رقم ٢/٨١/٧٤١ التقارير السياسية للسفارة المصرية باديس ابابا عن اثيوبيا ١٩٥٧- ١٩٥٨ ، فيلم ٥١ اديس ابابا ، محفظة ٨٠ ، ارشيف البلدان ، خارجية .

- مذكرة مدير ادارة الشئون الافريقية بشأن زيارة امبراطور اثيوبيا لمصر والمسائل المعلقة التى يهمه بحثها ، ١٩٥٧/٨/١٣ ، ملف٧ رقم ١/٨١/٧٤١م التقارير السياسية للسفارة المصرية بأديس أبابا عن اثيوبيا ١٩٥٧ ، فيلم ٥٠ أديس أبابا ، محفظة ٧٩ ، ارشيف البلدان ، خارجية .

- خطاب من سفارة مصر باديس ابابا الى السيد السفير وكيل الخارجية بشان معلومات من القنصلية اليمنية بجيبوتى عن الصومال الفرنسى ، ملف٤ رقم ٢/٨١/٧٤١ التقارير السياسية للسفارة المصرية بأديس أبابا (مختلف) ١٩٥٧ ، فيلم ٥٠ أديس أبابا ، محفظة ٧٨ ، ارشيف البلدان ، خارجية .

- مرفقات مذكرة ادارة الشئون الافريقية بشان انتخاب الحاج محمد حسين رئيسا لحزب وحدة الشباب الصومالى ، موضوع كتاب السيد قنصل مصر فى مقديشيو رقم ٨٧ سرى فى ١٩٥٧/٨/٨ ، القاهرة فى ١٩٥٧/٩/٣ ، ملف ٥ ، محفظة ٧٦ ، فيلم ٤٩ الصومال ، ارشيف البلدان ، خارجية .

- خطاب من سفارة مصر باديس ابابا الى السيد السفير وكيل الخارجية بشان نشاط السفارة الروسية باديس ابابا فى ٢٠ يونيو ١٩٥٧ ، ملف٤ رقم ٢/٨١/٧٤١ التقارير السياسية للسفارة المصرية بأديس أبابا (مختلف) ١٩٥٧ ، فيلم ٥٠ أديس أبابا ، محفظة ٧٨ ، ارشيف البلدان ، خارجية .

- خطاب من السكرتير الثالث بسفارة مصر بموسكو نبيل الدسوقى الى السيد وكيل الخارجية بخصوص تداعيات اقامة كتلة عسكرية فى افريقيا ، فى ١٩٥٧/٩/٢٧ ، ملف ٢ ، فيلم ٣٨ ، محفظة ٨٠ ، سرى جديد ، خارجية .

- خطاب من سفارة مصر باديس ابابا الى السيد السفير وكيل الخارجية بحول زيارة الملك سعود لاثيوبيا ، فى ٢٨ يونيو ١٩٥٧ ، ملف٤ رقم ٢/٨١/٧٤١

التقارير السياسية للسفارة المصرية بأديس أبابا (مختلف) ١٩٥٧ ، فيلم ٥٠ أديس أبابا ، محفظة ٧٨ ، ارشيف البلدان ، خارجية .

- خطاب سفارة مصر بمركش الى السيد وكيل وزارة الخارجية ، فى ٢٨ ابريل ١٩٥٨ ، ملف٣رقم ٣/٧/٢٠١ التقرير المختلفة للسفارة فى باريس ، محفظة ٥٩٩ (كود ارشيفى ٥٩٨) ، سرى جديد ، خارجية .

- خطاب سفارة مصر بباريس الى السيد السفير وكيل وزارة الخارجية عن الاتحاد لانقاذ وتجديد الجزائر الفرنسية ، فى ١٣ يونيو ١٩٥٦ ، ملف٣رقم ٣/٧/٢٠١ التقرير المختلفة للسفارة فى باريس ، محفظة ٥٩٩ (كود ارشيفى ٥٩٨) ، سرى جديد ، خارجية .

- تقرير ادارة الشئون الافريقية سنة ١٩٥٧ عن خطر استعمارى جديد يهدد افريقيا ، ملف ٣ ج١ رقم ٣/٤٠/٤٦ ، محفظة ٢٧٨ (كود ارشيفى ٢٧٧) سرى جديد ، خارجية .

- خطاب من سفير مصر ببودابست الى السيد السفير وكيل الخارجية عن احداث الشرق الاوسط والتوتر الدولى ، فى ١٩٥٨/٧/٣١ ، ١٩ نوفمبر ١٩٥٨ ، ملف ١ رقم ١٠٣٧/٣٠٠/٥ج٥ احداث الشرق الاوسط ١٩٥٨ ، فيلم ٤٨ الشرق الاوسط ، محفظة ٧٥ ، ارشيف البلدان ، خارجية .

- خطاب من سفير مصر بواشنطون الى السيد السفير وكيل الخارجية عن الموقف فى الشرق الاوسط وتعليق السفارة عليه ، ١٩ نوفمبر ١٩٥٨ ، ملف ١ رقم ١٠٣٧/٣٠٠/٥ج٥ احداث الشرق الاوسط ١٩٥٨ ، فيلم ٤٨ الشرق الاوسط ، محفظة ٧٤ ، ارشيف البلدان ، خارجية .

- ملف ٢ محفظة ٤٥٠ ، ارشيف سرى جديد ، الخارجية المصرية .

- ملف ٣ ج١ رقم ٣/٤٠/٤٦ ، محفظة ٢٧٨ (كود ارشيفى ٢٧٧) سرى جديد ، خارجية .

- ملف ٢ تقارير اكرا السياسية ، محفظة ٨٢ ، فيلم ٥٣ ، ارشيف البلدان ، الخارجية المصرية .

- ملف ٢ ، محفظة ٧٦ ، فيلم ٤٩ الصومال ، ارشيف البلدان ، خارجية .

- خطاب سفارة مصر بالسودان الى السيد السفير وكيل الخارجية بشان تصريح عبدالله خليل وحلف البحر الاحمر وعزل مصر ، فى ١٠ مارس ١٩٥٨ ، محفظة ١٥ ، ملف ٢ رقم ٢/٨١/٧٤٤ ج٦ ، سرى جديد ، خارجية .

- خطاب سفارة الجمهرية العربية المتحدة بالسودان الى السيد السفير وكيل الخارجية بشان السياسة الخارجية للحكومة الائتلافية الجديدة ، فى ٢٠ مارس ١٩٥٨ ، محفظة ١٥ ، ملف ٢ رقم ٢/٨١/٧٤٤ ج٦ ، سرى جديد ، خارجية .

- خطاب مكتب الملحق العسكرى بالسودان الى السيد السفير المصرى بالخرطوم ، فى ٢٩ مارس ١٩٥٨ ، محفظة ١٥ ، ملف ٢ رقم ٢/٨١/٧٤٤ ج٦ ، سرى جديد ، خارجية .

- خطاب سفارة الجمهرية العربية المتحدة بالسودان الى السيد السفير وكيل الخارجية بشأن اتجاهات السياسة المصرية ، فى ١٤ ابريل ١٩٥٨ ، محفظة ١٥ ، ملف ٢ رقم ٢/٨١/٧٤٤ ج٧ ، سرى جديد ، خارجية .

- خطاب محمد حسن الزيات ممثل الجمهورية العربية المتحدة لدى المجلس الاستشارى للصومال الى السيد السفير وكيل الخارجية فى ١٩٥٨/٦/١٠ ، القاهرة فى ١٩٥٧/٩/٣ ، ملف ، محفظة ٧٦ ، فيلم ٤٩ الصومال ، ارشيف البلدان ، خارجية .

- خطاب من سفارة جمهورية مصر بالخرطوم الى السيد وكيل الخارجية عن المعونة الامريكية فى ١٠/يوليو ١٩٥٨ ، ملف ٣رقم ١ سرى لعام ١٩٥٧/٥٦ ج٧ تقارير سياسية للسفارة المصرية بالخرطوم ، محفظة ٩٢٣ (كود ارشيفى ٧٢٨) سرى جديد ، خارجية .

- خطاب محمد حسن الزيات ممثل الجمهورية العربية المتحدة لدى المجلس الاستشارى فى الصومال ، ملف ٢ ، محفظة ٧٧ ، فيلم ٤٩ الصومال ، ارشيف البلدان ، خارجية .

- خطاب من عثمان توفيق سفير الجمهورية العربية المتحدة باديس ابابا الى السيد السفير وكيل الخارجية عن رد فعل احداث الشرق الاوسط فى الصحافة الاثيوبية والراى العام الاثيوبى ، فى ٢١ يوليو ١٩٥٨ ، ملف ١رقم ١٠٣٧ /٣٠٠/٥ ج١ احداث الشرق الأوسط ١٩٥٨ ، محفظة ٧٥ ، ، فيلم ٤٨ الشرق الاوسط ، ارشيف البلدان ، خارجية .

ب- الوثائق الاجنبية :

- Dispatch From T.J.Wellings Longmore (Secretary General) to The Egyptian Ambassador, London ,African League 1st November 1954.

ملف ١ رقم ١/٧/٢٠٠ج٨ التقارير السياسية لسفارة مصر بلندن ، محفظة ٥٩٥(كود ٥٩٤) سرى جديد ، خارجية .

ثانيا – الوثائق المنشورة :

- محمد نجيب :- كلمتى للتاريخ ، دار الكتاب النموذجى ، مطابع سجل العرب ، ١٩٧٥ .

ثالثاً – المراجع العربية والمعربة :

- ابراهيم صقر :- مشروع الصحراء الكبرى الفرنسى ، مجلة نهضة افريقية ، السنة الثانية ، العدد الرابع عشر ، يناير ١٩٥٧.
- أحمد حمروش :- عبدالناصر والعرب ، مطبوعات ثورة يوليو (٤) ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٢ .
- أمين شاكر ، سعيد العريان ، مصطفى امين :- اضواء على الحبشة ، سلسلة اخترنا لك ، العدد ٦ ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ١٩٥٤ .
- زاهر رياض :- مصر وافريقيا ، الطبعة الاولى ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٦ .
- صالح محمد على عمر :- الدور السودانى فى تحرير اثيوبيا وارجاع الامبراطور هيلاسلاسى الى عرشه ١٩٣٥ – ١٩٤١ ، اصدلرة رقم ٥٣ ، مركز البحوث والدراسات الافريقية ، جامعة افريقيا العالمية ، السودان ، ٢٠٠٥ .
- عبدالحميد عبدالجليل شلبى :- مصر فى العلاقات العراثية السودانية ١٩٥٥ – ١٩٥٨ " دراسة وثائقية " ، مصر الحديثة ، العدد الاول ، مركز تاريخ مصر المعاصر ، دار الكيب والوثائق القومية ، القاهرة ، ٢٠٠٢.
- عبدالرؤوف احمد عمرو :- تاريخ العلاقات المصرية الامريكية ١٩٣٩ – ١٩٦٣ ، سلسلة تاريخ المصريين ، العدد ٤٦ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩١.

رابعاً- الدوريات العربية :

- اجتماعت هامة فى القاهرة لبحث تنظيم سياسة ثابتة تجاة افريقيا ، اخر ساعة ، العدد ١٢٣٠ ، فى ٢١ مايو ١٩٥٨.

- أحمد الشربينى :- مصر والغرب فى المشروع الاقليمى للدفاع عن الشرق الاوسط " اعقاب الحرب العالمية الثانية " ، فى عبادة كحيلة (محرر) مصر والوطن العربى ...تواصل ام انقطاع ، ندوة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية فى ابريل ٢٠٠٦، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية ، كلية الاداب ، جامعة القاهرة ، ٢٠٠٨.
- جريدة الاهرام ، ١٩٥٢/١٢/١ .
- سر سياسى ، اخر ساعة تذيع اول تفصيلات عن محور افريقيا ، مجلة اخر ساعة ، العدد ١١٤٦ ، ١٠ اكتوبر ١٩٥٦ .
- السيد فليفل :- تصور بريطانى للخريطة السياسية للقرن الافريقى والسودان والحبشة بعد الحرب العالمية الاولى - وثيقة جديدة - ، فى اعمال الندوة الدولية للقرن الافريقى ١-٧ يناير ١٩٨٥ ، الجزء الثانى ،معهد البحوث والدراسات الافريقية ، مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعى ، ١٩٨٧ .
- عبود يبعث بخطة الثورة فى رسالة واخرى مع اوامر عبدالله خليل ، اخر ساعة ، العدد ١٢٥٧ ، ٢٦ نوفمبر ١٩٥٨.
- مشروع خزان تانا : هل ذهب مع النسيان ، اخر ساعة ، العدد ٩٧٥ ، يوليو ١٩٥٣ .
- نورى السعيد يقاطع المؤتمر الاسيوى الافريقى ، جريدة التحرير ، عدد ٩٦ ، ١٥ فبراير ١٩٥٥ .
- هيلاسلاسى يستنكر تصرفات عبدالله خليل ، انظر ، جريدة التحرير ، العدد ٧٩ ، ١٩ اكتوبر ١٩٥٤.

خامساً- الدوريات الانجليزية :-

- Erlich Haggai :-Identity and Church : Ethiopian –Egyptian Dialogue,1924-1959 : International Journal of Middle East Studies, Vol.32,No.1 (Feb.2000).
- Haile Samere:-The Origins and Demise of The Ethiopia- Eritrea Federation ,Issue :Journal of Opinion, Vol.15, (1987).
- Ismael Tareq Y:- The United Arab Republic in Africa, Canadian Journal of African Studies , Vol.2,No.2, (Autumn ,1968).
- Lawrie Gordon :- Britain's Obligations Under The Simonstown Agreements : A Critique of The Opinion of The Law Officers off The Crown, International Affairs (Royal Institute of International Affairs 1944) Vol.47, (Oct.1971) No.4.
- Lefebvre Jeffery A:-The United States, Ethiopia and The 1963 Somali-Soviet Armies Deal : Containments and The Balance of Power Dilemma in The Horn Africa :Journal of Modern African Studies, Vol.36,No.4 (Dec.1998).
- Shack William A :- Ethiopia and Afro-American : Some Historical Notes ,1920-1970, Phylon (1960-)2ND Qut.1974, Vol.35, (Oct.1971) No.2.
- Smith C.G. :- The Emergence of The Middle East, Journal of Contemporary History ,Vol.3,No.3,The Middle East (Jul.1968).
- Smolansky M. Oles . :- Moscow-Cairo Crisis ,1959 , Slavic Review ,Vol.22,No.4, (Dec.1963).
- Yakobson Sergius:-The Soviet Union and Ethiopia : A Case of Traditional Behavior , Vol.25, (Jul.1963).

سابعاً - الرسائل العلمية :

- أمانى محمد كمال الدين احمد :- العلاقات المصرية السودانية ١٩٥٣ – ١٩٦٩، رسالة دكتوراة غير منشورة ، كلية البنات ، جامعة عين شمس .

العلاقات المصرية الخليجية
من عام ١٩٥٢م حتى عام ١٩٩١م

د. فؤاد شهاب
جامعة البحرين

المقدمـــة :

موضوع هذا البحث هو العلاقات المصرية الخليجية من الثورة المصرية عام ١٩٥٢م حتى حرب تحرير الكويت عام ١٩٩١م، وهو موضوع بالغ الاتساع، وفي نفس الوقت بالغ الأهمية. ومع ذلك لم يتطرق بشكل يتفق مع اتساعه وأهميته، والاتساع ناجم عن وجود دور مركزي لمصر في الخليج بالفعل أو بالقوة. فمثلاً الخليج عندما يقع في مأزق أمني يفكر فوراً في مخرج مصري حتى مع وجود مخارج أخرى، ونضرب مثلاً بما حدث للكويت في عهد الرئيس العراقي عبد الكريم قاسم من تهديد عراقي بالاستيلاء عليها ولجأت الكويت إلى مصر ووقف عبد الناصر وقفة صارمة إلى جانب الكويت، والمثل الآخر هو عندما نشبت أزمة الجزر الإماراتية مع إيران ووقفت مصر في عصر السادات بجانب الإمارات إلى حد إرسال قوات مصرية إلى الإمارات.

كما أن لمصر علاقة خاصة جداً بالحجاز لما به من أماكن مقدسة عبر التاريخ كانت أهم مظاهرها ارسال كسوة الكعبة سنوياً في احتفال مهيب حتى عصر قريب. وللاشارات السابقة كان لابد عند دراسة مثل هذا الموضوع حتمية اتباع منهج يتعامل مع المتغير دون إهمال الثابت الذي يظل خلفية لهذا المتغير. والثابت هنا عمق العلاقة واستمراريتها حتى في ظل الخلافات القاتلة التي تشبه صراع

الإخوة في الأعمال الروائية حيث مهما اشتد الصراع يظل الدم الذي يربط بينهما ثابتاً ومؤكداً ومعترفاً به مثل ذلك الصراع الذي دار بين الملك سعود وعبد الناصرخاصة عند بداية الستينات من القرن الماضي . .. عندما حاول الأول بترويض من أمريكا إزاحة عبد الناصر عن زعامة العالم العربي والحلول محله، لكن الشيء الأكثر ثباتاً وإدهاشاً هو العلاقات الشعبية، التي لا علاقة لها بالخلاف أو الانسجام بين الحكام، لأنها علاقات ترسخت عبر التاريخ وخلفت مشتركاً ثقافياً وروحياً يؤهل شعوب الخليج وشعب مصر لأن تكون شعباً واحداً لو شاءت التطورات التاريخية لها أن تكون دولة واحدة، كما حدث مثلا في العصر الإسلامي لفترات طويلة، فمصر حكمتها الجزيرة العربية بعد أن فتحتها في العصر الإسلامي الأول، ثم إن مصر حكمت الجزيرة العربية عدة مرات ابتداء من العصر الطولوني في مصر ومروراً بالعصر الفاطمي والعصر الأيوبي ثم عصر المماليك ثم التبعية الإقتصادية خلال هذه الفترة، وعندما خيم جو واحد على الجزيرة العربية ومصر في ظل حكم العثمانيين، الذين مجرد أن خفت قبضتهم على مصر اتجهت قوات محمد علي إلى الجزيرة العربية وأطلت على الخليج. وبصرف النظر عن نتائج ذلك فإن محمد على وسلالته تعربا وافتخرا بالإنتماء للعروبة.

هذا التاريخ المشترك خلق مشاعر مشتركة إلى حد التطابق بين سكان الجزيرة العربية و سكان مصر، الذين تعلقت قلوبهم بمكة وبالحرم النبوي.

إذاً منهجنا لن يتناول هذا الثابت تناولاً مباشراً, وإنما سوف يتناول فترات يتحول فيها هذا الثابت من سكونه ويصير متغيراً ومتحركاً في ظل عدد من المتغيرات المحلية والعالمية، وهي فترات تم تفعيل العلاقات خلالها إيجاباً أو سلباً. من هنا يتعرض المنهج لذلك التفعيل ويقوم بتحليله في ظل المنهج العلمي لدراسة التاريخ. وهو منهج يتعرض للأحداث باسطاً لها ومحللاً بحثاً عن مصدرها ونتائجها

التكتيكية والاستراتيجية. وعلى ضوء هذا ستنقسم العلاقات المصرية الخليجية وفقاً لتحرك الثابت وتفعيل العلاقات في فترات سوف نعرضها في تراتب زمني هذه الفترات هي:

١- فترة النظام الملكي في مصر وقيام المملكة العربية السعودية الحديثة عام ١٩٣٢.

٢- فترة تبدأ بيوليو ١٩٥٢ إلى تأميم قناة السويس عام ١٩٥٦.

٣- النكسة يونيو ١٩٦٧.

٤- أزمة الجزر الثلاث و حرب أكتوبر ١٩٧٣ والطفرة النفطية.

٥- النفط بين الايجابية والسلبية في العلاقات.

٦- كامب ديفيد وما تلاها من رفض عربي شارك فيه الخليج (ماعدا عمان).

٧- حروب الخليج حتى حرب تحرير الكويت.

أعتمد الباحث في مصادره من كونه شاهد عيان لمسيرة العلاقات المصرية الخليجية كما أنه لم يستخدم المصادر والمراجع استخداما تقليدا فقرأ عددا لاباس به من تلك المصادر والمراجع واضطر بصياغة بحثه في كل سطرا كتبه مستفيدا من مجموعها مما دفعه إلى تجنب كتابة هوامش لا تؤدي مباشرة إلى المصدر والمرجع وإكتفى برصد تلك المصادر والمراجع في نهاية البحث . وقد دفعه إلى هذا أيضا اتساع الموضوع اتساعا يحتاج إلى هذا الاسلوب لتكثيف الصياغة واستيعاب المتفرق من المعلومات في سطور موجزة وإن شملت كل ما يتعلق بالموضوع بفضل تكثيف تلك الصياغة السابق الإشارة اليها.

فترة النظام الملكي في مصر وقيام المملكة العربية السعودية الحديثة في عام ١٩٣٢:

تبدأ هذه الفترة ببداية فترة حكم محمد علي باشا الذي وجد نفسه مكلفاً من قبل السلطان العثماني مصطفى الرابع لأن يزحف بجيش إلى أرض الحجاز ويؤدب من تمردوا فيها على السلطان ويعيدها كاملة مستقرة إلى حوزته. ونحن لا يعنينا ذلك الحدث وما تلاه من حملات مصرية على الحجاز قاد واحدة منها محمد علي بنفسه ولا يعنينا أيضاً التحمينات والأسوار والقلاع التي بنتها مصر في عصر محمد علي بجدة والمدينة، لكن الذي يعنينا هو حرص كل حكام مصرعلى ضم الحجاز إلى مصر بشكل أو بآخر ودفع مخصصات للأماكن المقدسة لدرجة أن العثمانيين عندما سيطروا على مصر حرصوا على أمرين هو سيطرة السلطان العثماني على الحجاز لكي ينال شرف أن يكون حامي الحرمين الشريفين ويؤكد خلالها زعامته للعالم الاسلامي ، لكنه أدرك أنه لا يمكن له أن يسيطر على الحجاز دون وجود مصر فجعل الحجاز خاضعاً لولاتها تسري عليه كل الفرمانات التي تصدر في مصر بجانب تعيين الموظفين الإداريين وشريف مكة وغير ذلك، وجاء محمد علي ليتعلم من المصريين أهمية الحجاز لمصر رغم تعقد الأمور الدولية في عصره ومقاومة بريطانيا للمرامي المصرية في الحجاز ومقاومتها للسيطرة المصرية عليه. وستبقى هذه العلاقة خلال القرن العشرين حتى عهد الملك فؤاد الذي رفض الاعتراف بقيام المملكة العربية السعودية عام ١٩٣٢ رفضاً شديداً، وتعسرت الوساطات لإصلاح ذات البين، وكأنما أحس الملك فؤاد بأن هذه المملكة تنتزع السلطة الروحية لمصر على الحجازيين، والقوة الروحية للحجاز على المصريين، الذين كانوا يقومون كل عام بموكب للحج يتجمع فيه حجاج مصر وشمال أفريقيا ويتوجهون وقد سبقتهم الكسوة الشريفة (التي أوقفها الملك فؤاد بعد

قيام المملكة العربية السعودية) ومن قبلها عام ١٩٢٦م مع حادثة (المحمل) عقب دخول الملك عبدالعزيز الحجاز، وعلى الجانب الآخر كان الحجازيون ينتظرون قدوم القافلة المصرية على أحر من الجمر، حيث كان وصول ذلك الموكب يمثل موسماً للإزدهار الاقتصادي للحجاز. وبموت الملك فؤاد أعترفت مصر فوراً بالمملكة العربية السعودية، وقام تحالف مثير، وتعاون بين المملكتين بدأ من قيام جامعة الدول العربية عام ١٩٤٥ وحرب ١٩٤٨م حتى بعد سقوط النظام الملكي في مصر لعدة سنوات، حتى وصلت العلاقات في ذروتها عام ١٩٥٦ عند تأميم قناة السويس. وبصرف النظر عن هذه العلاقة بين الدولتين المصرية والسعودية – وهما دولتان مستقلتان انذاك، حيث ظل باقي الخليج مبعثراً وواقعاً تحت النفوذ البريطاني – فإن الجانب الأهم في العلاقات المصرية الخليجية خلال هذه الفترة انحصر في أمرين هما أولاً البعثات التعليمية المصرية والموظفين والمعلمين أحياناً المنفردين وبشكل متناثر، بجانب تأسيس عدد من المدارس التي تتكفل بها مصر ابتداءً من المباني وانتهاءً بالكتب والمقررات والمعلمين، وثانياً العلاقات الثقافية الواسعة بين مصر والخليج حيث كانت تنتقل الأفكار التي كانت تموج بها مصر إلى الخليج عبر الإعلام المسموع والمقروء، وقد تزعم نقل هذه الأفكار ونشرها في الخليج مؤسسات العمل المدني ذات الاتجاهات العروبية والقومية والمناهضة للطائفية في البحرين، بسبب انتشار التعليم مبكرا في الأخيرة أكثر من أي مكان آخر في الخليج، وللصلات الوثيقة التي قامت بين المثقفين والنخبة في البحرين وبين نظائرهم في مصر وفي هذا الوقت قامت الصحافة في البحرين بدور مهم.

وسرعان ما نطور ذلك الأمر إلى حراك سياسي عبرت عنه المظاهرات المضادة للاستعمار البريطاني في البحرين ومناقضة له في الإمارات المتصالحة في شرق الجزيرة العربية، وقد شعرت بريطانيا بخطر البعثات التعليمية المصرية

وضيقت عليها الخناق في الإمارات، وكانت سبباً في إعادة عدد من المعلمين إلى مصر. فيما عدا ما سبق كان الوجود البريطاني الكثيف معطلاً للدور المصري في الخليج، وكلما ازداد هذا الدور البريطاني ضراوة ازداد الخليجيون ارتباطاً روحياً وثقافياً بمصر حتى نهاية العصر الملكي، ثم كان قيام ثورة يوليو في مصر وتأميم قناة السويس وما أعقبها حرب ١٩٥٦، لتبدأ المرحلة الثانية من العلاقات المصرية الخليجية، والتي عبرت وترجمت مدى العلاقات الوثيقة بين الطرفين
(مصر والخليج وشبه الجزيرة العربية).من هذه المقدمات تتوالى مراحل العلاقات على النحو التالي:

الأولى: من يوليو ١٩٥٢ إلى تأميم قناة السويس عام ١٩٥٦:

كان قيام الثورة المصرية يمثل مرحلة مفصلية في التاريخ العربي والدولة النامية بشكل عام‘جوهرها رفع راية التحرر من الإستعمار وسريان روح المقاومة ضد الغرب مما أشعل روح الفكر القومي وازدادت معه جذوة العلاقات بين مصر والخليج‘ترجمة أحداث عام ١٩٥٦ مع تأميم قناة السويس الذي كان حدثاً مدوياً قد قوبل بغضب شديد من الغرب عامة ومن بريطانيا وفرنسا خاصة، كما أثار الذعر في إسرائيل، وعلى مستوى دول عدم الانحياز والشعوب المستعمرة فتح لها نافذة الأمل بالنجاح في التخلص من الاستعمار، وفي التخلص من السيطرة الأجنبية. أما في الخليج فقد قوبلت بشكل عاطفي وحماسي، ولاسيما عند وقوع التطور الدراماتيكي للأحداث نحو العدوان الثلاثي على مصر، لكن في جميع الحالات الأهم هو تحول عبد الناصر إلى أمل في قلب كل خليجي. وفي المقابل معقد لأن العدوان الثلاثي الذي وقع على مصر أثر سلبيا على صادرات البترول الخليجي، حتى نظر إليه على أنه ضربة قاصمة لمقدرات الخليج سوف يؤدي إلى ترسيخ التسرب الأمريكي في المنطقة، والذي ظهر قبل ذلك بسنوات في محاولته الحلول محل

بريطانيا في السيطرة على منابع البترول. وبالفعل فقد تأثرت أقطار الخليج رسمياً وشعبياً بالعدوان الثلاثي على مصر، وكان ذلك التأثير قد اتخذ صورة التعاطف مع شرعية الحقوق المصرية في تأميم مؤسساتها وممتلكاتها، وفي الوقت نفسه استفادت أقطار الخليج من تلك القضية من زاوية أنها رأت من خلال الصمود الذي أظهره الرئيس عبد الناصر إمكانية نجاح المطالبة من جانبها بتصحيح العديد من الأوضاع من بينها العلاقات الاقتصادية بين دول الخليج والحكومتان البريطانية والأمريكية فيما يتعلق بالامتيازات البترولية داخل بلادها، وإن اقتصر تصحيح تلك العلاقات على مستوى الشركات البترولية العاملة في منطقة الخليج فحسب.

"نظرت الشعوب الخليجية إلى قضية تأميم قناة السويس كرمز يمثل تجربة ناجحة مر بها كيان عربي مجاور لهم، وتجربة تأتي في أعقاب تجربة مماثلة لها سابقة كان النجاح حليفها أيضاً، وإن كانت تجربة شديدة المحلية من حيث التأثيرات، (وهذه التجربة الأخيرة) تمثلت في تجربة التأميم في إيران، عندما نجح الدكتور محمد مصدق في عام ١٩٥١ في تأميم بترول إيران، والحد بشكل كبير من نفوذ بريطانيا من خلال شركتها العاملة في استثمار البترول في بلاده".

لعل التجربة الإيرانية مثلت نموذجاً أنطلق منه عبد الناصر في محاولته للتصدي للاستغلال الأجنبي. ومن ناحيتها رأت الحكومات الخليجية إمكانية انتهاج هذا المنهج، خاصة عندما تيقنت من النتائج الإيجابية التي أعقبت التجربة الإيرانية مما دفع الحكومات العربية الخليجية للتحرك نحو التخلص من الامتيازات الأجنبية التي تتجاهل الحقوق الوطنية في عقودها مع شركات البترول. ومن الطريف هنا أنه كما استفادت الشعوب الخليجية من اتخاذ سلوك عبد الناصر منهجاً لها فيما يتعلق بالامتيازات الأجنبية، فإنها كانت قد استفادت من أزمة التأميم الإيرانية عندما توقف الإنتاج الإيراني من البترول، لترفع سقف إنتاجها البترولي بحجة تعويض

السوق الدولي عن البترول الإيراني، بينما أدى ذلك لحصاد أكبر قدر من العائدات استغلالاً لهذه الفرصة، وقد وافق ذلك هوى الحكومتين الأمريكية والبريطانية لكنه من الناحية الاستراتيجية كان خطأ استراتيجياً كبيراً من جانب دول الخليج التي كان ينتظر منها التعاون فيما بينها لدعم الموقف الإيراني، وربما يرجع هذا الموقف المحبط لإيران ولتجربتها الفريدة في هذا الوقت إلى أن الدول الخليجية كانت مغلوبة على أمرها ومضطرة للاستجابة للرغبات البريطانية والأمريكية في رفع سقف الإنتاج الخليجي ليسقط أهمية عدم ضخ البترول الإيراني من جانب، ومن جانب اخر كان هذا الموقف بالغ الأهمية لكون الدول والشعوب الخليجية معاً وقفت مع مصر رغم أنف بريطانيا وأمريكا، ولم يستطع قهر الدولتين الأوربيتين الكبار من الحد من اندفاع الخليج وحماسة لتأميم قناة السويس بطرق متعددة، سنشير إليها مثلما نجح ذلك القهر في انفضاض دول الخليج العربية عن إيران وتركها وحدها في الميدان. وهذا يؤكد أن موقف الخليج رغم حسابات المكاسب والخسائر لم يكن موقفاً براجماتياً، بل لم يفكر في المكاسب والخسائر إلا بعد أن هدأت الأمور، وأكثر من ذلك فكر في دعم الشقيقة مصر والوقوف إلى جانبها والقيام بدور حقيقي وخلاق في اجتياز عبد الناصر للأزمة السياسية والعسكرية والاقتصادية التي نجمت عن تأميمه لقناة السويس والعدوان الثلاثي عام ١٩٥٦، فلم تعبأ الحكومات والشعوب الخليجية معاً بخسائرها أو بغضب بريطانيا وأمريكا وإنما مارست دوراً قومياً فريداً، ينبغي أن نذكره هنا، وخاصة بسبب إهمال المؤرخين لهذه اللحظة الذروة في تاريخ الاندماج ووحدة المصير بين مصر والخليج، ولا أدري كيف ضيع الجانبان حصاد وثمار تلك اللحظة بعدم جعلها أساساً لعلاقاتهما المستقبلية.

اذا كان ماسبق مثل دوراً من جانب الحكومات، فان ردود الفعل الشعبية داخل أقطار الخليج كانت أوضح تعبيراً عن رأيها تجاه تأميم قناة السويس، وقد

قامت المظاهرات الشعبية وتركزت في المدن التي تتركز فيها الصناعات البترولية، كما قام بعض المتظاهرين بنسف أنابيب البترول في البحرين وسوريا بشكل خاص، حيث نسفت أنابيب البترول التي تمتد من الخليج إلى البحر المتوسط عند رأس بانياس، كما اهتم الشعب البحريني بمسألة تسليح الجيش المصري فبادر إلى قيام مباريات كرة قدم لجمع التبرعات كما أقيمت المزايدات على صورة الرئيس عبد الناصر. ونظراً لضخامة المظاهرات التي سادت أنحاء البحرين أن ترتب على ذلك تعطيل الدوائر والمصالح الحكومية في البلاد، كما اضطرت شركة البترول البحرينية (بابكو) إلى تشديد الحراسة على آبار البترول في البحرين، وعلى أنابيب نقل البترول، وعلى كافة منشآت ومباني الصناعات البترولية ، وكما كثفت من الحراسة لحماية وتأمين المعمل الضخم لتكرير البترول في منطقة سترة، و منعت وصول المتظاهرين إلى(عوالي) حيث المقام لجميع بها جميع الموظفين الأجانب في البحرين، ونقل البريطانيين من المنامة إلى عوالي، وهكذا توقف العمل تماماً في شركة بابكو، ومنع العمال من مزاولة أعمالهم حتى لا يشاركوا في المظاهرات، خشية أن يقوم أحدهم بأعمال نسف أو تخريب في مرافق الشركة، للتعبير عن مساندته لهذه القضية العربية، والمدهش جرأة المتظاهرين في البحرين التي حملتهم إلى إحراق منازل الإنجليز سواء المملوكة لهم أو المستأجرة في المنامة أو المحرق، مما اضطر السلطات البريطانية للتدخل والقبض على زعماء المظاهرات، وإجراء محاكمات صورية أسفرت عن سجن بعضهم ونفي البعض الآخر.

أما عن ردود أفعال المملكة العربية السعودية، فقد أيدت قرار عبد الناصر بتأميم قناة السويس تأييداً مطلقاً، على حد تعبير رسالة من الملك سعود إلى سفير السعودية في مصر لإبلاغها إلى عبد الناصر. وقد أقدمت الحكومة السعودية على

وقف ضخ البترول عبر الأنابيب الممتدة من أراضي المملكة إلى معمل تكرير البترول في سترة بالبحرين، وذلك للحيلولة دون وصول المنتجات البترولية المستخرجة أراضيها إلى بريطانيا التي تساهم في شركة بترول البحرين.

أما على المستوى الدولي فقد ساهم هذا الموقف السعودي الذي انضمت إليه باقي أقطار الخليج في إعطاء صورة أخرى لتأميم القناة، مغايرة لصورة تأميم البترول في إيران التي أخذت طابعاً محلياً , بينما حولت القضية المصرية إلى قضية عربية وإقليمية مما أعطى مساحة كبرى لها على الساحة الدولية في أعقاب العدوان الثلاثي. وعندما دفعت هده الاحداث الاقليمية مجلس الأمن إلى الانعقاد في ١٩٥٦/٩/٢٦ لوضع حد لمسألة ملف قناة السويس، وقد طالبت دول الخليج في حضور تلك الجلسة حيث لم يكن بها أعضاء دوريين في المجلس. وهذا يعني تبنيهم لقضية مصر، ذلك التبني الذي وصل حداً بعيداً بعد العدوان الثلاثي. وهكذا نرى مرة أخرى تطابقاً واندماجاً بين مصر والخليج يؤدي إلى النجاح السياسي لعبد الناصر في معركة السويس، كما يؤدي على المدى القريب والبعيد إلى سيطرة الخليجيين على مصادرهم البترولية. لقد كانت تلك الأحداث والتطورات علامات تاريخية بارزة في مسيرة العلاقات المصرية الخليجية ووحدة المصير اتضح معها تشابك وتسلسل الأحداث كانت جميعها تعبر عما كانت عليه المصالح المشتركة الكبرى بين الطرفين المعنيين وسوف يتكرر بقوة في حرب أكتوبر ٧٣. ولا نشك أن انسحاب القوات البريطانية والفرنسية والإسرائيلية قبل عام ١٩٥٦ – وهو عام العدوان– بقرار من مجلس الأمن تحت ضغط من الرئيس إيزنهاور نفسه، ليس إلا جزء من مفهوم المصير المشترك فأيزنهاور قد أدرك أن مغامرة السويس البريطانية الفرنسية الإسرائيلية، لابد أن تنتهي بفشل سريع لسببين استراتيجيين، السبب الأول هو انهيار النفوذ البريطاني الفرنسي الذي استدعى بالضرورة احلال

أمريكا محل الدولتين الاستعماريتين وكي تنفرد الاولى بالنفوذ في منطقة الشرق الأوسط عامة وفي منطقة الخليج المخزن البترولي الأكبر خاصة، أما السبب الثاني فقد إرتبط بهذا السبب الاول فأمريكا أدركت أنها ينبغي أن تحل محل الدولتين الاستعماريتين بريطانيا وفرنسا برضا أهل الخليج. وقد نالت رضاهم بموقفها الحازم ضد العدوان الثلاثي وإجبارها المعتدين على الانسحاب، حيث انتبهت أمريكا بدقة لحجم رد الفعل الخليجي الداعم لمصر إلى حد اعتبار القضية المصرية قضية خليجية. ولذا فإنها أرات أن تستثمر ذلك بوقوفها ضد العدوان الثلاثي فتضرب عصفورين بحجر واحد: الحصول على رضا الخليج وعلى بتروله، لكي تلعب بعد ذلك في اتجاه آخر يحاول أن يباعد بين مصر والخليج في ظل ثقة وضعها الخليجيون فيها بعد موقفها من العدوان الثلاثي، (لتبدأ العلاقات التي وصلت إلى حد تطابق المصالح ووحدة المصير مع شعور عاطفي جامح بالانتماء إلى مصر التي بادلت الخليج نفس الانتماء في ذلك الوقت).

لتبدأ العلاقات الخليجية المصرية إلى الانحدار من الذروة إلى القاع مؤقتاً مع ظهور تيار الوحدة العربية وتحققه بقيام الجمهورية العربية المتحدة.

صدى الوحدة بين مصر وسوريا في الخليج:

في عام ١٩٨١م شكلت دول الخليج المتشابهة في أنظمة الحكم مجلساً التعاون على نمط قريب من الاتحاد الأوروبي. وكان الاتحاد الأوروبي وما زال نموذجاً لقيام اتحادات إقليمية. لكن التطلع إلى هذا النمط ومحاكاته كانت له حوافز ودوافع محلية تنبع من الواقع التاريخي لمجموعة الدول التي تتجه لتوحيد وسائل إنجاز استراتيجياتها عبر تشكيل مؤسساتي مثل الاتحاد الأوروبي ومجلس التعاون الخليجي. تلك الجذور في الخليج وفي العالم العربي عامة بدأت إرهاصاتها عقب سقوط الإمبراطورية العثمانية، ودخول شعوب البلاد التي كانت خاضعة للحكم

العثماني في حيرة بالغة يمكن أن نسميها حيرة الانتماء، وحاول زعماؤها خلق وجود يحل محل الخلافة ذات التاريخ الطويل، وهو الرابطة الإسلامية المتصورة التي كانت طموحا في فكر خلفاء الدولة العثمانية ابرزهم السلطان عبدالحميد، وعلى خطب مصطفى كامل في مصر خلال نضاله ضد الاستعمار البريطاني، وما زالت حتى اليوم تلك الرابطة المعلنة التي مازالت تحرك بعض الجماعات التي تقوم بتكفير قادة الدول الوطنية. وقد صاحب ذلك اندفاع نحو الرومانسية في كل مجالات الحياة والحافز الأكبر على ظهور الرومانسية هو القومية وهكذا واجه العرب اتجاه الرابطة الإسلامية باتجاه القومية العربية، وصارت فكرة القومية العربية تنمو وتتدافع منذ نهاية القرن التاسع عشر، وكان مركزها الأكبر بالخليج خلال النصف الأول من القرن العشرين في البحرين عبر الأندية العروبية. وقد انتقل هذا الشعور القومي من الشارع إلى مستوى النخبة والحكومات التي حولته بعد انتهاء المد الرومانسي وظهور الاتجاه الواقعي في الفكر العربي إلى مؤسسة ساعد على تشكيلها موافقتها للهوى البريطاني. تلك المؤسسة هي الجامعة العربية التي قامت عام ١٩٤٥م بجهد مشترك فاعل لكل من مصر والسعودية. وثم يتحول هذا الاتجاه القومي الوحدوي إلى مشاركة مصرية خليجية ضمت إليها سوريا في حرب ١٩٤٨ ضد قيام دولة إسرائيل. مما يعني إن فكرة الوحدة بين البلاد العربية كانت تحركها عناصر عاطفية جامحة لكنها غامضة وغير واضحة الأهداف الاستراتيجية أطلق عليها القومية العربية. وعندما قامت ثورة يوليو التقط عبد الناصر تلك الخيوط القومية واستخدمها لتنوير الجماهير العربية دون أن يحدد أو يستثمر ذلك التنوير، وأصبحت خطب عبد الناصر وقوداً لتحريك المشاعر القومية في هذا الاتجاه النفسي الاجتماعي دون أن يسفر ذلك عن شيء، ويرجع ذلك حسب ما يعتقده البعض الى أن عبد الناصر نفسه كان تصوره لفكرة القومية العربية

تصوراً فيه غموض الية التطبيق. ومن أضاع فرصة نادرة لتحويل التنظير القومي إلى أفعال تحفر لها مجرى يصب في استراتيجية واضحة المعالم.

لقد كانت جماهير الشعوب العربية مثل عجلة ضخمة تدور بسرعة حتى الاحتراق دون أن تغادر مكانها، وهذا يفسر حمل الجماهير السورية عبد الناصر بسيارته الثقيلة عند أول زيارة له لدمشق.

في ظل هذه الظروف تمت الوحدة بين مصر وسوريا بضغط شديد من الشعب السوري مدعوماً بضغط النخبة التي كانت تحكم سوريا انذاك. وقد بدأت المسألة تأخذ صيغة واقعية في ٥ يونيو ١٩٥٦ عندما أدلى رئيس وزراء سوريا ببيان أمام مجلس النواب السوري كلف من خلاله وزير الخارجية بإجراء مفاوضات للاتحاد الفيدرالي مع مصر. وقد أيد مجلس النواب ذلك بقوة. وكما كلفت الحكومة المصرية سفيرها في سوريا لتبليغ رئيس الجمهورية السورية يوم ٧ يوليو عام ١٩٥٦ بأن الحكومة المصرية ترحب بقرار الحكومة السورية بالاتحاد مع مصر، وأنها مستعدة للدخول في مفاوضات لتحقيق هذا الاتحاد الفيدرالي بين البلدين. وانتهت الأمور بإعلان قيام الجمهورية العربية المتحدة في ٢٢ فبراير عام ١٩٥٨ وجاء في هذا الإعلان أن قيام الوحدة بين دولتين إنما يعد خطوة أولى نحو تحقيق الوحدة الشاملة لكافة الدول العربية. وقد قوبل الإعلان بدهشة شديدة من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية، لأنه كان غير متوقع وغير وارد في تكهنات الساسة الأمريكيين والبريطانيين على السواء، وخاصة أنه كان اتحاداً جديداً بدا في شكلة ومضمونه. أختلف كثيراً عما كان يجري قبله من ارتباطات كما عبر ممن كل ما جرى في المنطقة من محاولات ومناورات لم تكن تنطلق من مثل مبادئ الجمهورية العربية المتحدة، ومما كانت تستند عليه التصورات الغربية، وذلك نظراً للبعد الجغرافي بين البلدين المتحدين ولا اتصال بينهما إلا عبر الجو والبحر، كما أن

دعاوى الدولتين لوحدة باقي الأقطار العربية كافة مثل خطراً شديداً بصفة خاصة على المصالح الأمريكية مما دفع الحكومة الأمريكية إلى مواجهة ذلك الاتحاد فيما يسعى لتحقيقه وإحداثه في الأقطار المجاورة، وكان هذا أمراً صعباً لافتقاد أمريكا للخبرة بالمنطقة، و مع انحسار النفوذ البريطاني، فاضطر الرئيس أيزنهاور إلى أن يرسل بسرعة مبعوثه ميرفي لمقابلة عبد الناصر ومحاولة فهم ما يحدث. وقد صرح ميرفي بعد لقائه هذا أن عبد الناصر على مستوى رفيع من الكفاءة والإطلاع، وأنه بحث معه مسائل عديدة. وفي ذلك الوقت كانت الحرب الباردة بين أمريكا والاتحاد السوفيتي دافعاً بقوة للتدخل الأمريكي في الشرق الأوسط، وبالفعل أصبح النفوذ الأمريكي واضحاً. وتتوالى الأحداث بسرعة حيث تقوم ثورة في العراق أعلنت تأييدها لقيام الجمهورية العربية المتحدة، كما عبر حزب البعث العربي الاشتراكي عن تأييده للوحدة المصرية السورية، التي رفعها كشعار لبرنامجه الحزبي. هذه الاتحادات التي تعبر عن رغبة الشعب العراقي في قيام وحدة عربية شاملة. وهذا الموقف يناقض موقف حكومة نوري السعيد السابقة للثورة، فنوري السعيد مثلاً كان يعتقد أن العرب يجب أن يرتبطوا بالعالم الغربي، وقد قال "إنه من الحماقة بالنسبة للعرب أن يمنوا أنفسهم بمواقف تعتمد على الاستقلالية فيما يتخذونه من سياسات حتى فيما يتعلق بشئونهم الداخلية". وفيما يبدو أن نوري السعيد كان يرى عمق المصالح الغربية في البلاد العربية، وقدرات الغرب على إجهاض كل الأحلام العربية حفاظا على مصالحهم. يوافق ذلك زيارة الملك سعود للولايات المتحدة الأمريكية، وهرع الرئيس الأمريكي أيزنهاور لاستقباله شخصياً في المطار الأمر الذي لم يحدث في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية، حيث لا يلتقي الرئيس الزعماء في المطار كتقليد رسمي أمريكي. وبعد هذه الزيارة أرسل أيزنهاور إلى الملك سعود في ٦ مارس عام ١٩٥٨ رسالة

مضمونها كما ورد في مذكرات أيزنهاور: "إلى الرجل الذي كنا نأمل في أن يصبح نداً لعبد الناصر في الزعامة الشعبية" ومما أعتبر معه تعليقاً على العلاقات الودية ظاهرياً بين الملك سعود وعبد الناصر، خاصة عندما ذكر أيزنهاور في مذكراته أن الملك كان حذراً في تعامله الرسمي الظاهري مع مصر وسوريا، ولكنه كان يدبر المؤامرات خلف الكواليس ضد زعماء البلدين، لكن ذلك كشفه الكولونيل عبد الحميد السراج في خطاباته ورسائله مما دفع عبد الناصر إلى خوض معركة دعائية شاملة ضد الملك وسحب بعثته العسكرية من السعودية، ولم يمنع ذلك استمرار تأييد الشعب السعودي لقيام الجمهورية العربية المتحدة، ففقد الملك ولاء شعبه بل ولاء أسرته مما اضطره إلى التنازل عن السلطة ليحل محله أخوه فيصل.

الخلاصة أن فكرة الوحدة تجاوزت عقبات كبرى بفضل التأييد الشعبي لها في سائر البلاد العربية بما فيها بلاد الخليج، التي بدا ظاهرياً أن حكامها قد ابتعدوا تدريجياً عن شعوبهم خضوعاً لضغط أمريكي متزايد، خلق لديهم مخاوف من عبد الناصر وطموحاته التي قد تطيح بهم كما تمت الإطاحة بملك العراق.

وهكذا أدى قيام الجمهورية العربة المتحدة إلى اضطراب شديد في العلاقات المصرية الخليجية على المستوى الرسمي وأصبح عبد الناصر يمثل خطرا على عروشهم في ظل موجه دعائية عاتية من قبل أمريكا لحكام الخليج، الذين آمنوا بخطر عبد الناصر إما لإرضاء أمريكا أو لاعتقادهم أمكانية تحقق ذلك الخطر. وهذا يشبه اليوم ما تقوم به أمريكا من دعاية مكثفة بالخليج والعالم العربي عامة بتحويل إيران الجار الاستراتيجي إلى خطر على الوجود الخليجي بأكمله، واستجابة الخليجيين اليوم لا تقل عن استجابتهم للدور الأمريكي المضاد لعبد الناصر. رغم أن الواقع كان ينفي خطر عبد الناصر، فهناك توافق مصري سعودي في عصر الملك فيصل، وحزمة مبادئ لم يتم تنفيذ شيء منها، وبالرغم من أن القاهرة الناصرية

مدت يد العون إلى الإمارات تحت الاحتلال، ففي عام ١٩٥٤ قاومت مصر من خلال الجامعة العربية ادعاء إيران بأن البحرين جزيرة تابعة لها، وهناك الكثير من الأمور التي لا يتسع المجال لذكرها إلا أن فكرة وحدة المصير كانت تحرك الطرفين ولو باتجاهات سلبية.

كان قيام الوحدة بين مصر وسوريا مثل دعوة مفتوحة للوحدة العربية، فقد قامت عدة اتحادات شاركت فيها الجمهورية العربية واليمن والعراق والأردن، كما برز الاتحاد المغاربي، الا أن هذه الاتحادات لم يكتب لها التثبيت والنجاح وأصابها الفسل لذا الاسباب التي أدت إلى فشل الوحدة بين مصر وسوريا. كان جوهرها كانت الاندفاع العاطفي نحو الوحدة دون اتخاذ خطوات عملية في طريق تصاعدي نحو تحقيقها. كما حدث للاتحاد الأوروبي. وثبت صحة العبارة "أنه لا يمكن البدء بالخطوة الأخيرة".

وما يعنينا هنا في دراسة العلاقات المصرية الخليجية، هو دور الوحدة في هذه العلاقات. إن هذه الوحدة تحولت إلى تفاعلات شعبية ورسمية خليجية، تأمل خلالها الخليجيون كل تجارب الوحدة العربية، وأقاموا على ضوء ذلك اتحادهم الذي حمل على ضوء مجلس التعاون الخليجي، متجنبين كل أخطاء محاولات الوحدة، التي مازالت تضغط عليهم بسبب بقايا الحماس القديم، فالنخبة الخليجية والجماهير تطلب من المجلس الكثير بينما يسير المجلس بروية وهدوء متخذاً الخطوات السليمة التي سوف ترسخ الوحدة على المدى البعيد. كل ما نريد قوله هو أن تحول نظريات الوحدة والقومية العربية إلى واقع ملموس كان تجربة فريدة أثبتت للعرب عامة وللخليجيين خاصة حتمية الوحدة، لكن دون حماس أو اندفاع. مثلما حدث في تجربة (الجمهورية العربية المتحدة) كما أن لعبد الناصر جذوراً في الوحدة الخليجية ترى أن الأتحاد هي الملاذ الوحيد ضد الأخطار الأمنية والاقتصادية المتزايدة في منطقة

الخليج، وهذه الجذور بخيرها وشرها كانت وراء مجلس التعاون الخليجي الذي يسير بخطوات وئيدة لتثبيت اقدامه ، رغم أنه قد قام في وقت متأخر وفي جو عالمي عاصف، يتغير بضراوة ويدار بعولمة حساسيتها الكبرى هي القومية، لكن الزخم الذي تركه عبد الناصر خلق التأييد الشعبي العميق لكل محاولات الوحدة.

١) النكسة يونيو ١٩٦٧:

كان حدث النكسة حدثاً دراماتيكياً أصاب بحدوثه الجميع ذهولاً على كافة المستويات العالمية والاقليمية في حدثه ونتائجه والذين ساهموا فعلياً أو رمزياً في تلك الحرب، وكانت الصدمة في الخليج تفوق مثيلاتها في بقية المناطق الاخرى وفي مسيرة العلاقات الخليجية المصرية. لقد كان عبد الناصر حتى ٥ يونيو ١٩٦٧ حلماً لكل الشعوب الضعيفة، ولحركات التحرر الوطني في العالم، بل إن شعوباً أوروبية عبرت عن إعجابها عبد الناصر وأمنياتها بأن يكون لها زعماء بهذا القدر. وعندما حدثت النكسة سقط هذا الحلم، وبدأت هناك حرب أخرى هي حرب الإرادات، فأي حرب تحمل هدفين: الهدف الأول هو سحق الجيش المعادي والهدف الثاني كسر إرادة المهزوم، وقد تحقق الهدف الأول أما الهدف الثاني فكان مذهلاً، إذ لم يتحقق منه شيء، وذلك بسبب الاجماع الشعبي المصري والعربي على زعامة عبد الناصر رغم هزيمته غير المسبوقة في تاريخ الحروب. ومن المثير أن مكانة عبد الناصر توطدت أكثر على مستوى حركات التحرير في العالم، وهنا انتصر عبد الناصر وخلفه الشعوب العربية وحركات التحرير العالمية فيما يسمى حرب الإرادة.

قبل النكسة كان حلم الشعوب العربية ومعها كثير من الشعوب التي كانت تناضل من أجل استقلالها قد وصل إلى ذروة ذلك الحلم الذي تزعمه عبد الناصر، أما عبد الناصر نفسه فكان معزولاً عن جيشه بفضل طموحات المشير عبد الحكيم

عامر، فاقداً للسيطرة داخل مصر على كل المستويات، وقد كان فقط تحت حماية لا تقبل الجدل من الشعب المصري والشعوب العربية. في هذه الأيام كانت مصر أكثر إنهاكاً من زعيمها بسبب حرب اليمن منذ عام ١٩٦٤م ولم يكن من المعقول أن تخوض مصر حرباً طويلة يائسة مثل حرب اليمن ثم تخوض بجانبها حرباً ضد إسرائيل. وقد وصل الاقتصاد المصري إلى حد يقترب من الإفلاس، أما الضرر الأعظم لحرب اليمن هو انقسام العرب إلى قسمين، قسم وصف نفسه بالتقدمى قاده عبد الناصر وقسم آخر نعت بالرجعى من قبل القوميين العرب، قاد القسم الثاني السعودية، لأن نموذج عزل إمام اليمن وإقامة نظام ثوري في اليمن على حدود السعودية أضحى أمرك لا يمكن قبوله، وقد أجزلت السعودية العطاء للقبائل اليمنية وأمدتها بالسلاح لمواجهة جيش عبد الناصر في مواجهة أدت إلى جعل حرب اليمن حرباً حقيقية طويلة ومكلفة وفوق احتمال طاقة الاقتصاد المصري وقدرات الجيش (بل وقدرات أي جيش)، لأنها كانت حرب عصابات ضد جيش نظامي لا يعرف الأرض مثلما يعرفها محاربو العصابات، لأنها بلدهم ذات الطبوغرافية المعقدة من جبال ووديان، صورة لم يتعود عليها المصريون. الخلاصة أن علاقات عبد الناصر بالخليج لم تكن جيدة، باستثناء علاقاته بالكويت، التي حاولت مساعدة عبد الناصر، لكن الضغط الأمريكي البريطاني حال بينها وبين ذلك.

جاءت النكسة لتفجر تعاطفاً شعبياً ورسمياً خليجياً في صالح مصر وعبد الناصر شخصياً. وأهم ما حدث بعد النكسة هو تغير الخطاب العربي عامة وخطاب عبد الناصر خاصة، وقد انتهت حرب اليمن بانسحاب مصري وانتهى في ذهن الخليجيين التصور عن أحلام إمبراطورية لعبد الناصر. أما عبد الناصر نفسه فقد أدرك أهمية احترام الدولة الوطنية العربية، كما أدرك ضرورة التعامل الودي مع الأنظمة الخليجية التي بدأت تشعر بالاطمئنان وتمد مصر بما تطلبه. وإذا كان

للنكسة من فائدة فإنها وحدت الصف العربي مع بعض التعكير لقيام ما أطلق عليه حتى اليوم ثورة سبتمبر الليبية، التي بدأت في الأفق وكأنها تحقيق لحلم عبد الناصر، وعودة إلى ما قبل نكسة يونيو ٦٧.

وهكذا رغم تراجع الاقتصاد المصري بسبب النكسة تراجعاً ظل حتى اليوم إلا أن المساعدات الخليجية لمصر لتحقيق الشعار الذي رفعه عبد الناصر "إزالة آثار العدوان" والذي عبر عنه بجلاء في مؤتمر الخرطوم من قبل السعودية ودول الخليج كانت سبباً في قيام حرب الاستنزاف الناجحة ضد الإسرائيليين في شرق قناة السويس وفي تجديد الأمل بالمستقبل العربي بقيادة مصر والسعودية في آن، ومنذ نكسة ٦٧ بدأت السعودية تلعب دوراً مركزياً فاعلاً في العالم العربي جنباً إلى جنب إلى الدور المصري، حتى وصل ذلك التعاون الى ذروته في حرب ٧٣، التي أطلق عليها حرب ٦ أكتوبر، فمن الخامس من يونيو عام ٦٧ إلى السادس من أكتوبر عام ٧٣ جرى في النهر ماء كثير، إذ ظل شهر العسل بين مصر والخليج قائماً رغم رحيل عبد الناصر في سبتمبر ١٩٧٠ ومجيء السادات الذي اهتم بإقامة علاقات ودية مع حكام الخليج، ولاسيما لميوله الأرستقراطية وتقربه للملوك والأمراء من باب إشباع هذه الميول عنده. كان تقريباً نظام السادات نظاماً خليجياً فهو رب العائلة المصرية كما كان يكرر في خطاباته، يلعب نفس الدور السياسي الأبوي الذي ينهض به شيوخ وأمراء وملوك وسلاطين الخليج.

٢) أزمة الجزر الثلاث وحرب أكتوبر ٧٣:

فوجئ العالم في ظهيرة ٦ أكتوبر عام ١٩٧٣ بعبور الجيش المصري لأصعب مانع مائي وهو قناة السويس، ثم تدميره لأكبر خط دفاعي وهو خط بارليف، الذي كان فخراً لإسرائيل من ناحية وخطاً دفاعياً غير قابل للاختراق. أصابت الدهشة العالم من هذا الحدث تماماً كما أصابته الدهشة في يونيو ٦٧. وقد

حققت القوات المصرية انتصاراً هائلاً حرك الخليج بقوة للوقوف مع مصر بل والوقوف ضد كل الدول الغربية الكبرى التي تقف وراء إسرائيل. لقد كان نصراً كبيراً للخليجيين مثله مثل شعور المصريين تجاهه، فقد شارك الخليج بقوة في صنع هذا النصر.

سبقت حرب ٧٣ حقبة ساداتية واعية، فتحت أفق التقارب المصري الخليجي إلى أبعد مدى، ليظل الأمر كذلك حتى اتفاقية كامب ديفيد. بدأت هذه الحقبة بمحاولة السادات إثبات أنه شيء آخر غير عبد الناصر، أولاً بطرح كل الرؤى الأيدولوجية عن الاشتراكية والقومية العربية بعيداً عن سياسته وخطابه السياسي، من ناحية ثانية قام بما أطلق عليه ثورة التصحيح في مايو ١٩٧١، حين تخلص ممن أطلق عليهم مراكز القوى، وهي الأجنحة التي كانت محيطة بعبد الناصر، وتحمل أفكاره الأيدولوجية غير المرغوبة في الخليج، كما أنه قام بضربة غير مفهومة حتى اليوم عند الباحثين الاستراتيجيين لكنها لاقت استحساناً شديداً في الخليج، إذ طرد في يوم واحد آلاف الخبراء السوفييت العسكريين الذين كانوا يدربون الجيش المصري على استخدام الأسلحة السوفيتية. حيث كان الخليج يرى في الاتحاد السوفيتي خطراً عليه ولاسيما بوجوده الكثيف قريباً منه في مصر. وعدم فهم هذه الضربة ينبع من حاجة السادات الاستراتيجية لعون الاتحاد السوفيتي وتأييده في حربه ضد إسرائيل وهي حرب كانت وشيكة بسبب الضغط الشعبي المصري على السادات لمواجهة الإسرائيليين وطردهم من سيناء.

هكذا صار السادات كما سبق القول شريكاً في مواقفه وسياسته للقادة الخليجيين. ومنذ عام ١٩٧١ ظهرت في الأفق أطراف خليجية لم يكن لها دور كبير من قبل في تنمية العلاقات المصرية الخليجية، هي دولة الإمارات العربية المتحدة، والبحرين، وقطر، ثم لحقت بهما عمان في أواخر عام ١٩٧٢. وقد أدت الظروف

التاريخية إلى أن تدعم السعودية بقوة دور هذه الأطراف المستجدة على مستوى العلاقات المصرية الخليجية وذلك عندما تعرضت المملكة العربية السعودية لخطر إيراني محتمل خاصة بعد احتلال إيران لثلاث جزر أماراتية (طنب الكبرى – طنب الصغرى – أبو موسى) في عام ١٩٧١ قبل يوم واحد من الانسحاب البريطاني من الخليج العربي. وقد أحس السادات بحاجة الخليج إليه عامة والمملكة السعودية خاصة، حتى وجدت فيه ترجمة عملية لفكرة ظلت سائدة بعض الزمن،تقوم على تأسيس محور عربي يواجه التهديدات اعتماداً على سواعد المصريين وأموال السعوديين.

استنكر السادات احتلال الجزر ودعت مصر إيران إلى سحب قواتها والدخول في مفاوضات للتوصل إلى حل سلمي عادل لهذه المشكلة، بل إن مصر أعلنت أنها لن تقر أي اتفاق يبرم بخصوص هذه الجزر تحت سلطة الاحتلال الإيراني. وهكذا "راح السادات ينظر إلى علاقته بدول الخليج وفق أمرين أساسيين:

أولهما تبلور مطلع سبعينيات القرن المنصرم بات الأمن القومي المصري مرهوناً بتقديم حلول جذرية للمشكلات الاقتصادية، من ثم احتاجت مصر إلى رأس المال الخليجي لمساعدتها على إعادة بناء قواتها المسلحة استعداداً لحرب أكتوبر ١٩٧٣م، ومن بعدها تعزيز سياسة الانفتاح الاقتصادي التي تبناها السادات بدءاً من عام ١٩٧٤م، وفتح أسواق الخليج أمام العمالة المصرية، فضلاً عن حاجة مصر آنذاك إلى استقرار سوق النفط الدولية، وهو ما استدعى تنسيقا مستمراً مع دول الخليج.

الامر الثاني عندما تطلع السادات إلى الاستفادة من العلاقات المتميزة بين المملكة العربية السعودية والولايات المتحدة الأمريكية في مساعدته على إنجاح توجهه الجديد بالتقرب من واشنطن.

وبالفعل فقد نجح السادات نجاحاً كبيراً في تعبئة بعض قدرات دول الخليج لصالح مصر، خاصة خلال حرب أكتوبر. وفضلاً عن قرار المملكة العربية السعودية بتخصيص مليار دولار لدعم المجهود الحربي لمصر وسوريا لمقررات مؤتمر خرطوم، كما استجابت دول الخليج لدعوة مصر لها لدراسة إمكانية استخدام سلاح البترول سلاحاً في المعركة ضد الدول التي تساند إسرائيل، وترجمت هذه الاستجابة في اجتماع وزراء النفط الخليجيين بدولة الكويت الذي انتهت إلى قرار لم يكن قراراً مطلقاً بقطع النفط عن الدول المساندة لإسرائيل بل كان قراراً سياسياً محنكاً، إذ قاموا بتقسيم الدول إلى ثلاث مجموعات، مجموعة موالية لإسرائيل هي الولايات المتحدة وهولندا، هذه تقرر حظر تصدير النفط العربي إليها بطريق مباشر أو بطريق غير مباشر، ومجموعة تتكون من الدول المحايدة يتقرر إخضاع الحصص المصدرة إليها من النفط لتخفيض مستمر بنسبة ٥% شهرياً لحثها على استخدام نفوذها ضد إسرائيل، ومجموعة ثالثة من الدول الصديقة التي تم استثناؤها من الحظر. وقد عاد وزراء النفط الخليجيون للاجتماع في نوفمبر من نفس العام للمرة الثانية في الكويت وقرروا أن يكون مجموع تخفيض الإنتاج من كل دولة خليجية منفذة للقرار هو ٢٥% من إنتاج سبتمبر.

انقسم الباحثون الاستراتيجيون إلى قسمين وذلك تجاه موقف دول الخليج تجاه حظر النفط، رأى الفريق الأول أن هذا القرار كان له ثقل كبير في الانتصار المصري، أما الفريق الثاني فقد قلل من قيمة هذا الثقل (على سبيل المثال الدكتور مصطفى خليل رئيس وزراء مصر الأسبق) إذ يقول: كانت توصية مصر بأن يقطع البترول إذا أخلت إحدى الدول الغربية باتفاقاتها مع مصر، الا أن هذا القطع لم يطبق إلا على دولة واحدة وهي هولندا، كما أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت تحتفظ بمخزون استراتيجي يكفيها ثلاثة أشهر وكذلك الدول الأوروبية. وكان بين

هذه الدول اتفاق يقضي بأنه إذا قطع البترول عن إحـــداها تحـــصل علـــى كامــل احتياجاتها من هذا المخزون. وعلاوة على هذين الفريقين فإن هناك من يـــرى أن دول الخليج كانت المستفيد الأول من حظر البترول بسبب حرب أكتوبر، إذ قفزت أسعار النفط إلى مستويات غير مسبوقة أدت بهذه الدول إلى أن تجني ثمار ثـــروة هائلة فيما أطلق عليه الطفرة البترولية، والحقيقة لمن عاش تلك الحقبة من الحـــرب مثل الباحث يدرك أن ما حدث هو تضامن عربي غير مسبوق ظل العرب يتوقون الى تحقيقه منذ أمد بعيد ممثلة في خلقه شعور عربي قوي بالثقة في النفس، وبالقيمة الكبرى للتضامن والتعاضد، إذ لم يتوقف هذا التضامن على دول الخليج بل كـــان موقفاً عربياً بمعنى الكلمة.

إن دور دول الخليج في حرب أكتوبر من قبل قيامها وبعد قيامها كان دوراً حاسماً من كل الوجوه بصرف النظر عن تلك الآراء التي تحاول أن تجيب علـــى سؤال بوليسي: من المستفيد من حرب أكتوبر؟ لم يكن الأمر كذلك فقبـــل الحـــرب قدمت السعودية إلى مصر منحة مالية (٢٥ مليـــون دولار) لـــشراء قطـــع غيـــار لأسلحتها، كما اشترى الملك فيصل ٣٥ طائرة حربية من طراز ميـــراج لحـــساب مصر عام ١٩٧١، عندما طلب منه السادات ٢٠ طائرة فقط من طراز "لتيننج" التي كانت تمتلكها المملكة آنذاك، كما أرسل الملك فيصل في الأيام الأولى للحرب وفوداً إلى دول غرب أوروبا لشرح أخطار العدوان الإسرائيلي، وفي رسالة عاجلة إلـــى الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون في الثاني عشر مـــن أكتـــوبر طلـــب توقـــف الولايات المتحدة عن الانحياز إلى إسرائيل، وبعد ذلك بيومين أنذرها بوقف ضـــخ النفط. والحقيقة الأخرى التي لا جدال فيها أن الملك فيـــصل رحمـــه الله بروحـــه العروبية القوية وشخصيته المتميزة قاد الخليج في فروسية للوقوف بجانب مـــصر، بما قدمته السعودية وباقي دول الخليج كل من جانبه قدمت بدعم ســـريعاً لمـــصر

لمساعدتها على إعادة بناء ما هدمته الحرب. وقدمت السعودية وحدها ٥٠٠ مليون دولار بالإضافة إلى عدد من القروض لتنفيذ مشروعات تنمية قيمتها ٦٠٠ مليـون ريال.

أخيراً ساهمت السعودية بنسبة ٣٠% من قيمة المساعدات الاقتصادية التي تقررت لمصر بعد حرب ١٩٧٣م في القمة العربية التي عقدت بالرباط في سبتمبر عام ١٩٧٤م، وقدرها مليار دولار. ثم بعد ذلك ساهمت السعودية والإمارات وقطر والكويت في مشروع أنبوب البترول الواصل بين السويس والإسكندرية في ينـاير ١٩٧٤ برأسمال قدره ٤٠٠ مليون دولار.

في مايو ١٩٧٥ أقر قادة كل من مصر والسعودية وقطر مـشروع إنـشاء الهيئة العربية للتصنيع بمساهمة قدرها ٢٦٠ مليون دولار، بينما اشتركت مصر في رأسمال الهيئة بحصة عينية تكونت من أربعة مصانع حربية، هي مصنع الطائرات ومصنع محركات الطائرات ومصنع صقر للصواريخ ومصنع قادر لإنتاج العربات المدرعة وطائرات التدريب. وكان شعار الهيئة المزاوجة بين القـدرات الحربيـة المصرية والمال الخليجي، وفي نفس العام تم إنشاء "صندوق بلدان الخليج من أجل تطوير مصر" برأسمال قدره ١,٣ مليار دولار زادت في أغـسطس ١٩٧٦ إلـى ملياري دولار ساهمت فيها السعودية والكويت وقطر والإمارات التي قدمت مبلـغ ١٠٣ مليون دولار منحة لمصر لمساعدتها على إعادة فتح قنـاة الـسويس. كمـا حصلت مصر على ٦٨٨ مليون ريال من الصندوق السعودي لتمويل عـدد مـن المشروعات الإنمائية بها، مع تمويل حفر قناة لنقل مياه النيل إلى صحراء سـيناء وتعبيد طريق القاهرة أسيوط وإقامة مصنع للسكر.

ومع كل ما سبق فإن مجموع ما قدمته دول الخليج ومعها الدول العربيـة مجتمعة لمصر في مرحلة حرب أكتوبر وما بعدها لا يزيد عن ١٠% فقـط ممـا

أنفقته مصر خلال حربي يونيو ٦٧ وأكتوبر ٧٣، وما بينهما من حرب الاستنزاف، لكن المساهمة الخليجية الفعالة كانت ممثل رؤوس الأموال المصدرة من الخليج لشركات الاستثمار الداخلي في مصر حيث بلغت ٩,٥ مليار دولار. عموماً كان نصيب دول الخليج مجتمعة يعادل ٦٧% من جملة ما ضخته الدول العربية مجتمعة، وما يساوي تقريباً ما ضخته الدول الأوروبية، ويزيد عن المساعدات الأمريكية بـ١,٦ مليار دولار. كذلك كانت المساهمة الخليجية في المناطق الحرة المصرية مساهمة محدودة.

خلاصة كل ذلك أن الأموال الخليجية التي خصصت لإعادة بناء مصر على كل المستويات لم تكن على مستوى القدرة المالية للخليج من ناحية، وعلى مستوى احتياجات مصر من ناحية أخرى، لكنها رغم ذلك مثلت بداية لافتة للانتباه لعلاقات مصرية خليجية، وبدايات مصب للأموال الخليجية بدلاً من تصديرها إلى البنوك الأوروبية والأمريكية،. لقد كان الموقف يتلخص في وضع أساس متين لهيكل العلاقات المصرية الخليجية، وكان هذا الأساس ينبئ بصورة أفضل لمستقبل تلك العلاقات بل ومستقبل العالم العربي ككل، ويبشر بتفاصيله بأفق من التعاون الأمني والقوة الاقتصادية والعسكرية لعالم عربي يعاني من الاختراق الأمني والفوضى الاقتصادية. لم يستمر الأمر طويلاً وعاد العرب وعلى رأسهم الخليجيون مرة أخرى يعيدون النظر فيما قاموا به من قبل وبشكل آخر وخطوات تفوق أي قدرة أظهروها من قبل على البناء بسبب توقيع مصر معاهدة كامب ديفيد.

٣) النفط بين الايجابية والسلبية في العلاقات:

تثير مألسة (النفط) الكثير من علامات الاستفهام ومن ثم إجابتها مفادها هل كان الانتقاء الجغرافي لمنطقة الخليج العربي كصدفة تاريخية لتحمل أرضها

أكبر احتياطي للنفط المؤكد في العالم، سبباً في خير الخليج ورفاهيته وأمنه أم كان باباً نحو جهنم انفتح على المنطقة؟

وللإجابة على هذا فالاعتقاد السائد هو أن نفس الوقائع التي أصابت العلاقات المصرية الخليجية أصابت باقي سلسلة العلاقات الخليجية العربية. إذ بعد ظهور النفط في الخليج حدث انقسام آخر بجانب الانقسامات التي يعانيها العالم العربي، وهو انقسام الدول العربية انقساماً واضحاً، فأصبحت هناك الدول الغنية العربية والدول الفقيرة العربية. وقد أحس الخليجيون بهذا الانقسام إحساساً خارقاً، وتكونت لديهم عقدة الثراء، بينما الجانب الآخر تشكل لديه إحساس بالفقر، بل وفقدان كثير من مشاعر التلاقي عند التعامل مع الخليجيين. وربما استفاد من ذلك الجميع الذي أخذ يطالب بمساعدة خليجية، وبفتح الفرص أمام عمالة يحتاجها الخليج تؤدي إلى شيء من الثراء للعمال الذين نالوا فرصة العمل في المنطقة، ليعودوا إلى بلادهم ببعض النقود والقيم الخليجية اكتسبوها خلال إقامتهم داخل البيئة التي عاشوا فيها، لتنقسم البلاد التي تستقبل هؤلاء العمال الأغنياء نسبياً عند عودتهم طبقتين ، وذلك داخل نطاق فئات المجتمع في هذه البلاد غير البترولية، وأدى ذلك مع عوامل اخرى إلى تفتت الطبقة المتوسطة في هذه البلاد وهي الطبقة التي تمثل حجر الزاوية في التماسك الاجتماعي ويقوم على عاتقها الإنتاج وصنع التقدم.

هذا حدث في كل البلاد الفقيرة تقريباً مما أدى إلى انقسامات وبروز للعرقية والطائفية. أيضاً تلقى هذه الدول مساعدات خليجية وربطها إلى حد كبير في مشاكل سياسية ناجمة عن التدخل الخليجي في شئونها الداخلية.

هذه الملاحظات السابقة تبلورت بشكل واضح مع أسباب أخرى على الشعب المصري والعلاقات المصرية الخليجية هذا من ناحية ومن ناحية أخرى أخذ هذا الحراك في طبيعة التوازن شكلاً تدريجياً على النحو الآتي: فقد قررت المملكة

العربية السعودية أن تدفع لمصر مبلغاً زهيداً لكن له قيمة رمزية طيبة، وذلك عندما جمدت الأرصدة المصرية في الخارج عقب تأميم قناة السويس، هذا المبلغ كان خمسة مليون دولار سنويا، توقفت السعودية عن دفعه بعد خمس سنوات فيما يبدو كعقوبة لعبد الناصر بعد الضغوط الأمريكية السافرة على السعودية، والاتفاق مع الملك سعود أن يظاهر مصر بسياسة ودية في ذات الوقت الذي (يجب) عليه إقصاء وإزاحة عبدالناصر بشتى السبل ضدها في الخفاء. وظل برج القاهرة شاهد على ذلك، فقد بناه عبد الناصر بنصف مليون جنيهاً مصرياً، قدمها إليه شاب كلفته السعودية باغتيال عبد الناصر. هذا الحدث في الستينيات كان ضربة قاصمة للعلاقات المصرية السعودية، وإن لم يؤثر كثيراً على باقي العلاقات المصرية مع دول الخليج. إذاً البترول كان وراء الضغط الأمريكي والسلوك التآمري للملك سعود. من هذه المواقف نبعت ظاهرة أخرى أخذت تمس العلاقات المصرية الخليجية حتى على المستوى الشعبي، وهي التعامل مع مصر على أنها دولة ليست ثرية بدلاً من التعامل المعتاد معها باعتبارها الشقيقة الكبرى ومصدر الأمن والإلهام الثقافي لكل الخليج. مما انعكس سلباً على الجانبين، فالتعامل مع مصر بهذا الشكل أضعف الرابطة القوية التي تربط الطرفين، اخل بطبيعة التوازن بين الخليج ومصر روحياً وثقافياً بسبب أموال النفط أو البترودولار كما يقولون، التي أضعف الخليج كثيراً لأنه إعتمد في قوته فقط على السيولة المالية التي تحتاج إلى حماية لا يملكها، وأن ضعفه الناجم عن غياب مصر الفعلي في السياسية الخليجية قد أدى به إلى الارتماء نهائية في قبضة أمريكا. واذ استمر الإحساس بأهمية مصر كما هو ينبض داخل القلب الخليجي على المستوى الشعبي، مما أثر سلباً على محاولات التآمر على عبد الناصر وأفكاره، وأجبر الحكومات الخليجية على التعامل بشيء من اللباقة مع عبد الناصر، وليس مع مصر. ثم أتت نكسة يونيو ١٩٦٧ لتعيد شيئاً من

العلاقات المصرية الخليجية، حيث تعاطفت الشعوب الخليجية مــع عبــد الناصــر الجريح، ولم يقل التقدير له، وهنا بدأت تبرز سلبيات الفكــر الطبقــي، فــالأموال الخليجية تساعد عبد الناصر في هذه الأزمة آخذة شكل الكرم الذي يحمله الغني نحو الفقير. هذا على المستوى الرسمي، في المقابل إستمرت المساعدات الشعبية المالية والعاطفية ظلت تتعامل مع مصر باعتبارها ما كانت عليه قبل البترول.

أما تأثير البترول على الدول الخليجية نفسها فقد كان مدمراً مــن نــواحي عدة، فقد تكالبت القوى الكبرى بالطبع على رأسها الولايات المتحدة الأمريكية على السيطرة الكاملة على الخليج، واستخدام أمواله لشن الحــروب ولتــرويج صــناعة السلاح الأمريكية بصفة خاصة والغربية بصفة عامة. وما زال الخليج حتى اليــوم يدفع ضريبة لمنتجي السلاح الغربي بإجباره على شراء أسلحة ســنوياً بمليــارات الدولارات، وهي أسلحة تدخل مخازن تحت الرقابة الأمريكية، ولا يحتاجها الخليج بالفعل إلا على مستوى بالغ المحدودية، وليس له الــسيطرة الكاملــة علــى تلــك الأسلحة.

وقد ثبت عدم أهمية تلك الأسلحة في حرب تحرير الكويت. أضف الى هذه النتيجة العسكرية نتائج آخرى لم يحدث توزيع للثروة الجديدة يقوم علــى العدالــة ويحقق الرفاهية لسكان الخليج، بسبب اعتماد دول الخليج على أموال البترول، مما عاقها عن التنمية وخلق اقتصاد حقيقي يؤدي إلى تحقيق تلك العدالة، بإيجاد فرص عمل، بعد التنمية البشرية، التي أدى غيابها إلى الاعتماد شبه الكامل على العمالــة الأجنبية لتتسرب نسبة كبيرة من أموال البترول إلى الخارج عبر تحــويلات تلــك العمالة لأجورها إلى بلادها. وهكذا تحولت إلى حكر على بعض الانتهازيين مــن رجال الأعمال والتجار وكبار مشايخ القبائل الذين نقلوا أموالهم إلى الخــارج ولــم

يستثمروها خليجياً أو عربياً وهكذا صارت دول الخليج دولا قوية ماليا، ضعيفة اقتصاديا.

اتجهت هذه الأموال أحياناً إلى مصر، وولى بعضه وجهه لنشر أفكار وقيم، وقد انتقلت هذه القيم الأصولية بقوة إلى مصر عبر العاملين في الخليج لتصنع بؤراً للتطرف والأصولية في كل العالم العربي بما فيها الدول الخليجية، لأن القيم تتكاثر وتبقى وخاصة أنها ناجمة عن أيدولوجية دينية ومتشددة.

وحتى نكون منصفين فإن انتشار هذه القيم الأصولية لم ينبع من الخليج ويتم تصديره إلى مصر فحسب، بل إنه سار في اتجاهين، الاتجاه الأول بدأ من مصر عبر جماعة الإخوان المسلمين – على حد قول بعض الآراء والمراقبين – التي تشكلت عام ١٩٢٧ واستطاعت حتى اليوم أن تسيطر على عقول نسبة كبيرة من الشباب المصري والعربي عامة، إذ تحولت هذه الجماعة إلى جماعة أممية لا يفلت من وجودها أي بلد إسلامي. تسربت هذه الجماعة إلى الخليج في آخر الخمسينات وأوائل الستينيات عندما طاردهم عبد الناصر بقوة ونجاح، وهرب عدد كبير منهم إلى الخليج وشبه الجزيرة العربية، ومازالوا موجودين هناك يحملون الجنسيات الخليجية ويمارسون تأثيرهم القوي. ومن المعروف أن الإخوان المسلمين يرسلون سنوياً وحتى اليوم شباباً إخوانياً إلى السعودية لممارسة الحج والعمرة، والالتقاء بهؤلاء الهاربين وبعض العلماء الأصوليين لبرمجتهم وحقنهم بتلك القيم. أيضاً استطاع عدد كبير من شباب الأخوان المسلمين التسلل إلى السعودية والاختلاط غير المعلن بالقوى الأصولية في السعودية والتي شجعت بعض هذا الشباب للسفر إلى أوروبا والحصول على شهادات ثم العودة إلى بلادهم ليحتلوا أماكن هامة سلطوية تساعدهم على الدعوة وانتشار المبادئ الأصولية.

منذ سنوات حسين كامل بهاء الدين وزير التعليم المصري الأسبق أن الإخوان يرسلون شبابهم الحاصل على الثانوية العامة إلى كليات التربية وفجأة أصبح عدد المدرسين الإخوان أكثر من نصف المدرسين في مصر وبعضهم بالغ في نشر قيمه حيث أجبروا البنات صغار السن في المدارس الابتدائية على التحجب. وكان ذلك حدثاً مشهوراً شغل النخبة المصرية فترة طويلة. لكن لم يفكر أحد في أن عدداً كبيراً من هؤلاء المدرسين جذبته نقود النفط واستطاعوا الذهاب للتدريس في الخليج وتدعيم ونشر القيم الأصولية.

لقد أضحى البترول معيناً لا ينضب لنشر القيم الأصولية من الخليج إلى مصر والعكس، بتشجيع من أمريكا في فترة الحرب الباردة بينها وبين الاتحاد السوفيتي، وبتمويل كبير من المخابرات الأمريكية على حساب أموال النفط.

وعلى الجانب الآخر فإن أموال البترول خففت من الفقر في البلاد العربية الفقيرة وعلى رأسها مصر كما منحت الخليجيين فرصة لتشييد البنية الأساسية لبلادهم على أعلى مستوى، لكنها لم تنجح في إزالة الفقر وإن خففت منه كثيراً، دون أن تدري أن الفقر هو منبع للتطرف لا ينضب. وهنا نعود للسؤال هل كان البترول خيراً أم شراً؟ ونترك الإجابة للقارئ الذي عليه أن يلاحظ أن أموال النفط خلقت عند الخليج قوة مالية كان ينبغي أن تكون قوة اقتصادية، وخاصة أن القوة المالية تعد مشكلة اقتصادية لا يحلها إلا بناء القوة الاقتصادية، لأن القوة المالية تحتاج إلى بنوك لا تتوفر في الخليج ولا في العالم العربي، مما يؤدي إلى فقدان هذه القوة بتصديرها إلى الخارج.

٤) كامب ديفيد:

تميز مجموع العلاقات العربية العربية مشاهد دراماتيكية تدخل في الميلودراما المسرحية تارة حيث يتصاعد الاشتعال العاطفي لحدث صغير إلى حد

الالتهاب، كما يدخل ضمن التراجيديا التي تنتهي بمصرع البطل النبيل بشكل محاط بالحزن دون ذنب جناه ذلك البطل. وذلك حيث لا تستقبل الوقائع والأحداث استقبالا موضوعياً داخل إطار كينونتها وأسبابها ونتائجها. وهكذا قوبل توقيع اتفاقية كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل، تلك الاتفاقية التي تـضمنت ملحقـاً فلـسطينياً يعطـي الفلسطينيين حق الحكم الذاتي لمدة خمس سنين بعدها يتم استفتائهم على مصيرهم. فقد قوبل توقيع الإتفاقية بإستياء وغضب عارم بين الأكثرية العربية الساحقة وعلى مستوى الخليج بصفة خاصة، ربما بسبب المستوى الرفيع لعلاقات مصرية خليجية مبشرة تعرضت للهدم والتدمير بشكل فوري ومفاجئ بعد كامب ديفيـد. إذ تحـول الوفاق المصري الخليجي إلى قطيعة مبالغ فيها، وتم معاقبة مصر على المـستوى الاقتصادي والرمزي، فقد انسحب الخليج من الهيئة العربية للتصنيع رمز المستقبل الأمني العربي، كما تم تأييد نقل الجامعة العربية ومؤسساتها من مصر إلى تونس. وصاحب هذه الإجراءات حملة إعلامية انفعالية عرضها ضد مـصر والـسادات، أيضاً رفض الفلسطينيون الملحق الخاص بهم عندما دعتهم مصر للتفـاوض مـع وفدين مصري وإسرائيلي في فندق مينا هاوس في القاهرة حيث ارتفعـت أعـلام الأطراف الثلاثه في انتظار وفد فلسطين الذي لم يصل قـط، ومـن العجيـب أن السادات ردد في خطبه مرات كثيرة أنه تشاور بشكل سري مع العـرب وبـصفة خاصة السعودية وسوريا وياسر عرفات، وأنه أخذ موافقتهم السرية أيـضاً علـى زيارته لإسرائيل، تلك الزيارة التي مهدت لعقد اتفاقية كامب ديفيد.

مع تحليل الوقائع العربية التي أعقبت موقف السادات من قضية العلاقـات مع إسرائيل يمكن أن نصل إلى النتائج الآتية:

١- انفعالية القرار العربي، بالطبع والقرار الخليجي المصري، بحيث يتجاهـل القرار دائماً التاريخ والحاضر والمستقبل.

٢- أن القرار الانفعالي يؤدي إلى تبديد مجهودات ومؤسسات تم بناؤها عبر سنوات لكي تشكل طريقاً استراتيجياً للمستقبل العربي.

٣- تم ترك مصر وحيدة وضعيفة في مواجهة إسرائيل التي أسعدها عزل مصر عن محيطها العربي عزلاً تاماً، وهو عزل ما زال حتى اليوم يميز سياسة مصر، حتى بعد عودة العلاقات المصرية الخليجية والعربية بعد اغتيال السادات. لم يمكن قط حتى اليوم إعادة الأوضاع العربية العربية والمصرية الخليجية إلى ما كانت عليه، بل اشتعلت الخلافات على كل المستويات بين العرب في ظل قيادة صدامية أو عراقية تارة وقيادة سعودية تارة أخرى. لقد حاول عدد من الزعماء العرب إحياء ذكرى عبد الناصر للحلول محله في الزعامة العربية، وبدأت ولم تتوقف حتى اليوم مؤامرات البلاد العربية ضد بعضها بعضاً، حتى إن العالم العربي يدين لقطيعته الدراماتيكية مع مصر لحالة الضعف الشديد التي يعيشها بشكل خاص في السنوات الأخيرة من القرن العشرين والأولى من القرن الواحد والعشرين.

الا أن موقف عمان كان موقفاً مميزاً، فقد رفضت الموقف الخليجي والعربي ضد مصر، واستمرت علاقاتها مع مصر دافئة ونامية، صحيح أن استمرارية هذا التميز يعود إلى جذور تاريخية حيث نرسخت هذه العلاقات منذ الزيارة التي قام بها وفد عماني من قبل السلطان قابوس بن سعيد إلى القاهرة في فبراير ١٩٧١ ، والتي كانت بداية لإقناع مصر بتأييد انضمام السلطنة لجامعة الدول العربية، وإغلاق مكتب إمامة عمان التابع للمعارضة العمانية في مصر وتحويله إلى مقر سفارة للسلطنة وطرد ممثلي الجبهة الشعبية لتحرير عمان وإغلاق اتحاد طلبة عمان بالقاهرة، والذي كان يمثل تجمعاً طلابياً للمعارضة في الخارج. ثم قام الرئيس المصري أنور السادات بجهد في سبيل إنهاء الصراع الذي كان يدور

في منطقة ظفار في إطار عربي، بل أنه اقترح إرسال قوات عربية على الحدود اليمنية العمانية للحيلولة دون مهاجمة المعارضة العمانية لأراضي السلطنة، مستفيدة من الدعم اللوجستي الذي كانت تقدمه اليمن الجنوبي آنذاك للمعارضة ضد السلطان. وقد حفظ السلطان الجميل لمصر وأيدها في كل المواقف بما فيها كامب ديفيد. فلم يأبه السلطان لتهديد الأنظمة العربية المتشددة بعقاب عمان على موقفها المؤيد لمصر، ولاسيما القناعة السياسية لدى عمان قد انطلقت من حتمية إقامة سلام مع إسرائيل من حيث المبدأ، وذلك منذ حضور الأطراف العربية المباشرة في الصراع، وما أطلق عليها دول الطوق في مؤتمر جنيف عام ١٩٧٣، وقرار قمة الرباط في نوفمبر ١٩٧٤ بطرق جميع الأبواب بهدف إيجاد حل سلمي يعيد كامل الحقوق العربية.

تجاوز موقف عمان التأييد لمصر إلى محاولة إنهاء قطيعة العرب لها، بل وتمكنت من التوسط في شراء صفقة أسلحة مصرية للعراق، أعقبها اتصالات مصرية عراقية مباشرة، كما مهدت عمان لقاءً سرياً بين الرئيس حسني مبارك والملك حسين بن طلال في عام ١٩٨٤، أعلن بعدها الأردن عودة علاقاته الدبلوماسية مع مصر. في المقابل حصلت عمان على تأييد مصر للمشروع العماني لحماية مضيق هرمز، وتقديمها مساعدات فنية لتنفيذ هذا المشروع بما يتوافق مع التصور العماني لأمن الخليج، كما أبدى الرئيس السادات استعداده لإرسال قوات مصرية للدفاع عن عمان إذا اقتضى الأمر، في ظل تخوف السلطنة من تداعيات الثورة الإيرانية.

وعلى المستوى الدولي والإقليمي كان عام ١٩٧٧ وما تلاه من أعوام مليئة بالأحداث الخطيرة التي مازالت تترك آثاراً عميقة وبائسة في المشهد العربي. فبعد توقيع مصر منفردة على اتفاقية كامب ديفيد في عام ١٩٧٨ قام الاتحاد السوفيتي

بغزو أفغانستان في عام ١٩٧٩ ونجحت الثورة الإيرانية في السيطرة على السلطة في إيران في نفس العام مما مثل صدى بعيداً من المخاوف على مستوى دول الخليج بل وعلى المستوى العالمي، حيث تم سقوط الشاه وعصراً إمبراطورياً إيرانياً لأسرة حكمته أكثر من ألفي عام.

مع هذه التطورات تجمعت الأسباب لخلق تهديد محتمل بالغ الخطورة لأمن الخليج، على المستوى الإقليمي ، الغربي والأمريكي على حد سواء، وظهر في هذه اللحظة خلل اجج المخاوف من هذا التهديد وهو غياب الخلفية المصرية التي ظلت في السنوات السابقة تمثل رصيداً احتياطياً وفعلياً لأمن الخليج. ورغم إدراك الخليجيين العميق لهذا الأمر فإنهم لم يعيدوا العلاقات الدبلوماسية مع مصر حتى جرى في النهر ماء كثيرة.

٥) حروب الخليج:

استغل صدام حسين مخاوف الخليج والمخاوف الأمريكية من الثورة الإيرانية ليبدأ حرباً طاحنة وقاسية ضد إيران بل ومدمرة للعراق والخليج جميعاً، ونصب نفسه حامياً للبوابة الشرقية للخليج وللعالم العربي، وكما أن القرار العربي انفعالي فقد اندفع الخليج في دعم صدام حسين ودفع مصر عبر الوساطة العمانية للاندفاع في نفس الطريق، وكن ثم إندلعت الحرب العراقية الإيرانية في سبتمبر ١٩٨٠، وهي غامضة الهدف تماماً ومليئة بالغموض والأسرار، وفي ظل تمويل غربي لصدام حسين بالسلاح، ويفعل نفس الشيء بطريقة سرية مع إيران.

أمست النتيجة عبثية: عشرات بل مئات الألوف من القتلى العراقيين والإيرانيين، واستمرار للقتال في مساحة محدودة من الأرض باستثناء الغارات الجوية، وتوقف للتنمية في الخليج كله بمحاورة الثلاثة: إيران والعراق ودول الخليج التي شكلت فيما بعد مجلس التعاون الخليجي، بجانب ضغوط غير أخلاقية من صدام حسين على

هذه الدول لابتزازها إلى أقصى الحدود، وابتزازاً وصل إلى استنفاذ أموال البترول وبصفة خاصة الأموال السعودية والكويتية.

ورغم تأييد دول الخليج ومصر معها وباقي الدول العربية باستثناء سورية وليبيا والجزائر بصفة خاصة، فإن العالم العربي بدأ يتململ من استمرار تلك الحرب بعد اكتشافه لعدم جدواها، وللخسائر البشرية والمادية الكبرى لمواصلة حرب في طريق مسدود، طال مداها بشكل غير مسبوق فاق الزمن الذي استغرقته الحربان العالميتان الأولى والثانية، حتى يمكن اعتبارها أطول حرب وقعت في القرن العشرين.

لقد أوقفت هذه الحرب الحياة والنمو تماماً بالمنطقة وانتهت نهاية محزنة في أغسطس ١٩٨٨ دون أن تحقق نتيجة تذكر للعراق، دون أن تقدم أي دعم حقيقي لأمن الخليج، و بل يمكن القول أن المكسب الوحيد قد تحقق لإيران باعتراف العراق بشراكتها له في مجرى شط العرب طبقاً لاتفاقية الجزائر عام ١٩٧٥م بينه وبين إيران والتي سبق له تمزيقها ونقضها. وانطبق على هذه الحرب المثل الشعبي الوارد في السيرة الشعبية الهلالية "وكأنك يا أبو زيد ما غزيت".

غزا صدام حسين بعض من الأراضي الإيرانية لينتهي بعد ثمانية أعوام إلى العودة بالعراق إلى الوراء سنوات، ولاسيما فيما يتعلق بعلاقته مع إيران، وبما يتصل بالتنمية التي حققها نظامه قبل الحرب، كما وضعت الخليج في موقف بالغ الحيرة والعجز وهددت أمنه وتصدير بتروله لسنوات، كانت سبباً في إدراك الخليج لأهمية علاقاته مع مصر، رغم تراجع الدور المصري نسبياً، فهي وإن كانت قد باعت سلاحاً لصدام حسين وأنظمة رادارية إلى الكويت، فلم يكن القرار بالفعل قراراً مصرياً خالصاً بل شابه التوجيهات الأمريكية.

ومن الغريب أن مصر صارت ملكية أكثر من الملك بموقفها المناهض لإيران وبعلاقاتها الدبلوماسية المقطوعة معها، مع إجهاض كل المحاولات الإيرانية لإعادتها، بينما الخليج رغم المخاوف التي بثتها أمريكا ضد إيران فإنه إحتفظ بعلاقاته الدبلوماسية مع إيران، ويتودد كثيراً إليها في حكمة بدأت تشوب الانفعالية العربية عند الخليجيين، الذين ظلوا يمارسون اليوم دبلوماسية ناجحة. وأستمرت مصر في رفع قضيتين لموقفها من إيران وهما أمران لو صدقا لا يسمحان بالتضحية بالإمكانية الهائلة الاستراتيجية التي يمكن أن تحققها الصداقة المصرية الإيرانية، طبقاً لسوابق تاريخية منها التصاهر الملكي المصري الإيراني في الأربعينيات. هذان الأمران هما تسمية أحد الشوارع الإيرانية باسم الضابط الذي اغتال السادات، والأمر الثاني النشاط الإيراني في نشر المذهب الشيعي في مصر.

في الحقيقة السببان واهيان ومعطلان لدفع إيران قبل القطيعة للتنمية في مصر بإنشاء البنك المصري الإيراني برأسمال وصل إلى مليار دولار. والتاريخ يثبت أن مثل تلك الذرائع المصرية وربما العربية بعامة لا أساس لها، فقد راهن صدام حسين على ترحيب عرب إيران في الأهواز بغزوه لإيران ولم يجد منهم إلا المقاومة والصد، كما راهنت بعض الاتجاهات الأصولية الإسلامية على وقوف شيعة العراق مع إيران، وقد سقط الرهان بالمشاركة الشيعية الخماسية للدفاع عن العراق، فالطائفية حالة ذهنية عند الأصوليين استطاعوا بعون أمريكي على فرضها على التصورات العربية، لإذكاء روح الطائفية التي أثبتت عبر التاريخ عدم وجودها في الواقع إلا على المستوى الذهني والقمعي.

إضافة إلى ما سبق القت حرب الخليج الأولى هذه بظلالها على العلاقات المصرية الخليجية. إذ بدأت مصر تدريجياً تحل محل العراق في العقلية الأمنية الخليجية، مما دفع العلاقات المصرية الخليجية إلى التقارب تدريجياً رغم قطع العلاقات

الدبلوماسية. وأدرك الخليج أنه لا يمكن التخلي عن مصر ودورها الخليجي، كما أدركت مصر أن القطيعة كانت حدثاً عابراً في طريقه إلى الزوال، أيضاً لعدم واقعية وإمكانية تخليها عن الخليج. إلا أن هذه النتائج لم تؤد إلى نتيجة تذكر بإتجاه مشروع عربي عظيم حمل اسم تطوير مصر وإعادة بنائها بعد الحروب المتعددة التي خاضتها مع إسرائيل، وظن الخليجيون وكثيرون من العرب الآخرين أنها حروب تتجاوز مصر إلى المستوى القومي العربي.

وبنهاية حرب الخليج الأولى, التقط العرب أنفاسهم وعادت فترة محدودة جداً من الوئام العربي والتوافق المصري الخليجي، لولا أن افتعل صدام حسين مشكلة مع الكويت مدعياً أنها تسحب بترولاً عراقياً وتستخرجه في أراضيها، وقد تضافرت الجهود العربية وبصفة خاصة المصرية لإصلاح ذات البين بين العراق والكويت. وفي الوقت الذي بدأ فيه أن هذه المشكلة قريبة من الحل فاجأ العالم صدام حسين بغزو الكويت. وفي الحقيقة كان غزو الكويت قد تم دون سبب ومع سبق الإصرار من صدام حسين، الذي صرح تصريحاً غريباً يدفع لتساؤلات عديدة حول عمليه الغزو البائسة والتي وصلت بالعرب اليوم إلى الحضيض وإلى انعدام الثقة العربية العربية على كل المستويات حتى داخل القطر العربي الواحد.

ففي مؤتمر صحفي عقب الغزو بساعات أعلن وباللغة الإنجليزية " تلك جائزتي That is my price ". الكل فهم أن جائزته مقابل حربه لإيران التي أدعى أنها أضعفت الثورة الإيرانية ليس لصالح الخليج أو العرب وإنما لصالح الولايات المتحدة التي هدف بتصريحه الغريب هذا أن الكويت هدية أمريكية له نظير الأذى الذي ألحقه بالعراق وإيران معاً. وفيما يبدو أن الأمريكيين قد خدعوا صدام وأعطوه الضوء الأخضر للقيام بهذا العمل بالغ الأحمق، ولاسيما الإشاعات التي لم تتوقف حتى اليوم حول ما دار من تفاهمات بينه وبين أمريكا عبر لقائه بالسفيرة الأمريكية

(والتي اختفت منذ الغزو وحتى اليوم) عشية الغزو، وفي لقاء احتفالي تقريباً تضمن سهرة طويلة بينه وبين السفيرة. ويعتقد الباحث أن غزو صدام حسين للكويت كان نقطة انطلاق أمريكية لتحقيق استراتيجية بعيدة المدى انتهت بغزو العراق أمريكياً والقضاء على نظام حكم صدام حسين بعد ذلك ببضع عشرة سنة.

حاولت الجامعة العربية في اجتماع عقد في القاهرة بإقناع العراق بالانسحاب من الكويت دون جدوى . وكان موقف مصر سريعاً وحاسماً عند وقوع الغزو، فقد أدانت القاهرة الغزو، وبدأت فوراً في مقاومته بالوسائل المتاحة دون إبطاء أو تأخير، ولاسيما بسبب الشعور المصري بتلقي صدمة على المستوى الشخصي من الرئيس العراقي الذي أخل بوعوده للرئيس المصري حسني مبارك حين زار بغداد قبل الغزو بأسبوع واحد. لقد أكد الرئيس العراقي وبشكل حاسم ومؤكد لحسني مبارك بأن تحرك قواته نحو الجنوب ليس إلا تدريباً عسكرياً، وأنه لن يقوم بغزو الكويت. ومع ذلك حاولت مصر بذل أقصى ما يمكن من الاتصالات الدبلوماسية لردع العراق عن الاستمرار في احتلاله للكويت، وكان هذا فشلاً ذريعاً للسبل الدبلوماسية مما فتح الباب دون حرج لهدم مجلس التعاون العربي المصري العراقي الأردني اليمني، بانسحاب مصر منه وبإرسال قوات أساساً للدفاع عن المملكة العربية السعودية خشية تعرضها لغزوا عراقي.

وفي الواقع كان موقف مصر مهماً للغاية ولاسيما أنها أقنعت سوريا أيضاً بالمشاركة أمام تجمع عربي مضاد يضم الأردن واليمن والسودان ومنظمة التحرير الفلسطينية بحجة رفض وجود قوات أجنبية لحل مشكلة عربية. وقد طالبت هذه الدول ومعها العراق بانسحاب القوات الأجنبية من السعودية والخليج ثم بعد ذلك تحل القضية في إطار عربي.

وقد ووجهت مصر بهجوم إعلامي قاتل من هذه المجموعة من الدول ومعها العراق حتى أنها اضطرت إلى إغلاق جامعة القاهرة فرع الخرطوم ومدارس البعثة التعليمية المصرية في السودان ومكتب مصر للطيران في العاصمة السودانية إلى أجل غير مسمى، وذلك رداً على الاعتداءات التي تعرضت لها السفارة المصرية في السودان من المتظاهرين ضد الموقف المصري من العراق. كذلك أعلنت مصر فرض تأشيرات دخول على مواطني الجزائر وتونس والمغرب بعد أن ألغتها، وذلك بسبب مواقف شعوب وحكومات هذه البلاد المستنكرة للسياسة المصرية تجاه أحداث الخليج.

ودفعت أمريكا بعض الدول العربية لضم قوات منها للتحالف الذي تقوده أمريكا من أجل إضفاء شرعية على حربها الوشيكة لتحرير الكويت، فأرسلت مصر وسوريا قوات للمشاركة في هذه العملية، التي انتهت بإجبار قوات صدام حسين على الانسحاب الذليل. وهكذا مهدت مقدمات حرب أغسطس ١٩٩٠ الأجواء لمدة تقترب من العشر سنوات لعلاقات مصرية خليجية متميزة وتكاد تفوق فترة الذروة في السبعينيات لهذه العلاقات.

هكذا قامت حرب الخليج الثانية وكأنها مؤامرة أخرى لاستمرار استنزاف أموال الخليج، فقد انتهى الأمر بتجمع عسكري دولي هائل على أراضي المملكة العربية السعودية مع ترسانات ضخمة للسلاح والذخيرة، لتخوض القوات الأمريكية التي تقود هذا التجمع حرباً باسم حرب عاصفة الصحراء والتي تحمل بجانب هذا الاسم حرب تحرير الكويت.

هكذا قامت حرب الخليج الثانية وكأنها مؤامرة أخرى لاستمرار استنزاف أموال الخليج، فقد انتهى الأمر بتجمع عسكري دولي هائل على أراضي المملكة العربية السعودية مع ترسانات ضخمة للسلاح والذخيرة، لتخوض القوات الأمريكية

التي تقود هذا التجمع حرباً باسم حرب عاصفة الصحراء والتي تحمل بجانب هذا الاسم حرب تحرير الكويت.

انتهت حرب الخليج الثانية أو حرب عاصفة الصحراء بتقديم مصر لمشروع لأمن الخليج، حدد هدفه في تنمية العلاقات المصرية الخليجية في إطار معتدل يقوم على العودة لإحياء دور الجامعة العربية، وأن يتولى التحالف المصري السعودي السوري العمل على صياغة المواقف العربية عموماً مع مقاومة تدخل الدول الإقليمية (إسرائيل – إيران – تركيا) في شئون المنطقة، على أن يحمل هذا التحالف على عاتقه مسؤولية العمل مع الولايات المتحدة وأوروبا من منطلق المصالح وفي استقلالية وعلى جسر من العلاقات الودية. وقد ارتكز التصور المصري لأمن الخليج على أربع ركائز هي:

١) تصور مصر المعتاد لدورها على أنها درع الأمة العربية.

٢) حرص مصر على سلامة العراق ووحدة ترابه الوطني واستقلاله مع الالتزام بميثاق الأمم المتحدة وميثاق جامعة الدول العربية، اللذان ينصان على استقلال الدول الأعضاء فيها وعدم حق التدخل في شئون الدول الأخرى وحل المشاكل بالطرق السلمية.

٣) التشديد على عروبة خالصة لأي نظام دفاعي جديد، أو أي ترتيبات أمنية في منطقة الخليج بعد انتهاء الحرب.

٤) قبول مصر الوجود العسكري الأجنبي في الترتيبات الأمنية في منطقة الخليج في حالة واحدة وهي أن يكون تحت مظلة الأمم المتحدة ووفقاً لقرارات الشرعية الدولية في شكل قوات حفظ السلام أو قوات متعددة الجنسيات وفي نطاق جماعي، وعلى المستوى الثنائي حصر على

المناورات العسكرية المشتركة بين الأطراف العربية المعنيــة والطــرف الدولي.

كان التصور المصري هذا مبني على وجود فراغ أمني فــي أغلــب دول مجلس التعاون الخليجي، بسبب التفاوت الكبير بين ثروته البترولية الهائلة وقدراته الدفاعية المتواضعة مع قلة عدد سكانه. وقد حاولت مصر تحقيق هــذا التــصور ونجحت بالفعل باستضافة لوزراء خارجية مجلس التعاون الخليجــي مــع وزيــر الخارجية السوري ولاتي تم الإتفاق فيه إلى ما عرف باسم الوثيقة التمهيدية لإعلان دمشق، الذي تم التوقيع عليه بالأحرف الأولى في السادس مــن مــارس ١٩٩١ . والذي مع تضمنه للتصور المصري إلا أنه عبر عن تحول غير عادي فــي فكــر وإدراك مجلس التعاون الخليجي لكيفية الحفاظ على أمن الخليج بقبول دور أمنــي وعسكري محدد لمصر وسوريا من خلال قواتهما التي شاركت في حرب الخلــيج، واعتبار هذه القوات نواة لقوة سلام عربية تسعى إلى حفظ أمن دول الخليج العربية. وقد نص إعلان دمشق المذكور على أن تسعى الأطراف الموقعــة عليــه لخلــق التعاون في المجالات الاقتصادية والثقافية كخطوة أولى يمكن انضمام دول عربيــة أخرى إليها، وتبني سياسة اقتصادية تنموية تمهيداً لإقامة تجمع اقتصادي عربــي، مع تشجيع القطاع الخاص في الدول العربية على المشاركة فــي عمليــة التنميــة الاقتصادية والاجتماعية للوصول إلى تجمع اقتصادي عربي في النهاية.

إعلان دمشق كان في الحقيقة له وجهان، الوجه الأول أن الخليج ومــصر وسوريا قد اكتشفوا الطريق نحو تشكيل مؤسسة عربية تفوق في طموحاتها الاتحاد الأوربي، الا أن هذا الطموح شكل تصوراً وردياً رومانسياً، لأنها نص وبشكل غير مباشر على طرد أمريكا من، تلك المنطقة التي تمثل بعــداً جوهريــاً فــي الأمــن الأمريكي المتمثل في البترول، ولذلك لم يمثل إعلان دمشق سوى لحظة من التفكير

الاستراتيجي الواقعي في مجمله، وغير الواقعي لعدم وزن الدور الأمريكي بعمل جسر بين تصور الإعلان لأمن الخليج، والدور الأمريكي الفعلي القائم في المحافظة على هذا الأمن باعتباره ضرورياً لأمن أمريكا نفسها، ولذا لم يخرج من الورق الذي كتب عليه إلى حيز الواقع. إلا أنه من ناحية آخرى أضاف إلى تاريخ الفكر الاستراتيجي العربي بعداً هاماً، كما أنه رغم عدم تنفيذه زرع في الذهن الخليجي قيمة التوجه المصري كرصيد حيوي احتياطي ودائم لأمن الخليج الذي دفع دوله إلى العودة بقوة لعلاقات مصرية خليجية حميمة، ومن جديد وعلى استحياء حين بدأت تتدفق بعض الأموال الخليجية لحل أزمات اقتصادية مصرية بين الحين والآخر، والمشاركة الرمزية في التنمية في مصر.

وفي الواقع فإن دول الخليج التي وقعت على هذا الإعلان كانت بالفعل تسلك طرقاً أخرى لتحقيق أمنها، فالكويت وقعت اتفاقية أمنية مع الولايات المتحدة ثم مع فرنسا ثم مع باقي الدول الكبرى ذات المقاعد الدائمة في مجلس الأمن. أما الإمارات فقد احتفظت بالقوات المصرية التي كانت على أرضها في حرب الخليج الثانية وعقدت اتفاقية ثنائية مع فرنسا، وهكذا باقي دول الخليج. ورغم إسقاط الديون المصرية الخليجية والتي تجاوزت ٧ مليار دولار، فإن مصر خرجت من حرب الخليج الثانية ببعض الخسائر الكبرى، فضعف العراق وانعدام التوازن بينه وبين إسرائيل أدى إلى إضرار بالغ للأمن المصري، كما أن إعادة دول الخليج حساباتها مع إيران أسقط الدور المصري المنافس لإيران والمعتمد على الموقف العدائي الخليجي تجاه إيران. فقد تبدلت المواقف، إذ صار العراق عدواً وإيران صديقاً. أخيراً خسرت العمالة المصرية الكثيفة في العراق مواقعها وعادت إلى مصر، كما خسرت العمالة المصرية في الكويت مواقعها ولو مؤقتا بعد هروبها من جنون الغزو العراقي إلا أنها عادت مرة أخرى ولكن بصورة أقل مما سبق. وقد عوض هذه الخسائر إلى

حد ما الاستثمارات الخليجية وتقديم قروض ومنح لمصر. كمـا زادت فـي نفـس الوقت تحويلات العمالة في الخليج بسبب فتح السعودية الأبواب للعمالة المـصرية بعد الحرب.

في نهاية المطاف انتهت حرب الخليج الثانية بمكانة لمصر غير مـسبوقة على المستوى الرسمي والشعبي. وهنا لم تعد النظرة حماسية قومية كما كانت فـي السابق، ويعول عليه الخليج كثيراً وأصبحت مصر بالفعل جزءاً يعول عليه الخليج كثيراً على المستوى الرسمي أو الذهني. كما أن الخليج رداً لجميـل مـصر فـي مشاركتها الجوهرية في تحرير الكويت بتوجيه رجال أعمالـه نحـو مزيـد مـن الإستثمار في مصر.

الخاتمـــة :

تناول هذا البحث العلاقات المصرية الخليجية حتى حرب تحرير الكويت معتمداً منهجا في تناول هذه العلاقات على فترات تفعيلها وأسباب هذا التفعيل، حيث لاحظ الباحث وجود ثابت استراتيجي ينظم تلك العلاقات في فترات سكونها أو تفعيلها، عند المتغيرات العالمية أو المحلية أو الإقليمية، وهو تفعيل بالإيجاب تارة وبالسلب تارة أخرى . وبناء على ذلك إنقسم البحث إلى سبع نقاط رئيسية.

النقطة الأولى تناولت هذه العلاقات منذ فترة حكم محمد علي باشا حتى قيام المملكة العربية السعودية الحديثة عام ١٩٣٢ ورفض النظام الملكي المصري لها حتى موت الملك فؤاد ليقوم تحالف مثير وتعاون بين المملكتين يستمر إلى مابعد سقوط النظام الملكي في مصر. وفي ذلك الزمان كانت الدولتان هما الوحيدتان اللتان يتمتعان بالإستقلال بينما كانت بقية كيانات الخليج خاضعة للنفوذ البريطاني وانحصر اللقاء المصري الخليجي في تلك الفترة في ارسال مصر لبعثات تعليمية ولعدد من الموظفين بجانب المعلمين الذين كانوا يذهبون لحسابهم الخاص. أما الأمر الثاني فكانت العلاقات الثقافية التي لعبت فيها مصر عبر مثقفيها دورا كبيرا في تحديث الفكر الخليجي.

النقطة الثانية فقد تنا ولت الحدث المدوي لتأميم قناة السويس والذي استقبل بشكل عاطفي وحماسي في الخليج ولاسيما بعد العدوان الثلاثي على مصر، وقد رأى الخليجيون في هذه التجربة المصرية بجانب تأميم البترول في إيران أفقا فتح الباب أمامهم للتحرر من الإستعمار، مع أن تجربة مصر اختلفت بأن أخذت طابعا إقليميا وعالميا بعكس الحدود المحلية للتجربة الإيرانية، مما ترك أثرا عميقا في علاقة الخليج بمصر من ناحية وببريطانيا وأمريكا من ناحية أخرى.

الا أن نكسة ١٩٦٧ أعادت الود والدفءالى العلاقات المصرية الخليجية وبدلا مما كان متوقعا من شماتة خليجية في عبد الناصر وهزيمتة الكبرى إلا أنه هذه الأحداث اشعلت تعاطفاً قوياً ومسانداً خاصة بعد مجيء السادات في سبتمبر ١٩٧١' والذي أهتم بأقامة علاقات ودية مع الخليج حيث انطلقت إسترتيجيتة نحو تعميق العلاقات مع الانظمة الخليجية – نظراً لتقارب توجهات انظمتهم – على ما يعتقد. ازدادت العلاقات المصرية الخليجية وثاقة بعد حرب اكتوبر و الطفرة البترولية وحاول الخليج دعم مصر والذي إزداد قربا منها بشكل بدأ قبل حرب ١٩٧٣م وذلك باحتلال ايران للجزر الامارتية عام ١٩٧١م والمخاوف الخليجية من ايران،والإحساس بأهمية مصر كرصيد استراتيجي دفاعي للخليج في مواجهة ايران. والحقيقة ان الدعم الخليجي لمصر بعد حرب اكتوبر لم يكن كبيرا ولا يتناسب مع خسائر مصر في الحرب او الثراء الخليجي بعد الطفرة البترولية الناجمة عن حرب اكتوبر، ولكنه كان ضروريا وقابلا للتطور ولا سيما بعد انشاء صندوق بلدان الخليج من اجل تطوير مصر. كانت ا لصورة وردية ولكن لم تستمر ولم تستثمر. كما عالجنا في النقطة التالية العرب الخليجيون وثرائهم المالي الذي قسم العالم العربي إلى اغنياء وفقراء مما أحدث هزة عنيفة في العلاقات المصرية الخليجية حتى ان الخليج بدأ يصدرثقافته الى مصر التي فقدت جزءا من دورها الاهم في التاريخ العربي الحديث وهو الدور الثقافي وبجانب هذة الكارثة الحقيقية كان للبترول دور سلبي على الخليج بخاصة وعلى العالم العربي بعامة. لأنه فتح افقا بلا حدود للتدخلات الأستعمارية في المنطقة العربية. تلاقت امواج هذه المؤثرات مع ما حدث في (كامب ديفيد) وماتلاه من احداث حزينة انتقامية ضد مصر مثل قطع العلاقات معها او نقل الجامعة العربية الى تونس وترك مصر وحدها ضعيفة في مواجهة اسرائيل معزولة عن محيطها العربي.

لم يكد العرب يستفيقون من هذه الصدمة حتى واجهتهم صدمة أشد عنفاً بإندلاع حروب الخليج التي اعادت إلى الأذهان قيمة الدور المصري المركزي في الإستراتيجية العربية، فقد مثل وجودها بين القوات الدولية غطاء شرعيا للوجود العسكري في الخليج والمملكة العربية السعودية خاصة. وقد سبق مأساة غزو صدام حسين للكويت وما تمخض عنها من حرب بقيادة أمريكية ومؤازرة مصرية قيام صدام حسين بغزو ايران بأموال خليجية. هاتان الحربان اللتان بدأتا بغزو غير عقلاني من صدام حسين لإيران ثم الكويت انتهتيا نهاية مأساوية ولا سيما بعد الحادي عشر من سبتمير وبداية ما سمي بالحرب ضد الارهاب، على نحو ما حدث بعد ذلك.

ولعل اعلان دمشق المشهور أضحى وثيقة هامة عن النوايا الخليجية المصرية وتوجهات هذه الدول التي وإن لم ترق دائما الى درجة الفعل إلا انها من الناحية الأستراتجية قابلة للتحقق عند اللزوم كما يعرف الخليجيون و المصريون ذلك في إطمئنان بتلك الحقيقة.

المصادر والمراجــع

- ايريك لوران، عاصفة الصحراء- أسرار البيت الأبيض – الملف الــسري لحرب الخليج ، ترجمة محمد مستجير ، مكتبة مدبولوي، ١٩٩١.
- بيارسا لينجرز، ايريك لوران ، "حرب الخليج السري"، دار آزال للتوزيع و النشر، بيروت، فبراير ١٩٩١.
- تركي الحمد " الأسباب الموضوعية و المبررات الأيدولوجية"، ندوة الغزو العراقي للكويت ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ، العدد الخامس، الرقم ١٩٥، الكويت ، ١٩٩٦.
- صلاح العقاد ، التيارات السياسية في الخلــيج مــن بــد ايــة العــصور الحديثةحتى ازمة ١٩٩٠-١٩٩١، مكتبة الانجلــو المــصرية ، القــاهرة ١٩٩٢.
- فرد ها ليداى ، النفط و التحرر الوطني في الخلــيج العربــي و ايــران ، ترجمة زاهر ماجد. بيروت، ١٩٧٥.
- محمد حسنين هيكل ، " حرب الخليج- اوهام القــوة و النــصر"، مركــز الاهرام للترجمة و النشر، القاهرة، ١٩٩٢. " مدافع آيه الله ، قصة ايران و الثورة ، القــاهرة ط ٥ ، ٢٠٠٠ م.، " ملفــات الــسويس "، دار الــشرق ،القاهرة ، الطبعة الاولى .
- عبدالمنعم سعيد، " العرب و دول الجوار الجغرافــي" ، مركــز دراســات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٨٨.
- عبدالله يعقوب بشارة، "مجلس التعاون- السيرة و التحديات "، اصدار مجلس التعاون لدول الخليج العربية، الامانة العامــة، الريــاض ١٩٨٩، الطبعــة الثانية.

- جمال زكريا قاسم، "الخليج العربي – دراسة لتاريخه المعاصر ١٩٤٥-١٩٧١ "، دار الفكر العربي ، القاهرة ،.١٩٩٦ (خمس مجلد ات) .
- د.فؤاد شهاب " تطور الاستراتيجة الامريكية في الخليج العربي"، ١٩٩٦، جامعة البحرين.
- د.فواز جرجس،" النظام الاقليمي العربي و القوى الكبرى: دراسة في العلاقات العربية- العربية والعربية الدولية"، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الاولى ١٩٨٥
- حسن ابو طالب،"علاقات مصر العربية ١٩٧٠_١٩٨١" مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ،الطبعة الاولى ١٩٩٨.
- د.فؤاد هشام،" استخدامات عوائد النفط العربي حتى نهاية السبعينات"، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية، الطبعة الاولى، ١٩٧٧.
- د.مصطفى علوي (محرراً)، "مصرا وامن الخليج بعد الحرب"، مركز البحوث والدراسات السياسية، كلية الإقتصاد والعلوم والسياسية، القاهرة ،الطبعة الأولى ١٩٩٣.
- عمار علي حسن،" العلاقات الخليجية – المصرية، جذور الماضي ومعطيات الحاضر وافاق المستقبل"، مركز الخليج للأبحاث ،الطبعة الاولى،٢٠٠٦.
- "بريطانيا والأوضاع الإدارية في إمارات الساحل العماني ١٩٤٧-١٩٦٥" ، إعداد منى سليمان الحمادي، اداب القاهرة ٢٠٠٦،إشراف أ.د.عبدالعليم أبو هيكل.

- "أثر التنافس الأمريكي البريطاني في الخليج الغربي على العلاقات بين أقطار المنطقة" رسالة ماجستير، إعداد حمدي عبدالرحمن على، إشراف أ.د. أحمد عبالدرحيم مصطفى.
- ادوارد ريس، "التوسع الأمريكي في الخليج"،دار التقدم،بدون تاريخ.
- حسام عبدالمعطي،"العلاقات المصرية- الحجازية في القرن الثامن العشر"،القاهرة- الهيئة العامة للكتاب،سلسلة،تاريخ المصريين،العدد ١٤٩، الطبعة الأولى،١٩٩٩.
- د. محمود علي الداود،"الخليج العربي والعلاقات الدولية"،القاهرة،معهد البحوث والدراسات العربية،الطبعة الأولى،بدون تاريخ..
- إبراهيم المسلم،"العلاقات السعودية المصرية:عراقة الماضي- إشراقة المستقبل"، مكتبة مدبولي،القاهرة،الطبعة الأولى ١٩٨٩.
- مجموعة باحثين،" أربعون عاماً من الوحدة المصرية-السورية، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية،صحيفة الأهرام،الطبعة الأولى ١٩٩٩.
- د.بطرس بطرس غالي ، "الناصرية وسياسة مصر الخارجية ١٩٥٢-١٩٧٠"، مجلة السياسة الدولية،العدد الثالث والعشرون، يناير- مارس ١٩٧١.
- التقرير الإستراتيجي العربي لعام ١٩٩٠ الصادر في عام ١٩٩١، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية،الأهرام، القاهرة ١٩٩١.
- مصر ودول مجلس التعاون الخليجي، مقال توثيقي على موقع وزارة الخارجية المصرية، ٢٠٠٥١١٠١٢٣.
- مصر و قضية الأمن في الخليج ، جريدة الرياض ، ص ٢ و ٣، ٢٠ يناير ٢٠٠٦ ، عبدالجليل زيد المرهون.

- أمن الخليج وإشكالية الــدور العربــي، المعرفــة، الــصفحة الرئيــسية، ٢٠٠٧\١١\١١
- محمد الهليل، تحولات خارطة التحالفات الإقليمية، أحلاف السعودية بــين الماضي والحاضر،موقع الحجاز،بدون تاريخ.
- خالد بن سلطان بن عبدالعزيز مقاتل من الصحراء،حقائق وذكريات ورواية مــستقبلية لعــام القــوات المــشتركة ومــسرح العمليـــات، www.mokatel.com

Gil Feiler, "Economic Relations between Egypt and the Gulf states, 1967-2000, Petro wealth and patterns of Influence", Brighton, England: succex Acadimic press, 2003

جوانب من حياة لويس ماسينيون (١٨٨٣-١٩٦٢)

د. مسعودة يحياوى
جامعة الجزائر

مقدمة :

يعتبر لويس ماسينيون من أشهر مستشرقي فرنسا في القرن العشرين ، لما تميز به من عمق الاستبطان ، وإلمامه بمقاصد الأديان السامية والهادفة إلى إسعاد الإنسان بالدعوة إلى الخير والفضيلة وشكر الخالق ، وبامتلاكه العالم ، ونجاحه في الولوج إلى المعرفة الروحانية التي تجلت في ثقافة التصوف، فدرس حياة الحلاج بعمق ، أبرز فيها نجاحه في الاتحاد في الله، بفضل محاربة نفسه الأمارة بالسوء ، واعتبر موته نوعا من " الألم البطولي " من اجل الآخرين . كما تمعن في قصة أهل الكهف التي اعتبرها نقطة تقاطع بين الإسلام والمسيحية في معاني الموت والحياة والتسليم بقدرة الله والتعاون والتآخي. فضلا عن تبوئه لعدة مناصب مهنية في أقطار عديدة، ودراسته للفلسفة العربية، واشتهر أيضا بكونه صديقا للعرب، بعد أن اكتشف الله بفضلهم، لذلك اتخذ مواقف مشرفة إزاء قضاياهم العديدة كالقضية الفلسطينية، واعتقال الملك المغربي محمد الخامس سنة ١٩٥٣، والثورة الجزائرية، تعلم اللغة العربية حتى صار مالكا لناصيتها .

غير أن ذلك لم يمنع ظهور من اتهمه بمناصرة الظاهرة الاستعمارية، وهذا لضلوعه في أمر اتفاقية " سايكس – بيكو" الشهيرة التي قسمت المشرق العربي إلى

مناطق نفوذ بين الدول الاستعمارية ، و لعلاقته المتينة مع الأب شارل فوكو الـذي كان عينا للجيش الفرنسي في الصحراء الكبرى يراقب تحركات الطـوارق أثنـاء الحرب العالمية الأولى . فمن هو هذا المستشرق الذي ملأ الأسماع وأشغل الباحثين لسنين طوال ؟

١- المولد والنشأة

ولد لويس ماسينيون في أحضان أسرة عريقة في العلم والمعرفة والفن ، فقـد كان أبوه فرديناند طبيبا استهواه فن النحت إلى درجة أن اتخذ اسما مستعارا وهو (Pierre Roche)، وامتهن حرفة نحت الأوسمة، وبذلك رضع لويس ماسـينيون الثقافتين العقلية والفنية في آن واحد ، في محيط برجوازي مكنه من التعرف علـى العديد من الشخصيات الثقافية التي ذاع صيتها في أواخر القرن التاسع عشر.

وتحصل على شهادة البكالوريا (قسم الآداب والفلـسفة) فـي ٣أكتـوبر ١٩٠٠ وبكالوريا رياضيات سنة ١٩٠١، من ثانوية لوي لوقران Louis Le Grand ، ثم انتسب إلى الجامعة أين تحصل على شهادة الليسانس فـي الآداب ، ومـن أشـهر أساتذته فرديناند برونو (Brunot). وفي سنة ١٩٠٤ سافر إلى المغرب، أين اعـد دراسة نال بها دبلوم الدراسات العليا في جامعة الـسوربون ببـاريس. ثـم درس الإسلام في" كوليج دى فرانسCollège de France " مع التركيز على شخـصية حسن الوزان الملقب بـــ ليون الإفريقي ، ثم درس اللغة العربيـة فـي المدرسـة الوطنية للغات الشرقية الحية، التي تخرج منها سنة ١٩٠٦بحصوله علـى دبلـوم

اللغة العربية الفصحى والعامية، ليلتحق بعدها بمعهد الآثار بالقاهرة في شهر أكتوبر ١٩٠٦.

٢- زيارته للجزائر والسفر إلى العراق

وعلى اثر ذلك قام بزيارة الجزائر ونشر عنها عملا هاما حول القبائل العربية والبربرية والنقود المحلية، ترجمه عن الايطالية . وفي الجزائر تعرف على الحلاج بعد قراءته لشعر فريد الدين العطار، وعندما عاد إلى فرنسا بدأ في دراسة هذه الشخصية الصوفية. لكنه لم يلبث أن أرسل إلى العراق في بعثة علمية لدراسة آثار حضارات بلاد الرافدين سنة١٩٠٧ ، دون أن يفارقه موضوع الحلاج ، وقد نزل في بغداد ضيفا على أسرة الألوسي الشهيرة بالعلم، هذا وقد استغل وجوده هناك ليقوم بزيارة عدة معالم آثارية للشيعة في كربلاء والنجف والكوفة ، وزار أيضا قبر الصحابي سلمان الفارسي، الذي دخل بعد ذلك في دائرة اهتماماته العلمية.

وفي سنة ١٩٠٩ سافر إلى القاهرة وانتسب إلى جامعة الأزهر لإعداد رسالة الدكتوراه حول الحلاج في قسم الفلسفة.

٣- سفره إلى الشام ودوره في اتفاقية " سايكس –بيكو "

كان لويس ماسينيون عند اندلاع الحرب العالمية الأولى موظفا في وزارة الشؤون الخارجية بقسم الإعلام ، ثم أرسل بطلب منه إلى الشام ، فتولى منصب نائب المحافظ السامي " جورج بيكو Georges Bicot "، وهناك تعرف على لورانس العرب أثناء مشاركتهما في إعداد وثيقة < سايكس – بيكو> السرية، التي

قسمت فرنسا وبريطانيا بموجبها بلاد الشام إلى مناطق نفوذ ، لذلك كانت في الحقيقة بمثابة طعنة خنجر في ظهر العرب الذين كانوا في صف الحلفاء ، طيلة الحرب العالمية الأولى من أجل الحرب " .

وفي سنة ١٩١٩ كلفه وزير الشؤون الخارجية" أرستيد بريان Aristide Briand" في وزارة كليمنصو ، بتجسيد مشروع المملكة العربية في سوريا وتنصيب فيصل ملكا عليها .وفي شهر ماي من سنة ١٩٢٢ ناقش أطروحته حول حياة الصوفي الحسين بن منصور الحلاج .

٤- مميزات مساره المهني

تميز مساره المهني الطويل بالجمع بين الدراسات العلمية حول الحضارة الإسلامية، وبين توليه لمناسب سياسية في وزارة الشؤون الخارجية الفرنسية. لكن ما يلاحظ عن هذا المسار، هو وقوع نشاطاته السياسية في ظل نشاطاته العلمية التي تجسدت في مهام متعددة كالمشاركة في البعثات العلمية للآثار ، خاصة في العراق ، والتكليف بمهام ثقافية في العديد من الدول العربية الأخرى، كالمغرب أين كلفه المقيم العام Lyautey بأجراء دراسة حول النقابات الحرفية في المغرب، وإنشاؤه لجمعية خيرية مسيحية بمصر(دمياط) ، فضلا عن حصوله على عضوية مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ثم كمبعوث خاص للحكومة الفرنسية المؤقتة سنة ١٩٤٥/١٩٤٦ للإشراف على العلاقات الثقافية الفرنسية – العربية، في مصر وسوريا وفلسطين ولبنان وتركيا والعراق وغيرها من الدول الشرقية. كما اشرف على العديد من الدوريات الخاصة بشؤون المسلمين منها مجلة العالم الإسلامي سنة

١٩١٩ ، ومجلة الدراسات الإسلامية سنة ١٩٢٧ . وقد أهلته جهوده العلمية من تبوئ مرتبة" المرجعية" في الغرب في مجال التصوف ودراساته .

٥- قراءته للإسلام

اعتبر لويس ماسينيون الإسلام انه تعبير حقيقي عن الإيمان التوحيدي المنحدر عن سيدنا إبراهيم (عليه السلام) وابنه إسماعيل ، وأنه يتقاطع مع المسيحية في بعض الجوانب الروحية كقصة أهل الكهف الواردة في القرآن والأدب المسيحي، التي تحمل معاني الإيمان والموت والبعث والتعاون والتآخي. كما اعتبر شخصيات الحلاج، والاب شارل دى فوكو، وغاندي بمثابة " أبدال " في مفهوم البدليّة ، الذي يعني الموت والتضحية من أجل الآخرين ، من خلال استمرار شفاعتهم عبر الأجيال، ويشكل هؤلاء الملقبون بأحباب الله، العمود الفقري للتاريخ البشري.

أن أهم ما استخلصه لويس ماسينيون من أعمال هؤلاء، هو " الإيمان الكوني " الذي دفعه إلى القيام بمجموعة من النشاطات الاجتماعية لفائدة المضطهدين من طرف الاستعمار، كزيارة المساجين وتعليم المساجين الجزائريين، والاحتجاج السلمي (اللاعنف) على تجاوزات الدولة الفرنسية.

وثائق التخطيط لأول مشروع صرف صحى بالقاهرة

دراسة أرشيفية مع ترجمة وتحقيق

د. نهاد محمد كمال
قسم المكتبات والوثائق والمعلومات
كلية الآداب – جامعة القاهرة

مقدمة :

بالإضافة إلى أهمية دراسة تاريخ مصر الاجتماعي والسياسى والاقتصادى... الخ فإنه من المهم التعرف على تاريخ مشروعات البنية التحتية لها، وكما أن الوثائق هى المصادر الأولية لتقديم تاريخ مصر، فإنها أيضا تقدم الحقائق والتفاصيل لهذه المشروعات، ولقد قامت الباحثة بدراسة وثائق أحد هذه المشروعات والذى أنجز فى أوائل القرن العشرين، وهو مشروع أول صرف صحى نُفذ بالقاهرة. وهذه الوثائق هى تقارير تضمنت تفاصيل التخطيط للمشروع، ولأن هذه التقارير هى احدى المدونات الرسمية فهى بذلك تشكل مصدر للبيانات الدقيقة(1)، وتوجد هذه الوثائق بدار الوثائق القومية فى الملف رقم ٤٨ بداخل المحفظة رقم ١/٤ التى تحمل عنوان متفرقات والتى تنتمي إلى المجموعة الأرشيفية لمحافظ الأشغال التابعة لمحافظ مجلس الوزراء. ويتكون البحث من العناصر الآتية : أولا تمهيد تاريخى ثانيا، وصف ملف وثائق المشروع، ثالثا ترجمة وتحقيق ونشر الوثائق ، رابعاً المصطلحات الفنية الخاصة بالمشروع والواردة بالوثائق.

أولا تمهيد تاريخى :

شهد النصف الثانى من القرن التاسع عشر نهضة شاملة للارتقاء بمصر حضاريا، والتى وضع برنامجها الشامل الخديو إسماعيل (١٨٦٣-١٨٧٩) حيث

تضمن البرنامج إعادة تخطيط مدينة القاهرة وإنشاء الميادين الكبرى وفتح شوارع جديدة وتمهيد وتوسيع الطرق – إنشاء الكبارى والحدائق وغيرها من المنشآت التى جعلت من القاهرة عاصمة جديدة تحاكى عواصم أوروبا. وواكب تلك المشروعات بالنهوض بالمرافق، والتى تمثلت انذاك فى تزويد القاهرة بشبكة للمياه النقية، شبكة للإنارة بالغاز، وشبكة للصرف الصحى، على أن تمتد كل تلك الشبكات للأحياء الشعبية(٢).

وقد أنشأ الخديو إسماعيل نظارة للأشغال العامة لتصبح أداة تنسق مشروعاته وتنفذها(٣)، فبالنسبة لشبكة المياه، فقد كان النظام المتبع أن تبنى تحت المنازل والقصور والمساجد صهاريج تمتلئ أيام الفيضان ويشرب الأهالى منها، وفى غير أيام الفيضان يشترون المياه من السقائين . لذلك فى ١٧ مايو ١٨٦٥ منحت الحكومة المصرية شركة كورديه – التى يملكها الفرنسى كورديه الذى أشرف على تزويد اربعين مدينة فرنسية بالمياه– على تزويد القاهرة والاسكندرية بشبكة للمياه(٤). وقد أقامت الشركة محطة لضخ المياه عند فم الخليج(٥) وفى عام ١٨٦٧ تم وضع أول مأسورة متجهة نحو القلعة وأصبح طول المواسير الموضوعة فى الشوارع والحارات مائة وخمسون ألف متر من الحديد الزهر(٦) وانتهى المشروع فى ١٨٧٢ بعد توصيل شبكة المياه إلى حى الإسماعيلية الجديد آنذاك "ميدان التحرير الآن"(٧).

بالنسبة لشبكة الإنارة بالغاز، فقد منحت الحكومة المصرية شركة ليبون فى ١٥ فبراير ١٨٦٥ التى يملكها المهندس الفرنسى ليبون وهى مختصة بأعمال الإنارة فى فرنسا – منحتها الامتياز لمشروع إنارة ميادين وشوارع ومنازل القاهرة والإسكندرية، وشيدت مصنعها لأعمدة وفوانيس الإنارة فى بولاق(٨)، وعندما تولى على مبارك وزارة الأشغال عام ١٨٦٧ أشرف على إتمام إنارة مدينة القاهرة

وقصور الخديو[٩] . فى عام ١٨٨٢ أصبح ما يقرب من ألفين وخمسماية فانوس تضئ المدينة. وفى ١٨٨٥ أنشئت مصلحة التنوير وألحقت بالداخلية، وفى عام ١٨٩٢ بدأ استخدام الكهرباء والتى دخلت أولا بالإسكندرية[١٠] .

وبالنسبة للنهوض بالصرف الصحى يبدو أن الأمر كان أشد صعوبة وأكثر تعقيداً عن مشروعى شبكة المياه والانارة، حيث توضح الوثائق نظام الصرف الصحى التى اتبع والحالة السيئة التى وصل إليها والأضرار الصحية التى تسبب فيها والذى استغرقت محاولات تحسينه عدة أعوام بدأت منذ أوائل الثمانينيات من القرن التاسع عشر حتى بدايات القرن العشرين حين عين مجلس النظار عام ١٩٠٦ المهندس الإنجليزى كاركيت جيمس لإقامة مجارى للقاهرة وكلفه بإعداد المشروع اللازم له[١١].

ولقد قدمت العديد من الوثائق الصورة الواضحة عن حالة الصرف الصحى ومحاولات تحسينه فنجد أنه فى ٢٣ أغسطس ١٨٨٣ قرر مجلس النظار تشكيل لجنة مكونة من مندوبى وزارة الداخلية والأشغال ومصلحة الصحة العامة[١٢] للنظر فى أسلوب متطور وصحى لنزح المجارى وحل مشكلة القاذورات الناشئة عن ميض ومراحيض المساجد والجوامع[١٣].

وفى ١٧ يونيه ١٨٨٤ اشتركت مصلحة الصحة العامة مع الأشغال فى إقامة مجارى فى المنازل بطريقة صحيحة بدلا من المجارى القديمة التى كانت غير صحية ولا هندسية، أما الجوامع فقد أقيمت لها مراحيض تولت مصلحة الصحة كسحها يومياً ومنعت كليا نزح مجارى الجوامع فى النيل أو فروعه، كما ألزمت الأوقاف باستبدال ميضات الجوامع والمساجد التابعة لها بصنابير وذلك على نفقة الأوقاف، أما الجوامع والمساجد الخاصة بالغير فتكون على نفقة من أقامها [١٤].

وبالفعل أفادت مصلحة الصحة فى ١٣ أبريل ١٨٨٦ الداخلية بأن الأوقاف قد أتمت على نفقتها الغاء الميضات واستبدالها بصنابير فى مسجد محمد علـى أبـو الدهب ومسجد السيدة زينب، وجامع إبراهيم اغا وجـامع جـركس وأن مـصلحة الصحة تجرى وقتئذ توصيل المواسير الخاصة بالمياه النقية لها(١٥).

وفى ٣١ يوليو ١٨٨٧ أصدرت مصلحة الصحة العامة قرارا بإلزام أصحاب البيوت من المصريين والأجانب بنزح المراحيض والخزانات المفتوحة من القـاع متى امتلأت فى ظرف ثمانية أيام تبدأ من تاريخ الأمر الذى يصدر إلـى صـاحب البيت وإذا مضى هذا الميعاد تتولى المصلحة النزح بنفسها ولكن على نفقة صاحب البيت مع تطبيق العقوبة عليه طبقا لما نص عليه قانون العقوبات فى هذا الشأن(١٦).

فى ٢ يوليو ١٨٨٨ قدمت مصلحة الصحة تقريراً إلى الداخليـة بـضرورة استبدال الخزانات المفتوحة من القاع بأخرى صماء لأن الخزانات الصماء تتسرب منها " القاذورات " إلى الأرض التى أصبحت بسبب كثرة الرطوبة المـسبب فيهـا الصرف غير قادرة على أكسده هذه " القاذورات ". وقد نتج عن ذلـك الأمـراض الخطيرة التى تسببت فى الوفيات خاصة بين الأطفال، وجاء أيـضا بـالتقرير أن أهالى بورسعيد تقدموا بنفس الشكوى واستعدادهم لدفع أى رسـوم مقابـل عمـل الخزانات الصماء(١٧).

بالنسبة لوضع الصرف الصحى بالاسكندرية فقد قـدمت مـصلحة الـصحة تقريرا فى ٢٨ مارس ١٨٩١ إلى الداخلية بأن أهالى الاسكندرية وخاصة الفقـراء منهم يرفضون دفع الرسوم السنوية نظير كسح وتطهير الخزانـات والـصهاريج والمراحيض ويقومون بالقاء المتنزحات فى مجرى المياه المستعملة أو دفنهـا فـى حفر داخل منازلهم كما أنهم يلقون "بالسقط وميتة الأطفال فى المراحيض" كمـا أن العربات المخصصة بنقل المتنزحات فى أماكن مخصصة بعيدة تلقى بالمتنزحـات

فى البحر ويتسبب الموج فى إعادتها إلى الشواطئ مرة أخرى، وطلبت مصلحة الصحة من الداخلية بضرورة اتخاذ اللازم لمنع هذه المخالفات مع التفكير فى أسلوب صحى ومتطور فى التعامل مع المتنزحات [١٨] وقد أصدرت مصلحة الصحة قراراً فى نفس العام بالزام سكان القاهرة والمدن الأخرى من المصريين والأجانب بإقامة الخزانات الصماء[١٩].

ومع ذلك فقد استمر الوضع الصحى فى التدهور بسبب سوء نظامه حتى انتشر وباء الكوليرا، ففى ٢٧ يوليو ١٨٩٢ أرسلت الداخلية مذكرة إلى مجلس النظار بشأن انتشار وباء الكوليرا وازدياد عدد الوفيات بشكل خطير وذلك بسبب استمرار تصريف مياه مراحيض الجوامع فى النيل وفروعه وهو المصدر الأساسى للشرب وذكرت "بأن النيل أصبحت ترى مياهه سوداء وذلك لامتزاج جانب عظيم من المواد البرازية به"[٢٠].

وبناءاً عليه فقد صدر مرسوماً خديوياً فى ٩ نوفمبر ١٨٩٢ بالإلزام جميع الجوامع والحمامات العامة بعمل خزانات صماء، أما الخزانات التى بدون قاع فتستعمل لاستقبال مياه الميض والمغاطس فقط، منع تركيب أى مواسير على الخزانات للصرف فى النيل والالتزام بتجديد مياه الميض والمغاطس مرة كل أسبوع، كما شدد المرسوم على ضرورة عرض رسومات إنشاء جامع أو حمام خاص على مصلحة الصحة أولاً، وأن أى مخالفة من قبل الجوامع أو الحمامات الخاصة تتولى مصلحة الصحة اثباتها وتحيلها على القاضى الذى تقع هذه المخالفة فى دائرة اختصاصه، وأن يسرى تنفيذ هذا الأمر فى أسيوط – شبين الكوم – الفيوم – الزقازيق – رشيد – بنها – المنيا – دمنهور – دمياط – السويس بنى سويف – طنطا – الجيزة – المنصورة – بورسعيد[٢١].

فى عام ١٨٩٩ اعتمدت الحكومة المصرية مبلغ ٦٠٠٠ جنيه مصرى ثلاثة مهندسين يتولوا عمل دراسة عن حالة الصرف الصحى بمصر وهم أعضاء اللجنة الدولية التى كانت قد عقدت مؤتمرها بالقاهرة عام ١٨٩٢ بهدف تحسين نظام الصرف الصحى بها(٢٢).

فى ٩ نوفمبر ١٩٠٣ صدر مرسوم خديو بالتشديد على ضرورة تطبيق المرسوم الصادر فى ٩ نوفمبر ١٨٩٢ [السابق الإشارة إليه] بسبب تزايد إقامة دورات المياه فى الجوامع والحمامات العامة(٢٣).

مشروع إنشاء أول شبكة صرف صحى متكامل لمدينة القاهرة :

فى السابع من ابريل عام ١٩٠٧ صادق مجلس النظار فى جلسته التى عقدها على تعيين المهندس الإنجليزى كاركيت جيمس – مهندس بلدية بومباى الهندية – فى إقامة "مجارير" لمدينة القاهرة. وقد أتم المهندس جيمس دراسة هذه المسألة وعرض فى ٢٢ أكتوبر ١٩٠٧ على وزارة الأشغال تقريرا ابتدائياً(٢٤) باللغة الإنجليزية، وتضمن الموضوعات الرئيسية الآتية :

- سوء حالة الصرف الصحى والصحة العامة بالقاهرة بسبب استخدام الخزانات الصماء.
- عدم وجود بالوعات إلا فى أجزاء صغيرة جداً من المدينة لتصريف مياه الأمطار مما يجعل القاهرة – بسبب طبيعة الأرض وعدم تمهيدها – تصبح كأنها غارقة فى الطمى حتى بالنسبة للأحياء المرصوفة بسبب انتقال الطمى إليها نتيجة لحركة المرور.
- تعاون مدير مصلحة المساحة بإمداد المهندس جيمس بخريطة من القناطر فى القاهرة حتى يستطيع تصميم المشروع على أساسها.

- قيام فريق العمل الخاصة به بمسح شوارع القاهرة لتحديد مساحتها ودرجات انحدارها حتى يستطيع تحديد المواقع التى سيستخدم لها نظام القطاعات (هذا النظام سيأتى شرحه تباعاً).
- اختيار نظام الهواء المضغوط من بين أنظمة القوى المحركة لنظام القطاعات.
- وجود خمسة مصادر للصرف الصحى وهى منازل الطبقة الراقية مصريين وأجانب/ منازل الطبقة المتوسطة والفقيرة (العشش) الجوامع/ الحمامات العامة/ خزانات لمياه التى ستقام على البالوعات لزوم عملية الصرف.
- عدم إمكانية تحديد حجم البالوعات إلا بعد دراسة كمية المياه التى سيستخدمها السكان.
- تقسيم منازل القاهرة إلى طبقات تبعاً لاتصالها بشركة مياه القاهرة لتحديد أسلوب الصرف على هذا الأساس.
- المقارنة بين مدينتى لندن والقاهرة من حيث غزارة هطول الأمطار واستمراريتها -كما يحدث- فى لندن مما يجعل من غير المناسب تطبيق نظام تصريف مياه الأمطار فى القاهرة.
- تقسيم تكلفة أعمال التغييرات اللازمة لزوم نظام الصرف الصحى الجديد بين الأهالى والحكومة بحيث أن ما سينجز داخل المنازل سيكون على نفقة أصحابها أما ما ينجز فى الشارع فهو على نفقة الحكومة.
- أما عن الخطوط الرئيسية للمشروع. فقد أعيد سردها فى وثيقة "مذكرة" مدير مصالح الصحة العامة بالقاهرة – السيد جراهام – إحدى وثائق موضوع البحث- وقد أرفق المهندس جيمس بتقريره الابتدائى وثيقة بها عرضا لأحد عشر مشروعا محدد فيه مواقع وخط سير شبكة الصرف والتكلفة ليتم اختيار المناسب منها.

وبناءاً على هذا التقرير الابتدائى أصدر السيد جراهام مدير مصالح الصحة العامة بالقاهرة وثيقة "مذكرة" فى ١٨ نوفمبر ١٩٠٧ بها انتقادات حول بعض النقاط الواردة بالتقرير الابتدائى حيث طلب فيها من المهندس جيمس الرد على تلك الانتقادات[٢٥]، وبالفعل فى ٢٦ نوفمبر ١٩٠٧ كتب المهندس جيمس الرد على تلك المذكرة [٢٦]. وفى ١١ فبراير ١٩٠٨ أرسل السيد جراهام مدير مصالح الصحة العامة إلى نظارة الأشغال موافقته على ما جاء فى رد المهندس جيمس الصادر فى ٢٦ نوفمبر ١٩٠٧ [٢٧]. فى ٢٥ يونيه ١٩٠٨ قدمت نظارة الأشغال إلى مجلس النظار موافقتها على رأى مستشارها السيد وليم جاوتس فى اختيار المشروع الحادى عشر – الوارد فى وثيقة تضمنت للأحدى عشر مشروعا ارفقت بالتقرير الابتدائى – المذكور سابقا–وتكليف المهندس جيمس بوضع الرسوم التفصيلية والتكلفة السنوية للبدء فى المشروع[٢٨].

وقد عين المهندس كاركيت جيمس مراقباً لمصلحة المجارى، ثم بدأ فى تنفيذ المشروع عام ١٩٠٩ واتمه فى يناير ١٩١٤، وكان الانتفاع الفعلى به فى عام ١٩١٥ ، لكن فى الثلاثينيات انفجرت مواسير هذا المشروع المصنوعة من الحديد الزهر وتم استبدالها بمواسير حديدية تدوم لعدة سنوات[٢٩].

ومن هنا ترجع أهمية وثائق التخطيط للمشروع إلى أنها تقدم صورة كاملة لمكوناته كما لا توجد دراسة تاريخية تناولت هذا المشروع لذلك فهذه الوثائق لم تدرس أو تنشر من قبل، وهذه الوثائق هى :

- مذكرة السيد جراهام مدير عام مصلحة الصحة العامة بالقاهرة حول التقرير الابتدائى للمهندس كاركيت جيمس .
- تقرير المهندس كاركيت جيمس حول مذكرة السيد جراهام.
- المشروع الحادى عشر الذى وافقت عليه نظارة الأشغال .

- التكلفة السنوية للمشروع.

ثانياً : وصف ملف وثائق المشروع (٣٠):

رمز الإرجاع(*) : م. م. ع/ د. و / ☾ / ١/٤ / ملف ٤٨

العنوان : اشغال متفرقات

التواريخ القصوى : من ٢٢ أكتوبر ١٩٠٧ إلى ٢٦ نوفمبر ١٩٠٧.

مستوى المادة : / ملف ضمن محفظة رقم ١/٤

مدى ونوع المادة : ملف يتضمن أربع وثائق مفردة ليست مرقمة.

مصدر الوثائق : بالنسبة للوثيقة الأولى مصلحة الصحة العامة بالنسبة للوثائق الثانية والثالثة والرابعة نظارة الأشغال.

التاريخ الإدارى للمنشئ : - منشئ الوثيقة الأولى - مصلحة الصحة العامة :

تكونت مصلحة الصحة العامة فى ٢٥ أغسطس ١٨٨٠ وكانت تعرف باسم مجلس الصحة وكان اعضاؤها من المصريين والأجانب. وظيفة المجلس هى تنظيم الخدمات الصحية فى مدن مصر. وفى يناير ١٨٨١ صدر أمر عال بتبعية مجلس الصحة على نظارة الأشغال وتمثلت اختصاصاته فى إصدار اللوائح الخاصة بالصحة العامة ومباشرة تنفيذها وإدارة مخازن الأدوية وملاحظة الخدمات الصحية عن طريق مفتشى الصحة. وفى يناير ١٨٨٣ قدمت نظارة الأشغال إلى مجلس النظار تقريراً بضرورة وجود مكاتب للصحة بالقرى والمدن بالإضافة إلى مسئولية عن الحجر الصحى. وفى ١٣ ابريل ١٨٨٤ صدر أمر عال بتشكيل مصالح الصحة

(*) بيان رمز الارجاع - ج.م.ع جمهورية مصر العربية/ د.و دار الوثائق/ الهلال رمز المحفظة / ١/٤ رقم المحفظة / ملف ٤٨ رقم الملف بالمحفظة

العمومية فى أنحاء مصر. ومحرر الوثيقة هو السيد جراهام مدير مصالح الصحة العامة.

منشئ الوثائق الثانية والثالثة والرابعة نظارة الأشغال العمومية : بدأت كقلم فى نظارة الداخلية سمى بقلم إدارة عموم الهندسة وذلك حينما أحيلت على الداخلية كافة الأشغال الهندسية وكان ذلك فى عهد سعيد باشا [١٨٥٤-١٨٦٣] . فى عهد الخديو إسماعيل [١٨٦٣-١٨٧٩] ألغى هذا القلم وشكل لأول مرة فى ١٨ ديسمبر ١٨٦٤ نظارة للأشغال العامة برئاسة نوبار باشا وكانت مهمة النظارة تولى كافة المشروعات اللازمة للرى والمشروعات المعمارية، كما أحيلت عليها تنظيف وتزيين وتنظيم الشوارع وترقيم المنازل، كما أحيلت عليها القناطر الخيرية والسكة الحديد وفى عام ١٨٧٨ أصبحت تختص أيضا بتفتيش عموم الرى وإدارة المبانى وضمنت إليها التياترات والانتيكخانة والآثار والتلغراف وبعد تدخل الأجانب فى مالية مصر عين ناظر فرنسى للأشغال هو مسيو دى بلينير وبعد الاحتلال البريطانى لمصر عام ١٨٨٢ حينما أصبحت الإدارة مشتركة عين الكولونيل منكريف وكيلا للنظارة التى كانت تحت نظارة على باشا مبارك.

تاريخ نمو الوثائق لدى المنشئ : لم يصدر من مصلحة الصحة العامة ونظارة الأشغال العامة سوى هذه الوثائق بشأن مشروع الصرف الصحى بالقاهرة.

تاريخ الحفظ والوصاية من قبل المنشئ : احتفظت كل من مصلحة الصحة العامة ونظارة الأشغال العامة بالوثائق الخاصة بهما ثم نقلت تلك الوثائق إلى محفوظات مجلس الوزراء التى حولت إلى دار الوثائق القومية بالقاهرة بناء على القانون ٣٥٦ لسنة ١٩٥٤ بشأن ضم الوثائق التاريخية إلى الدار .

المصدر المباشر للاقتناء : دار الوثائق القومية بالقاهرة

المحتوى الموضوعى : بالنسبة للوثيقة الأولى وهى بعنوان مذكرة حول المقترحات الواردة فى تقرير السيد كاركيت جيمس فى ٢٢ أكتوبر ١٩٠٧ الصادرة من مصلحة الصحة العامة فتضمنت موافقة المصلحة على الخطوط الرئيسية لمشروع الصرف الصحى بالقاهرة التى أوردها مهندس المشروع فى تقريره الابتدائى ثم وجهت إليه انتقادات حول نقاط محددة بنفس تقريره وهى أسلوب التعامل مع الخزانات الصماء واستخدام النظام المنفصل فى بعض المناطق لصرف المياه السطحية الاقتراح باستخدام نظام الهواء المضغوط كقوى محركة دون غيره من الأنظمة الأخرى كما طلبت عمل توضيح لكافة الأنظمة من حيث المميزات والمساوئ.

وقد تحررت هذه الوثيقة بواسطة السيد جراهام مدير مصالح الصحة العامة.

الوثيقة الثانية الصادرة من نظارة الأشغال وهى بعنوان تقرير حول مذكرة السيد جراهام فى ١٩٠٧/١١/١٨ وتضمنت الرد والتوضيح على الانتقادات الواردة فى الوثيقة الأولى من حيث التخلص من الخزانات الصماء واستبدالها باخاديد متصلة بمصارف مع تقسيم منازل القاهرة إلى طبقات تبعا لاتصالها بمصلحة المياه ثم توضيح استخدام النظام المنفصل والمتصل لتصريف مياه الأمطار والمياه السطحية والصرف الصحى وخط سير كل منهما ثم بيان مفصل لكل نظام من أنظمة القوى المحركة مع تحديد لمميزات ومساوئ كل منها وأسباب اختيار نظام الهواء المضغوط كقوى محركة وهذه الوثيقة محررة بواسطة مهندس المشروع كاركيت جميس.

الوثيقة الثالثة الصادرة من نظارة الأشغال بعنوان المشروع رقم ١١ (الخانكة) وتضمن المشروع الحادى عشر تحديد حجم المساحة التى سيستخدم فيها نظام الصرف بالجاذبية والمساحة التى سيستخدم فيها نظام الصرف عن طريق

الضخ أى بنظام القطاعات وتحديد موقع كل من محطتى الضخ والطاقة بالإضافة إلى تحديد خط سير الصرف الصحى حتى وصوله إلى آخر مرحلة وهى مزرعة المجارى ثم فى النهاية التكلفة الإجمالية للمشروع وهى محررة أيضا بواسطة مهندس المشروع كاركيت جميس.

الوثيقة الرابعة الصادرة من نظارة الأشغال بعنوان المصاريف السنوية لمشروع الصرف المقترح وتضمنت مرتبات فريق العمل بمحطة الضخ وبمحطة الطاقة وتكلفة الفحم والزيت ولوازم التشغيل ومرتبات فريق العمل خارج المواقع ومصاريف كل من مزرعة التنقية، أعمال تنقية الآلات فى محطة الضخ، المجمع الرئيس ، الشبكة الهواء المضغوط- الصرف الخاصة بمنطقة الزيتون - الصرف السطحى والوثيقة محددة أيضا بواسطة مهندس المشروع كاركيت جميس.

معلومات التقويم والاستبعاد : حفظ دائم

تغييرات التراكم : انتهى العمل بها

نظام الترتيب : غير مرتبة

الوضع القانونى : محفوظة طبقا للقانون ٣٥٦ لسنة ١٩٥٤م

شروط الاتاحة : الملف بوثائقه متاح بعد الحصول على تصريح من الدار

شروط النشر والنسخ والتصوير : متاحة حسب شروط الدار

لغة المادة وخطوطها ورموزها : اللغة الإنجليزية بحروف لاتينية ومكتوبة على الآلة الكاتبة

الخصائص المادية : كتبت الوثائق على ورق أبيض كالمستخدم فى هذه الأيام لكنه يميل إلى الاصفرار مع وجود بقع بنية كبيرة بشكل واضح والكتابة باهتة فى بعض الصفحات بدرجة كبيرة وخاصة فى النصف الأيسر من بعضها .

وسائل إيجاد أخرى : لا يوجد

النسخ المتاحة : الملف متاح

المواد الوثائقية ذات الصلة بالدار: محافظ مجلس الوزراء [أشغال] محفظة رقم ٦/١ بعنوان مصلحة التنظيم محفظة رقم ١/٢ بعنوان مصلحة الصحة العامة – محفظة رقم ٢/١٤ بعنوان الإصلاح والتنظيف الصحى

المواد الوثائق ذات الصلة خارج الدار : لا يوجد

منشورات اعتمدت على الوثائق : لا يوجد

ثالثاً : ترجمة وتحقيق ونشر الوثائق

أ. الترجمة والتحقيق

الوثيقة الأولى

وهى الخاصة بمذكرة السيد جراهام مدير مصالح الصحة العامة حول الاقتراحات الواردة فى تقرير السيد كاركية جيمس فى جيمس فى ٢٢ أكتوبر ١٩٥٧ (رقم ١٠٦٣)

مضمون الوثيقة

تناولت الوثيقة النقاط الآتية :

موافقة مصلحة الصحة العامة على الخطوط الرئيسة للمشروع.

توجيه بعض الملاحظات حول ما ورده التقرير الابتدائى للمهندس كاركيت جيمس وهى:

- عدم توضيح كيفية التعامل مع الخزانات الصماء ودوران المياه فى المنازل التى لا ولن تصل إليها أبدا المياه النقية.
- عدم وجود إشارة إلى إلغاء الخزانات الصماء فى المنازل الجيدة البناء وأن مسألة تركها وربطها بنظام الصرف شئ مكلف .

- عدم تحديد مقدار المياه اللازمة للإغراق المنزلية والتى ستخضع لنظام الصرف الصحى.
- الاقتراح بتصريف المياه السطحية بنظام الفصل بين مياه غسل الشوارع ومياه الأمطار عمل غير اقتصادى.
- عدم موافقة مصلحة الصحة العامة على اقتراح إعادة استخدام المياه السطحية الخاصة بمياه الأمطار بعد معالجتها حيث يجب تحديد كيفية التعامل مع السطحية الأخرى مثل مياه غسيل الشوارع.
- الاقتراح تعمل بالوعة ضخمة لاستقبال مياه الأمطار الغزيرة.
- انتقاء اختيار نظام الهواء المضغوط بصفة خاصة الذى لا تزيد طاقته عند الضخ من ١٧ إلى ٢٠% وقد أشار إلى مميزات استخدام القوى المائية وقد طلب من المهندس كاركيت إعداد تحليل مقارن لفاعلية وتكلفة الأنواع الأخرى للإمداد بالطاقة.

وفيما يلى ترجمة وتحقيق نص الوثيقة

مصلحة الصحة العامة

الصرف الصحى الرئيسى للقاهرة

مذكرة حول مقترحات السيد كاركيت جيمس فى تقريره الابتدائى الصادر بتاريخ ٢٢ أكتوبر ١٩٠٧

تتبلور الملامح الرئيسة للمخطط التمهيدى للمشروع فى المقترحات التالية :

أ- التقسيم للمصارف السطحية إلى مناطق تعمل بالجاذبية الأرضية وأخرى بالقطاعات.

ب-نقل مياه البالوعات نحو اتجاه المنحدر الطبيعي للمدينة.

ج- اختيار موقع محطة الضخ قرب كفر الجاموس [٣١].

د- اختيار مزرعة الصرف عند الخانكة [٣٢].

وبناء على تلك الملامح فإن مصلحة الصحة العامة تتفق مع السيد جامس وعلى استعداد للموافقة من حيث المبدأ على الخطة التى أساسها تلك الملامح.

فى نفس الوقت يجب التنبيه إلى وجود إشارات معينة على أساسها يكون محبذا أن تصدر المصلحة العامة إفادة واضحة بشأنها إلى الحكومة حيث قد يعتقد أنه فى حالة موافقة مصلحة الصحة العامة على الخطوط الرئيسة للمشروع التمهيدى فى التقرير الماثل للدراسة أن المصلحة ستقبل أيضا وبدون تحفظ كل ما جاء بالتقرير لهذا يمكن تصنيف النقاط التى ينبغى الانتباه إليها بصفة خاصة تحت رؤوس الموضوعات الأساسية الثلاثة الآتية :

- التسليم بحتمية تواجد بالوعات ودورات مياه فى المنازل الخاصة .
- مقترحات عمل نظام منفصل فى أجزاء معينة فى المدينة مع استخدام مياه الصرف السطحى الموجودة بالمدينة.
- اقتراح استخدام الهواء المضغوط كقوة محركة .
- مسألة التعامل مع الخزانات الصماء الموجودة ، ودورات المياه فى المنازل ذات المستويات الأدنى "المنازل التى لا يوجد بها ولن يتم بها أبداً أى توصيل للمياه (المادة ١٨ [٣٣]فى تقرير السيد جامس) هى مسألة على قدر كبير من الأهمية ولكن ليس فقط لعدم وجود بند فى التقرير يتناول هذا الموضوع، لكن أيضا لأن الإشارات فى نص التقرير تقود إلى الاستنتاج بعدم وجود أية مقترحات خاصة بالتعامل مع هذه المسألة، والجدير بالذكر

أنه بالنسبة لمستوى المنازل المشار إليها أعلاه فإنه يوجد بها دورات مياه خاصة بها خزانات صماء لتصريف مجارى تلك الدورات ، لذلك فإن الإبقاء على تلك الدورات مع إلغاء تلك الخزانات البدائية هو موضوع يجب مواجهته، وبالمثل جميع الخزانات الصماء الموجودة فى المنازل جيدة البناء، والتى هى أحد المصادر الخمسة[٣٤] التى يتوقع السيد جيمس أن يتم سحب مياه الصرف منها وهذه الخزانات يجب الانتباه إليها مثل بقية الموضوعات الأخرى من أجل إلغائها نهائياً.

إن فكرة ترك الخزانات بدون إزالة وربطها بنظام صرف سيكون عمليا، لكنه باهظ التكلفة حيث سيتطلب أسلوباً لغمر تلك الخزانات بالمياه من أجل عملية الصرف، وسيصبح المشروع مجرد نقل الأعمال من مصلحة الصرف الصحى التى تنجز أعمالها على نفقة صاحب العقار إلى الحكومة، ولهذا سيتأثر الناس بالتكلفة التى ستزداد بلاشك بشكل مبالغ فيه، وسيظل الوضع الصحى بالقاهرة على نفس حالته مع التجميع المختمر لمياه الصرف، وستظل المياه ذات الرائحة الكريهة من منبعها طالما لم يبذل أى جهد لأحكام صيانة الصحة العامة. وحول هذه النقطة لا يوجد فى تقرير السيد جيمس إفادة واضحة بقدر كاف كما أنه لا يتوقع فى تقريره وجود أدنى فكرة لديه للإزالة الكلية لجميع تلك الخزانات .

إقرار النظام المنفصل جزئيا :

ابدى السيد جيمس رغبته فى إقرار النظام المنفصل حيثما يوجد أى تصريف ملائم إلى النيل، أو أى مصب مائى آخر مثل قناة الإسماعيلية[٣٥] للتخلص من الصرف السطحى، ويقترح تحويل صرف المنازل فى شبكة خاصة به، وفى شبكة أخرى يحول صرف المياه السطحية ومياه الأمطار الغزيرة وهذا هو الخط الفاصل بين الصرف المنزلى والصرف السطحى ويقترح صرف الأخير فى النيل أو قناة

الإسماعيلية بأسلوب اقتصادى وسيكون من الصعب جذب الانتباه إلى حقيقة أن جميع المواقع التى سيتم الصرف منها يجب وصفها بالأسفلت والمكدام[٣٦] (إذ لا يوجد لها بند بالتقرير) حيث أن مياه الصرف السطحى سوف تشمل المياه القذرة الملقاة فى شوارع المناطق الشعبية وغسيل الاسفلت والأسواق... الخ. ويرى السيد جيمس صرفها عند محطة الضخ على قناة الإسماعيلية، ومثل هذا الصرف السطحى له طبيعة قذرة جدا، وهو مثل الصرف المنزلى المركز، لذلك فمن الضرورى صرفه مباشرة إلى النيل أو قناة الإسماعيلية.

ومن خلال الخبرة فإنه يوجد أيضا بعض الشك فيما يتعلق بإمكانية تحقيق أى توفير باستخدام هذا الأسلوب، لأن الكثير من هذا التصريف بالوضع المبين بالخريطة رقم ٦٩[٣٧] سيحتاج بالتأكيد إلى ضخ عندما يصل إلى المصب. وفيما يتعلق بمياه الأمطار الغزيرة فإن هذا السيل المنصرف له طبيعة مختلفة. كما أنه خفيف إلى أقصى درجة. فإذا كان الهدف هو التوفير فسيصبح من المرغوب صرف تلك المياه إلى النيل، لكن سيظهر بالتأكيد عائق بسيط من الوجهة العملية، وهو أنه كما فى حالة قناة الإسماعيلية لا يمكن لمصبها أن يقع بالقارهة ناحية غمرة[٣٨]، لهذا يجب على الأقل صرف مياه الأمطار الغزيرة المنجرفة فى بالوعة[٣٩]. على كل إذا كان يجب الأخذ فى الاعتبار أى اقتراح يتعلق بعملية الفصل فإن الخط الذى يجب رسمه بين مياه الأمطار الغزيرة من جانب ومياه الصرف سواء السطحية أو المنزلية من جانب آخر سيواجه مشكلة هندسية تؤثر على عملية الفصل، وهى مسألة ليس من الضرورى الخوض فيها الآن.

فى هذا السياق تجب الإشارة على أن السيد جيمس يفترض أن العدد الضخم من الأفراد الذى سيصل لأكثر من مليون ونصف المليون سيستخدمون المراحيض المنزلية يومياً وبهذا سيتجمع ١٠ لترات ناتجة عن كل فرد فى نهاية كل يوم لكنه لم يذكر شيئاً عن كمية المياه التى سيستخدمها الناس للأغراض المنزلية، والتى

يجب صرفها بنفس الطريقة، وهذه الكمية من المياه يجب وضعها فى الاعتبار لأن التقدير المنخفض لمياه الصرف التى يجب التعامل معها سيزداد، بالإضافة إلى ذلك يجب أن يعلن أن استخدام الصرف السطحى مسألة تتطلب مزيد من الدراسة مع رؤية إمكانية تعديلها وتهيئتها ، لأن مثل هذا الاقتراح الذى أشار إليه السيد جيمس لا يمكنه تحت هذه الظروف أن يحصل على موافقة تامة من مصلحة الصحة العامة التى سوف تنظر باهتمام خطير إلى أية خطة يقتصر نظام الصرف الصحى السطحى فيها على مياه الأمطار الغزيرة فقط.

٣- إنه ببعض الضغوط فإننى أتجرا بطلب وجوب إعداد تحليل مقارن لفاعلية وتكلفة الأنواع المتعددة للقوى الآلية المعدة لنظام الصرف، وقد ذكر السيد جيمس القوى البخارية، والكهربائية، والهواء المضغوط، والتفريغ، والقوى المائية، لكنه لم يقدم أية مقارنة لمميزات ومساوئ وتكلفة ومصاريف كل منها. فالنظام الكهربائى أسلوب جذاب من أوجه متعددة لكن من المحتمل أن تكلفة كل وحدة كهربائية فى هذه المدينة ستصبح غير مقبولة، من جهة أخرى قد تكون القوى المائية اقتصادية من أى من مصدريها النيل وقناة الإسماعيلية لأنها (أى القوى المائية) بعد إنجاز مهمتها الآلية يمكن إعادة استخدامها لأغراض النظافة.

مرة أخرى سيتضح أن الهواء المضغوط مكلف جدًا حيث قد تحدد أن نسبة الطاقة المتاحة عند الضخ نادراً ما تزيد عن ١٧ إلى ٢٠% من الطاقة المولدة من بيت المحرك، وسواء كانت بهذا المقدار أو لم تكن فإن المسألة بلاشك تمثل تفكير السيد جامس من حيث رؤيته لأهمية استمرار المشروع، وللقيمة التى يجب إدراجها بالتقرير التمهيدى، لذلك سيصبح من الأهمية التسجيل لدراسة مقارنة لعمل الاختيارات بين القوى المحركة.

وهناك وسائل أخرى متعددة الأهمية ستظهر للمناقشة فى سياق الدراسة، لكن حول النقاط السابقة كان من الضرورى التعبير عن رأيى بوضوح تام لأنها نقاط ذات أهمية أساسية، والتى ستتركز عليها فاعلية المشروع بشكل كبير مستقبلاً

١٨ نوفمبر ١٩٧٠ **إمضاء**

جراهام

الوثيقة الثانية وهى الخاصة بتقرير السيد كاركيه جميس للرد على مذكرة السيد جراهام الصادرة فى ١٩٠٧/١١/١٨

مضمون الوثيقة :

وهو توضيح ورد من مهندس المشروع كاركيت جميس على مستشار وزارة الأشغال العمومية على ما ورد بمذكرة السيد جراهام مدير مصلحة الصحة العامة من انتقادات حول مقترحاته الذى أوردها فى تقريره الابتدائى الخاص بالمشروع وتتناول التقرير النقاط الآتية :

- استبدال الخزانات الصماء باخاديد لزوم عملية الصرف من خلالها، مع تقسيم المنازل إلى ثلاث فئات تبعاً لاتصالها بشركة مياه القاهرة.
- فصل مياه الأمطار أى المياه السطحية عن مياه غسيل الشوارع وذلك فى بعض المواقع مع إعادة استخدام الأولى بعد معالجتها .
- سحب مياه غسيل الشوارع عبر خط أنابيب يبدأ من مصب عند قناة الاسماعيلية فى شبرا ليصل إلى البالوعة الرئيسة .
- مياه الأمطار تصب مباشرا فى قناة الإسماعيلية.
- مياه الأمطار الغزيرة يتم صرفها وقت اللزوم من المصارف المتواجدة لتسير عبر خط الأنابيب إلى البالوعة الرئيسة مع الإشارة إلى عدم اتفاقه

فى إقامة بالوعة كبيرة كما أشار السيد جراهام فى مذكرة الانتقادية .

- بالنسبة لاستخدام المياه كقوى محركة لتشغيل نظام القطاعات والذى أشار إليه باستحسان السيد جراهام فقد تمت تجربته فى عدة مواقع ولم يلق استحساناً من مهندس مصلحة الصحة العامة بسبب ما يسببه من ضوضاء.
- تقديم كافة الأنواع الأخرى للقوى المحركة مع توضيح لمميزاتها ومساوئها.
- الإشادة بصلاحية استخدام الهواء المضغوط من كافة الأوجه.

وفيما يلى ترجمة وتحقيق نص الوثيقة

تقرير حول مذكرة السيد جراهام الصادرة فى ١٩٠٧/١١/١٨ مستشار وزارة الأشغال العمومية

الاتجاه إلى الإبقاء على المراحيض والخزانات الصماء الموجودة فى المنازل الخاصة

وقع السيد جراهام بوضوح تحت تأثير الفهم الخاطئ نتيجة للجداول التى وجدت فى الفقرة ٢١ و ٢٢ (٤٠) فى تقريرى التمهيدى الذى أشير فيه إلى الخزانات الصماء كمصدر إمداد بمياه المجارى، وهى مسألة مثيرة للجدل لأننى اقترح استبدالها بأخدود له نفس الشكل، لكن لم يتم تحديده بشكل قاطع حيث لم يكن من الممكن الخوض فى موضوع الاخدود عند إعداد التقرير التمهيدى، والواقع أن هذا الموضوع هو أبعد من أن يغفل حيث استحوذ على أقصى اهتمامى عند دراسته وأننى اتحين هذه الفرصة لأعلن اننى أيضا أقوم بعمل الترتيب الكامل لملاحظات السيد جراهام حول ضرورة إلغاء الخزانات الصماء بمجرد أن يسمح بذلك تقدم سير العمل. ومن الواضح أن السيد جراهام لديه انطباع أنه مستقبلا سيتم فقط غمر تلك الخزانات بالمياه لتنزح فى البالوعات التى سيتم تنفيذها مستقبلا، ولكن فى

الواقع إن اقتراحاتى هى كالآتى :

منازل الطبقة الأولى :

هى تلك المنازل المتصلة بالخط الرئيس للمياه وسيتم توصيلها بالبالوعات مباشرة.

منازل الطبقة الثانية :

هى منازل جيدة لكنها ليست متصلة بالخط الرئيس للمياه ولذلك ستزود بما يشبه الاخدود المتصل بالبالوعات .

منازل الطبقة الثالثة :

وهى تلك التى تقطنها أفقر طبقة، وستزود أيضا بالاخدود المتصل بالبالوعات.

فى الجدول فقرات ٢١ و ٢٢ سنرى أن المياه المنصرفة من الخزانات الصماء التى ستنتج عن العدد الكلى لسكان فى عام ١٩٣٢ والتى قدرت بـــ ١٢,٠٠٠ متر مكعب يوميا يتصبح فى عام ١٩١٨ ٢,٠٠٠ متر مكعب فى نهاية كل يوم، وحيث أن الاخاديد المقترحى سوف تحل بدلا من الخزانات الصماء لاستقبال مياه الصرف المنزلية، وهذا سيتطلب عام ١٩٣٢ أن تصبح حصة المياه المطلوبة لنزح الصرف يوميا بمقدار ١٥ لتراً (٤ جالونات) لكل فرد من سكان الطبقة الأدنى، وستزداد هذه الكمية من أجل المساجد والمراحيض، وهى تبدو لى حصة وفيرة عندما يوضع فى الاعتبار أن الناس تشترى المياه من أجل الأغراض المنزلية فقط. ومن الواضح أن الإعداد والربط للأخاديد يمكن أن يصبح عملاً تدريجيا وبناء عليه فإنه فى عام ١٩١٨ ستكون حصة كل فرد من المياه يومياً

٢٠٠٠ متر مكعب.

ويجب التذكر عند النظر إلى عملية التقدير أن جميع الأفكار الموجودة لا تتضمن كل التفاصيل التى تم إعدادها فى واقع الأمر، فقد سمح بمبلغ ضخم يدخل فى تكلفة شبكة الصرف لتغطية تكلفة الوصلات فى الشارع، وتشير الفقرة ٣٢ [٤١] إلى أن هذا المسألة قد أهملت ومن الطبيعى أن كل العمل المنجز داخل المنزل سواء فى الحال أو فى أى وقت آخر سيكون على نفقة مالك العقار.

أننى أعتقد أن القرار الذى صدقت عليه الجمعية العمومية لمحكمة الاستئناف بتاريخ ٣١ يناير ١٨٩٩ منحتنى قوة الإصرار على تنفيذ البدائل الخاصة بالصرف التى قد تطلبها الحكومة، وهذا موضح فى المادة ٢ و ٥[٤٢] بخصوص تلك المسألة.

المقترحات الخاصة بتنفيذ النظام المنفصل فى مناطق معينة ، وإعادة استخدام الصرف السطحى الموجود

يقسم السيد جراهام الصرف السطحى إلى مياه صرف سطحية ومياه أمطار، حيث تتكون الاولى من رمال ناتجة من غسل الشوارع والأسواق... الخ، والثانية نتيجة هطول الأمطار مرة أخرى لدواعى عدم الشك فى حقيقة أننى لم أقم بعمل تفاصيل فى تقريرى التمهيدى، فإن السيد جراهام ما زال يخطئ الفهم لأننى اقترح أخذ مياه غسيل الشوارع من المصب الخالى عند قناة الإسماعيلية إلى داخل الماسورة الممتدة إلى بالوعة التجميع الرئيسية (الخاصة بمياه الصرف السطحى) عند سراى عباس[٤٣]، بينما فى أوقات هطول الأمطار بغزارة فإن المياه المتدفقة نتيجة لذلك سوف تصرف فى قناة الإسماعيلية كما يحدث فى الوقت الحالى، وسبب هذا الاقتراح ليس فقط عملية التوفير لكنه وقبل كل شئ أسلوب عملى أكثر لفصل

مياه غسيل الشوارع عن مياه الأمطار، وأنني غير متفق مع اقتراحات السيد جراهام من حيث إنشاء بالوعة في محطة الضخ الموجودة شمال غمرة من أجل صرف مياه الأمطار إلى الذراع الشمالى لقناة الإسماعيلية، ويمكن الاعتراض على هذا الاقتراح فى أنه لا يوجد مبرر لإنفاق حوالى ٣٠,٠٠٠ جنيه من أجل عمل بالوعة كبيرة بقدر كاف لإزالة الطفح الناتج عن الأمطار الغزيرة والتى نادراً ما تحدق، واقتراحى هو أن يتم الضخ من المصارف المتواجدة لتذهب المياه إلى البالوعة الرئيسية عند سراى عباس إذا لزم الأمر، وعلى كل حينما تمتلئ المصارف بقدر كاف بمياه الأمطار من أجل صرفها بواسطة السحب بالجاذبية إلى قناة الإسماعيلية فإننى اعتبر أن انبوب الصرف الخارجى سيمتلئ بقدر كاف ليتم الصرف.

الاقتراح الخاص باستخدام الهواء المضغوط كقوة محركة

بالنسبة للمعلومة الخاصة بالاستشارى[٤٤]، فقد قدمت له المذكرة القصيرة الآتية فيما يختص بفاعلية وملاءمة الأنظمة المختلفة لنظم القطاعات المذكورة فى تقريرى الابتدائى، وأننى أيضا أشير إلى أنه فى حالة استخدام القوى البخارية، أو الكهربائية، أو المائية، فإنه يجب تغطيته قبل الضخ حتى يمكن تجنب الإزعاج الذى سيصبح حينئذ شيئاً حتمياً.

الضخ بالبخار

إن مسألة وجود عدد من محطات الضخ يعمل بقوة البخار فى أنحاء المدينة موضوع غير قابل للشك (خارج نطاق المسألة) حيث إن وجود عدد ضخم من المحطات سيصبح ضروريا مع استخدام نظام القطاعات؛ وذلك بسبب البالوعات الضحلة؛ وسوف ينتج عن ذلك بلا شك ضوضاء وإزعاج هائل ... الخ.

وعلى الرغم من خطورة عملية التشييد والصيانة لهذه المحطات فإن فاعلية مثل هذا الإمداد بالقوى البخارية تصل نسبته إلى ٤٠%.

الضخ بالكهرباء

هذا المستوى من الضخ استحوذ على كل اهتمامى عند دراستى حينما كنت بإنجلترا عام ١٩٠٦؛ لأنها كانت أحدث وسيلة حينئذ، لهذا قمت بدراسة إمكانية تطبيقها فى القاهرة، ولقد وجدت فى عديد من المدن التى جرت بها تجربة هذا الأسلوب أنه قد قوبل بالرفض بسبب تكاليفه الباهظة – لذلك تم استخدام نظم أخرى – وحتى بالنسبة للبلاد التى كانت الأعمال الكهربائية تختص بها البلدية، على سبيل المثال برادفورد(٤٥).

أن فاعلية الضخ بالكهرباء أفضل من الهواء المضغوط لكن فقط نسبة ٤٥%، وفى القاهرة من المحتمل أن ترفع تكلفة وحدة الكهرباء ٣ أضعاف مصاريف استخدامها لرفع مياه الصرف.

الضخ الهيدروليكى (الماء)

لم يلق هذا النظام لضخ مياه الصرف استحساناً كبيراً فيما بين مهندسى مصلحة الصحة العامة على الرغم من أن السيد بالدوين لاثان طبقه فى عدة أماكن .

أننى لا استحسن هذا النظام بسبب ما يحدثه من ضوضاء مستمرة عند عملية التوصيل بتلك المولدات للطاقة، والتى لاشك فى أن اقامتها ستكون مكلفة، والأكثر من ذلك أنه فى القاهرة يجب شراء المياه، وهذا سيجعل التكلفة السنوية مرتفعة، مرة أخرى فإن كل كميات الماء المستخدم يجب إضافته إلى مياه الصرف، ومع ضخه سوف تزداد التكلفة ، وتبلغ فاعلية الضخ المائى نسبة ٤٥%.

نظام لينور للتفريغ

أننى لم أستطع أبداً الحصول على أية صورة لفاعلية نظام التفريغ على الرغم من كثرة محاولاتى، لكن يبدو أنها معقدة لطول ماسورة الصرف.

والواقع أنه لا يوجد على الإطلاق فى أى من الإحدى عشرة مدينة، حيث تم تركيب واستخدام هذا الطول تبعاً لطول الماسورة الصاعدة التى ستتطلبها القاهرة، وقد صرحت للاستشارى فى المذكرة التمهيدية أننى لا أستطيع التوصية بهذا النظام فى الوقت الحالى دون دراسة وافية من أجل تطبيقه فى مدينة كبيرة كالقاهرة، إلا إذا كان هذا هو النظام الأخير الذى يجب اللجوء إليه، وهو ليس نظاماً آلياً، وتكاليف صيانته معقولة.

الهواء المضغوط.

كما يلاحظ فإن السيد جراهام قد أعطى لفاعلية نظام الهواء المضغوط نسبة ١٧إلى ٢٠% وأننى لم أعرف أبداً أية وسيلة إمداد بالطاقة بمثل هذه الفاعلية المنخفضة؛ ففى بومباى كانت نسبة هذا النظام أكبر من ذلك إلى حد كبير، وفى كراتشى(٤٦) كانت ٣٠% والتى نشرت نتائجه فى "محضر العمليات لهيئة المهندسين المدنيين" بإن فاعلية النظام فى جوسبرت(٤٧) كانت ٣٣% ، لهذا لا يوجد ما يقال ضد فاعلية هذا النظام، مع الأخذ فى الاعتبار المميزات الأخرى التى يقدمها حيث إن التكلفة والصيانة كليهما منخفض عن أى نظام آخر أعرف.

كاركيت جيمس

٢٦ نوفمبر ١٩٠٧

الوثيقة الثالثة

وهو المشروع الأخير فى وثيقة الأحد عشر مشروعا التى أرفقها المهندس كاركيت جميس مع وثيقة تقريره الابتدائى لتختار نظارة الأشغال أحداها وقد أطلق المهندس على كل مشروع اسم موقع آخر مرحلة فى شبكة الصرف وهو موقع محطة التنقية وفروعه صرفه. وهذه المواقع كانت طره، امبابه، شبرا أما الثمانى مشاريع الأخيرة فكانت جميعها باسم الخانكة لكن مع اختلاف خط سير شبكة الصرف فى كل فرع.

ويتضمن المشروع الحادى عشر [الخانكة] النقاط الآتية :

- تقسيم القاهرة إلى أجزاء يطبق عليها نظام سحب الصرف بالجاذبية وأجزاء أخرى يطبق عليها السحب بنظام القطاعات باستخدام محطات الضخ.
- تحديد المواقع التى سيطبق فيها النظام المنفصل والنظام المتصل .
- تحديد خط سير صرف المياه السطحية وخط سير الصرف الصحى.
- تحديد موقع كل من محطة الضخ ومحطة الطاقة وخط شبكة الصرف الصحى حتى تصل إلى فروعه الصرف.
- تحديد تكلفة المشروع.

وفيما يلى ترجمة وتحقيق نص الوثيقة

المشروع رقم ١١ الخانكة

المساحة التى سيستخدم فيها نظام الجاذبية هى ٢٨١ هكتارا[٤٨]، ومساحة استخدام نظام القطاعات هى ٢٣٢١ هتكاراً فى داخل المدينة مباشراً، أما هليوبوليس[٤٩] ومساحة ٤٥٠ هكتار فى الضواحى بين العباسية[٥٠]، والمطرية[٥١]

ستكون مباشرة داخل منطقة الجاذبية، وهذا المشروع تكلفته قليلة نسبيا، ويمكن لمناطق شاسعة مثل تلك الضواحى الممتدة أن يتم الصرف بها بواسطة الجاذبية.

ملامح هذا المشروع هى أنه من المفترض أن تصرف المياه السطحية من قسم ضخم بالمدينة إلى البالوعات المتواجدة والتى لها مصبات تصل إلى محطة الضخ على قناة الاسماعيلية أما المناطق الصغيرة البعيدة فسوف تصرف مياهها السطحية إلى النيل بواسطة الجاذبية، فى حين أن ضاحية الزيتون[٥٢] سوف تصرف مياهها السطحية فى قناة الإسماعيلية، والأجزاء المتبقية من المدينة وهى ليست أكثر من الموجود فى هذا النطاق سوف تصرف مياهها السطحية إلى داخل البالوعات.

وإذا تعددت هذه المقترحات فسوف نحصل على ١٧٢١ هكتاراً متضمنة الزيتون والضواحى التى يتم تصريفها بالنظام المنفصل، و ١٣٣١ هكتارا سيتم تصريفها بالنظام المتصل .

محطة الضخ الرئيسة سوف تكون عند نقطة قريبة من قناة جبل[٥٣]، وإلى الجنوب منها، وحوالى كيلو متر إلى شرق قرية كفر الجاموس.

موقع محطة الطاقة سيكون مثلما جاء فى المشاريع الأخرى عند قنطرة الساحل[٥٤].

من محطة الضخ عند قناة جبل فإن ماسورة الصرف الرئيسة والتى يبلغ طولها ٩,٥ كيلو متر، سوف تستمر عبر الضفة الجنوبية لهذه القناة مروراً بكفر الباشا[٥٥] ثم تباعاً إلى قناة أكسندر[٥٦] إلى النقطة حيث تنعطف عندها بزاوية حادة إلى الشمال الغربى، ومن تلك النقطة تمر عبر الصحراء حيث موقع مزرعة الصرف فى الخانكة.

وتبلغ التكلفة التقديرية لهذا المشروع ١٠٢٥١٠٧٣٥ جنيها، فى حين تبلغ

التكلفة السنوية ٢١٠٩١٦ جنيها، وهى أقل من تكلفة المشروع رقم (١) [٥٧] بـ ٣,٦٦٤ جنيهات.

ويتميز هذا المشروع باعتماده على نظام واحد فقط للطاقة سيكون ضروريا من أجل تنفيذ نظام القطاعات، وكمية المياه التى يجب شراؤها من شركة مياه القاهرة ستظل أقل حجماً فى الوقت الذى لن تؤدى فيه إلى خفض فاعلية المشروع والذى اعتبره ملائما على الأخص بالنسبة لحالة المواقع بالقاهرة، وهو الأفضل ، بالإضافة لكونه، باستثناء مشروع رقم (١) أقل تكلفة مشروع قد اخضعته لدراستك.

الوثيقة الرابعة

وهى بيان أعده المهندس كاركيت جيمس للتكلفة السنوية للمشروع بناء على طلب نظارة الأشغال العمومية بعد اختيارها للمشروع رقم ١١ للتنفيذ، وقد اختص فيه بتكلفة شبكة منطقة الزيتون حيث أنه قد ذكر فى تقريره الابتدائى أنها منطقة تقع بالقرب منها ضواحى كثيرة لذلك فهى تضم الطبقات العليا والدنيا من السكان والاستهلاك اليومى لكل فرد ١٠٠ لتر فى المتوسط.

وفيما يلى ترجمة وتحقيق نص الوثيقة

مصاريف العمل السنوى لمشروع الصرف المقترح

مستخدمون : محطات الطاقة والضخ

فريق العمل		المجموع
١ مهندس رئيسى (أوروبى)	٦٠٠ جنيها	٦٠٠ جنيها
١ مهندس ثان (أوروبى)	٣٦٠ جنيها	٣٦٠ جنيها

فريق العمل لمحطة الضخ

٢ مهندسان عاملان (أوروبيان)	٢٤٠	٤٨٠ جنيها
٤ سائقين (أهل البلد)	٧٢ جنيها	٢٨٨ جنيها
٢ قائمان بالتزييت (أهل البلد)	٢٤ جنيها	٤٨ جنيها
٤ وقادين (أهل البلد)	٦٠ جنيها	٢٤٠ جنيها
٢ قائمان بالتزويد بالفحم	٢٤ جنيها	٤٨ جنيها
١ أمن مخزن	٨٤ جنيها	٨٤ جنيها

فريق العمل لمحطة الطاقة

٢ مهندسان عاملان (أوروبيان)	٢٤٠ جنيها	٤٨٠ جنيها
٤ سائقين (أهل البلد)	٧٢ جنيها	٢٨٨ جنيها
٣ قائمين بالترشيح (الفلتره)	٧٢ جنيها	٢١٦ جنيها
٢ قائمان بالتزييت	٢٤ جنيها	٤٨ جنيها
٣ وقادين	٦٠ جنيها	١٨٠ جنيها
٢ قائمان بالتزويد بالفحم	٢٤ جنيها	٤٨ جنيها
١ أمين مخزن	٦٠ جنيها	٦٠ حنيها
فحم، زيت سوائل ... الخ		
فحم ٧٢١٥ طنا	جنيهان لكل طن	
زيت تشحيم	٣٦٠٥ جالون	
	٠,٢١٦ جنيه لكل جالون	٧٨٠٠ جنيه
سوائل، تعبئة .. الخ		٥٠٠ جنيه

فريق العمل خارج الموقع

مهندسون ومستخدمون		المجموع
١ مهندس	٨٠٠ جنيه	٨٠٠ جنيه
ا مهندس مساعد	٤٠٠ جنيه	٤٠٠ جنيه
١ فنى تصميم	١٨٠ جنيها	١٨٠ جنيها

٢ فنيان تصميم	١٤٤ جنيها	٢٨٨ جنيها
١ رئيس كتبة	٢٤٠ جنيها	٢٤٠ جنيها
٣ كتبة	١٢٠ جنيها	٣٦٠ جنيها
١ رئيس عمال	٢٤٠ جنيها	٢٤٠ جنيها
١٠ عمال	٢٤ جنيها	٢٤٠ جنيها

العمل	**المقدار**	
١- (أ) إعداد المزرعة	١٠٠٠ جنيه	
(ب) مساكن	١٠,٠٠٠ جنيه	
(ج) فريق العمل	٣,٥٥٥ جنيها	
(د) إنارة طريق	٣,٠٠٠ جنيه	
(و) حمالون رئيسيون	١٤,٠٠٠ جنيه	
(د) حمالون مساعدون	٩,٠٠٠ جنيه	٤٠,٠٠٠
٢- أعمال تنقية صهاريج	٧٤ جنيها	
٣- ماسورة رافعة (قضبان - تثبيت	٩٠٤٠٠ متر كل متر	٣٩٤٨٠ جنيه
- حديدية ذات مفاصل ٩٤ متراً)	٤٠,٢٠٠ جنيه	
٤- محطات الضخ		
(أ) بيت المحرك	٨,٥٠٥ جنيهات	
(ب) محركات ، غلاية .. الخ	٩٥,٤٠٠ جنيه	
(ج) مساكن	١٠,٥٠٠ جنيه	١١٤,٤٠٥ جنيهات
٥- ماسورة بالوعة التجميع الرئيسية		
١٣,٢٠٠	فم الماسورة ١,٥٠ متر	
١٣٠,٤٠٠ جنيها لكل متر	١٧٦,٨٠٠ جنيها	
٦- شبكة (احتياطية)		
٢١٨,٨٠٠ متر	١٣٠,٤٠٠ جنيه لكل متر	٢٤٠,٦٨٠ جنيها
٧- نظام الهواء المضغوط		
محطات حراد	١٦٤,٨٧١ جنيها	
المصرف الرئيس	٦٠,٨٠٤ جنيها	
ماسورة الهواء	٤٤٩٥٩ جنيها	

محطة الطاقة	٥٦,٥٦٦ جنيها	
		٣٢٧,٢٠٠ جنيها
٨- شبكة مصارف الزيتون	٥٠,٨٢٠ جنيها	
٩- شبكة مصارف المياه السطحية	٢٥,٠٠٠ جنيه	
		١٥٠٨٨,٤٦٥ جنيها
أضف ١٥ % للملاحظة والطوارئ		١٦٣,٢٧٠ جنيها
		١٢٥١,٧٣٥ جنيها

ب- نشر الوثائق

نشر الوثيقة الأولى

Public work Department
Cairo Main drainage
Note on the proposals in Mr. Carket James report of 22 nd October 1907, (n° 1064)

1- The main features of the scheme outlined in these proposals are:
2- The division of the drainage surface into "gravitation " and "sectional" areas.
3- The carrying of the sewage in the direction of the natural slope of the country.
4- The choice of site of the pumping station, near Kafr-el-Gamus.
5- The choice of site for the sewage farm at Khanka
6- On these features, the Public health department is in
7- substantial agreement with Mr. James, and is prepared to
8- accept in principle a sheme based on these lines.
9- At the same time, it is to be noted that there are
10- certain references in Mr. James. Report on which it might
11- be desirable that a clear statement of opinion should be
12- made by this department, but it might be thought that in
13- accepting the main lines of the scheme, as outlined in the
14- report under consideration, the department also accepted
15- unreservedly all matter occurring in the body of the report.
16- The points to which it is desired to particularly call
17- attention may be classed under these headings.
18- (i) The destiny of existing fosses and conveniences in private houses.
19-(ii) The proposals for the adoption of the separate system in certain parts of the city; and the use of the existing surface drainage.
20- (iii) The proposal to utilize compressed air as a motive force.
2١- The question of dealing with all existing fosses, as
22- well as with the conveniences in the lower class of houses.
23- Houses which neither have nor one ever have water connection

24- (art is of Mr. James' report;) is one of the very greatest
25- importance, but not only does no item for this purpose occur
26- in Mr. James' estimate, but references in the text of the
27- note lead to the conclusion that there is no special propo-
28- sal in regard to dealing with this matter,
29- It must be remembered that in the class of houses
30- above referred to, there are practically always private
31- conveniences with fosses of a rudimentary type. The question
32- of draining these conveniences , together with the concomi-
33- tant abolition of the fosses, is one that has to be faced
34- Similarly, all the fosses which may exist in well
35- built houses , and which form one of the five sources from which Mr. James expects to drive sewage, must be regarded as other items for absolute suppression.
36- To leave these fosses untouched, while attaching the
37- drainage system thereto, as a more 'trop-plain' relief
38- would be an entirely, though costly, proceeding. The enter-
39- prise would merely mean the transference of the business
40- of the sewage transport company now carried out as the
41- expense of the private occupier, to the government, and
42- thus effected at vastly increased cost to the public; the
43- sanitary condition of Cairo would remain in statue quo, and
44- the fermsting accumulation of sewage, the fons et orige
45- mali, would continue to exist as if no effort to secure
46- improved sanitation had ever been made.
47- On this point there can be no uncertain opinion, and if the statements in Mr. James' report were not so explicit.
48- There would never have been the least conception that
49- anything short of total abolition of all fosses was
50- contemplated.
51- <u>(ii) The partial adoption of the separate system</u>
52- Mr. James suggest the desirability of adopting the
53- " separate " system wherever there may be convenient

54- discharge into the Nile, or any other outfall, (such as the Ismaillia
55- Canal) for the disposal of the "surface drainage". Into
56- one system it is proposal to turn the domestic sewage
57- and into the other the surface drainage and storm water
58- That is the line is drawn between domestic sewage on one
59- hand, and surface drainage on the other , and it is pro-
60- posed to dispose of the latter into the Nile or Ismaillia
61- Canal, at convenience, on the score of economy.
62- It will scarcely be necessary to direct attention to
63- The fact that all the drained area must be paved either
64- by asphalt or macadam, (for which however no item appears
65- in the estimate:; the surface drainage therefore will
66- consist of all foul water thrown into the streets in the
67- native quarters, and washings of the asphalted streets,
68- markets, etc. such as is now seen to be discharged at the
69- Pumping station on the Ismailia canal. Such surface drainage
70- is of a very foul nature, and is as concentrated sewage as
71- the domestic variety; it would therefore be highly de-
72- siable that it should be discharged direct into the Nile
73- or Ismailia canal.
74- There would also appear to be some doubt as to whether any
75- economy would in practice be realised by this procedure,
76- for much drainage under conditions shown in plan N° 69
77- would certainly require pumping on arrival at the outfall.
78- as regards storm water, the off flow arising under
79- such circumstances is of a different nature and far more dilute, if, for purposes of economy it is desired to discharge this into the Nile, there would probably be little practical objection, though in the case of the Ismailia canal the outfall should not be on the Cairo
80- Side of Ghamra, up to which point at least it should be conducted in a sewer.
81- On the whole, if any proposal for separation is to

82- be taken into consideration, the line should be drawn between storm water on one side and sewage, wether
83- domestic or surface on the other. The method by which the
84- separation should be effected is an engineering problem,
85- into which it is not necessary here to enter.
86- in this connection it is to be noted that it is
87- supposed by Mr. James, that the enormous number of more than a half million people will use the public laterines
88- daily, for which purpose an allowance of 10 litres per head
89- is calculated; but nothing is said as to the amount of
90- water used by these people for other domestic purposes.
91- which must be disposed of in some way, and would ultimately
92- find its way into the sewers; this amount must be consid-
93- erable, and would appreciable augment the present somewhat
94- low estimate of sewage to be dealt with.
95- further , it should be stated that the utilization of
96- the existing surface drainage is a question demanding
97- very careful study with a view to adaptation and modification.
98- Such a proposal as is outlined in Mr. James' note could not
99- under present conditions receive the unqualified assent of
100- this department, which would view with very great concern
101- any scheme which did not specifically confine the existing
102- system of surface drainage to the disposal of storm water
103- only.
104- (iii) it is with some reluctance that I venture to suggest
105- that a comparative analysis of the efficiency and cost
106- of the various kinds of motive power adapted to a sewage
107- system should be furnished. Mr. James mentions steam
108- power, electricity, compressed air, vacuum, and hydraulic
109- power, but no comparison of their respective advantages,
110- disadvantages, cost or economy is given.
111- Electricity is attractive in many ways, but it is
112- possible that the cost per unit and in this country would be pro-
(-)

113- on the other hand it might be that hydraulic
114- Power should be economical but in its origin, and also
115- As the water, after having fulfilled its motive
116- Mission, might be used for flushing purposes
117- Again, it would appear that compressed air if exacdi-
118- ngly wasteful, for it is stated that the percentage
119- energy available at the pump rarely exceeds 17 to 20%
120- the total power generated at the engine house Whether
121- be so or not, the matter has no doubt occupied the mind
122- Mr. James, and view of the extreme importance of the
123- project, and of the value to be attached to the preliminary
124- report thus , it would be interesting to have on
125- some comparative study of the possible alternatives
126- motive power.
127- Other matters of varying importance will come up
128- discussion in the natural course of study. But on that
129- three points it has been thought desirable to express
130- a very clear opinion, for they are points of cardinal
131- importance, upon which the efficiency of scheme
132- largely rest in the future.

Signed W.P.G Graham
18th November 1907

نشر الوثيقة الثانية

Notes on Mr. Graham's remarks of 18/11/1907

For the Adviser of P.W.M

The destiny of existing fosses and conveniences in private houses

Mr. Graham is evidently under a misconception due to. the wording of the tabs in parag. 21 & 22 of my Preliminary report in which I refer to " fosses etancher " as a source of supply, these being the existing. Arrangements. I propose to replace them by a gully, the exact form of. which has not yet been finally decided on, for it is not. possible, when preparing a preliminary scheme, to go into. all details. This subject far from having been over-looked has had my most careful concidration and I take this opportunity of stating that I am also in fullest agreement with Mr. Craham's remarks as to the necessity of abolishing all "fosses etancher", as soon as the progress of the work. permits. It is clear that Mr. Graham is under the impression that it is proposed to merely provide the existing "fosses etancher" with overflows to the future sewers, but my proposals are as follows :- <u>First class houses</u> those connected with the water main to be connected with the sewers direct <u>Second class houses</u>. Good houses but not connected With the water main, to be provided with a form of gully connected with the sewers <u>Third class houses</u>. Those inhabited by the poorest classes, to be also provided with a form of gully connected with the sewers

In the tables in parag. 21 & 22, it will be seen that the sullage from the total population has been provided for over and above the discharge from the "fosses etancher" which, in 1932, is estimated to amount to 12.000 cubic metres per diem. And in 1918 to 2.000 cubic metres per diem since the proposed gullies, which will supersede the

31- "fosses etancher", are to receive all the domestic sewage,
32- it follows that an allowance of is liters. For 4 gallons
33- Per head per diem has been made for the lower class popul-
34- lation in 1932, over and above than provided for under the
35- heading of Mosques and latrines. This appears to me to be
36- a liberal allowance when is considered that the people
37- buy nearly all the water which they use for purely domestic
38- Purposes, It is obvious that the provision and connection
39- of the gullies can only be a gradual work and therefore in
40- 1918, 2000 cubic metres per head per diem have been allowed for.

41- It must be remembered, in looking at the estimates,
42- that the heads given therein do not include all the various
43- details which have been prepared. As a matter of fact, a
44- large sum has been allowed for in the cost of the reticu
45- lation to cover the cost of connections in the public road, and
46- Parag. 32 indicates that this matter has not been over-looked.
47- All work done inside a house would naturally have to
48- be done, either at once or eventually, at the expense of
49- the owner of the property.
50- The Decree approved by the General Assembly of the
51- Court of appeal, dated the 31st of January 1899, I think ,
52- Gives power to insist on such alterations as the government
53- May require, and is provided for in articles 2 and 8 ther in.

The proposals for the adoption of a separates system in certain parts of the city and the use of the existing surface drainage.

54- Mr. Graham divides the surface water into surface
55- drainage and storm water, of which the first consists
56- of street sand market washings etc., and the second is
57- due to rainfall. Here again, owing doubtless to the fact
58- that I have not gone into full details in my preliminary
59- report, Mr. Graham is under a misapprehension
60- for I propose to take the street washings from the present
61- outfall at the Ismailia canal into the sealed sewage main

to be laid along the Sharia Abbas to the Main Collector, while in times of heavy rainfall, the storm water will be discharged into the Ismaillia canal as at present the reason for this proposal is not merely to effect economy, but principally because it is the most practicable way of separating the street washings from the storm water. I am not in accordance with Mr. Graham's proposals to construct a sewer from the present pumping station to a point North of Ghamra in order to discharge the storm water into the northern arm of the Ismaillia canal. My objection to this Proposal is that it would not be justifiable to incur an expenditure of about LE. 30.000 to provide a sewer sufficiently large to remove the overflow from heavy rainfall which occurs but rarely. My proposal is to pump from the existing drains to the sealed sewage main in the Sharaia Abbas as long as pumping is necessary, when, however, the drains are sufficiently full to discharge by gravitation into the Ismillia canal. I consider that the off flow will be sufficiently dilute for this propose

The proposal to utilize compressed air as a motive force

for the information of the Adviser. I give the following short notes regarding the efficiency and suitability of the different sectional systems mentioned in my preliminary report. I would also state, in the case of Steam, Eclectic and hydraulic power the sewage must be screened before pumping and a nuisance is therefore, inevitable.

<u>Steam pumping</u>. The question of having a number of. pumping stations worked by steam power all over the city is altogether out of the question, for a great number will be necessary with any sectional system owing to owr shallow sewers and enormous nuisance would undoubtedly result from the screenings etc.. while the cost of erection and

94-mainten area. Would be prohibitive. The efficiency of such
95-installations would probably average only 40 %
96-Elcotrical pumping. This class of pumping had my
97-very serious consideration when I was in England in 1906,
98-for it was then the latest method and I therefore studied
99-the question with the view of its possible adoption in
100- Cairo , I found, in a number of towns, that it had teen
101- Tried and finally rejected on account of its great cost and
102- other systems adopted, even in such cases when the electrical
103- works are municipal property, as for instance at Bedford.
104- the efficiency of Electrical pumping is better than
105- compressed air, but is only 45% . in Cairo. Where the cost of a unit of electricity would probably be doublet
106- the expense of using it for lifting sewage would be prohibitive
107- <u>Hydrulic pumping</u>: this system of pumping sewage
108- has never found much favour among Sanitary Engineers,
109- although it was adopted by Mr. Baldwin Iatham and has
110- been installed in several places. I should not be in favour
111- of it because there is almost always a nuisance in connection
112- with such installations which are necessarily costly
113- to erect. Further than that, in Cairo all water has to be
114- purchased, thus making the annual cost prohibitive. Again,
115- all such water used has to be added to the sewage, pumped and repumped at increasing cost. The efficiency of Hydrau-
116- lic pumping averages about 43%.
117- <u>Liernur's vacuum system</u>: I havenever been able to
118- obtain any figures of the efficiency of the vacuum system,
119- though I have often tried, but it must vary greatly accord-
120- ing to the length of the sewage main.
121- in none of the eleven towns where this system has been
122- installed, is there anything like the length of the vacuum
123- main which would be required in Cairo. Again, as before
124- stated to the adviser in a confidential note , I could not

125- recommend, this system without present incomplete-knowledge
126- of it for a large city like Cairo except as a "dernier
127- ressort" it is not automatic and the cost of maintenance
128- is considerable.
129- Compressed air: as regards of the efficiency of the
130- Compressed air system, Mr. Graharm gives it a 17 to 20 %
131- I have never known any installation with so low an efficiency
132- in Bomby , it was considerably more, in Karachi
133- it was 30% and the latest published results in minute
134- of the proceedings of the institution of civil engineers
135- gives the efficiency at Gostport as 33% all over the system
136- there is nothing, therefore, to be said against the efficiency
137- when one consider the other advantages which the system provides. The cost and maintenance are both lower
138- than any other system I know of

Carket James
26th November 1907

نشر الوثيقة الثالثة

Sheme No II Khanka

1- the Gravitation area in this scheme is 281 and the
2- sectional area 2321 hectares within this city properly, but
3- the Helioplis and an area of 450 hectares in the suburbs
4- between Abbasia and Matariah come immediately into the
5- gravitation area under this scheme at a comparatively small
6- coast. And much larger area, as these suburbs extend. can
7- be drained by gravitation
8- a feature of this scheme is that it is is proposed
9- to drain the surface water from a large por-
10-tion of the
11- city to the existing drains which have their outfall
12- at the pumping station on the Ismailia canal. Further
13- small areas will be drained of surface water to the Nile
14- by gravitation, while the zeitoun suburbs will discharge
15- their surface water in the canal, and the remaining parts
16- of the city, not above included, will discharge their surface
17- water into the sewers
18- under these proposals, we get 1721 hectares, including
19- zeitoun and suburbs, drained by separate, and 1331
20- lectures on the combined system
21- the main pumping station is at a point close to the
22- Gabel canal and the south of it, and about a kilometers
23- to the rast of the village of Kafrel-Gamous
24- the site for the power station will, be as in several previous schemes, at pont sahel
25- from the pumping station as the Gabel canal, the
26- rising main, which is 8 1/2 kilometers long, will continue
27- along the south bank of this canal, passing Kafr el Pasha
28- and then following the Alexander canal to the point where it
29- makes a right angled bend to the North west. From the point
30- it goes across the desert to the site of the sewage farm at Khanka
31- the estimated cost of this scheme is LE 1.251. 735,
32- while the annual cost is LE 21.916 or LE. 3.664 less

than that of scheme No 1 the advantage of this scheme is that only one form of sectional system is necessary and that the amount of water to be purchased from the Cairo water company I kept down to a minimum, while not impairing the efficiency of the scheme I consider this scheme is particularly suited to the local conditions of Cairo and the best, besides being, with the exception of No 1 the cheapest scheme that I have submitted for you consideration.

نشر الوثيقة الرابعة

Annual working Expenses of the proposed sewerage scheme

Maintenance : power & pumping stations staff

	total
1- Chief engineer (European) at le. 600.-	le. 600.-
1- 2rid " " at le . 360.-	le. 360.-
Working staff for pumping station	
2- working engineers (European) at le 240.-	le.480.-
4- drivers (Natives) at le. 72.-	le. 288.-
2- oilers " at le. 24.-	le. 48.-
4- stokers " at le. 60.-	le. 240.-
2- coalmen " at le. 24.-	le. 48.-
1- storekeeper " at le. 84.-	le. 84.-
Working staff for power station	
2- working engineers (European) at le. 240.-	le.480.-
4- drivers (Natives) at le. 72.0-	le. 288.-
3- fitters " at le. 72.-	le. 216.-
2- oilers " at le. 24.-	le. 48.-
3- stokers " at le. 60.-	le. 180.-
2- coalmen " at le. 24.-	le. 48.-
1- storekeeper " at le. 60.-	le. 60.-
coal, oil , waste ets.	
Coal 7210 tons @ le. 2.- per ton	le. 14.420.-
Oil (lubricating) 3605 galls.	
@ le. 0.216 per gall	780.-
Waste, packing, etc.	500.-
Outdoor staff.	
Engineering and maintenance	
1- engineer at le. 800.-	le. 800.-
1- asst. engineer at le. 400.-	le. 400.-
2- draughtsman at le. 180.-	le. 180.-
1- draughtsment at le. 144.-	le. 288.-
1- head clerk at le. 240.-	le. 240.-
3- clerks at le. 120.-	le. 360.-

1- foreman at le. 240.- le. 240.-
10 men at le. 24.- le. 24.-

	Work	Amount	Total
1	a.) preparation of Farm	Le.1.000.-	
	b.) quarters	10.000.-	
	c.) staff	3.000.-	
	d.) light railway	3.000.-	
	e.) main carriers	14.000.-	
	f.) subsidiary carriers	9.000.-	40.000.-
2	purification works, tanks etc.		74.000.-
3	rising main (0.94 metres steel looking bar joint) 9.400 metres @ le. 4.200 per metre		39.480.-
4	pumping station	8.505.-	
	a.) engine house	95.400.-	
	b.) engines, boilers etc.	10.500.-	114.405.-
	c.) quarters		
5	main collector.		176.880.-
	13.200 metres outfall sewer (1.50) @ le. 13.400 per metre		
6	Reticulation		240.680.-
	218.800 metres @ le.1.100 per metre	164.871.-	
7	Compressed air system.	60.804	
	Ejector stations	44.959.-	
	Sealed sewage main +	56.566.-	327.200.-
	Air main		50.820.-
	Power station		25.000.-
8	Drainage of zeitoun		Le. 1.088.465.-
9	Surface water drainage		163.270.-
			Le. 1.251.735.-

رابعاً: المصطلحات الفنية الخاصة بالمشروع :

الجاذبية الأرضية Gravitation :

تصمم شبكة الصرف على أساس جريان مـاء المجـارى فيهـا بالجاذبيـة الأرضية حيث تكون الأرض منحدرة بقدر مناسب، وتوضع بها المواسير الرئيسة على عمق كاف يساعد على جريان ماء المجارى إليها مـن المواسـير الفرعيـة المتصلة بالمبانى، ويجب أن توضع خطوط المواسير بعمـق لا يـسمح بتجميـد المجارى داخل الخطوط فى فصل الشتاء. وألا تتأثر بالاهتزازات الناتجة عن حركة المرور عليها (٥٩).

محطة الضخ الرئيسية Main pumping station

وترتبط بنظام الجاذبية الأرضية حيث تستخدم محطة الضخ الرئيسية لسحب وشفط مياه الصرف من شبكة المواسير لتوصيلها إلى مناطق تجميعها لمعالجتهـا، وإعادة استخدامها فى بعض أعمال الرصف أو كسماد، وفى حالة وحجم مـساحات أكبر تستخدم محطات ضخ فرعية تقوم بدورها فى توصيل مياه الصرف إلى محطة الضخ الرئيسية(٦٠).

القطاعات : Sectional

فى المناطق ذات الأرض المستوية لن يجدى استخدام نظام الجاذبية الأرضية لسحب مياه الصرف لذلك يستخدم نظام القطاعات، وفيه يتم تقـسيم الأرض إلـى قطاعات أصغر لوضع طلمبات عند بعض النقاط بها وذلك لرفع ماء المجارى إلى منسوب أعلى ليصل إلى بالوعة مرتفعة تقوم بدورها بتوصيل ماء المجارى عبـر المواسير إلى بالوعة التجميع الرئيسة لمعالجتها وإعادة الاستفادة منها فى الـرى أو كسباخ ويصمم النظام بحيث أن سرعة جريان ماء الصرف فى مواسير وبالوعات

تلك الشبكة بسرعة ٦ أمتار فى الثانية لأن السرعة الأقل سوف تساعد على ترسيب المواد العالقة بماء الصرف داخل هذه الخطوط وتتسبب مما انسدادها[٦١].

بالوعة التجميع الرئيسة main collection

وهى مرتبطة بشبكة نظام القطاعات، وهى عبارة عن بالوعة ضخمة تتجمع فيها مياه الصرف من مواسير تلك الشبكة، وتصمم البالوعة الرئيسة بحيث تقوم بتطهير نفسها ذاتيا من مياه الصرف، أى لا تسمح بركود مياه الصرف بها – التى ستحول منها إلى محطة التنقية الملحقة بها – لذلك فإن سرعة جريان ماء الصرف فى تلك البالوعة هى ٠,٩٣مترا فى الثانية، وهى سرعة أقل بكثير من السرعة المطلوبة (وهى ٦ أمتارفى الثانية) لعدم ركود مياه الصرف فى خطوط هذا النظام[٦٢].

الخزانات الصماء Fosses Etancher

بالمصطلح الدارج يطلق عليها (الترانشات) وهى عبارة عن خزان أسفل المنزل لتجمع فيه مخلفات الصرف الصحى، ويتم نزحها كلما امتلات، وقد استخدام هذا النظام فى جميع أنحاء مصر قبل إنشاء شبكة الصرف وإن كان بعض القرى والأماكن التى لم تمتد إليها المياه شبكة الصرف تستخدم هذا الأسلوب [٦٣].

محطة الطاقة Power station :

وهى التى تمد محطة الضخ بالطاقة اللازمة لتشغيلها [٦٤].

النظام المشترك Combined system

النظام المنفصل separate system

عند التقاء شبكة تصريف مياه الأمطار مع شبكة الصرف الصحى يسمى هذا بالنظام المشترك، ويصمم هذا النظام عندما لا يوجد أى مجرى مائى مباشر تصرف منه مياه الأمطار. وفى الشبكة المشتركة تكون محطة التنقية ذات سعة

كبيرة لتستوعب ماء الأمطار مع الصرف الصحى. أما النظام المنفصل فهى فصل شبكة صرف الأمطار عن شبكة الصرف الصحى، حيث تجمع شبكة ماء المجارى من المبانى وتنقلها إلى محطة التنقية، أما شبكة صرف الأمطار فتستعمل لجمع هذا المياه السطحية بطريقة تمنع الفيضان ثم نقلها إلى المجرى المائى. ويستخدم النظام المنفصل فى الدول ذات المطر الشديد والمتواصل، لأن الشبكة الواحدة سيكون لها مساوئ وهى إلى ماء المجارى يرتد ثانيا إلى الشبكة [٦٥].

مصارف الصرف الصحى ومــصارف ميــاه الأمطــار Sanitary & Storm Water Sewes

تستعمل مصارف الصرف الصحى لنقل المجارى من المبانى إلــى محطــة التنقية. أما مصارف ماء الأمطار الغزيرة فتستعمل بجمع هذه المياه السطحية وحتى تمتنع حدوث فيضان – ثم نقلها إلى المجرى المائى[٦٦].

الصرف السطحى surface draniage

وهى المياه التى تغمر الشوارع نتيجة فيضانات انهيار الأمطار لفترة طويلة – ذوبان الثلوج – طفح المجارى – المياه المستخدمة لاطفاء حريق ضخم – تنظيف الشوارع والأرصفة ويستخدم لها شبكة صرف مياه الأمطار[٦٧].

مزرعة الصرف بالخانكة Sewage farm

عند التفكير فى إنشاء المجارى بمدينة القاهرة والتى تمــت عــام ١٩١٤م – رأت الحكومة المصرية ضرورة الانتفاع بهذه المياه ومنع ركودها ومحافظة علــى الصحة العامة أن تنشئ مزرعة تروى أراضيها من المياه الناتجة عن تلك المجارى بعد تنقيتها وبناء على ذلك وافقت وزارة الداخلية سنة ١٩٢٢ علــى إنــشاء إدارة تشمل العزب التى يقيم بها مزارعو تلك المزرعة. وفى سنة ١٩٢٣ أصدرت المالية

قراراً آخر بفصل زمام خاص لهذه المزرعة عن أراضى ناحية الخانكة وبذلك أصبحت ناحية قائمة بذاتها ويقال لها مزرعة المجارى(٦٨).

الماسورة الصاعدة الرئيسة Rising main

وتستخدم فى المدن الكبيرة لنقل ماء المجارى إلى محطة التنقية وهى الماسورة الرئيسة للصرف وهى أضخم ماسورة فى الشبكة بعد تجميع مياه المجارى من المدينة كى تنقل إلى محطة أو محطات التنقية بعيدا عن المدينة بحوالى ١٥ – ٣٠ كيلو مترا بواسطة خط مواسير يسمى الماسورة الصاعدة، ثم تتم معالجة مياه المجارى فى محطات التنقية عن طريق الترسيب والتهوية وتنشيط الحمأة sullage أى (الطين الأسود) فتنتج عن هذه المعالجة مواد صلبة وماء نقى يستعمل فى بعض الأغراض الزراعية، وتوضع هذه الماسورة مع باقى مواسير شبكة الصرف فى مستوى أعلى من ماسورة الماء النقى بثلاث أمتار على الأقل لمنع حدوث احتمال تلوث الماء فى حالة انكسار الماسورة الصاعدة فتتلوث مياه الشرب (٦٩).

ماسورة الصرف للخارج Off flow pump

وهى ماسورة منفصلة من شبكة الصرف ومتصلة بالبالوعات مباشرا توضع على المجرى المائى لتصرف اليه المياه السطحية من خلالها ويمكن وضعها على المجرى المائى بحيث تكون فوهتها ظاهرة أو بعمق تحت مستوى المياه (٧٠).

تابع المصطلحات الفنية الخاصة بالمشروع

كما استخدمت بعض المصطلحات باللغة اللاتينية :

- Latrines = Lavotory = مرحاض[٧١]
- Reticulation = Made Like a net = شبكة[٧٢]
- Sullage = Dirty mud = الحمأة[٧٤]

والحمأة فى اللغة العربية هى "الطين الأسود المنتن"[٧٤]

- Fons et Orige mali

  Fons = Spring water = المياه الناشئة

  Et = and = و

  Orige = Beginning Source = بداية المنبع

  Mali = Badly = اسواء

المعنى : المياه الناشئة ستكون أسوأ من المنبع[٧٥]

- Foeture = Bad smell رائحة كريهة[٧٦]
- Per Diem

  per = to reach an end = الوصول للنهاية

  Diem = the long day = اليوم الطويل

  المعنى : الوصول لنهاية اليوم الطويل[٧٧]

وقد استخدم مصطلح واحد باللغة الفرنسية وهو:

- Fossé etancher

  Fosse = Drain = مصرف

  Etancher = stop flow منع التدفق

والمصطلح يعنى علمياً الخزانات الصماء أو الترانشات بالعامية (راجع المصطلحات الفنية) [٧٨]

نتائج البحث

وبعد فإنه بناء على ما سبق يتضح أن مشروع الصرف الصحى بالقاهرة قام على الأسس الآتية :

أولاً بالنسبة للصرف الصحى :

١- الإلغاء التام تدريجيا لجميع الخزانات الصماء (الترانشات) .

٢- تقسيم منازل القاهرة إلى مستويات تبعاً لإمكانية اتصالها بشبكة مياه القاهرة لزوم عملية الصرف وهى :

- منازل الطبقة الأولى المتصلة بخط المياه سيتم توصيلها مباشرة بالبالوعات.
- منازل الطبقة الثانية (المتوسطة) والثالثة (الفقيرة) والمساجد والحمامات العامة، وجميعها لم ولن تتصل بخط المياه لذلك سيصمم لها مجموعة تشبه القنوات متصل بالبالوعات.

٣- استخدام نظام الجاذبية أو القطاعات تبعاً لطبيعة انحدار الأرض.

٤- إعداد الماسورة الصاعدة (الرئيسة) بطول ٩,٥ كيلو متر تبدا من عند محطة الضخ عند قناة جبل، وتمر عبر الضفة الجنوبية لهذه القناة إلى كفر الباشا ثم إلى قناة اكسندر حتى تصل إلى الصحراء حيث موقع معالجة الصرف الصحى وإعادة استخدامه كسباخ فى مزرعة الصرف بالخانكة.

ثانياً : الصرف السطحى :

١- تقسيم مياه الصرف السطحى إلى مياه غسيل الشوارع ومياه الأمطار.

٢- تقسيم القاهرة إلى مساحة ٢٨١ هكتاراً تعمل بالجاذبية، ويطبق هذا النظام أيضا فى الضواحى والمدن الجديدة (آنذاك) وهى مصر الجديدة، والمساحة الواقعة بين العباسية والمطرية وتبلغ ٤٥٠ هكتاراً مع إمكانية تطبيقه فى

المناطق الشاسعة الأخرى.

- استخدام نظام القطاعات على مساحة ٢٣٢١ هكتاراً

٣- فصل شبكة صرف مياه الشوارع عن شبكة صرف مياه الأمطار فى بعض المواقع

- بالنسبة لشبكة صرف مياه غسيل الشوارع، يتم عمل ماسورة رئيسية بطول ١٣٠٢٠٠ مترا لتوصيل هذه المياه بعد سحبها من المصب الموجود على قناة الإسماعيلية إلى بالوعة التجميع الرئيسة عند سراى عباس.
- بالنسبة لشبكة مياه الأمطار. ففى حالة هطول المطر بغزارة يمكن ضخها من المصارف المتواجدة لتذهب إلى البالوعة الرئيسة عند سراى عباس. هذا إذا لزم الأمر لإزالة الطفح الناتج من الأمطار الغزيرة النادرة الحدوث.
- استخدام نظام السحب بالجاذبية من المصارف بعد أن تمتلئ بقدر كاف من مياه الأمطار لتصرف من قناة الإسماعيلية عبر انبوب الصرف المقام على القناة.

٤- إقامة محطة الطاقة اللازمة للضخ بنظام القطاعات عند قنطرة الساحل.

٥- استخدام نظام الهواء المضغوط كقوى آلية لتشغيل محطة الطاقة.

الهوامش

١- **أحمد بدر** . أصول البحث العلمى ومناهجه.- القاهرة : المكتبة الأكاديمية، ١٩٩٦.- ص ٢٥٢.

٢- **عبد الرحمن الرافعى**. عصر إسماعيل.- القاهرة : دار المعارف، ١٩٩٠.- ص٨٠.

- **عرفه عبده على**. القاهرة فى مصر إسماعيل.- القاهرة : الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٩.- ص٤١.

- **سيد كريم**. القاهرة عمرها ٥٠ ألف سنة.- القاهرة : الهيئة العامة للكتاب. ١٩٩٩.- ص ١٠٢.

٣- **عرفه عبده على** . المصدر السابق ص ٤١.

نظارة الأشغال : أو كما عرفت أيضا بديوان الأشغال : فى عهد سعيد باشا (تولى ١٨٥٣- توفى ١٨٦٣م) احيلت كافة الأعمال الهندسية على نظارة الداخلية حيث انشئ بها قلم سمى قلم عموم الهندسة، وفى عهد الخديو إسماعيل (تولى ١٨٦٣ عزل ١٨٧٩م) الغى قلم الهندسة وشكل لأول مرة فى ٨ ديسمبر ١٨٦٤ ديواناً مستقلا للاشغال العامة يتولى كافة مشروعات الرى كحفر الترع وإقامة الجسور والقناطر والسدود.. الخ. وكذلك كافة المشروعات المعمارية والأمور الهندسية، كما كانت مهمته أيضا تنظيف وتزيين وتنظيم الشوارع كما أحيلت عليه القناطر الخيرية والسكة الحديد، وفى عام ١٨٧٨ أصبح يختص أيضا بتفتيش عموم الرى - إدارة المدن والمبانى - التياترات، الانتيكخانة والآثار والتلغراف .

- **أمين سامى**. تقويم النيل. القاهرة : دار الكتب المصرية، ١٩٣٦.- مجلد ٢، ج٣ ص ٥٨٢.

لمزيد من التفاصيل عن نظارة الأشغال راجع.

نهاد محمد كمال : ديوان الأشغال فى الفترة من ١٨٦٤ إلى ١٨٨٢ . دراسة أرشيفية ووثائقية وتاريخية / إشراف حسن على الحلوه، القاهرة (أطروحة دكتوراه) : كلية الآداب - جامعة القاهرة ١٩٩٣.

٤- **عرفه عبده على**. المصدر السابق ص ٤٢.

٥- **فم الخليج**: هو ذلك لمجرى المائى الذى يستمد مياهه من النيل والذى يبدأ فمه عند مصر القديمة وينتهى المجرى عند مدينة الإسماعيلية، عرف أيام الفتح الإسلامى لمصر خليج أمير المؤمنين وفى زمن المماليك عرف بالخليج المصرى وفى عصر السلطان محمد بن قلاوون بالخليج الناصرى. وفى زمن المماليك عرف بالخليج المصرى وعندما أعادت شركة قناة السويس حفر سمى بالترعة الحلوه ثم عرف بترعة أو قناة الإسماعيلية.

- على مبارك. الخطط التوفيقية الجديدة.- القاهرة : المطبعة الأميرية، ١٨٨٨.- ج١٩ ص ٤٢.

- عبد العال الشامى. مدن مصر وقراها فى القرن الثامن الهجرى.- مجلة كلية الآداب، جامعة المنيا، مجلد ٩ ع١، ١٩٩١، ص ١١٨.

٦- على مبارك. المصدر السابق.- ج١ ص ٢١٠-٢١١.

- اندريه ريمون. القاهرة تاريخ حضارة، ترجمة لطيف فرج.- القاهرة : دار الفكر العربى، ١٩٩٤.- ص ٢٧١-٢٧٢.

٧- عرفه عبده على. المصدر السابق.- ص ٤٢.

٨- اندريه ريمون. فصول التاريخ الاجتماعى للقاهرة العثمانية، ترجمة زهير الشايب.- القاهرة : كتاب روزاليوسف، ١٩٧٤.- ص٤٧.

9- Jack.G. The writing of history in nineteenth centiory.- Cairo : The Amirican University, 1984.- p.112.

١٠- على مبارك. المصدر السابق.- ج١ ص ٢١٠.

- اندريه ريمون. فصول التاريخ الاجتماعى.- المصدر السابق ص ٤٧-٤٨.

١١- محافظ مجلس الوزراء. محافظ الاشغال محفظة رقم ٦/١ (مصلحة التنظيم) ملف رقم ١٦ وثيقة بتاريخ ١١ فبراير ١٩٠٨.

١٢- مصلحة الصحة العامة: تكونت فى ٢٥ أغسطس ١٨٨٠م وكانت تعرف أيضا بمجلس الصحة، ضمت ٢٥ عضوا من المصريين الأجانب، ووظيفته تنظيم الخدمات الصحية فى مدن مصر، فى يناير ١٨٨١ صدر أمر عال بتبعية مجلس الصحة على نظارة الأشغال وأن يتكون من رئيس ووكيل من الأطباء ورئيس مدرسة الطب ورئيس أطباء الجهادية، وصيدلى بمدرسة الطب ومن كبير صيادلة المستشفيات الحكومية والمفتش البيطرى. ومن

مدير نظارة الأشغال، ومأمور مصلحة التنظيم بالقاهرة، وكانت تتبعه مستشفيات محافظات ومديريات مصر والأطباء البيطريين بمجلس الصحة، وتتمثل اختصاصات هذا المجلس فى إصدار اللوائح اللازمة للصحة العامة ومباشرة تنفيذها وكذلك إدارة المخازن الخاصة بالأدوية وملاحظة الخدمات الصحية عن طريق مفتش الصحة ، وفى ٣٠ يناير ١٨٨٣ قدمت نظارة الأشغال إلى مجلس النظار تقررا بشأن إعادة تنظيم مجلس الصحة حيث سمى بمصلحة الصحة العامة واصبح له مكاتب بالقرى والمدن وأصبح مسؤلا عن أعمال الحجر الصحى وفى ١٣ ابريل ١٨٨٤ صدر أمر عال بتشكيل مصالح الصحة العمومية فى أنحاء مصر.

- **حلمى أحمد شلبى. تحديث المدن فى مصر.- سلسلة مصر النهضة.- القاهرة : دار الكتب المصرية، ١٩٨٣.- ص ١٨٤-١٨٧.**

١٣- **محافظ مجلس الوزراء محافظ الأشغال محفظة رقم ٤/١ (متفرقات ملف رقم ٢٦ وثيقة بتاريخ ٢٣ أغسطس ١٨٨٣.**

١٤- **محافظ مجلس الوزراء محافظ الأشغال محفظة رقم ٢/١٤ (الإصلاح والتنظيف الصحى ملف رقم ٢ وثيقة بتاريخ ٣٠ ابرل ١٨٨٤.**

١٥- **نفس المحفظة ، نفس الملف وثيقة بتارخ ٢٨ مايو ١٨٨٤.**

١٦- **نفس المحفظة. ملف رقم ٤ وثيقة بتاريخ ١٩٨٦/٤/١٣.**

١٧- **نفس المحفظة ملف رقم ٦ وثيقة بتاريخ ١٨٨٧/٧/٣١.**

١٨- **نفس المحفظة ملف رقم ٨ وثيقة بتاريخ ١٨٩١/٣/٢٨**

١٩- **محافظ مجلس الوزراء محافظ الأشغال محفظة رقم ١/٢ (الصحة العامة) ملف رقم ٦ وثيقة بتاريخ ١٧ مايو ١٨٩١.**

٢٠- **محافظ مجلس الوزراء محافظ الأشغال محفظة رقم ٢/١٤ (الاصلاح والتنظيف الصحى) ملف ٥٧ وثيقة بتاريخ ٢٧ يوليو ١٨٩٢.**

٢١- **نفس المحفظة نفس الملف وثيقة بتاريخ ٩ نوفمبر ١٩٩٢.**

٢٢- **محافظ مجلس الوزراء محافظ الاشغال محفظة رقم ١/٤ (متفرقات) ملف ٣٦ وثيقة بتاريخ ٢٩ مارس ١٨٩٩.**

٢٣- **محافظ مجلس الوزراء**- محافظ الأشغال محفظة رقم ١٤/٢ (الإصلاح والتنظيف الصحى) ملف رقم ١٩ وثيقة بتاريخ ١٩٠٣/١١/٩؟

٢٤- **محافظ مجلس الوزراء**. محافظ الأشغال محفظة رقم ٦/١ (مصلحة التنظيم ملف رقم ١٦ وثيقة بتاريخ ٢٥ يونيه ١٩٠٨).

٢٥- **محافظ مجلس الوزراء**. محافظ الأشغال محفظة رقم٤/١ ملف رقم ٤٨ وثيقة بتاريخ ١٨ نوفمبر ١٩٠٧.

٢٦- **محافظ مجلس الوزراء**. نفس المحفظة نفس الملف وثيقة بتاريخ ٢٦ نوفمبر ١٩٠٧.

٢٧- **محافظ مجلس الوزراء**. محافظ الأشغال محفظة رقم ٦/١ (مصلحة التنظيم) ملف رقم ١٦ وثيقة بتاريخ ١١ فبراير ١٩٠٨.

٢٨- **محافظ مجلس الوزراء** نفس المحفظة نفس الملف وثيقة بتاريخ ٢٥ يونيه ١٩٠٨.

٢٩- **فتحى أحمد مصلحى**. تطور العاصمة المصرية والقاهرة الكبرى حتى عام ٢٠٠٠.- القاهرة : د.ن، ١٩٨٨.- ص ٢٥٣.

٣٠- اعتمدت الباحثة فى إعداد الوصف الأرشيفى للملف على :

- **سلوى على ميلاد**. أسس وقواعد ترتيب ووصف الوثائق الأرشيفة، التصنيف، الفهرسة.- مجلة المكتبات والمعلومات العربية س ٢٣ ع٣ يوليو ٢٠٠٣ ص ٧٩-١٤٦.

- **جمال الخولى**. ترجم النص الكامل لقواعد التقنن الدولى للوصف الأرشيفى فى مجلة المكتبات والمعلومات العربية ع٣ يوليو ١٩٩٥ ص ٨٤-١٢٥.

النص الإنجليزى لقواعد الوصف

- GISAD(General International Standard Descritpion GISAD in Janus No.1 Jan. 1994Paris ICA p.7-26

٣١- **كفر الجاموس**. من ضواحى القاهرة واسمها الأصلى كوم منيه الجاموس ولاستهجان أهلها بكلمة الجاموس غيروه إلى كفر فاروق تيمنا باسم الملك فاروق وقد وافقت وزارة الداخلية على هذا التغيير فى ٣١ يوليو ١٩٣٢. ويقع كفر الجاموس بين منطقتى عين شمس والخانكة لكنه يقع مباشرا لمنطقة عين شمس.

- **محمد رمزى**. القاموس الجغرافى.- القاهرة : دار الكتب المصرية ، ١٩٥٥.- قسم ٢ ج١ ص١٤.
- **عبد العال الشامى**. المصدر السابق، ص ١٦٨.

٣٢- الخانكة . فى سنة ٧٢٣هـ أنشأ الملك الناصر محمد بن قلاوون خانقاه اى دار الصوفية يقيمون فيها للعبادة وكانت تقع بصحراء سرياتوس، واقبل الناس على البناء والسكن حول هذه الخانقاه وبنوا الدور والحوانيت والخانقات الأخرى وبقيت هذه البلدة تابعة لسرياتوس ثم فصلت عنها فى ٩٣٣ هـ وأصبحت ذات زمام خاص بها ويقال لها الخانقاه أو الخانكة.

- **محمد رمزى**. المصدر السابق قسم ٢ ج١ ص ٣٢-٣٣.

٣٣- **المادة ١٨ بالتقرير الابتدائى جاء بها "من خلال الخبرة فى مجال تصميم مشروع صرف صحى يجب أن تكون حجم البواليع حسب مقدار المياه التى سيستخدمها السكان، لكن وجد أن هذا الأسلوب سيقود إلى نتائج غير كفئ فى القاهرة لأنه مع مرور الزمن ستزداد إعداد المنازل التى ليس لها ولا يمكن أن يكون لها توصيلات لشركة مياه القاهرة ، لذلك يشترى غالبية سكانها متطلباتهم من المياه من السقائيين للأغراض المنزلية ولتقليل التكلفة فهم يشترون القليل من المياه بقدر الإمكان"**

- **محافظ مجلس الوزراء محافظ الأشغال محفظة رقم ٦/١ رقم (مصلحة التنظيم) ملف رقم ١٦ وثيقة بتاريخ ٢٢ أكتوبر ١٩٠٧.**

٣٤- **المصادر الخمس الواردة بالتقرير الابتدائى هى :**

أ- منازل بها نظام إمداد توزيع داخلى للمياه ومتصلة بخط شركة مياه القاهرة.

ب- منازل ذات مستوى جيد لكنها ليست متصلة بخط شركة مياه القاهرة.

ج- منازل مبنية بالطين المحروق ذات مستوى بنائى متدنى (العشش). وسيتم الصرف من منازل الطبقة أ بالطريقة المعتادة وحيث أن قاطينها من الطبقة العليا فإن تقدير كمية الصرف منها سيكون على أساس عدد سكانها. طبقة منازل ب سوف يتم الصرف منها إلى داخل الخزانات الصماء أما الطبقة ج من المنازل سوف يتم الصرف منها من خلال اخدود وكلا من منازل ب وج سيتم توصيلهما بالمصرف العمومى بالشارع

وعلى هذا فإن المصادر الخمس المتوقع الصرف منها هى

المصدر الأول الطبقة الراقية وهى طبقـا لتعـداد ابريـل ١٦٠ ٦٤٤,٠٠٠ نـسمة مصريين وأجانب واستخدام الطبقة الراقية لكمية المياه متساو مع الاوربيين.

المصدر الثانى الطبقة الدنيا وهى ٥٤٤,٠٠٠ نسمة

المصدر الثالث الجوامع

المصدر الرابع المراحيض العامة

المصدر الخامس صهاريج المياه التى سوف توضع تحت ظروف معينة علـى رؤس المواسير الموصلة للبالوعات فى الشارع لتصرف المجارى الخاصة بمنازل ب و ج

- محافظة مجلس الوزراء. المحفظة السابق/ نف الملف/ نفس الوثيقة.

٣٥- قناة الاسماعيلية : انظر الحاشية رقم -٥-

٣٦- المكدام : هو حصى موجود على الشواطئ حجمه حوالى من ٣ إلى ٥ بوصـات ويـتم تكسيره وترصف به الطرق ويسمى ايضا الحصباء

- أحمد تيمور. معجم تيمور الكبير للألفاظ العامة.- القاهرة : دار الكتب المـصرية، ٢٠٠١ ج٥ ص ٣٨٥.

٣٧- الخريطة رقم ٦٩ محافظ مجلس الوزراء. المحفظة السابقة نفس الملف وهـى خريطـة كبيرة الحجم مرسومة ومكتوبة يدويا ومطوية عدة طيات لكن بسبب الرطوبة وسوء الحفظ يبدو أنها تفاعلت مع الحبر المستخدم والألوان وتكون ما يشبه الصمغ وقد وجدت الباحثة استحالة فردها لان تمزقها كان سيصبح حتميا ولذلك يجب لفرد الخريطة اتباع الأسـاليب العلمية لأعمال الترميم

٣٨- غمرة : أو كما عرفت بترعة غمرة. ردمت بعد ثورة يوليو ٥٢ وأصبحت طريق غمره، وتبدأ من محطات المجارى الواقعة على ترعة الاسماعيلية وتنتهى غمره بشارع الخلـيج المصرى (شارع بورسعيد حاليا)، وقد ألغيت هذه الترعة لتيسير حركة النقـل والـسير والتخلص من المياه الراكدة فيها والتى كانت قائمة وسط المساكن وتساعد علـى انتـشار الأمراض، وبعد ردمها اصبحت مساحة ارضها حوالى ٤٠٠ ألف متر مربع لها طريـق خاص وهى تتبع الآن قسم الوايلى.

- شحاته عيسى ابراهيم. القاهرة الكبرى.- القـاهرة : الهيئـة المـصرية للكتـاب، ١٩٩٩.- ص ٣٥٦.

- عبد العال الشامى. المصدر السابق. ص ١٨٧.

٣٩- فى المناطق ذات الأمطار الغزيرة المتواصلة ، فإن هــذه الميــاه تعطــى الأرض غيــر المسامية بسبب المنشآت المقامة عليها لذلك يجب تصريفها وذلك عن طريق انشاء شــبكة الصرف لبالوعة بسعة كافية تستوعب هذه الكميات من مياه الأمطار وتصرفها أولا بأول.

- أحمد خالد علام. تخطيط المدن.- القاهرة : مطبعة الانجلو ، ١٩٩٨.- ص ٤٦٠.

٤٠- الفقرة ٢١ والجدول ٢٢ فى التقرير الابتدائى ورد بهما :

الفقرة ٢١ "فى عام ١٩٣٢ سيكون عدد سكان الطبقة العليا ١٦٠,٠٠٠ فرد ويكفى لكــل مــنهم يوميا ١٥٠ لتر من المياه العذبة، وبالنسبة للجوامع فبعد فحص ٣٥٢ جامع وجد أن ٢٥٩ جامع يشترى المياه على نفقته الخاصة والباقى ٩٣ جامع يتعامل مع شركة المياه وأنــه فــى الوقــت الحالى (اى ١٩٠٧) وجد أن ١٥٠,٠٠٠ شخص يستخدم الميض يوميا فى جميع هذه الجوامــع، وهذا العدد سوف يزداد إلى ٢٢١٩,٠٠٠ شخص عام ١٩٣٢، لذلك من الضرورى ربط مــيض وحمامات الجوامع بشبكة الصرف الصحى، وعلى هذا الأساس فإن مجموع أفراد الطبقة العليــا والأفراد المستخدمين للميض يوميا سيكون عام ١٩٣٢ ٥٦٥,٠٠٠ فرد وقد قدر لكل واحد منهم ١٥ لتر مياه عذبة يوميا وعلى هذا سيتطلب اقامة صهاريج للمياه العذبة أعلى المنازل والجوامع لتتدفق منها المياه عبر شبكة توصيل إلى داخل المنــازل والجوامــع والتــى لا يمكــن تحديــد مواصفاتها فى الوقت الراهن حتى يبدأ العمل بالمشروع لكن التقــدير المتوقــع هــو اســتيعاب الصهريج الواحد إلى ٣٠٠ متر مكعب.

الجدول ٢٢ "يلخص الجدول الآتى عدد السكان المتوقع وكمية الصرف اليــومى فــى ١٩٣٢

المصدر	عدد السكان	نسبة المياه العذبة	مجموع الصرف
الطبقة العليا	١٦٠,٠٠٠	١٥٠ لتر	٢٤,٠٠٠ متر مكعب
الجوامع	٢١٥,٠٠٠	٢٠ لتر	٤,٣٠٠ متر مكعب
الحمامات والميض	٥٦٥	١٥ لتر	٥٠٦٥٠ متر مكعب
٣٠٠ صهريج مياه على رأس كل ماسورة صرف		١٠٠ لتر	٣٠٠ متر مكعب
الخزانات الصماء والاخاديد			١٢٠,٠٠٠ متر مكعب

محافظ مجلس الوزراء. المحفظة السابقة نفس الملف وثيقة بتاريخ ٢٢ أكتوبر ١٩٠٧.

٤١- الفقرة ٣٢ من التقرير التمهيدى ورد بها الآتى

" فى الواقع أن الوقت مبكرا للخوض فى مسألة بالوعات المنازل بالإضافة إلى الاقتراح المذكور بشأن طبقات المنازل فإنه من الأفضل الإشارة بأنه فى الشرق الأقصى قد طبقت قاعدة هى أن وصلات المنازل البعيدة عن الطريق العمومى قد انجزت على نفقة صاحب العقار سواء تم ذلك فى الحال أو بعد فترة ، وعلى هذا الأساس ستكون وصلات المنازل الموجودة على الطريق العمومى على نفقة صاحب العقار"

محافظ مجلس الوزراء. المحفظة السابقة نفس الملف نفس الوثيقة.

٤٢- المواد ٢ ، ٥ من التقرير الابتدائى ورد بهما الآتى :

"مادة ٢ أن وضع الصرف الصحى فى الوقت الراهن سئ جدا حتى بالنسبة لتلك المنازل المزودة بدورات مياه حديثة لأنها تقوم بعملية الصرف فى الخزانات الصماء لذلك فهى تعانى من المشكلات المترتبة على استخدام هذا الأسلوب، بالإضافة إلى ذلك فإن جزء صغير جدا بالمدينة مزود بمصارف لتصريف المياه السطحية، لهذا فعلى الرغم من أن هطول المطر فى القاهرة قليل إلا أنه بسبب طبيعة التربة والسطح غير الممهد فى هذه المدينة يتكون بعد نزول المطر بدلا من الطمى وتصبح الطرق قذرة وتنظيفها مرهق ومكلف.

مادة ٥ بسبب طبيعة سطح الأرض بالقاهرة فإن المصرف يجب أن يقام على مسافة مناسبة لأعمال الصرف السطحى لأنه لسوء الحظ استحالة صرف أى جزء فى المدين بطريقة الجاذبية فقط، لهذا فإن جزء سوف يصرف بالجاذبية ليصل إلى محطة الضخ الرئيسية فى حين أن بقية المدينة يستخدم فيها التصريف بنظام القطاعات باستخدام الطلمبات والذى يعنى تقسيم المدينةإلى قطاعات صغيرة كل واحد منها سيزود بنظام آلى مناسب لتشغيل الطلمبات وذلك لرفع مياه الصرف السطحى إلى داخل المصارف الموجودة على مستوى مرتفع لتصب فى النهاية بالمصرف الرئيسى"

محافظ مجلس الوزراء المحفظة السابقة نفس الملف نفس الوثيقةز

٤٣- **سراى عباس :** شيد عباس الأول اربع سرايات بدأها فى عام ١٨٤٩ "بسراى الالهامية" نسبة إلى والده الأمير ابراهيم الهامى وكانت تقع بالأزبكية ، ثم شيد لوالدته خشيار هانم" سراى الحصوة" بالعباسية، ثم شيد "سراى الحلمية" ، ثم سراى العتبة الخضراء.

- عرفة عبده على. المصدر السابق.- ص ١٦٩.

ملحوظة لم تستطع الباحثة تحديد السراى المقصودة حيث لم تذكر الوثيقة اسم السراى بالإضافة إلى أن خريطة المشروع رقم ٦٩ التى بها كافة المواقع والأسماء يصعب الإطلاع عليها ، راجع الحاشية رقم ٣٧ وإن كانت الباحثة ترجح أنها سراى الحصوة بالعباسية نظرا لموقعها فى محيط المشروع.

٤٤- **الاستشارى.** المقصود به السيد وليم جارتس مستشار نظارة الأشغال

- **محافظ مجلس الوزراء.** المحفظة السابقة. نفس الملف. وثيقة بتاريخ ٢٥ يونيه ١٩٠٨.

٤٥- **برادفورد.** مدينة بإنجلترا.

Atlas of the world.- United Kingdom : Oxford U. Press.

٤٦- **كراتشى** مدن بباكستان

٤٧- **جوسبورت** " "

Atlas of the wolrd. Ibid.

٤٨- **هكتار** : يساوى عشرة الآلف متر مربع

- يوسف التونى. معجم المصطلحات الجغرافية.- القاهرة : دار الفكر العربى، ١٩٧٧.- ص ٢٨٠.

٤٩- **هليوبوليس (مصر الجديدة).** ناحية مالية ذات زمام خاص صدر قرار سنة ١٩٣٦ بفضلها بزمام خاص من أراضى ناحيتى كفر الشرفا وكفر فاروق (كفر الجاموس). ويرجع تاريخها إلى سنة ١٩٠٥م عندما فكر المالى البلجيكى البارون امبان فى إنشاء مدينة جديدة شمال القاهرة ، وهى تقع على ربوة ترتفع من مستوى النيل قريبة من اطلال عين شمس القديمة. وقد سميت باسمها اليونانى القديم هليوبوليس (أى عين شمس) وقد بدأ العمل فى إنشائها عام ١٩٠٦.

- محمد رمزى. المصدر السابق. رقم ٢ ج١ ص ١٧.

٥٠- **العباسية** : اسمها القديم الريدانية سميت بالعباسية نسبة إلى عباس باشا الذى يسكنها مدة ولايته مصر وبنى فيها سراى العباسية.

على مبارك. المصدر السابق. ج٢ ص ٦٤.

٥١- المطرية : من القرى القديمة تقع جنوب مدينة عين شمس الفرعونية القديمة التى اندثرت والمطرية الآن ضاحية من ضواحى القاهرة وهى وحدة إدارية ذات زمام زراعى يبلغ ١٨٥٠ فدان وتدل مساحتها على أنها كانت من القرى الكبيرة فى شمال شرق القاهرة ويقال أنها عند الموضع الذى كان به شجر البلسان الذى يستخرج منه نوع من الدهان وفيها البئر الذى يسقى هذه الأشجار ويقال أن السيد المسيح عليه السلام اغتسل منه وكانت تسمى مينه مصر، ثم حرف الاسم إلى المطرية.

- عبد العال الشامى. المصدر السابق. ص ١٩٠-١٩١.

٥٢- الزيتون. من قرى القاهرة القديمة ذكرها اميلينو فى جغرافية فقال "اسمها القبطى planza" وترجمته زيتون وحرف الألف هو أداة التعريف فيكون اسمها الزيتون.

- محمد رمزى . المصدر السابق قسم ٢٠ ج٣ ص ١٥٢.

٥٣- قناة جبل. كان يخرج من الخليج المصرى قديما عدة ترع ثانوية او قنوات صغيرة وهى قناة جبل – قناة يانكب قناة الكسندر – قناة توفيق وقد ردمت جميعها حيث كانت تجف معظم السنة وتقع قناة جبل شمال منطقة الخانكة الواقعة شمالى كفر الجاموس.

- محمد كمال السيد محمد. اسماء ومسميات مدن مصر والقاهرة.- القاهرة : الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٩ ص ٥٤-٥٥.

- عبد العال الشامى. المصدر السابق، شكل رقم (٩) ص ١٦٨.

٥٤- الساحل. من أقسام القاهرة ويطلق عليه ساحل روض الفرج وقد صاحب مشروع إعادة حفر وصيانة ترعة الاسماعيلية بالقاهرة عدة مشروعات هندسية لتدعيم الجسور المقامة عليه وكذلك تدعيم شاطئها شمال بولاق، وكان نتيجته اقامة هذا الساحل.

محمد رمزى المصدر السابق. قسم ١ ص٤

٥٥- - عرفه عبده على المصدر السابق ص ٤٢.

٥٦- كفر الباشا . قرية مندثرة كانت تتبع ناحية قديمة اندثرت تسمى كوه، وقد فصلت كفر الباشا عنها فى ١٢٢٨هـ

- محمد رمزى. المصدر السابق قسم ٢ ج٣ ص ٢٦٠.

٥٧- قناة الكسندر. راجع الحاشية رقم ٥٣.

٥٨- المشروع رقم ١ "طره" تحدد فى هذا المشروع نزح مساحة ٨٤٩ هكتار بنظام الجاذبية و١٦٣٤ هكتار بنظام القطاعات، موضع محطة الضخ فى غمرة ومحطة الطاقة فى الساحل، ماسورة الصرف الرئيسى ستكون بطول ١٠ كم، أعمال التنية وفروعه المجارى عند طره وتبلغ تكلفة المشروع ١,١٨١,٩٢٠ جنيه وقد ذكر المهندس كاركيت جميس مهندس المشروع أن هذا المشروع سبق رفضه بسبب قرب مزرعة الصرف لما تعتبر مستقبلا ارض بناء وايضا لوجود محطة الضخ قرب المساكن وستكون المحطة مصدر للازعاج.

- محافظ مجلس الوزراء. محافظ الأشغال محفظة رقم ١/٤ بعنوان متفرقات. ملف ٤٨ وثيقة بتاريخ ٢٢ اكتوبر ١٩٠٧.

59- William Goodman. Principles and Practice of urbain planning.- Washington : E.G. Press, 1968.- p.234.

60- Fredrich Cilberd. Town design .- London : Oxford Press, 1967.- p.157.

- American public health committee on the hygene of housing.- Chicago : N.P., 1960.- p.34

61- William Goodman. Ibid.- p.232.

62- William Godman, ibic.- p.233.

٦٣- فتحى محمد مصيلحى. تطور العاصمة المصرية والقاهرة الكبرى.- القاهرة، د.ن، ١٩٩٩.- ص ٣٣٧.

أحمد خالد علام. المصدر السابق.- ص ١٥٨.

64- Fredrich Cilberd.Ibid.- p.155.

65- American Public Health. Ibid.- p. 64-67.

٦٦- أحمد خالد علام. المصدر السابق، ص ١٦٠

American Public Health , Ibid.- p.59

٦٧- احمد خالد علام. المصدر السابق ص ١٦٠.

Fredrich Cliberd . Ibid, p.162.

٦٨- محمد رمزى . المصدر السابق قسم ٢ ج١ ص ٤١.

٦٩- أحمد خالد علام. المصدر السابق ص ١٥٨

70- Fredich Cliberd. Ibid.- p.140.

71- William Smith and John Lookwood. Latin- English Dictionary.- England Suniver Sity Press Cambridge, 1995.- p.392.
72- William Smith.. Ibid.- p. 643.
73- William Smith.. Ibid.- p.639.

٧٤- مجمع اللغة العربية. معجم الوسيط.- القاهرة : مجمع اللغة العربيـــة، ١٩٦٠.- ح١ ص ٢٠٢.

75- William Smith… Ibid, p.279, 230, 492, 429.
76- William Smith…. Ibid, p.278.
77- William Smith… Ibid, p.520, 199
78- Gustave Rudler. French-English Dic.- London : University of Oxford, 1973.- p.12 4-136

صورة الوثيقة الأولى

Public Works Ministry.

CAIRO MAIN DRAINAGE.

Note on the proposals in Mr. Carkeet James' Report of 22nd October 1907 (Nº 1063 e).

The main features of the scheme outlined in these proposals are :-

a.- The division of the drainage surface into "gravitation" and "sectional" areas.

b.- The carrying of the sewage in the direction of the natural slope of the country.

c.- The choice of site of the pumping station, near Kafr-el-Gamus.

d.- The choice of site for the sewage farm at Khanka.

On these features, the Public Health Department is in substantial agreement with Mr. James, and is prepared to accept in principle a scheme based on these lines.

At the same time, it is to be noted that there are certain references in Mr. James' report on which it might be desirable that a clear statement of opinion should be made by this Department, lest it might be thought that in accepting the main lines of the scheme, as outlined in the report under consideration, the Department also accepted unreservedly all matter occurring in the body of the report.

The points to which it is desired to particularly call attention may be classed under three headings.

i.- The destiny of existing fosses and conveniences in private houses.

ii.- The proposals for the adoption of the separate system in certain parts of the City, and the use of the existing surface drainage.

iii.- The proposal to utilise compressed air as a motive force.

(i) The question of dealing with all existing fosses, as well as with the conveniences in the lower class of houses - "houses which neither have nor can ever have water connection" (art.18 of Mr. James' report), is one of the very greatest

[illegible]

importance, but not only does no item for this purpose [illegible] in Mr. James' estimate, but references in the text of [illegible] note lead to the conclusion that there is no special [illegible] sal in regard to dealing with this matter [illegible]

It must be remembered that in the class of houses above referred to, there are practically always private conveniences with fosses of a rudimentary type. The question of draining these conveniences, together with the concomitant abolition of the fosses, is one that has to be faced.

Similarly, "all the fosses which may exist in well built houses", and which form one of the five sources from which Mr. James expects to drive sewage, must be regarded as other items for absolute suppression.

To leave these fosses untouched, while attaching the drain[illegible] system thereto, as a mere 'trop-plein' relief, would [illegible] an entirely, though costly, proceeding. The entire [illegible] would merely mean the transfer[illegible] of the business of the Sewage Transport Company [illegible] carried out at the expense of the private occupier, to the Government, and thus [illegible] fected at vastly increased cost to the public; the sani[illegible] condition of Cairo would remain in statu quo, and the [illegible] ting accumulation of sewage, the fons et origo mali [illegible] uld continue to exist as if no effort to secure [illegible] sanitation had ever [illegible]

On this point there can be no uncertain opinion, and if the statements in Mr. James' report were not so explicit there [illegible] never have been the least conception that anyth[illegible] short of total abolition of all fosses was conte[illegible]ed.

(iii) [illegible] partial adoption of the separate system.-

[illegible] James suggests the desirability of adopting the "sep[illegible] system" wherever there may be convenient discharge into [illegible] Nile, or any other outfall, (such as the Ismailia Canal) [illegible] the disposal of the "surface drainage". Into one [illegible] it is proposed to turn the domestic sewage

and into the other the surface drainage and storm water,— that is the line is drawn between domestic sewage on one hand, and surface drainage on the other,— and it is proposed to dispose of the latter into the Nile or Ismailia Canal, at convenience, on the score of economy.

It will scarcely be necessary to direct attention to the fact that all the drained area must be paved either by asphalt or macadam, (for which however no item appears in the estimate); the surface drainage therefore will consist of all foul water thrown into the streets in the native quarters, and washings of the asphalted streets, markets etc. such as is now seen to be discharged at the pumping station on the Ismailia Canal. Such surface drainage is of a very foul nature, and is as concentrated sewage as the domestic variety; it would therefore be highly desirable that it should be discharged direct into the Nile or Ismailia Canal.

There would also appear to be some doubt as to whether any economy would in practice be realized by this procedure, for much drainage under conditions shewn in Plan N° 69 would certainly require pumping on arrival at the outfall.

As regards storm water, the off flow arising under such circumstances is of a different nature and far more dilute. If, for purposes of economy it is desired to discharge this into the Nile, there would probably be little practical objection, though in the case of the Ismailia Canal the outfall should not be on the Cairo side of Ghamra, up to which point at least it should be conducted in a sewer.

On the whole, if any proposal for separation is to be taken into consideration, the line should be drawn between storm water on one side and sewage, whether domestic or surface, on the other. The method by which the

-4-

separation should be effected in an engineering [illegible] into which it is not necessary here to enter.

In this connection it is to be noted that [illegible] supposed by Mr. James, that the enormous number [illegible] than a half million people will use the public [illegible] daily, for which purpose an allowance of 10 [illegible] head is calculated; but nothing is said as to the amount of water used by these people for other domestic purposes, which must be disposed of in some way, and would [illegible] find its way into the sewers: this amount [illegible] derable, and would appreciably augment [illegible] low estimate of sewage to be dealt with.

Further, it should be stated that the [illegible] of the existing surface drainage is a question demanding very careful study with a view to adaptation and [illegible]. Such a proposal as is outlined in Mr. James' [illegible] not under present conditions receive the unqualified [illegible] of this Department, which would view with very grave [illegible] any scheme which did not specifically confine the existing system of surface drainage to the disposal of storm water only.

(iii) It is with some reluctance that I venture [illegible] that a comparative analysis of the eff[illegible] of the various kinds of motive power adapted [illegible] system should be furnished. Mr. James mentions [illegible] power, electricity, compressed air, vacuum, [illegible] hydraulic power, but no comparison of their respective advantages, disadvantages, cost or economy, is given.

Electricity is [illegible] in many ways, but [illegible] possible that the [illegible] in this country [illegible] be [illegible] [illegible] in the [illegible] it might be that hydraulic power could be [illegible] in its origin, [illegible] as the [illegible] having fulfilled its [illegible] mission, might be [illegible] for flushing purposes.

-5-

Again, it would appear that compressed air is exceedingly wasteful, for it is stated that the percentage of energy available at the pump rarely exceeds 17 to 20% of the total power generated at the engine house. Whether it be so or not, the matter has no doubt occupied the mind of Mr. James, and in view of the extreme importance of the project and of the value to be attached to the preliminary report thereon, it would be interesting to have on record some comparative study of the possible alternatives in motive power.

Other matters of varying importance will come up for discussion in the natural course of study, but on these three points it has been thought desirable to express a very clear opinion, for they are points of cardinal importance, upon which the efficiency of the scheme must largely rest in the future.

Signed: W.P.G.Graham

18th November 1907.

صورة الوثيقة الثانية

Notes on Mr. [illegible] remarks of 10/12/1907

for the [illegible]

The [illegible] of existing [illegible] and [illegible] in private [illegible]

Mr. Graham [illegible] under a misconception, due to the [illegible] of [illegible] in para. [illegible] of my pre[illegible]

[illegible] refer to "fosses étanches" [illegible]

[illegible] the existing arrangements [illegible]

I propose [illegible] by a gully, [illegible] of [illegible]

[illegible] divided [illegible] is not [illegible]

[illegible] into [illegible]

[illegible] from [illegible] store-based, [illegible]

[illegible] I take into [illegible]

[illegible] I am [illegible] agreement with [illegible] as to the necessity of abolishing all "fosses étanches", as soon as the progress of the work permits. It is clear that Mr. Graham is under the impression that it is proposed to merely provide the existing "fosses étanches" with overflows to the future sewers, but my proposals are as follows:-

First Class Houses. - Those connected with the water mains to be connected with the sewers direct.

Second Class Houses. - Good houses but not connected with the water mains [illegible] be provided with a form of gully connected with the sewers.

Third Class Houses. - Those inhabited by the poorest classes, to be also provided with a form of gully connected with the sewers [illegible]

In the table [illegible] it will be seen that the [illegible] from the [illegible] has been [illegible] for over and above the discharge from the "fosses étanches" which, in 1930, is estimated to amount to 12,000 cubic metres per diem, and [illegible] cubic metres [illegible]

Since the proposed gullies [illegible]

[illegible]

All work done inside [illegible] to be done either at once or eventually at the expense of the owner of the property.

The Decree approved by the General Assembly [illegible] of Appeal, dated the [illegible] of January 19[illegible] [illegible] and is provided for [illegible]

[illegible] System in certain parts of the City and the use of the existing surface drainage

Mr. [illegible] the surface [illegible] drainage and storm water, of which the first [illegible] of street and market washings etc. and the [illegible] due to rainfall. Here again, owing doubtless to the fact that I have not gone into full details in my preliminary report, Mr. Graham is under a misapprehension for I propose to take the street washings from the present outfall at the Ismailia Canal into the sealed sewage main to be laid along the Sharia Abbas to the Main Collector, while in times of heavy rainfall, the storm water [illegible]

-3-

discharged [illegible] the Ismailia Canal as at present. The r[illegible] for this proposal is not merely to effect economy but principally because it is the most practicable way [illegible] separating the street washings from the storm water. I [illegible] not in accordance with Mr [illegible]'s proposals to constr[illegible] a sewer from the present Pumping Station to a point Nor[illegible] of Ghamra in order to discharge the storm water into th[illegible] Northern arm of the Ismailia Canal. My objection to thi[illegible] proposal is [illegible] it would not be justifiable to incur [illegible] expenditure of about L.E. 30,000 to provide a sewer suf[illegible] [illegible] the overflow from a heavy raind[illegible] [illegible] rarely. My proposal is to pump from th[illegible] existing drains to the sealed sewage main in the Abbas[illegible] [illegible] as long as pumping is necessary. When, however, the [illegible] sufficiently full to discharge by gravi[illegible] [illegible] I consider that the o[illegible] flow will be sufficiently [illegible] for this purpose.

[illegible] The [illegible] [illegible] of the Sewage. I give [illegible] [illegible] data regarding the efficiency and [illegible] [illegible] different sectional systems mentioned [illegible] [illegible] Report. I would also state, in the case [illegible] and Hydraulic [illegible] the [illegible] for pumping and [illegible] therefore, inevitable.

Steam Pumping.- The question of having a number [illegible] Pumping Stations worked by Steam Power all over the C[illegible] is altogether out of the question, for a great number [illegible] is necessary with any Sectional system owing to our [illegible] sewers and an enormous nuisance would undoubtedly resu[illegible] from the screenings etc. while the cost of erection an[illegible] maintenance would be prohibitive. The efficiency of su[illegible] installations would probably average only 40%.

-4-

[illegible] - [illegible] of pumping had my [illegible] 1906, [illegible] needed [illegible] number of [illegible] and [illegible] for instance at Sud-[illegible].

[illegible] of Electrical Pumping is better than [illegible] only [illegible]. In Cairo, where the cost of a unit of electricity would probably be [illegible] of using it for lifting sewage would be prohibitive.

[illegible] Pumping .- This system of pumping [illegible] has never found much favour among Sanitary Engineers [illegible] adopted by Mr. Baldwin Latham and has been installed in several places. I should not be in favour [illegible] is almost always a nuisance [illegible] installations which are necessarily [illegible] Cairo will never [illegible] prohibit [illegible] The efficiency [illegible] Pumping averages about 40%.

[illegible] System.- I have never been [illegible] the efficiency of the [illegible] often tried, but it must vary [illegible] length of the sewage main.

[illegible] eleven towns where this system has been installed [illegible] anything like the length of the vacuum [illegible] would be required in Cairo. Again, as before stated [illegible] the Adviser in a confidential note, I could not

-5-

[illegible] system with our present incomplete knowledge of it for a large City like Cairo except as a "dernier ressort". It is not automatic and the cost of maintenance is considerable.

Compressed Air:- As regards the efficiency of the Compressed Air System, Mr. Graham gives it as 17 to 20%. I have never known any installation with so low an efficiency. In Bombay, it was considerably more, in Karachi it was 31% and the latest published results in the Minutes of the Proceedings of the Institution of Civil Engineers gives the efficiency at Gosport as 32% all over the system. There is nothing, therefore, to be said against the efficiency when we consider the other advantages which the system provides. The cost and maintenance are both lower than any other system I know of.

[illegible] James

26th November 1907.

صورة الوثيقة الثالثة

-6-

Scheme No. 11 ([illegible]).

[illegible] Gravitation area in this Scheme is 251 [illegible] the [illegible] Area 2531 hectares within the City proper, but [illegible] and an area of 450 hectares in the suburbs between Abbassia and Matarieh come immediately into the Gravitation Area under this Scheme at a comparatively small [illegible] larger area, as these suburbs extend, can be drained by Gravitation.

[illegible] feature of this Scheme is that it is proposed [illegible] water from [illegible] portion of the City [illegible] drains which were [illegible] the Pumping Station on the Ismailia Canal. Further [illegible] will be drained of surface water [illegible] Nile by Gravitation, while the Zeitoun suburbs will discharge [illegible] surface water in the Canal [illegible] and the remaining parts of the City [illegible] above included, will discharge their surface water into the sewers.

Under these proposals, we get 1721 hectares, including [illegible], drained on the Separate, and 1231 hectares on the Combined System.

The Main Pumping Station is at a point close to the Gebel Canal and to the south of it, and about a kilometre to the East of the Village of Kafr-el-G[illegible]oun.

The site for the Power Station will be, as in several previous schemes, at Bont Sahel.

From the Pumping Station at the Gebel Canal, the Rising Main, which is 8-1/2 kilometres long, will continue along the South bank of this Canal, passing Kafr [illegible] -Pasha and then following the Alexander Canal to the point where it makes a right angled bend to the North West. From this point, it goes across the desert to the site of the Sewage Farm at [illegible].

-7-

The estimated cost of this scheme is L.E. 1,251.735, while the annual cost is L.E. 21,916, or L.E. 3.664 less than that of Scheme N° 1.

The advantage of this Scheme is that only one form of Sectional System is necessary, and that the amount of wate to be purchased from the Cairo Water Company is kept down to a minimum, while not impairing the efficiency of the Scheme.

I consider this Scheme is particularly suited to the local conditions of Cairo and the best, besides being, with the exception of N° 1, the cheapest Scheme that I have submitted for your consideration.

صورة الوثيقة الرابعة

ANNUAL WORKING EXPENSES OF THE PROPOSED SEWERAGE SCHEME.

MAINTENANCE : Power & Pumping Station:			Total.
Staff.			
1 Chief Engineer (European)		at £E.600.-	£E.600.-
1 2nd " "		at £E.360.-	£E.360.-
Working Staff for Pumping Station.			
2 Working Engineers	(European)	at £E.240.-	£E.480.-
4 Drivers	(Natives)	at £E. 72.-	£E.288.-
2 Oilers	"	at £E. 24.-	£E. 48.-
4 Stokers	"	at £E. 60.-	£E.240.-
2 Coalmen	"	at £E. 24.-	£E. 48.-
1 Storekeeper	"	at £E. 84.-	£E. 84.-
Working Staff for Power Station.			
2 Working Engineers	(European)	at £E.240.-	£E.480.-
4 Drivers	(Natives)	at £E. 72.-	£E.288.-
3 Fitters	"	at £E. 72.-	£E.216.-
2 Oilers	"	at £E. 24.-	£E. 48.-
3 Stokers	"	at £E. 60.-	£E.180.-
2 Coalmen	"	at £E. 24.-	£E. 48.-
1 Storekeeper	"	at £E. 60.-	£E. 60.-
Coal, Oil, Waste etc.			
Coal 7210 tons @ £E.2.- per ton			£E.14.420.-
Oil (lubricating) 3605 galls. @ £E.0.216 per gall.			780.-
Waste, packing, etc.			500.-
Outdoor Staff.			
Engineering and Maintenance.			
1 Engineer at £E.800.-			£E.800.-
1 Asst. Engineer		at £E.400.-	£E.400.-
1 Draughtsman		at £E.180.-	£E.180.-
2 Draughtsmen		at £E.144.-	£E.288.-
1 Head Clerk		at £E.240.-	£E.240.-
3 Clerks		at £E.120.-	£E.360.-
1 Foreman		at £E.240.-	£E.240.-
10 Men		at £E. 24.-	£E.240.-

	Work.	Amount	Tot..
1	a.) Preparation of Farm	£E.1.000.-	
	b.) Quarters	10.000.-	
	c.) Staff	3.000.-	
	d.) Light Railway	3.000.-	
	e.) Main Carriers	14.000.-	
	f.) Subsidiary carriers	9.000.-	40.000.-
2	Purification Works, Tanks etc.		74.000.-
3	Rising Main (0.94 metres steel locking bar joint) 9.400 metres @ £E.4.200 per metre.		39.480.-
4	Pumping Station.		
	a.) Engine House	8.505.-	
	b.) Engines, Boilers etc.	95.400.-	
	c.) Quarters	10.500.-	114.405.-
5	Main Collector.		
	13.200 metres outfall sewer (1.50) @ £E.13.400 per metre		176.880.-
6	Reticulation		
	218.800 metres @ £E.1.100 per metre		240.680.-
7	Compressed Air System.		
	Ejector Stations	164.871.-	
	Sealed Sewage Main +	60.804.-	
	Air Main	44.959.-	
	Power Station	56.566.-	327.200.-
8	Drainage of Zeitoun		50.820.-
9	Surface Water Drainage		25.000.-
			£E.1.088.465.-
	Add 15% for Supervision and Contingencies		163.270.-
			£E.1.251.735.-

ما التاريـــخ الآن ؟

" عرض ونقد "

شـــيماء فرغلي

باحثة بقسم التاريخ جامعة القاهرة

صدر حديثًا عن المشروع القومي للترجمة كتاب " مـــا التـــاريخ الآن ؟ " ، تحرير : ديفيد كانادين David Cannadine ، ترجمة وتقديم : قاسم عبده قاسم ، ٢٠٠٦م ، في ٢٦٩صفحة .

يضم هذا الكتاب عدة أوراق بحثية كانت في الأصل محاضرات قـــدمت فـــي ندوة عقدت بمعهد البحوث التاريخية بلندن يومي ١٤ و١٥ نوفمبر ســـنة ٢٠٠١ ، وصدر الكتاب في العام التالي عن مؤسسة مـــاكميلان Macmillan [١]، احتفـــالاً بمرور أربعين سنة على النشر الأصلي لكتاب إ.هـــ. كار E. H. Carr [٢] ما هـــو التاريخ ؟[٣] What is history? حيث طرح كار تساؤلاته في محاولة تعريـــف ماهية التاريخ .

حاول المساهمون في هذا الكتاب الإجابة عن بعض جوانب السؤال من خلال تخصصاتهم وذلك عن طريق طرح أسئلتهم المرتبطة بـــ " التخصصات الفرعيـــة داخل التاريخ" فقد كانت هناك أسئلة عن ماهية التاريخ السياسي ، والاجتمـــاعي ، والفكري ، والديني ، والإمبراطوري ، وتاريخ النوع [٤]. ونتناول فيما يأتي عرض بعض ما تضمنه هذا الكتاب المهم من أفكار .

التاريخ الاجتماعي الآن :

الفرع الأول من فروع الدراسات التاريخية الذي يعرض له الكتاب هو التاريخ الاجتماعي ، وقام بكتابته بول كارتلدج Paul Cartledge أستاذ التـــاريخ القـــديم

بجامعة كامبريدج . وهو يرفض مقولة تريفيليان Trevelyan الشهيرة التي تؤكد أن التاريخ الاجتماعي هو التاريخ مع تنحية الأمور السياسية جانبًا ، واصفًا هذا الرأي بالعبثية ، ورافضًا أيضًا الدعاوى القائلة بأن التاريخ الاجتماعي هو النوع الرئيس من التاريخ .

ويعرض الكاتب اتجاهات النظر إلى التاريخ الاجتماعي ذاكرًا أن بعض المؤرخين يرونه متمثلاً في التغيرات والاستمراريات في تجربة الناس العاديين ، وأن بعضهم الآخر يؤكد على أن التاريخ الاجتماعي ليس فرعًا من فروع التاريخ بل طريقة لعمل نوع ما من التاريخ ، بالرغم من أن هذا التوجه يحتاج إلى بناء نظري واضح ومتماسك وهو الأمر الذي لم يتحقق . وأن من المؤرخين – ويصفهم الكاتب بالضعاف – يرون أنه يجب أن تكون هناك تواريخ لمجموعات اجتماعية أو تواريخ مصغرة من نوع أو آخر من الظواهر الاجتماعية على اختلاف أنواعها .

كما أن هناك اتجاه يرى أن تكون الدراسة لتاريخ المجتمع وليس للتاريخ الاجتماعي لأن الأخير يدل على ظواهر اجتماعية منفردة أو منفصلة ، أما تاريخ المجتمع فيعنى دراسة تاريخ مجتمعات كاملة بوصفها كمًا كليًا مندمجًا .

ويتفق كارتلدج مع القول بأننا لا زلنا بحاجة إلى التاريخ الاجتماعي باعتباره نوعًا من التاريخ أو نوعًا فرعيًا من التاريخ ؛ مؤكدًا على أنه يجب على المؤرخ الاجتماعي أن يهتم على وجه الدقة بالسببية والدوافع وراء الحوادث ، وأن يفكر في ضوء الألفية أو على الأقل في ضوء القرون وليس في ضوء العقود أو حتى عشرات السنين ، أي ضرورة توفر المدى الطويل في دراسات التاريخ الاجتماعي .

التاريخ السياسي الآن :

أما التاريخ السياسي فكان موضوع الفصل التالي والذي كتبته سوزان بدرسن Susan Pedersen أستاذة التاريخ الحديث بجامعة هارفارد . وترى الكاتبة أنـه بالرغم من أن التاريخ السياسي – كما يرى البعض – قد شهد تقلصًا كبيرًا خـلال العقود الماضية في مقابل التاريخ الاجتماعي إلا أنه ظـل باقيًـا ، وقـد تناولـه المؤرخون البريطانيون أكثر من غيرهم إذا ما تمت مقارنتهم بالمؤرخين الفرنسيين المهتمين بدراسة السكان والحياة الريفية ، والمؤرخين الألمان الذين برعـوا فـي دراسة التاريخ القانوني والكنسي .

وهذا الاهتمام البريطاني بالتاريخ السياسي – خاصة تاريخ الزعامات السياسية والشئون السياسية الحزبية والحكومة – مرجعه إلـى أن المـؤرخين البريطـانيين افترضوا أنه يجب على المرء ألا يفهم فقط القواعد المنطوقة واللامنطوقـة للعبـة السياسية وقدرة لاعبيها وشخصياتهم بل عليه أن يستمد فهمه وأن يختبره من خلال البحث الوثائقي الدؤوب مستفيدًا كذلك من حالة الهياج النظري الذي ثار حديثًا داخل مهنة التاريخ .

وتلاحظ الكاتبة أن المؤرخين السياسيين الجدد في بريطانيا اهتمـوا بدراسـة طبيعة النظام السياسي بصفته معبرًا عن علاقة القوى ، ودراسة الثقافة والأفكـار السياسية ، وإن كان هذا مما اهتم بدراسته قدامى المؤرخين أيضًا إلا أن المؤرخين الجدد تحرروا من الافتراضات السابقة عن الطرق التي تكمن بها المصالح المادية بالضرورة وراء الانتماء السياسي .

واعتمد المؤرخون الجدد – كما تذكر الكاتبـة – علـى المنعطـف اللغـوي والدراسة الدقيقة للخطاب السياسي والثقافة السياسية وذلك بهـدف فهـم الأفكـار السياسية للفاعلين التاريخيين .

والاهتمام الشديد بلغة الشئون السياسية على المستويين النخبوى والشعبي يؤدى من خلال التأويلات والتفسيرات والتناول الوصفى الكثيف إلى محاولة استرداد المعتقدات السياسية والتصرفات التي أتاها الفاعلون التاريخيون كما كانوا هم أنفسهم يفهمونها .

وشهدت أوساط التاريخ السياسي اهتمامًا بالتقاليد الثقافية والمفاهيم المتوارثة التي تبنى الممارسات والمعتقدات ، وهى التي يمكن فهمها وشرحها بطريقة أفضل من افتراض كونها تعكس حسابات آلية أو بقراءتها خارج سياق العلاقات الاجتماعية .

وتشير الكاتبة إلى أن هذا لا يؤدى إلى فهم طبيعة بناء الدولة ومؤسساتها ومدى قدرتها إلا بشكل ضئيل ؛ لأن هذه الأمور يمكن دراستها على أفضل وجه بالتجريد والتزامن والمقارنة وليس من خلال الوصف الكثيف وحده . وذلك لأن الأسئلة المرتبطة بالمعنى أقل أهمية – وفقًا لرؤيتها – فالمهم ليس كيف كانت هذه النظم مفهومة من قبل الخاضعين ولكن الأهم هو كيف صمدت هذه النظم في مواجهة الدول الأخرى في الساحات التنافسية والحرجة مثل الإنتاج وإعادته والحرب ، فدراسة الدولة يجب أن تكون دائمًا في سياق عالمي .

وعن طريق مناقشة ثلاث نماذج من التاريخ السياسي المرتبطة بالفساد السياسي ، ودولة الرفاهية ، وسياسات الاستهلاك زمن الحرب وما بعده يتبين للكاتبة وجود شبكة من العلاقات الاقتصادية والسياسية العالمية ، وهو الأمر الذي يدعم فكرة المنهج المقارن ، والذي ترى الكاتبة أنه ليس ضعيفًا فقط بل إن مصادر إحيائه تبدو ضعيفة بشكل يدعو للقلق .

وفى النهاية ترى بدرسن أننا نحتاج الآن إلى نوع من التاريخ السياسي الخاص بالعلاقة بين الثقافات السياسية الوطنية وعلاقات القوة العالمية .

ويُلاحظ أن كاتبة هذا الفصل اقتصرت في تطبيقاتها على التـاريخ الـسياسي البريطاني وحده وهو قصور واضح خاصة مع دعوتها إلى منهج مقارن عالمي .

التاريخ الديني الآن :

وينتقل الكتاب بعد ذلك إلى الحديث عن التاريخ الديني الآن ، وكتبـت هـذا الفصل أولوين هوفتون Olween Hufton الأستاذة بجامعة أوكسفورد . وهى تبدأ حديثها بملاحظة أن الكتابة في التاريخ الديني اقتصرت في الماضي علـى رجـال الدين أنفسهم أي أنه كان تاريخًا من الداخل لا يمكن وصـفه بالدقـة والحياديـة . وبعدها بدأ الوعي يتشكل وتم البدء في دراسة التاريخ الديني من خارجه ؛ وذلـك بتأثير أفكار الثورتين الفرنسية والروسية .

وتذكر الباحثة أن دراسة التاريخ الديني من الخارج عكست انتصارًا للدولة على المؤسسة الدينية في منافستهما على تحقيق ارتباط الناس بهما ، وهو التنافس الـذي رأى الناس مفعولاً بهم أكثر من كونهم فاعلين . وهذه الدراسة مـن الخـارج أدت بدورها إلى تحول كتابة التاريخ الديني بعيدًا عن موضوعات المؤسـسة ورجالهـا والرهبنة والديرية والتعقيدات اللاهوتية ، وأصبح الـدين فـي ثمانينيـات القـرن العشرين يفسر على أنه جزء جوهري من الثقافة كما أنه من نتاج الثقافـة ، وهـو الأمر الذي يُفهم منه أن الإنسان مصنوع وليس مولود والمعتقد يمثل أحد مراكـز عملية الصنع .

ونتيجة لهذا تحول الاهتمام من دراسة التراتيبية الكنسية وتـاريخ المؤسـسة واللاهوت إلى دراسة جمهور المؤمنين أنفسهم وما يحملونه من ديانة شعبية . هذه الديانة الشعبية التي يستمد تاريخها من دراسة رحلات الحج والاحتفـالات الدينيـة والمواكب ونقوش مذابح الكنائس ، ونصوص تقدمة النذور ... الخ .

واقترح البعض دراسة التاريخ الديني عن طريق منهج يقــوم علـــى التـــاريخ المتسلسل الذي يتيح بناء خرائط توضح على سبيل المثال ظاهرة التسرب الديني في أوقات بعينها اعتمادًا – كميًا – على سجلات الزيارات في الأبرشيات ومقارنتهـــا بالأخرى في الأسقفيات والبطريركيات ، وسجلات المنضمين إلى سلك القساوسة ، وسجلات المعمدين والمتزوجين والمواظبين على الاعتراف والمشاركين في العشاء الرباني والحضور الأسبوعي وفى الأعياد ... وغيرها .

وبالرغم مما في هذه الطريقة من قصور إلا أنها أوضحت بعض النتائج المهمة حول جغرافية التسرب الديني مكانيًا وزمنيًا ، ومن ذلك أنها أوضحت أن العزوف عن الكنيسة وضح في المدن الكبرى عن المدن الصغرى ، وفى المدن الــصغرى قبل القرى ، وأن الرجال خرجوا عن سلطة الكنيسة قبل النساء ... الخ .

ومع زيادة الاهتمام بتاريخ الأسرة والتاريخ السكاني تبــين نجــاح حركـــات الإصلاح الديني منذ القرن السادس عشر في إدخال الزواج إلى الكنيسة والتحكم فيه ، وقد قاد تاريخ الأسرة حركة تخلت عن التحليل والتعليق على عملية تحكم كل من الدولة والكنيسة في البيت وفى المجتمع ، كما بعدت عن الاهتمـــام بالإحــصائيات وحدها ، وصارت مادة التأكيد النوعية والمعلومات المختارة التي تقدم العينات هي الأكثر شيوعًا من التجميع القاسي للأرقام .

وترى كاتبة هذا الفصل أن دراسات التاريخ الديني ارتبطت بتحديد الهويـــة ، الأمر الذي بات التوازن بين مفاهيم الاختلاف – في حال تجاور ديـــانتين – أمـــرًا أساسيًا لفهم المواجهات الثقافية للأوربيين عندما توسعوا في أسيا والأمريكتين .

وتتوقع الكاتبة أن المؤرخين سيواصلون بلا شك عملية تفكيك الحدود القديمة للبحث التاريخي بحيث يدخلون الدين باعتباره إحدى فئات التحليل .

التاريخ الثقافي الآن :

وفيما يخص التاريخ الثقافي ترصد مارى روبـين Miri Robin – أسـتاذة التاريخ الأوربي في جامعة لندن – أهمية المنعطف الثقافي وتأثيره على جميع أنماط التاريخ الآن ؟ وأنه صار هو الأبرز في أعمال المؤرخين مثلمـا كـان التـاريخ الاجتماعي محل الترحيب التام من المؤرخين السابقين . وهذا المنعطف الثقـافي لا يطرح فقط سؤال : كيف كان الأمر حقا ؟ بل المهم لديه هو سؤال : كيـف كـان الأمر بالنسبة له أولها أولهم ؟

وهذا الهدف لا يتحقق من وجهة نظر الكاتبـة عـن طريـق دور الوثـائق والأرشيفات وإنما بفضل التعبئة الذاتية العارفة والقدرات الإنسانية والفكريـة فـي التصنيف . وهذا النمط تصفه مارى بأنه جديد في التدوين التاريخي خرج إلى حيز الوجود ومعه تفسير لما كان مسكوتًا عنه لفترات طويلة من الزمان .

وهذا التاريخ الثقافي يعمل على كشف البُنى طويلة المدى بطيئة التحرك داخل العلاقات الاجتماعية وعلاقات الإنتاج ، والتي تؤدى إلى الإسراع في التحـديث أو تأخيره . ولهذا تحول المؤرخون صوب الأنثربولوجيا لكي يفهموا الأحداث العامـة والتجارب الجماعية الغنية بالمعنى الرمزي ، وكأن المؤرخين في هذا يدخلون فـي محادثة مع أهل الماضي ، مثلهم في ذلك مثل الأنثروبولوجيين الذين يقومون بعمل ميداني يسبر أغوار أنظمة المعنى وتفسيرها ، وأيضًا أولى المؤرخون أهمية خاصة بتلك المناسبات الكثيفة الرمزية كالطقوس والأساطير التي تتحدث عـن الأصـول وارتباطاتها بآلهتها وحكامها وارتباط كل منهم بالآخر .

ولأننا جميعًا ورثة مواريث نسميها الثقافة – اللغة والعادات والأساطير – فإن البحث داخل بنى اللغة شجع الباحثين في الإنسانيات في السنوات العشرين الأخيرة

إلى مثل هذه الدراسات التي تعتمد على التحليل النصي للنصوص جنبًا إلى جنب مع الآثار المادية في الحياة اليومية .

وتدعيمًا لهذه الرؤية تؤكد الكاتبة على أنه لكي نفهم لماذا وكيف وأين ارتبطت المعاني لننتقل إلى تقييم ورصد تلك اللحظات التي يكون فيها المعنى قد اتضح ، وخضع للسؤال أو تم كشفه أو إعادة توظيفه مع المعنى . وهى الأسئلة المرتبطة بكل نواحي الحياة – يجب أن يسهم المنعطف الثقافي في شرح وفهم العمل والشئون الاقتصادية والأمور السياسية وغيرها .

تاريخ النوع الآن :

ويأتي الفصل التالي من فصول الكتاب تحت عنوان " ما تاريخ النوع الآن ؟ " وقامت آليس كيسلر – هاريس Alice Kesseler- Harris أستاذة التاريخ بجامعة كولومبيا بكتابته.

ويرى أتباع هذا التاريخ أن الرجال والنساء مصنوعون وليسوا مولودين ، ولهذا فالنوع يعتبر عملية مثل الطبقة تتغير بمرور الزمن ولها علاقة بالظروف التاريخية ، ولأن النوع يكون بمثابة الأرض التي تبنى عليها الهوية والوعي فإنه ربما يكون أكثر انتشارًا وتأثيرًا من الطبقة . وتذكر هاريس أن تاريخ النوع يستمد معلوماته من كل فرع من فروع الدراسة التاريخية ، فالأسئلة عن النوع تتكاثر بحيث تغزو كل مجال من مجالات التاريخ السياسي والاجتماعي والاقتصادي ، وتضيف الكاتبة بأن مؤرخي النوع لا يجزئون التاريخ ولكنهم يتيحون إمكانية خلق فرص أكبر للتفسير وذلك لإثراء رؤية الماضي ورسم صورة أكثر اكتمالاً للتغير التاريخي واستيعابه بشكل أكمل .

وتضرب الباحثة شاهدا على ذلك بنقد بعض وجهات النظر التي حكمت التفسير التاريخي ومنها ما يُشاع عن علاقة ما بين تدخلات النساء والرفاهية ذاكرة

أن النوع ليس هو المحور الوحيد في هذا الصدد ولكن هناك عدة محاور أخرى أهم تتضمن الطبقة والعرق والبنى السياسية والأيديولوجية والمؤسسات الاقتصادية ... الخ . كما أن هناك صورة تقليدية شائعة تضع النساء في إطار الأيديولوجية المنزلية ، وهى صورة أدت إلى تغاضى المؤرخين القدامى عن الإسهامات الاقتصادية للنساء كما أنها جعلت المصلحين الاجتماعيين يقترحون سياسات مقوضة لجهود النساء في مساندة أسرهن .

وتذكر الباحثة في دراستها العديد من النماذج البحثية في تاريخ النوع كدراسة كارولين ستيدمان Carolyn Steedman عن مركزية أيديولوجيات الذكورة والأنوثة ليس باعتبارها تعارضات ثنائية وإنما على اعتبار أنها أنماط من التواصل في ظروفها التاريخية خاصة ما يتعلق منها بالطبقة ، ودراسة سالى الكسندر Sally Alexander وكاترين هول Catherine Hall عن طريقة تأثير النوع من الناحية العنصرية في تشكيل الرؤى العالمية وعلاقات النظم في المؤسسات الاقتصادية ، وما قامت به لورا إنلجشتين Laura Engelstein وكاثلين براون Kathleen Brown من دراسة كيفية إسهام تنظيم النوع في تحديد ترتيب الهيراركية وجعل الأفراد يألفون نماذج التنظيم الاستبدادية ودعم أنظمة الحكم المعادية للمساواة ، وهناك أيضًا دراسة جوى تروتر Joe Trotter وتيرا هنتر Tera Hunter والتي أوضحت كيف أن العنصر اتفق مع النوع لخلق انشقاقات طبقية ، كما قامت دراسات في تاريخ النوع أثبتت أن التحولات الاقتصادية تُبنى في كل مكان على تعديل مستمر لبناء الأسرة والعائلة وأيديولوجيات الرجولة والنسوية .

وفى نهاية هذا الفصل تلخص الكاتبة المقصود بتاريخ النوع – بوصفه فرعًا جديدًا من فروع الدراسات التاريخية – بقولها : إنه طريقة للنظر إلى الماضي

توسع من رؤيتنا ، وتاريخ النوع يمزج بين العلاقات الاجتماعية المتطورة والتي تتخذ شكلاً عنصريًا بين الجنسين في عبارات مجازية تفسيرية لكي ينتج لنا فهمًا أشمل وأغنى لكل من التجربة الذاتية التي تترجم الأيديولوجية إلى فعل والنتائج لصالح الجماعات والأمم والإمبراطوريات . ولإحراز هذا النوع من التاريخ نحتاج إلى حقائق عن النساء وعن الرجال ، ونحن نحتاج إلى تاريخ النساء مثلما نحتاج إلى تاريخ للرجال .

التاريخ الفكري الآن :

وعن التاريخ الفكري قدمت أنابيل بريت Annabel Bret بجامعة كمبريدج فصلا ممتعًا أوضحت فيه أهمية التاريخ الفكري – تاريخ الكلام واللغة والأفكار – البالغة وذلك لأن الفكر يدخل في الفعل والإنتاج وبالتالي في الزمن التاريخي للفاعلين التاريخيين ، كما أن المفكرين لهم دورهم المهم في الانتقال من عصر إلى آخر بوصفهم مجددين في وعى العقل بالذات .

وترفض الكاتبة الزعم بأن التاريخ الفكري لا يدرس سوى سلسلة محدودة من النصوص الراقية ، وتذكر أنه علم له اهتماماته الخاصة به ، وهذه الأهمية أدركها مؤرخون مثل برادلى Bradley الذي ذكر أن التاريخ كله تاريخ فكر ، وكولينجوود Collingwood الذي أوضح عدم استطاعة الفهم لأي فعل إنساني أو إنتاج إنساني دون فهم الفكر المتضمن فيه .

وتناولت الباحثة مقالها عبر محورين أولهما يتناول ما التاريخ الفكري الآن في مقابل آنذاك ؟ وثانيهما يدرس التاريخ الفكري الآن في مقابل أي نوع آخر من التاريخ ؟ موضحة أن التغير الحادث في النظر إلى التاريخ الفكري رجع إلى مسارين أحدهما تمثل في دراسة اللغة أو الخطاب وعلاقته بالفعل الإنساني والقوة ،

وثانيهما يتضح من خلال المفهوم المعقد بشكل متزايد عن الطرق المتعددة التي يقدم بها البشر عالمهم وأنفسهم لأنفسهم وللآخرين .

وفى دراسة هذا التاريخ لابد من فهم النصوص عـن طريـق فهـم الـسياق التاريخي الذي قيلت فيه أي استعادة الموقف السائد في زمن نص معين ، ولهذا فمن الضروري الالتفات إلى السياق اللغوي التاريخي والذي يمكن أن يكـون متـضمناً بطرق معينة في أنماط أخرى من السياق ، أي ما كان الآخرون يقولونه في إطـار الزمن والظروف التي حكمت ذلك القول .

التاريخ الإمبراطوري الآن :

كاتبة هذا الفصل هي ليندا كولى Linda Caulay أستاذة التاريخ في مدرسة لندن للاقتصاد والعلوم السياسية . وهى تعرف التاريخ الإمبراطوري بأنه فـرع عـابر للتخصصات ومتنوع إلى درجة أكبر كثيرًا من حيث مادة الموضوع والمنـاهج ، وهو نوع من التاريخ أسهم فيه علماء الآثار ومؤرخو الفـن ورسـامو الخـرائط ومؤرخو التاريخ النسوى ... الخ بمفاهيمهم المتنوعة .

وهذا النوع من التاريخ يتعلق بشكل حيوي بفكرة ضم الأراضي ، ولهذا فهو يحتاج إلى بحث الروابط العديدة بين الأقاليم المختلفة ، الأمر الـذي يحتـاج إلـى المنظور المقارن مما يشير إلى التحديات الهائلة التي يمكـن أن يواجههـا مـؤرخ الإمبراطوريات بسبب المدى الشاسع والإشكاليات الجوهرية .

ودراسة تاريخ الإمبراطوريات التي وجدت على مدى القـرون فـي أجـزاء مختلفة من العالم تؤدى إلى الوعي الذي يساعد في مواجهـة الخطـاب البلاغـي والاستراتيجيات التحايلية التي يتبعها البعض تجاه البعض الآخر . مثل السعي الدائم لبعض الإمبراطوريات بوصم غيرها من الإمبراطوريات بأنها شـريرة وتوسـعية وعدوانية وهو ما ينطبق في دعاوى الإنجليز والهولنديين في القرنين السابع عـشر

والثامن عشر أن نشاطهم كان بحريًا وتجاريًا وليس عدوانيًا كما في حالتي روما القديمة أو أسبانيا الكاثوليكية ، وهذا النموذج تصفه الباحثة بأنه تحليل انتقائي لأن الإنجليز والهولنديين تورطوا هم أيضًا في غزو الأراضي والاستعمار .

وبالإضافة إلى هذا المثال نجد أن الساسة في أوربا وأمريكا في أواخر القرن العشرين هاجموا الاتحاد السوفيتي والصينيون باعتبار أفعالهم دالة على الإمبريالية الغربية الخبيثة ، وفى حقيقة الأمر فإن الثلاثة (أمريكا وروسيا والصين) يحتفظون بالكثير من خصائص الإمبراطوريات ومشكلاتها .

وتشير الدراسة إلى التفاوت بين الصغر المادي لحجم الدولة من ناحية وكبر حجم إمبراطوريتها من ناحية أخرى فغالبًا ما كانت الإمبراطوريات أكبر من حجم الدولة صاحبة الإمبراطورية ذاتها ، وعلى سبيل المثال فعند بداية القرن العشرين كانت الإمبراطورية الفرنسية أكبر بنحو عشرين مرة من حجم فرنسا ذاتها ، وأن الإمبراطورية البريطانية كانت أكبر من حجم بريطانيا مائة وخمسًا وعشرين مرة .

وتُظهر الباحثة حاجة المؤرخين الإمبراطوريين إلى توضيح الروابط العالمية المتبادلة لأن قيام الإمبراطوريات وسقوطها يرتبط بالعلاقات الوثيقة فيما بينها ، وأيضًا توضيح الفروق بين النظم الإمبراطورية المختلفة ، هذا بالإضافة إلى الاستعارات والاقتباسات التي تقوم بها بعض الإمبراطوريات . وتؤكد الباحثة على ضرورة عدم التسرع في إصدار أحكام وخصائص على إمبراطورية ما إذا لم يكن هناك فحص لإمبراطوريات أخرى .

ومن هنا – كما تذكر الباحثة – تكمن صعوبة البحث في التاريخ الإمبراطوري، والذي يتطلب دراسة قاسية تحتاج إلى معرفة حاذقة بالتواريخ على مدى فترة طويلة من الزمان لأنه من الموضوعات المثيرة العابرة للثقافات ، ولهذا فإن آفاق واحتمالات وجود تاريخ إمبراطوري مفسر لا يمكن أن تكون جيدة .

وفى نهاية هذا العرض الموجز لهذا الكتاب المتضمن للكثير جدًا من الأفكـار الجادة والتفاصيل والتحليلات الفكرية والاجتماعية والتاريخية أرى ضرورة إطلاع المهتمين بالدراسات التاريخية على هذا الكتاب لمعرفة الجديد فـي حقـل البحـث التاريخي ؛ لاسيما وأن معظم الدراسات التاريخية في بلادنا لا تزال أسيرة للطرق التقليدية في كتابة التاريخ ، ولهذا فإن هذا الكتاب يملأ فراغًا مهمًـا فـي المكتبـة التاريخية العربية .

وبالرغم من ذلك فهناك بعض وجوه النقد لهذا الكتاب كاقتصاره على بعـض فروع التاريخ دون الأخرى مثل التـاريخ الدبلوماسـي ، والتـاريخ العـسكري ، والتاريخ البحري ، والتاريخ التجاري ، والتاريخ الاقتصادي ، والتاريخ المحلى ... وغيرها ، واقتصاره كذلك في تحليلاته في الغالب الأعم على التاريخ الغربي دون التطرق إلى تواريخ الأمم الأخرى .

وهناك نقد آخر ربما أشير إليه – كمبتدئة في حقل البحث التاريخي – وهو أن بحوث الكتاب – فيما عدا المقدمة والاستهلال والخاتمة – تتضمن الكثير من الأمور غير الواضحة أو المفهومة والتراكيب اللغوية الغامضة ، وهذا لا يرجع في تقديري إلى الترجمة العربية بل إلى الأصل المُترجَم عنه ، وأرى أن كثيرًا مما جـاء فـي الكتاب يصدق عليه ما جاء في مقدمة محـرر الكتـاب ديفيـد كانـادين David Cannadine حين قال [ص٢٩] : " إن التاريخ يكتب اليوم بقدر كبير من النثـر الكئيب أو في رطانة لا يمكن فهمها سوى لعدد قليل من المتحذلقين ، وتفشل تمامًا في الوصول إلى عدد أكبر من الجمهور " أو ما ذكره فيليب فرانانديز – آرمستو Philip Fernandez – Armesto في خاتمة الكتاب [ص٢٥٢] بقوله : " يجب على المؤرخين أن يتجنبوا اللغة المضطربة والرطانة غير المفهومة ، وهو مـلاذ أولئك الأوغاد الذين يريدون جعل أعمالهم غير مفهومة للمبتدئين " .

وكما ذكرت فإن لغة الكتاب غير المفهومة في بعض جوانبه لا ترجع إلى الترجمة العربية ، والتي يظهر فيها مدى الدقة و الجهد الكبير الذي بذله مترجم الكتاب والمؤرخ المعروف الدكتور قاسم عبده قاسم أستاذ التاريخ المملوكي والحروب الصليبية ، والذي مهد للترجمة بمقدمة تُعد في حد ذاتها بحثًا مهمًا لا يقل من حيث الفائدة والأهمية عن بحوث الكتاب، عرض فيها لتطور الفكر التاريخي في القرن العشرين مع تقديم بعض الرؤى والملاحظات النقدية القيمة حول هذا التطور وحول الكتاب الذي بين أيدينا .

وبالرغم الجهد الكبير الذي بذله المترجم إلا أنه من الملاحظ ما يلي :

١- الإقلال الواضح من التعليقات الهامشية والتي كنا نحتاجها من مترجم ومؤرخ في ذات الوقت ؛ خاصة مع وجود الكثير من المواطن التي كانت تحتاج من مؤرخنا التوقف عندها بتعريف أو تعليق أو توضيح أو مقارنة . وهذا الإقلاق نراه بأوضح صوره في بعض الفصول التي خلت من أية هوامش للمترجم كفصول التاريخ الاجتماعي وتاريخ النوع والتاريخ الفكري . والتعليقات في هذا الصدد تثرى الكتاب خاصة وأن الكتاب في نماذجه التطبيقية اقتصر غالبًا على التاريخ الغربي ولم يتعرض لتاريخنا الإسلامي والوسيط .

٢- في حين يحرص المترجم على ترجمة عناوين الكتب الواردة بالمتن [كما في صفحات ٢٦ و٦٣ و٦٥ و٩٨ و ١٢٥ و١٥١ و١٥٥ ... وغيرها] لا نجده يترجم معظمها [كما في صفحات ٢٥ و٢٦ و٤٩ و٥٠ و٥١ و٦٤ و٦٦ و٦٩ و٧٠ و٧١ و٧٣ و٩٤ و١٠٠ و١٠٣ و١٠٦ و١١٧ و١٢٢ و١٢٤ و١٢٩ و١٣٤ و١٣٧ و١٤٢ و١٤٩ و٢٥١ و١٦٠ و١٦٣ ... وغيرها].

٣- عدم ترجمة بعض المصطلحات في نص الكتاب [انظر على سبيل المثال صفحات ٨٩ و ١٢١ و ١٥٢ و ١٥٩] .

٤- يحرص المترجم على المقابلة بين أسماء الأعلام بكتابتها بالعربية والأجنبية [كما في صـفحات ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ و ٢٧ و ٥٢ و ٥٣ و ٦٥ و ٦٧ و ٧٣ و ١٠٠ و ١١٥ و ١١٩ و ١٥٦ ... الخ] إلا أنه لم يتقيد بذلك أحيانًا واكتفـى بكتابة الأسماء بالعربية فقط [كما في صفحات ٢٣ و ٢٤ و ٢٦ و ٣١ و ٤١ و ٤٤ و ٤٧ و ٥١ و ٦١ و ٧١ و ٩٦ ... وغيرها] .

٥- في الفصل الخاص بالتاريخ الإمبراطوري غابت الفقرة رقـم ٢ وتحديـد موطن الحاشية رقم ٢٢ .

٦- وجود بعض السهوات الطباعية مثل : حاول [ص٩٦ سطر ١٠] بدلاً من حاولوا ، وارتبطاتها [ص١٥٧ سطر ١٦] بدلاً من ارتباطاتها .

٧- إهمال ترجمة الهوامش والملاحظات الخاصة بكل فصل من فصول الكتاب ، والتي لا تقتصر على الإشارات المرجعية ، وتبلغ خمسين صفحة ، وعدم ترجمة مثل هذه الهوامش والملاحظات ليس من منهج الدكتور قاسـم فـي مترجماته لأنه حرص في ترجمته لكتاب " الفقر والإحـسان فـي مـصر عصر سلاطين المماليك " لآدم صبره والمنـشور فـي ذات السلـسلة - المشروع القومي للترجمة - التي صدر فيها الكتاب الذي بين أيدينا علـى ترجمة هوامش وملاحظات الكتاب .

وهذه الملاحظات لا تقلل من حجم الجهد الكبير الذي بُـذل فـي الترجمـة ، بالإضافة إلى أن ساحة البحث التاريخي العربي المعاصر تفتقد إلى وجود مثل هذه الكتابات المهمة ، ونأمل أن يتصدى المترجمون و المؤرخون لترجمة كُتب مُماثلة لهذا الكتاب - الذي يُعد إسهامًا مهمًا في حقل الفكر التاريخي - نظـرًا لحاجتنـا الماسة إلى معرفة التطورات العديدة والمتنوعة في دراسة التاريخ .

الهوامش

(1) What is history now ? , Edited by : David Cannadine , Palgrave Macmillan , 2002.

(٢) ولد إدوارد هاليت كار Edward Hallett Carr عام ١٨٩٢م في لندن وتلقى تعليمه في ترنيتي كوليج Trinity College ، كامبريدج Cambridge ، وكان عضوًا في الدائرة المتعلقة بالشئون الروسية في وزارة الخارجية البريطانية في أعقاب قيام الثورة البلشفية ، استقال عام ١٩٣٦م من وزارة الخارجية ليصبح أستاذًا في العلاقات الدولية بجامعة ويلز Wales ، وعمل محررا بجريدة التايمز Times في الفترة ما بين ١٩٤١-١٩٤٦م ، وأستاذًا للسياسة في جامعة باليول Balliol College بأكسفورد .

(٣) كان أصل هذا الكتاب محاضرات ألقاها كار بجامعة كمبريدج سنة ١٩٦١م ؛ وقام بترجمة هذا الكتاب إلى العربية الدكتور/ أحمد حمدى محمود – القاهرة ، عام ١٩٦٢م ؛ وفي عام ١٩٧٦م ظهرت ترجمة أخرى للكتاب قام بها ماهر كيالي (و) بيار عقل ، وصدرت عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر ؛ تحدث كار في الفصل الأول عن المؤرخ باعتباره جزء من التاريخ ، ويعالج الفصل الثاني دور الفرد والمجتمع في تحويل مسار التاريخ ، أما الفصل الثالث فقد تناول فيه العلاقة التي تربط التاريخ بالعلم ، وتعرض في الفصل الرابع لقضية السببية في التاريخ ، وتحدث في الفصل الخامس عن التاريخ بوصفه علمًا تقدميًا ، أما الفصل السادس والأخير فقد تناول فيه الآفاق المتوسعة للوعي التاريخي .

(٤) ما التاريخ الآن ؟ ص١٩ .

رقم الإيداع
٨٨ / ٧٣١٧
الترقيم الدولي
٩ـ ٠٢٦ ـ ٢٣٨ ـ ٩٧٧

Egyptian Historian

Studies & Researches
In
History & Civilization

Department of History
Faculty of Arts
Cairo University

Egyptian Historian



Studies & Researches In History Civilization